

فهرس

المجلد الأول من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

مقدمة الكتاب صفحة
(ط)

الجزء الأول — كتاب السلطان

عمل السلطان وسيرته وسياسة	١
اختيار العمال	١٤
باب صحة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلقونه	١٩
المشاورة والرأى	٢٧
الإصابة بالظن والرأى	٣٤
اتباع الهوى	٣٧
السروكتمان وإعلانه	٣٨
الكتاب والكتابة	٤٢
خانات العمال	٥٢
القضاء	٦٠

صفحة	
٦٨	في الشهادات
٧٢	باب الأحكام
٧٤	الظلم
٧٩	قولهم في الحبس
٨٢	المحجأب
٩٢	التلطف في مخاطبة السلطان وإلقاء النصيحة إليه
٩٢	الخفوت في طاعته
٩٣	التلطف في مدحه
٩٨	التلطف في مسئلة العقو

الجزء الثاني - كتاب الحرب

١٠٧	آداب الحرب ومكايدها
١٢٢	الأوقات التي تختار للسفر والحرب
١٢٣	الدعاء عند اللقاء
١٢٤	الصبر وحض الناس يوم اللقاء عليه
١٢٧	ذكر الحرب
١٢٨	في العنة والسلاح
١٣٢	آداب الفروسة
١٣٤	المسير في الغزو والسفر

صفحة	
١٤٢	التفويض
١٤٤	في الطيرة والفأل
١٥١	مذاهب العجم في العيافة والاستدلال بها
١٥٣	باب في الخليل
١٦٠	باب البقال والحجير
١٦١	باب في الإبل
١٦٣	أخبار الجبناء
١٧٢	باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم
١٩٤	باب الخيل في الحروب وغيرها
٢٠٤	باب من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين
٢١٣	ذكر الأمصار

الجزء الثالث - كتاب السؤدد

٢٢٣	غنايل السؤدد وأسبابه وغنايل سوء
٢٢٧	الكمال والتناهي في السؤدد
٢٢٩	السيادة والكمال في الحدائث
٢٣١	المهمة والخطار بالنفس
٢٣٩	الشرف والسؤدد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب
٢٤٦	ذم الغنى ومدح الفقر

صفحة	
٢٤٩	التجارة والبيع والشراء
٢٥٤	الدين
٢٥٨	اختلاف المم والشهوات والأمانى
٢٦٤	التواضع
٢٦٩	باب الكبر والحجب
٢٧٥	باب مدح الرجل نفسه وغيره
٢٧٦	قول المدوح عند المدحة
٢٧٨	باب الحياء
٢٧٩	باب العقل
٢٨٢	باب الحلم والغضب
٢٩١	باب العز والنل والهية
٢٩٥	باب المروعة
٢٩٦	باب اللباس
٣٠٢	التختم
٣٠٣	باب الطيب
٣٠٥	باب المجالس والجلساء والمحادثة
٣٠٩	باب القلاء
٣١١	باب البناء والمنزل

معرض المجلد الأول

(ز)

صفحة

باب المزاح والرخص فيه	٣١٥
التوسط في الأشياء وما يكره من التخصير فيها والنقل (باب التوسط في الدين)	٣٢٥
باب التوسط في المداراة والحلم	٣٢٨
باب التوسط في العقل والرأى	٣٢٩
باب ذم فضل الأدب والقول	٣٣٠
باب التوسط في الحنة	٣٣١
باب الاقتصاد في الإقلاق والإعطاء	٣٣١
أفعال من أفعال السادة والأشراف	٣٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الامام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رضى الله عنه : الحمد لله الذى يُجْزى بِلَاؤِهِ مَسْغَةَ الْوَاصِفِينَ وَتُفَوِّتُ آلَاؤُهُ عَدَدَ الْعَاذِينَ وَتَسِعُ رَحْمَتُهُ ذُنُوبَ الْمُسْرِفِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَا تُحْجَبُ عَنْهُ دَعْوَةٌ وَلَا تَحِيبُ لَدَيْهِ طَلِبَةٌ وَلَا يَضِلُّ عَنْهُ سَبْعِي ، الَّذِى رَضِىَ عَنْ عَظِيمِ النِّعَمِ بِقَلِيلِ الشُّكْرِ وَغَفَرَ بِقَدْرِ النَّدَمِ كَبِيرَ الذُّنُوبِ وَمَحَا بِتَوْبَةِ السَّاعَةِ خَطَايَا السَّنِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَبْتَعَتْ فِينَا الْبَشِيرَ النَّذِيرَ السَّرَاحَ الْمُنِيرَ هَادِيًا إِلَى رِضَاهِ وَدَاعِيًا إِلَى مَحَابَّتِهِ وَدَالًّا عَلَى سَبِيلِ جَنَّتِهِ فَفَتَحَ لَنَا بَابَ رَحْمَتِهِ وَأَغْلَقَ عَنَّا بَابَ مَعْصِيَتِهِ . صَلَّى اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ الْمُقَرَّبُونَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَبَدًا مَا حَلَا بِمَحَرٍّ وَذَرَّ شَارِقٍ وَعَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ .

- أما بعد فإن الله فى كل نعمة أنعم بها حقا وعلى كل بلاء أبلاه زكاة : فزكاة المال ١٠
الصدقة، وزكاة الشرف التواضع، وزكاة الجاه بذله، وزكاة العلم نشره، وخير العلوم أهمها، وأفضلها أحدها مغبّة، وأحدها مغبّة ما تُعَلَّمُ وَعُلِّمَ قَهْ وَأُرِيدَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى .
ونحن نسأل الله تعالى جل وعلا أن يجعلنا بما علمنا عاملين وبأحسنه آخذين ولوجهه الكريم بما نستفيد ونفيد مرادين ولحسن بلاءه عندنا عارفين وبشكره آتاء الليل والنهار عارفين إنه أقرب المدعوين وأجود المستولين . ١٥

وإني كنت تكلمت لثقل التأدب من الكُتُبِ كِتَابًا فى المعرفة وفى تقويم اللسان واليد حين تبيّنتُ شُمُولَ النقص ودروس العلم وشغل السلطان عن إقامة سوق الأدب

حتى عفا وندّس ، بلغت به فيه همه النفس وتلجّ الفؤاد وقبّلت عليه به ما أطرفني الآله^(١)
 ليوم الإدالة ، وشرطت عليه مع تعلم ذلك تحفظ عيون الحديث ليدخلها في تضاعيف
 سطورها مبتثلا إنا كاتب ، ويستعين بما فيها من معنى لطيف ولفظ خفيف حسن
 إذا حاور . ولما تغلبت له القيام ببعض آله دعني المعة الى كفايته وخشيت
 إن وكلّته فيما بقي الى نفسه وعزلت له على اختياره أن تستمرّ مريرته على التهاون
 ويستوطى مركبه من المجز فيضرب صفعا عن الآخر كما ضرب صفعا عن الأول ،
 أو يزاول ذلك بضعف من النية وكلال من الحذر فيلحقه غور الطباع ومسامة الكلفة .
 فاجلّت له ما ابتدأت وشيلت ما أسست وعملت له في ذلك عمل من طب لمن
 حبّ بل عمل الوالد الشفيق للولد البرّ ورضيت منه بما جلّ الشكر وعزلت على الله
 في الجزاء والأجر .

فإن هذا الكتاب ، وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال
 والحرام ، دالّ على معالي الأمور ومرشد لكريم الأخلاق زاجر عن الدناءة ناه عن القبيح
 باعث على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعمارة الأرض وليس الطريق
 الى الله واحدا ولا كل الخير مجتمعا في تهجد الليل وسرّد الصيام وعلم الحلال والحرام ،
 بل الطرق اليه كثيرة وأبواب الخير واسعة وصلاح الدين بصلاح الزمان ، وصلاح
 الزمان بصلاح السلطان ، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير .

وهذه عيون الأخبار نظمها لغفل التأديب تبصرة ولأهل العلم تذكرة ولسان
 الناس ومُسوسهم مؤدبا وللولاك مستراحا [من كذا الحذر والتعب^(٢)] وصفتها أبوابا وقرنت
 الباب بشكله والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها

(١) في النسخة الألمانية : « ما أدخل من الآلة ليم الإدالة » .

(٢) في النسخة الفهرغرافية : « الغر » . (٣) زيادة في النسخة الألمانية :

- وعلى الناشد طلبها، وهي قَلاح عقول العلماء وتَنَاج^(١) أفكار الحكمة وزبدَةُ الفَض
وحِلْيَةُ الأدب وأثمار طول النظر والمنخير من كلام البناء وفُطْنُ الشعراء وسِرُّ الملوك
وآثار السلف . جمعت لك منها ما جمعت في هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها
وتقومها بِمَنافِعها وتخلصها من مساوئ الأخلاق كما تخلص القضة البيضاء من خَبَثها،
وتَرُوضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة وسيرة قويمه وأدب كريم وخلق عظيم،
وتصل بها كلامك إذا حاورت وبلاغتك إذا كتبت، وتستنجح بها حاجتك إذا
سألت، وتلطّف في القول إن شفعت، وتخرج من اللوم بأحسن المذر إذا اعتذرت،
فإن الكلام مصادب القلوب والسكر الحلال، وتستعمل آدابها في محبة سلطانك
وتسديد ولايته ورفق سياسته وتدير حروبه، وتعمُر بها مجلسك إذا جَدَدت
وأهزَلت وتوضح بأمثالها محمّلك وتبُدّ باعتبارها خصمك حتى يظهر الحق في أجس
صورة وتبلغ الإرادة بأخف مَسُونَة، وتسوّل على الأمد وأنت وادع [وتحقّق الطَّيْرَة^(٢)
ثانياً من عَنَّاك وتمشي رويداً وتكون أولاً] هذا إذا كانت الغريزة مُؤَنِيَةً والطبيعة
قابلة والحس مقادراً، فإن لم يكن كذلك ففي هذا الكتاب، لمن أراه عقله نقص
نفسه فأحسن سياستها وستر بالأمانة والروية عيوبها ووضع من دواء هذا الكتاب على
داء غريزته وسقاها بمائه وقدرح فيها بضيائه، ما نَعَش منها العليل وشغذ الكلّيل
وبعث الوَسْثان وأيقظ الهالِج حتى يُقَارِب بمون الله رَبَّ المطبوعين .

- ولم أر صواباً أن يكون كتابي هذا وقفاً على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على
خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سُوقَتهم، فوقيت كل فريق منهم
قِسْمه وفُورَت عليه سهمه وأودعته طُرُقاً من محاسن كلام الزهاد في الدنيا وذكر
بِحُفَاثها والزوال والانتقال وما يتلاقَون به إذا اجتمعوا ويتكلمون به إذا اتفروا،

(١) في النسخة الفسيفسائية: «وتناج» . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

في المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين وأشباه ذلك لعل الله يعطف به صادقا،
ويأطر على التوبة متبائنا، ويردع ظالما ويلين برقاته قسوة القلوب . ولم أخله مع
ذلك من نادرة طريفة ونقطة لطيفة وكلمة مُعجبة وأخرى مضحكة لتلا يخرج عن
الكتاب منهجٌ سلكه السالكون وعروضٌ أخذ فيها القائلون ، ولأرّج بذلك عن
القارئ من كد الجِدِّ وإتمام الحق فإنَّ الأذن مجاعةٌ للنفس حَمَزةٌ، والمزج إذا كان
حقا أو مقاربا ولأحايينه وأوقاته وأسباب أوجبه [مشاكلا] ليس من الصريح ولا
من المنكرو ولا من الجائر ولا من الصغائر إن شاء الله .

وسيتقى بك كتابنا هذا الى باب المزاح والفكاهة وما روى عن الأشراف والأئمة
فيهما ، فإذا مرّ بك أيها المترجم حديث تستحقّه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك
له فأعرف المنهج فيه وما أردنا به .

وأعلم أنك إن كنت مستغنيا عنه بتسككك فان فريك ممن يترخص فيها تشددت
فيه محتاج اليه ، وإن الكتاب لم يعمل لك دون فريك فبيّنا على ظاهر محبتك ،
ولو وقع فيه توقّف المترجمين لنهب شطربهائه وشطرمائه ولأعرض عنه من أحببنا
أن يُقبل اليه منك .

وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف
شهوات الآكلين ، وإذا مرّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف
فاحشة فلا يملكك الخشوع أو التواضع على أن تُصمّخ حنكك وتُعرض بوجهك فان
أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المأثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل
لحوم الناس بالغييب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ تَعَزَّى بَعْزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ

فَأَعِضُوهُ بَيْنَ أَيْمِهِ وَلَا تَكُونُوا». وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لِبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ، حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إِنْ هَؤُلَاءَ لَوْ قَدْ مَسَّهمُ حَرْ السِّلَاحِ لَأَسْلَمُوا: —
«أَعْضَضَ يَنْظُرُ اللَّاتِ، أَنْحَنَ تُسْلِمُهُ!» . وقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: «مَنْ يَطْلُ أَيْمَهُ يَنْتَقِ بِه» . وقال الشاعر في هذا المعنى بيته:

- فلو شاء ربي كنت أيرأىكم * طويلاً كأير الحارث بن سدوس .
قال الأصمعي: كان للحارث بن سدوس أحد وعشرون ذكراً، وقيل للشعي: إن هذا لا يمي في القياس، قال: أير في القياس، الولد ذكر . وليس هذا من شكل ما تراه في شعر جرير والفرزدق لأن ذلك تمييز وأنتهائز في الأخوات والأهملات وقدف للخصصات الغافلات، ففهم الأمرين وأفرق بين الحسنين، ولم أترخص لك في إرسال اللسان بالرث على أن يجعله هيبك على كل حال ويدنك في كل مقال، بل الترخص متى فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها، تنقصها الكناية وينهب بحلاوتها التعريض، وأحببت أن تجري في القليل من هذا على عادة السلف الصالح في إرسال النفس على السجدة والرغبة بها عن نيسة الرياء والتصنع . ولا تستعمر أن القوم قارفوا وتزهت وتلموا أديانهم وتوزعت . وكذلك نحن إن مر بك في حديث من النوادر فلا ينهب عليك أنا تممدناه وأردنا منك أن تتعمده لأن الإعراب ربما سلب بعض الحديث حسنه وشاطر النادرة حلاوتها، وسأمثل لك مثالا: قيل لمزيد المديني — وقد أكل طعاما كفته — في فقال: ما أقي، أقي قها ولم جدى! صرقي طالق لو وجدت (١) كذا بالأصل ولسان العرب معزوا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وورد في جمع الأئمة الذين «مَنْ يَطْلُ مِنْ أَيْمِهِ يَخْلُقُ بِهِ» . (٢) في النسخة الألمانية «ودينك» .
(٣) كذا في النسخة المطبوعة بألمانيا هكذا (لزيد) وكذلك ورد في الأغاني ج ١٣ ص ١١٧ من غير ضبط وورد في كتاب الخلاصة لمصاحف المطبوع بأوروبا ص ٩ هكذا (مزيد) . وورد في الأصل الفهرغرافي الذي بين أيدينا هكذا (لزيد) . وفي تاج العروس في مادة (زيد) : ومزيد كعدت اسم رجل صاحب النوادر وضبط كسظم ووجد بخط القهقي ساكن الزاي مكسور الموحدة .

هذا قِيًّا لِأَكْثَرِهِ . ألا ترى أن هذه الألفاظ لو وُقيت بالإعراب والمعرِ حقوقها
لنُجِبَتْ تَلَاوتها ولا سَمِعَتْها سَامِعُها . وكان أحسن أحوالها أن يكافئَ لُطْفَ معناها
تَعَلُّ الألفاظها فيكون مثل المنفرد عنها ما قل الأول

اضربْ نَدَى طَلْعَةِ الخِيَارِ بِإِنْ نَفَرُوا * يَخْضُلُ أَشْمَتَ وَاسْتَنْثِيَتْ وَكُنْ حَكَا
تَخْرُجُ نِزَاعَةً مِنْ لَوْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ * فَلَا تَمُدُّ لَهَا لَوْمًا وَلَا كَرَمًا
ولمثل هذا قال مالك بن أَسْمَلٍ في جارية له

أَمَطُّ مَنْ عَلَى نَصْرِي لِلشَّحْبِ أَمْ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حَسَنًا
وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مَا * يَشْتَهِي الثَّائِتُونَ يَوْزَنُ وَزَنًا
مَنْطِقُ بَارِعٍ وَطَحَنُ أَحْيَا * نَا وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا^(١)

١٠ وإن مرَّ بك خبر أو شعر يَضَعُ عن قدر الكتاب وما بُنِيَ عليه فاعلم أن لذلك
سَبِيلَيْن : أحدهما قلة ما جاء في ذلك المعنى مع الحاجة إليه ، والسبب الآخر أن
الحسن إذا وُصِّلَ بمثله قصَّ نُورَاهُمَا ولم يَتَبَيَّنْ فاضل بمفضول . وإذا وُصِّلَ بما هو
دونه أراك قصصًا أحدهما من الآخر الرَّجَحَانِ ، ومدار الأمر وقِوَامُهُ على واحدةٍ
تحتاج إلى أن تأخذ نفسك بها وهي أن تُخَضِّرَ الكلمة موضعها وتصلها بسببها
١٥ ولا ترى غيبتًا أن يتكلم الناس وأنت ممسك ، فإذا رأيت حالًا تُشَاكِلُ ماحضرك
من القول أحضرته وفرصة تخاف فوتها انتهزتها ، وكان يقال : انتهزوا فرصَ القول فإن
للقول ساطعت يضرب فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب ، وقالوا : رب كلمة تقول : دعني .

(١) قال أبو بكر بن دريد : يريد أنها تُخَوِّصُ في حديثها قُرْبَهُ عن وجه فلا يفهمه الحاضرون ، ثم قال
« وغير الحديث ما كان لحنا » أي غير الحديث ما فهمه صاحبك الذي يحب إغفامه وحده وبقى على غيره اه
٢٠ قلة عن أمالي القائل . وقيل ظعن أحيا ن أي تخطئ في الإعراب ، وذلك أنه يستلحق من الجوازي ذلك إذا
كان خفيًا ويستغل من لزوم حاق الإعراب ، وهذا المعنى الأخير أورده صاحب اللسان وساق الكلام
بأخف منه . ولطه عن يالمن في المصراع الأول الخطأ في الإعراب ويالمن في المصراع الثاني المعنى الذي
ذهب إليه ابن دريد أو المعنى بمعنى التوقيع . (٢) في النسخة القتيبية : « نوراها » ٢

- وإن وقفت على باب من أبواب هذا الكتاب لم تره مُشبعًا فلا تحضّ علينا بالإغفال حتى تصفح الكتب كلها، فانه ربّ معنى يكون له موضحان وثلاثة مواضع فتقسم ما جاء فيه على مواضعه، كالتلطف في القول يقع في كتاب السلطان ويقع في كتاب الحوائج ويقع في باب البيان، وكالاغتنار يقع في كتاب السلطان وفي كتاب الاخوان، وكالبخل يقع في كتاب الطبايع وفي كتاب الطعام، وكالكبر والمشهب يقع في كتاب الزهد ويقع في كتاب النساء .

- واعلم أنّا لم نزل نتقط هذه الأحاديث في الحداثة والاكتحال عن هو فوقنا في السن والمعرفة وعن جلسائنا وإخواننا ومن كتب الأعليج وسيرهم وبلاغات الكتاب في فصول من كتبهم وعنّ هو دوننا غير مستكفين أن نأخذ عن الحديث سنّا لحداثته ولا عن الصغير قدرًا لنساسته ولا عن الأمانة الوكاه لجهلها فضلًا عن غيرها ، فان العلم ضالة المؤمن من حيث أخذه نفعه، ولن يُزرى بالحق أن تسمعه من المشركين ولا بالنصيحة أن تُستنبط من الكاشحين، ولا تُضير الحسناء أطوارها ولا بنات الأصداف أصلانها ولا الذهب الإبريز يُخرج من بكّا ، ومن ترك أخذ الحسن من موضعه أضعاف الفرصة، والفرص تفرّ من السحاب .

- حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن سليمان بن معاوية عن سمالك عن عكرمة عن ابن عباس قال : « خذوا الحكمة ممن سمعتموها منه ، فانه قد يقول الحكمة خيرُ الحكمين وتكون الرمية من غير الرمي » . وهذا يكون في مثل كتابنا لأنه في آداب وعاشق أقوام ومقاييم أقوام والحسن لا يلبس بالقبيح ولا يخفى على من سمعه من حيث كان . فاما علم الدين والحلال والحرام فانما هو استعباد وتقليد ولا يجوز أن تأخذه

(*) في النسخة الألمانية : "لحمه" ، وربما عه السابق ،

إلا عمن تراه لك حجة ولا تلحق في صدرك منه الشكوك، وكذلك منعبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدثين إذا كان متغير اللفظ لطيف المعنى لم يُرد به عندنا تأثر قائله كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تحسنه فكل قديم حليث في عصره وكل شرف فأوله خارجيه^(*)، ومن شأن عوام الناس رفع المعلوم ووضع الموجود ورفض المبدول وحب المتنوع وتعظيم المتقدم وغفران زلته وبخس المتأخر والتجني عليه، والمائل منهم ينظر بين العدل لا بين الرضا ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم .

وإني حين قسّمت هذه الأخبار والأشعار وصنفتها وجدتها على اختلاف فنونها وكثرة عدد أبوابها تجتمع في عشرة كتب بعد الذي رأيت إفراده عنها وهو أربعة كتب متميزة، كل كتاب منها مفرد على حدته، كتاب الشراب، وكتاب المعارف، وكتاب الشعر، وكتاب تأويل الرؤيا .

فالكتاب الأول من الكتب العشرة المجموعة "كتاب السلطان" وفيه الأخبار عن محل السلطان واختلاف أحواله وعن سيرته وعما يحتاج صاحبه إلى استعماله من الآداب في صحبته وفي غنايته ومعاملته ومشاورته له وما يجب على السلطان أن يأخذ به في اختيار عماله وقضاة وحقابه وكتابته وعلى الحكام أن يمتثلوه في أحكامهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثاني "كتاب الحرب" وهذا الكتاب مشاكلي لكتاب السلطان فضممته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن آداب الحرب ومكايدها ووصايا الجيوش

(ع) في المتن «الخارجية» الذي يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له خادم .

وعن السُّنْد والسَّلاح والكُراع وما جاء في السفر والمسير والطَّيرة واللقائل وما يُقَرَّب به
الغزاة والمسافرون ، وأخبار الجناء والشجاء وحيل الحرب وقهرها ونُشَىء من أخبار
الدولة والطلبيين وأخبار الأمصار وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة
للك الأخبار .

- والكتاب الثالث "كتاب السُّودد" وفيه الأخبار عن تحايل السُّودد في الحَدَث
وأسبابه في الكبر وعربِ الهمة السامية والخطارِ بالنفس لطلب المعالي واختلاف
الإرادات والأمانى والتواضع والكبر والعجب والحياء والعقل والحلم والفضب والعز
والهنية والتل والمروءة واللباس والطيب والمجالسة والمحادثة والبناء والمُزَاج وترك التصنع
والتوسط في الأشياء وما يكره من الفلج والتقصير واليسار والفقر والتجارة والبيع والشراء
والمُداينة والشريف من أفعال الأشراف والسادة وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات
الشعر المشاكلة للك الأخبار .

- والكتاب الرابع "كتاب الطبائع والأخلاق" وهذا الكتاب مقارب لكتاب
السُّودد فضممته إليه وجمعتما جزءاً واحداً وفيه الأخبار عن تشابه الناس في الطبائع وضمهم
وعن مساوى الأخلاق من الحسد والغيرة والسَّماية والكذب والفتنة ومساوئ الخلق
ومساوئ الجوار والشباب والبخل والحق ونوادر الخلق وطبائع الحيوان من الناس والجن
والأنعام والسباع والطيور والحشرات وصفتها الحيوان والنبات وما جاء في ذلك من
النوادر وأبيات الشعر المشاكلة للك الأخبار .

والكتاب الخامس "كتاب العلم" وفيه الأخبار عن العلم والعلماء والمتعلمين وعن
الكتب والحفظ والقرآن والأثر والكلام في الدين وصايا المؤمنين والبيان والبلاغة

والتلف في الجواب والكلام وحسن التريض والتطبيب والمقامات وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب السادس "كتاب الزهد" وهذا الكتاب مقارب لكتاب العلم فضمته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن صفات الزهاد وكلامهم في الزهد والدعاء والبكاء والمناجاة وذكر الدنيا والتجهد والموت والكبر والشيب والصبر واليقين والشكر والاجتهاد والتقاة والرضا مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك ومواعظهم وغير ذلك وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب السابع "كتاب الإخوان" وفيه الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم والأخبار عن المودة والمحبة وما يجب للصديق على صديقه ومخالفة الناس وحسن معاورتهم والتلاقي والزيارة والمطابقة والوداع والتهادى والعبادة والتعاضد والتهانى وذكر شرار الإخوان وذكر القربايات والولد والاعتذار وعيب الإخوان وتعاديهم وتباغضهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب الثامن "كتاب الحوائج" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الاخوان فضمته إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن استنجاح الحوائج بالكتمان والصبر والحد والمهنية والرشوة ولطيف الكلام ومن يستند في الحاجة ومن يستسعى لها والإجابة إلى الحاجة والرد عنها والمواعيد وتجزؤها وأحوال المسؤولين عند السؤال في الطلاقة والقبول والمادة من المعروف تُقطع والشكر والثناء والتطلف فيهما والترغيب في قضاء الحوائج واصطناع المعروف والحرص والإحلاح والتقاة والاستعفاف وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

٢٠ (١) في النسخة الفقهية : « المقالات » .

(٢) في الأصل الفقهية « وجب الإخوان وتباغضهم وتعاديهم » الخ .

والكتاب التاسع "كتاب الطعام"، وفيه الأخبار عن الأطعمة الطيبة والحلواء
والسويق واللبن والتمر والخبائث منها التي يأكلها قراء الأعراب، ونازلة الفقر وأدب
الأكل وذكر الجوع والصوم وأخبار الأكلة والمنهيين والدعاء إلى المآذب والضيافة
وأخبار البخله بالطعام وسياسة الأبدان بما يصلحها من الغذاء والحلية وشرب الدواء
ومضار الأطعمة ومنافعها ومصلحتها وتنت من طب العرب والعجم وما جاء في ذلك
من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

والكتاب العاشر "كتاب النساء" وهذا الكتاب مقارب لكتاب الطعام، والعرب
تدعو الأكل والنكاح الأطينين فتقول: قد ذهب منه الأطيان. تريدان، فضممته
إليه وجعلتهما جزءا واحدا وفيه الأخبار عن اختلاف النساء في أخلاقهن وحققهن
وما يُختار منهن للنكاح وما يُكره واختلاف الرجال في ذلك والحسن والجمال والقيح
والدمامة والسواد والعماءات والعجز والمشايخ والمهور ويخطب النكاح ووصايا الأولياء
عند الهداء وسياسة النساء ومعاشرتهن والدخول بين الجماع والولادات ومساوئهن
خلا أخبار عشاق العرب فأتى كتاب الشعراء أولى بها فلم أودع هذا الكتاب
منها إلا شيئا يسيرا، وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك
الأخبار .

١٥

فهذه أبواب الكتب جمعها لك في صدر أولها لأعفيك من كد الطلب وتعب
التصفح وطول النظر عند حدوث الحاجة إلى بعض ما أودعناها ولتقصّد فيما تريد حين
تريد إلى موضعه فتستخرج به بينه أو ما يتوب عنه ويكتفيك منه، فإن هذه الأخبار
والأشعار وإن كانت عيونا مختارة أكثر من أن يحاط بها أو يؤقف من ورائها
أو تنهى حتى ينتهى عنها .

٢٠

وقد خَفَّفْتُ وإن كنتُ أَكثَرْتُ ، وأختَصَرْتُ وإن كنتُ أَطَلْتُ ، وتَوَقَّيْتُ
 في هذه النوادر والمضاحك ما يَتَوَقَّاه مَنْ رَضِيَ مِنَ النِّعْمَةِ فِيهَا بِالسَّلَامَةِ وَمِنْ بَعْدِ
 الشُّقَّةِ بِالْإِيَابِ ، وَلَمْ أَجِدْ بَدَأَ مِنْ مَقْدَارِ مَا أَوْدَعْتُهُ الْكُتُبَ مِنْهَا لَتَمَّ بِهِ الْأَبْوَابُ ،
 وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ بَعْضُ بَعْضًا وَيَنْفِرَ بِخَيْرٍ شَرًّا وَيَجِدَ هَذَا لَمْ يَمُودَ عَلَيْنَا بَعْدَ
 ذَلِكَ بِفَضْلِهِ وَيَتَقَدَّمَنَا بِمَقْوَاهُ وَيُعِزَّنَا بَعْدَ طَوْلِ الْأَمَلِ فِيهِ وَحَسَنَ الظَّنِّ بِهِ وَالرَّجَاءَ لَهُ
 مِنَ الْخَلِيَّةِ وَالْحَرَمَانِ .

كتاب السلطان

محل السلطان وسيرته وسياسته

حدثنا محمد بن خالد بن خدّاش قال : حدثنا سلم بن قتيبة عن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ستحريصون على الإمارة ثم تكون حسرة وندامة يوم القيامة فنعمت الرضعة وبئست الفاطمة" .

حدثني محمد بن زياد الزيادي قال حدثنا عبد العزيز الداروري قال حدثنا شريك عن عطاء بن يسار أن رجلا قال عند النبي صلى الله عليه وسلم : بئس الشيء الإمارة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقها وحلها" .

حدثني زيد بن أنحزم الطائي قال حدثنا ابن قتيبة قال حدثنا أبو المنهال عن عبد العزيز ابن أبي بكرة عن أبيه قال : لما مات كسرى قيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم . فقال : «من استخلفوا؟» فقالوا : أبنته بوران ، قال : "لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة" .

حدثني زيد بن أنحزم قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت أبا عبد الله يحدث عن عكرمة عن ابن عباس أنه قدم المدينة زمن الحرة فقال : من استعمل القوم؟ قالوا : علي قريش عبد الله بن مطيع ، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن الراهب . قال : أميران ! هلك والله القوم .

(*) كذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة القموضرافية : أبو هنية ، وليس حنظلة ما يرجع أحدهما لوجودهما ما في كتب الأنساب .

حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحق عن هشام ابن
حصان قال كان الحسن يقول : « أربعة من الاسلام إلى السلطان الحكم والقي
والجمعة والجهاد » . وحدثني محمد قال حدثنا أبو سلمة عن حماد بن سامة عن أيوب
عن أبي قلابة قال قال كعب : « مثل الاسلام والسلطان والناس مثل القسطاط
والعمود والأطناب والأوتاد ، فالقسطاط الاسلام ، والعمود السلطان ، والأطناب
والأوتاد الناس ، لا يصلح بفضه إلا بعض » .

حدثني سهل بن محمد قال حدثني الأصمعي قال : قال أبو حازم سليمان بن
عبد الملك : « السلطان سوقٌ فما نَقَقَ عنده أُنِيَ به » . وقرأت في كتاب لابن
المقفع : « الناس على دين السلطان إلا القليل فليكن للبر والمروءة عنده نَقَاقٌ فسيكسَدُ
بذلك التجوُّرُ والدناءة في آفاق الأرض » . وقرأت فيه أيضا : « الملك ثلاثة مُلْكٌ
دين ومُلْكٌ حرم ومُلْكٌ هوى ، فأما ملك الدين فانه إذا أقام لأهله دينهم فكان دينهم
هو الذي يعطيهم مالم ويُلْحَقَ بهم ما عليهم ، أرضاهم ذلك وأنزل الساخط منهم منزلة
الراضى في الإقرار والتسليم . وأما مُلْكُ الحزم فانه تقوم به الأمور ولا يسلم من الطعن
والتسخط ولن يضره طعن الضعيف مع حزم القوى . وأما ملك الهوى فقلب ساعة
ودمار دهر » .

حدثني يزيد بن عمرو عن عيصمة بن صقير الباهلي قال حدثنا اسحق بن عمار
عن ثور بن زيد عن خالد بن معدان قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله
حُرَّاسُ نَحْوَاهُ فِي السَّمَاءِ الْمَلَائِكَةُ وَحِرَاسَةُ فِي الْأَرْضِ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الدِّيَّانَ » .

(١) في الأدب الكبير : فيكسد .

(٢) في الأصل القنوغرافى : الموك .

حدثني أحمد بن الحليل قال حدثني سعيد بن سلم الباهلي قال أخبرني شعبة عن
شَرِّقٍ عَنْ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ
يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قَالَ : « الْجَلَاوِزَةُ يَحْفَظُونَ الْأُمَرَاءَ » .

[وقال الشاعر^(١)

- أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً * خَلِيًّا مِنْ أَسْمِ اللَّهِ وَالْبَرَكَاتِ
يعني باسم الله، وفيه قول الله ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أى بأمر الله] .

وقرأت في كتاب من كتب الهند : « شرُّ المال ما لا يَنفَقُ منه وشرُّ الإخوان
الناذل وشرُّ السلطان من خافه البريء وشرُّ البلاد ما ليس فيه خَصْبٌ ولا أَمْنٌ » .

وقرأت فيه : « خير السلطان من أشبه النمر حوله الخيف لامن أشبه الجيفة حوله

- النسور » وهذا معنى لطيف وأشبه الأشياء به قول بعضهم : « سلطان تحافه الرعية
خير للرعية من سلطان يخافها » .

حدثني شيخ لنا عن أبي الأَحْوَصِ عن ابن عم لأبي وائل عن أبي وائل قال ،
قال عبد الله ابن مسعود : « إِنْ كَانَ الْإِمَامُ عَادِلًا فَلَهُ الْأَجْرُ وَطَيْبُ الشُّكْرِ ، وَإِنَّا
كَانَ جَائِرًا فَلَيْلَهُ الْوِزْرُ وَعَلَيْكَ الصَّبْرُ » .

- وأخبرني أيضا عن أبي قُدَامَةَ عن علي بن زيد قال ، قال عمر بن الخطاب رضى
الله عنه : « ثَلَاثٌ مِنَ التَّوَاتُرِ : جَارٌ مُقَامَةٌ إِنْ رَأَى حَسَنَةً سَتَرَهَا وَإِنْ رَأَى سُوْءَةً
أَنَاعَهَا ، وَأَمْرًا إِنْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا لَسْتُكَ وَإِنْ غَبَتْ عَنْهَا لَمْ تَأْمَنْهَا ، وَسُلْطَانٌ إِنْ
أَحْسَنْتَ لَمْ يَحْدِكْ وَإِنْ أَسَأْتَ قَطَعَكَ » .

وقرأت في التيممة : « مَثَلُ قَلِيلٍ مُضَارٍّ السُّلْطَانِ فِي جَنْبِ مُنَافِعِهِ مَثَلُ الْفَيْثِ الَّذِي

- هُوَ سُقِيَ اللَّهُ وَبَرَكَاتُ السَّمَاءِ وَحَيَاةُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا ، وَقَدْ يَتَأَذَى بِهِ السَّفَرُ » .

(*) زيادة في النسخة المتعزيرية .

- ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتنزى سيوله فيهلك الناس والدواب وتوج له البحار فتشتد البلية منه على أهله فلا يمنع الناس، إنا نظروا إلى آثار رحمة الله في الأرض التي أحيا والنبات الذي أنجز والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر، أن يعظموا نعمة ربهم ويشكروها ويُلقوا ذكر خواص البلاء التي دخلت على خواص الخلق. ومثل الرياح التي يرسلها الله نُفْراً بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لِقَاحاً للثمرات وأرواحاً للمعاد يتسّمون منها ويتقبلون فيها وتجري بها مياههم وتهدى بها نيرانهم وتسير بها أفلاكهم وقد تضرر بكثير من الناس في برهم ويحرم ويخلص ذلك إلى أنفسهم وأموالهم فيشكوها منهم الشاكون ويتأذى بها المتأذون ولا يُزيلها ذلك عن منزلتها التي جعلها الله بها وأمرها الذي صخرها له من قوام عباده وتام نعمته. ومثل الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحاً للحرث والنسل وتناجى للهب والثر، يجمعا البرد بانذ الله [ويجعلها] ويخرجها الحر بانذ الله ويُضجها مع سائر ما يعرف من منافعها وقد يكون الأذى والضرر في حرهما وبردهما وتماثلهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان إلا إلى الخير والصلاح. ومن ذلك الليل الذي جعله الله سكناً ولباساً وقد يستوحش له أخو الفقير وينازع فيه ذو البلية والرّبة وتدو فيه السباع وتنساب فيه الحوام وينتمه أهل السرقة والسلة ولا يزرى صغير ضرره بكثير نفعه ولا يلحق به ذم ولا يضع عن الناس الحق في الشكر لله على ما مَنّ به عليهم منه. ومثل النار الذي جعله الله ضياءً ونُوراً وقد يكون على الناس أذى الحرق في قِيظهم وتُصَبِّحهم في الحروب والنارات ويكون فيه النَّصَب والشُّغُوص وكثير مما يشكوه الناس ويستريحون فيه إلى الليل وسكونه. ولو أن الدنيا كان شيء من سرّاتها يعم طامة أهلها بغير ضرر على بعضهم وكانت نهارها بغير كدر وميسورها من

(*) في النسخة القنطرة اقية : رواها .

غير معسور كانت الدنيا إنّا هي الجنة التي لا ينوب مسرتها مكروه ولا فرحها نوح
والتي ليس فيها نصب ولا لُتُوب، فكل جسم من أمر الدنيا يكون ضره خاصة فهو
نعمة عامة وكل شيء منه يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام .

وكان يقال : « السلطان والدين أخوان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر » .

- وقرأت في التاج لبعض الملوك : « هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وألباب
الملوك مشغولة بكل شيء يبل وألباب السُّوق مشغولة بأيسر الشيء ، فالجاهل منهم
يعذر نفسه بدعة ما هو عليه من الرسالة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو فيه من المشونة ،
ومن هناك يعزّر الله سلطانه ويرشده وينصره » .

سمع زياد رجلا يسب الزمان فقال : « لو كان يدري ما الزمان لعاقبته ، إنّا الزمان

هو السلطان » . ١٠

وكانت الحكياء تقول : « عدل السلطان أضع للرعية من خصب الزمان » .

- وروى الميثم عن ابن عيَّاش عن الشعبي قال : « أقبل معاوية ذات يوم على
بني هاشم فقال : يا بني هاشم ، ألا تحذونني عن أدعائكم الخلافة دون قريش بم تكون
لكم أالرضا بكم أم بالاجتماع عليكم دون القرابة أم بالقرابة دون الجماعة أم بهما جميعا ؟
فان كان هذا الأمر بالرضا والجماعة دون القرابة فلا أرى القرابة أثبت حقا ولا أسست
١٥ ملكا ، وإن كان بالقرابة دون الجماعة والرضا فما منع العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم
ووارثه وساقى الحجيج وضامن الأيتام أن يطلبها وقد ضمن له أبو سفيان بن عبد مناف ،
وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقرابة جميعا فان القرابة خصلة من خصال الامامة
لا تكون الامامة بها وحدها وأتمّ تدعونها بها وحدها ، ولكنا نقول : أحق قريش بها
٢٠ من بسط الناس أيديهم إليه بالبيعة عليها وتعلوا أقدامهم إليه للرضا وطارت إليه أهواؤهم

(*)
 للآفة وقال عنها بمقها فأدركها من وجهها . إن أمركم لأمر تضيق به الصدور، إذا
 سئلتم عن اجتماع عليه من غيركم قلتم حق . فان كانوا اجتمعوا على حق فقد أخرجكم
 الحق من دعواكم . انظروا : فان كان القوم أخذوا حقكم فاطلبوهم ، وإن كانوا أخذوا
 حقهم فسلموا إليهم فانه لا ينفعكم أن تروا لأفسكم ما لا يراه الناس لكم . قال ابن عباس
 ندعى هذا الأمر بحق من لولا حقه لم تعد مقعدك هذا ، وتقول كان ترك الناس أن
 يرضوا بنا ويجمعوا طينا حقا ضيعوه وحظا حرّموه ، وقد اجتمعوا على ذى فضل
 لم يخطئ الورد والصدور ، ولا ينقص فضل ذى فضل فضل غيره عليه . قال الله
 عز وجل (وَوَيْتَ كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) فاما الذى منعنا من طلب هذا الأمر بعد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم نهد منه إلينا قبلنا فيه قوله ودأ بتأويله ولو أمرنا أن
 نأخذ على الوجه الذى نهانا عنه لأخذناه أو أصدرنا فيه ، ولا يباب أحد على ترك
 حقه إنما المعيب من يطلب ما ليس له ، وكل صواب نافع وليس كل خطأ ضارا .
 انتهت القضية إلى داود وسليمان فلم يفهما داود وفهما سليمان ولم يضر داود . فاما
 القرابة فقد نعت المشرك وهى للؤمن أنفع ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « أنت عمى وصنو أبى ومن أبغض العباس فقد أبغضنى وهربك أتر الهجرة كما أن
 نبؤى أتر النبوة » . وقال لأبى طالب عند موته : يا عم قل لا إله إلا الله أشفع لك
 بها غدا وليس ذاك لأحد من الناس . قال الله تعالى (وَابْتَغِ الْوَسِيلَةَ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
 السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّ تُبْتُ الْآلَانَ وَلَا الَّذِينَ يَمْوَتُونَ وَهُمْ
 كَفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) .

حدثنا الرياشى عن أحمد بن سلام مولى ذؤيب عن مولى يزيد بن حاتم عن شيخ
 له قال ، قال كبرى : « لا تزل يبلد ليس فيه خمسة أشياء : سلطان قاهر ، وقاض
 عادل ، وسوق قائمة ، وطبيب طالم ، ونهر جار » .

- وحلّثا الرياشي قال حلّثنا مُسلم بن إبراهيم قال حلّثنا القاسم بن الفضل قال حلّثنا ابن أخت السباج عن السباج قال : « قال لي أبو هريرة من أنت ؟ قال قلت من أهل العراق . قال : يوشك أن يأتيك بَقَعَانُ الشَّامِ فَيَأْخُذُوا صَدَقَتَكَ فَإِذَا أَنْوَكَ قَتَلَهُمْ بِهَا فَإِذَا دَخَلُوهَا فَكُنْ فِي أَقْصَاهَا وَخَلَّ عَنْهُمْ وَعِثَا ، وَإِيَّاكَ وَأَنْ تَسْبِيَهُمْ فَإِنَّكَ إِنْ سَبَيْتَهُمْ ذَهَبَ أَجْرُكَ وَأَخَذُوا صَدَقَتَكَ وَإِنْ صَبَرْتَ جَاءَتْكَ فِي مِيزَانِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .
- وفي رواية أخرى أنه قال : « إِذَا أَنْكَ الْمَصْدَقُ قُلَّ : خَذِ الْحَقَّ وَدَعْ الْبَاطِلَ ، فَإِنْ أَبَى فَلَا تَنْتَمِهْ إِذَا أَقْبَلَ وَلَا تَلْعَنَهُ إِذَا أَدْبَرَ فَتَكُونُ عَاصِيَا خَفَّفَ عَنْ ظِلَامٍ » .
- وكان يقال : « طاعة السلطان على أربعة أوجه : على الرغبة ، والرغبة ، والمحبة ، والديانة » .

- ١٠ . وقرأت في بعض كتب المعجم كتابا لأردشير بن بابك إلى الرعية ، نسخته : « من أردشير المؤبد ذي البهاء ملك الملوك ووارث العظماء ، إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين ، والأساورة الذين هم حفظة البيضاء ، والعلّاب الذين هم زينة المملكة ، وذوى الحرث الذين هم عمرة البلاد . السلام عليكم ، فانا بحمد الله صالحون وقد وضعنا عن رعيّتنا بفضل رَأْفَتِنَا إِتَاوَتَهَا الْمُوَظَّفَةَ عَلَيْهَا . ونحن مع ذلك كاتبون اليكم بوصية : لا يستشعروا الحقد فَيَدَّخِرْكُمْ الْعَدُوَّ ، وَلَا تَحْكُرُوا فَيَسْمَلَكُمْ الْقَطِطُ ، وَتَرْوِجُوا فِي الْقَرَايِنِ فَإِنَّهُ أَمْسَ لِلرَّحْمِ وَأَثْبَتَ لِلنَّسَبِ ، وَلَا تَعْدُوا هَذِهِ الدُّنْيَا شَيْئًا فَإِنَّهَا لَا تَبْقَى عَلَى أَحَدٍ وَلَا تَرْفُضُوهَا مَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْأَنْعَرَةَ لَا تَتَالِ إِلَّا بِهَا » .

(١) بَقَعَانُ الشَّامِ غنمهم وعيديم . شيهم لياضهم وسوادهم بالتراب الأبيض وهو ما خالط سواده بياض . يعني بذلك الروم والسودان .

٢٠ . (٢) في النسخة الألمانية : المؤبد ، والمؤبد كالْمُؤَبَّدَانِ قبه الفرس وحاكم الميوس .

(٣) في النسخة الألمانية : عمود .

وقرأت كتاباً من أرسطاطاليس إلى ألكسندر وفيه : « املك الرغبة بالإحسان إليها تنظر بالمحبة منها فان طلبك ذلك منها باحسانك هو أدوم بقاء منه باعتسافك ، وأعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطها الى القلوب بالمعروف ، وأعلم أن الرغبة إذا قدرت على أن تقول ، قدرت على أن تفعل ، فاجهد ألا تقول تسلم من أن تفعل » .

• وقرأت في كتاب الآيين^(١) أن بعض ملوك السجم قال في خطبة له : « إني إنما أملك الأجساد لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وألخص عن الأعمال لا عن السرائر » . ونحوه قول السجم : « أسوس الملوك من قاد أبدان الرغبة الى طاعته بقلوبها » . وقالوا : « لا ينبغي للوالى أن يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة [كرهاً^(٢)] ولكن في التي يستحقها بحسن الأمر وصواب الرأي والتدبير » .

١٠ حدثنا الراشعي عن أحمد بن سلام عن شيخ له قال : « كان أئو شرواً إذا ولى رجلاً امر الكاتب أن يدع في العهد موضع أربعة أسطر ليوقع فيه بخطه فإذا أتى بالعهد وقع فيه : سُئِ خيَار الناس بالمحبة وامرُج للعامة الرغبة بالرغبة ومسس سَفَلَة الناس بالإخافة » .

١٥ قال المدائني : « قدم قادم على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية : هل من مُغربة خبر؟ قال نعم ، نزلت بقاء من مياه الأعراب فبينما أنا عليه إذ أورد أعرابي إليه فلما شربت ضرب على جُنوبها وقال عليك زياداً . قتلت له : ما أردت بهذا؟ قال : هي سُدى ، ما قام لي بها راجع مذ ولى زياد . فسر ذلك معاوية وكتب به الى زياد » .

(١) الآيين كلمة فارسية عربية العرب واستعملوها وصارها القانون والعادة ، ولا ين المقنع تأليف هذا الاسم ذكره صاحب القهرست (ملخص مما كتبه حضرة صاحب السادة الأستاذ أحمد زكي باشا عن هذه الكلمة في كتاب التاج ص ١٩) ولعل الذي نقل عن المؤلف هو آيين ابن المقفع .
٢٠ (٢) زيادة لازمة عن النسخة الأصلية .

قال عبد الملك بن مروان : « أَصِفُونَا يَا مَعْشَرَ الرِّعِيَّةِ ، تَرِيدُونَ مِنَّا سِيرَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ! وَلَا تَسِيرُونَ فِينَا وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ بِسِيرَةِ رَعِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ! نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَمِينَ كُلًّا عَلَى كُلِّ » .

قال عمر بن الخطاب : « إِنْ هَذَا الْأَمْرُ لَا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا اللَّيْنُ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ وَالْقَوِيُّ فِي غَيْرِ عَفْ » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « إِنِّي لِأُجِيعُ أَنْ أُخْرِجَ لِلسَّامِعِينَ أَمْرًا مِنَ الْعَدْلِ فَأَخَافُ أَنْ لَا تَحْتَمِلَهُ قُلُوبُهُمْ فَأُخْرِجُ مَعَهُ طَمَعًا مِنْ طَمَعِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ تَفَرَّتِ الْقُلُوبُ مِنْ هَذَا سَكَنَتْ إِلَى هَذَا » .

قال معاوية : « لَا أَضَعُ سَيْفِي حَيْثُ يَكْفِينِي سَوْطِي وَلَا أَضَعُ سَوْطِي حَيْثُ يَكْفِينِي لِسَانِي ، وَلَوْ أَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ شُعْرَةً مَا أَقْطَعْتُ . قِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ »
قال : كُنْتُ إِذَا مَتَوَّعًا خَلِّيتُهَا وَإِذَا خُلِّوًا مَدَدْتُهَا .

ونحو هذا قول الشعبي فيه : « كَانَ مُعَاوِيَةُ كَالْجَلِّ الْطَّبِّ ، إِذَا سَكَتَ عَنْهُ تَخَلَّمَ وَإِذَا رُدَّ تَأَنَسَّ » . وَاجْلِ الْطَّبِّ الْخَازِقَ بِالْمَثْنَى وَهُوَ الْقَى لَا يَضَعُ يَدَيْهِ إِلَّا حَيْثُ يَمُرُّ . وَقَوْلُ عُمَرَ فِيهِ : « احْذَرُوا آدَمَ قَرِيضَ وَابْنِ كَرِيمِهَا ، مَنْ لَا يَنَامُ إِلَّا عَلَى الرِّضَا وَيَضْحَكُ فِي الْغَضَبِ وَيَأْخُذُ مَا قَوْفُهُ مِنْ تَحْتِهِ » .

وَأَقْلَفُ لَهُ رَجُلٌ خَلَّمَ عَنْهُ قَبِيلُ لَهُ : أَعْلَمُ عَنْ هَذَا ؟ قَالَ : « إِنِّي لَا أَحُولُ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ أَسْتَقَمَتِهِمْ مَا لَمْ يَحُولُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سُلْطَانَتِنَا » .

كَانَ يَقَالُ : « لَا سُلْطَانُ إِلَّا بِرِجَالٍ وَلَا رِجَالُ إِلَّا بِمَالٍ وَلَا مَالٌ إِلَّا بِمَهَارَةٍ وَلَا عِمَارَةٍ إِلَّا بِعَدْلٍ وَحَسَنِ سِيَاسَةٍ » .

- قال زياد : « أحسنوا الى المزارعين فانكم لا تزالون سمانا ما سمنوا » .
- وكتب الوليد الى الجحاج يأمره أن يكتب اليه بسيرة فكتب اليه : « إني أيقظت رأيي وأتممت هواي ، فاديتُ السيد المطاع في قومه ، ووليت الحربَ الحازمَ في أمره ، وقُلدتُ الخراجَ الموقرَ لأمانته ، وقسمتُ لكل خصم من قمي قسما يعطيه حظًا من نظري ولطيف عناقِي ، وصرفتُ السيفَ الى النُطفِ المنيءِ ، والثوابَ الى المحسن البريء . نخافُ المريبَ صولةً العقاب ، وتمسكُ المحسنَ بحظه من الثواب » .
- وكان يقول لأهل الشام : « [أنا] أنا لكم كالظلمِ الرَّائحِ عن فراخه : ينفي عنها القَدْرَ ويأخذُ عنها الجمرَ ويكُفُّها من المطرِ ويحميها من الصَّبابِ ويحرسها من الذئاب . يا أهل الشام أتمُّ الجنةِ والرداءِ وأتمُّ العُتَّةِ والحِذاءِ » .
- ١٠ غفر مُلِّمٌ مولى زياد زياد عند معاوية فقال معاوية : « اسكت ما أدرك صاحبك شيئًا قطَّ بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني » .
- وقال الوليد لعبد الملك : يا أبت ما السياسة ؟ قال : « هبةُ الخَاصَّةِ مع صدق مودَّتِها وأُقيادُ قلوبِ العامةِ بالإِنصافِ لها واحتمالُ هفوات الصَّانِعِ » .
- وفي كتب العجم : « قلوبُ الرعيةِ خزانٌ ملوكها فإِذَا أودَعَتْها من شيءٍ فُتِعِلِمَ ^(١) أَنَّهُ فِيهَا » .
- ١٥ ووصف بعض الملوك سياسته فقال : « لم أَهْزِلْ في وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهى ولا نأقبتُ للفضبِ وأستكفيتُ على الجزاءِ وأثبتتُ على العناءِ لا للهوى ، وأودعتُ القلوبَ هبةً لم يُشَبَّها مقتٌ وودًا لم تُشَبَّهْ جرعةٌ وعممتُ بالقوتِ ومنعتُ ^(٢) الفضولَ » .
- ٢٠ (١) زيادة عن النسخة الألمانية .
(٢) في الأصل القوتوغرافي : قُرب الرمية خزان من مكها فا أودعها من شيءٍ ظلم أَنَّهُ فِيهَا .
(٣) في الأصل القوتوغرافي : القلوب .

وقرأت في كتاب التاج : قال أبو ريزلابنه شيرويه وهو في حبسه : « لا توسع
على جنك فيستغوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجوا منك ، أعطهم عطاء قصداً
وأمتهم منعا جميلا ووسع عليهم في الرجا ولا توسع عليهم في العطاء . ونحوه قول
المنصور في مجلس لقواده : صدق الأعرابي حيث يقول : أجمع كلبك يتبعك . فقام
أبو العباس الطوسي فقال : يا أمير المؤمنين أخشى أن يلحقه غيرك برغيف فيبعمه ويدعك .

وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري : « أما بعد ، فإن للناس نفرة عن سلطانهم
فأعوذ بالله أن تدركني وإياك عيأ مجهولة وضمان مجولة ، أقم الحدود ولو ساعة
من نهار ، وإذا عرض لك أمران : أحدهما لله ، والآخر للدنيا فأثر نصيبك من الله
فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وأخفوا الفساد وأجعلوهم يدا ورجلا رجلا ، ومعد
مرضى المسلمين وأشهد جنازتهم واتبع لهم بابك وبأشر أمورهم بنفسك فإما أنت
رجل منهم غير أن الله جعلك أهلهم حلا ، وقد بلغني أنه قد فشا لك ولأهل بيتك
هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فأياك يا عبد الله أن تكون
بمثلة البهيمة مرت بواحد خصيب فلم يكن لها ثم إلا السمن وإنما حضها في السمن ،
واعلم أن العامل إذا زاع زاعت رعيته ، وأشقى الناس من شقى الناس به والسلام .

هشام بن عروة قال : « صلى يوما عبد الله بن الزبير فوجم بعد الصلاة ساعة
فقال الناس : لقد حدث نفسه . ثم التفت اليها فقال : لا يصدق ابن هند ! إن كانت
فيه لخارج لانجدها في أحد بعده أبدا ، والله إن كنا لنفرقه وما الليث الحربي على برائه
بأجرا منه فيتفارق لنا . وإن كنا لخدمه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه

(*) ضبط في الأصل التفرغرافي هكذا (مرش) ويظهر أنه من عمل النسخ ، وفي الأصل الألماني :

فَتَحَادَّعَ نَسَا، وَاللهَ لَوَدِدْتُ أَنَا مُتَمَتِّتًا بِهِ مَا دَامَ فِي هَذَا حَجَرٍ (وَأَشَارَ إِلَى أَبِي نَيْسٍ)
لَا يُخَوِّنُ لَهُ عَقْلٌ وَلَا تَنْقُصُ لَهُ قُوَّةٌ، قُلْنَا: أَوْحَشَ وَاللهَ الرَّجُلُ. قَالَ: وَكَانَ يَصِلُ
بِهَذَا الْحَدِيثِ: كَانَ وَاللهُ بِمَا قَالَ الْعُدْرِيُّ

رَكُوبُ الْمُنَابِرِ وَقَائِبُهَا * مِمَّنْ بَخَطِبَتْهُ بِمَجْمَرٍ
تُرِيعُ إِلَيْهِ هَوَادِي الْكَلَامِ * إِذَا خَطَلَ النِّسْرُ الْمِهْمَرُ^(١)

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَسْمَعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا جَدُّ سُرَانَ^(٢) وَسُرَانُ عَمُّ الْأَسْمَعِيِّ
قَالَ: «كَلَّمَ النَّاسَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَنْ يَكْلِمَ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي أَنْ يَلِينَ لَمْ
فَإِنَّهُ قَدْ أَخَافَهُمْ حَتَّى إِنَّهُ قَدْ أَخَافَ الْأَبْكَارَ فِي خُدُورِهِمْ. فَقَالَ عَمْرٌ: إِنِّي لَا أَجِدُ
لَمْ إِلَّا ذَلِكَ، إِنَّهُمْ لَوْ يَعْلَمُونَ مَا لَمْ عِنْدِي لَأَخَذُوا ثَوْبِي عَنْ عَاتِقِي^(٣)».

قَالَ وَتَقَدَّمتُ إِلَيْهِ أَمْرَأَةٌ فَقَالَتْ: «يَا أَبَا عَفْرٍ حَفِصٌ، اللهُ لَكَ، فَقَالَ: مَا لَكَ
أَحْبَرْتُ؟ أَيْ دُعِيتُ فَقَالَتْ صِلْتُ فِرْقَتَكَ^(٤)».

قَالَ أَتَجْعَلُ السَّلَاسِيَّ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَثَانَ
لَا يَصْلُحُ السُّلْطَانُ إِلَّا شِدَّةً * تَقْتَنِي الْبَرَى بِفَضْلِ ذَنْبِ الْمَجْرِمِ
وَمِنْ الْوَلَاةِ مَقْعٌ لَا يَسْتَقِي * وَالسَّيْفُ تَقَطَّرَ شَفَرَتَاهُ مِنَ الدَّمِ
مَنْعَتْ مَهَابَتُكَ التَّفَوُّسَ حَدِيثَهَا * بِالْأَمْرِ تَكْثُرُ وَهْوَ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ

(١) فِي التَّاجِ مَادَّةُ هَمْ رَ: وَخَطِيبٌ مِهْمَرٌ: مُكَبَّرٌ. وَأَوْرَدَ هَذَا الْيَتِ. وَفِي الْأَصْلِ التَّفَوُّغَرُ فِي "مِهْمَرٍ"
وَلَمْ يَجِدْهُ فِي الْقَامُوسِ وَلَا فِي اللِّسَانِ.

(٢) كَذَا بِالْأَصْلِ التَّفَوُّغَرُ فِي حَارِيعِ الْغُبَطِ، وَضَبُّهُ فِي النُّسَخَةِ الْأَلْمَانِيَةِ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَقَدْ يَجْتَنَاعُهُ ظَرْفُهُ عَلَيْهِ.
(٣) فِي الْأَصْلِ الْأَلْمَانِي: مِنْ حُلِّ.

(٤) كَذَا بِالْأَصْلِ التَّفَوُّغَرُ فِي وَالْأَلْمَانِي وَلَهُ عَجُوفٌ عَنْ "عَمْرٍ" وَكَأَنَّهُ أَرَادَتْ أَنْ تَأْخِذَ بِقَوْلِهَا
يَا أَبَا حَفِصٍ عَمْرٌ، فَقَالَتْ مِنْ دَعْنَتِهَا يَا أَبَا عَمْرٍ حَفِصٌ كَمَا قَالَتْ فِي آخِرِ الْحِكَايَةِ صِلْتُ فِرْقَتَكَ وَكَأَنَّهُ
أَرَادَتْ أَنْ تَحُولَ فِرْقَتُكَ صِلْتُكَ.

(٥) فِي الْأَصْلِ الْأَلْمَانِي صِلْتُ وَهِيَ عَجُوفٌ.

كان يقال : « شر الأشراء أبعدهم من القراء وشر القراء أقرهم من الأشراء » .
كتب عامل لعمر بن عبد العزيز على حمص الى عمر : « إن مدينة حمص قد تهتم
حصنها ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى إصلاحه » فكتب اليه عمر « أما بعد ،
لحصنها بالعدل ، والسلام » .

- ذكر أعرابي أميرا قال : « كان إذا ولى لم يطابق بين جفونه وأرسل العيون
على عيونه ، فهو غائب عنهم شاهد معهم ، فالحسن راجع والمسيء خائف » .
- كان جعفر بن يحيى يقول : « انلراج عمود الملك وما استغفر بمثل العدل ولا استُزِر
بمثل الظلم » .

- وفى كتاب من كتب العجم أن أردشير قال لابنه : « يا بنى ، إن الملك والدين
أخوان لا تخفى بأحدهما عن الآخر ، فالدين أسُّ والملك حارس ، وما لم يكن له أسُّ
فهجوم وما لم يكن له حارس فضائع . يا بنى ، اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك
لأهل الجهاد وبُشرِك لأهل الدين وسِرْك لمن عناه ما عاتك من أبواب العقول » .
- وكان يقال : « مهما كان فى الملك فلا ينبغي أن تكون فيه خصال خمس : لا ينبغي
أن يكون كذابا فانه إذا كلف كذبا فوعده خيرا لم يُرج أو أوعده بشرا لم يُخف ،
ولا ينبغي أن يكون بخيلا فانه إذا كان بخيلا لم ينصحه أحد ولا تصلح الولاية إلا
بالمناصحة [ولا ينبغي أن يكون حديدا فانه إذا كان حديدا مع القدرة هلكت الرعية]
ولا ينبغي أن يكون حسودا فانه إذا كان حسودا لم يُشرف أحدا ولا يصلح الناس
إلا على أشرافهم ، ولا ينبغي أن يكون جبانا فانه إذا كان جبانا ضاعت نفوره وأجترأ
عليه عدوه » .

٢٠ (١) فى الأصل التتوغرائى سوردا وكتب فوقها كالتصغير لها : حصنها .
(٢) هذه الجملة سقطت فى الأصل التتوغرائى من سهو النسخ .

وقدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان: وأبناؤه وبكت. فقال معاوية: «يا أبنه أنتي إك الناس أعطونا طاعة وأعطيناكم أمانا وأظهروا لهم حلما تحت غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره فان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا تدرى أعلينا تكون أم لنا، ولأن تكوني بنت عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني امرأة من عرض المسلمين» .

كتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي: «إك المسلمين ولوك أمرهم بعد علي فشمّر قهره وجاهد صدوك ودار أصحابك وأشتري من الضنين دينه بما لا يثلم دينك وولّ أهل البيوتات والأشرف تستصلح بهم عشائهم حتى تكون الجماعة وأن بعض ما يكره الناس، ما لم يتعد الحق وكانت عواقبه تؤدي إلى ظهور العدل وعز الدين، خير من كثير مما يحبون إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور وهنّ الدين» .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأعمش عن إبراهيم قال: «كان عمر إذا قدم عليه الوفد سالم عن حالهم وأسعارهم وعن يبرق من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف؟ وهل يسود المريض؟ فان قالوا نعم، حمد الله تعالى، وإن قالوا لا، كتب إليه: أقبل» .

اختيار العمال

رؤي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما حضرته الوفاة كتب عهدا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله عند آخر عهده بالدينا وأول عهده بالآخرة، في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر: اني استمعت عمر بن الخطاب فان برّ وعل فذلك علي به، وإن جار وبطل فلا علم

لِي بِالغَيْبِ ، وَالْخَيْرَ أَرَدْتُ ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا اكْتَسَبَ (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) .

- وَفِي النَّجَاحِ أَنَّ أَبْرُوْرَ كَتَبَ إِلَى ابْنِهِ شَيْوَرِيَهٍ مِنَ الْحَمِيسِ : « لِيَكُنْ مِنْ تَحْضَارِهِ لَوْلَايَتِكَ أَمْرًا [كَانَ] فِي ضَمَّةٍ فَرَصْتَهُ ، أَوْذَا شَرَفَ وَجَدْتَهُ مَهْتَضًا فَأَصْطَلَمْتَهُ ، وَلَا تَجْعَلْهُ أَمْرًا أَصْنَهْتَهُ بِمَقْبُوبَةٍ فَاتَّقِصَّ عَنْهَا وَلَا أَمْرًا أَطَاعَكَ بَعْدَ مَا أَنْزَلْتَهُ وَلَا أَحَدًا مِنْ يَمِينٍ فِي خَلْدِكَ أَنْ إِزَالَةَ سُلْطَانِكَ أَحَبُّ لَهُ مِنْ شُبُوتِهِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَعْمِلَهُ ضَرَرًا تُغْمَرُ أَكْثَرَ إِيْجَابِهِ بِنَفْسِهِ وَقُلْتَ تِجَارِهِ فِي غَيْرِهِ ، وَلَا كَبِيرًا مُدْرِيًا قَدْ أَخَذَ الدَّهْرُ مِنْ عَقْلِهِ كَمَا أَخَذْتَ السِّنَّ مِنْ جِسْمِهِ » .

وَقَالَ قَيْطُطٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى

- ١٠ قَبِّلُوا أَمْرَكُمْ فَهْ دَرْكُمْ • رَحِبَ التَّرَاوَعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مَضْطَلَمَا
لَا مُتَرَفًا إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدُهُ • وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشْمًا^(١)
مَا زَالَ يَجْلِبُ دَرُّ الدَّهْرِ أَشْطَرَهُ • يَكُونُ مَتِيًّا يَوْمًا وَتَبَسُّمًا
حَتَّى آسَمَرَتْ عَلَى شَرْزِرٍ مَرِيْرُهُ • مُسْتَحْكِمَ السِّنِّ لَا نَخْلًا وَلَا ضَرَا^(٢)

وَيُقَالُ فِي مَثَلٍ : « رَأَى الشَّيْخُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِ الْغَلَامِ » وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ أَيْضًا

- ١٥ فِي الْمَجْرِبِ « الْعَوَانُ لَا تَعْلَمُ الْخَمْرَةَ » .

(١) زِيَادَةٌ مِنَ النَّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ . (٢) فِي النَّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ : خَيْرٌ .

(٣) فِي النَّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ : خَضَا .

(٤) هَكَذَا فِي النَّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ وَفِي الْأَصْلِ الْهَنْتُوغَرَفِي "غَمًا" وَكَتَبَ عَنْهُ كَالْفَصْرِ لَهُ "كَبِيرًا"

وَالصَّوَابُ "غَمًا" وَمَعْنَاهُ كَبِيرُ السِّنِّ جَدًّا وَظَهَرَ مِنْ شَرِّ الْعَرَبِ قَوْلُهُ

- ٢٠ لَهُ حَكَاةُ الدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كَيْفَةٍ • شَيْءٌ فَلَا قَانَ وَلَا تَخْرُجُ نَحْسَرُ

قال بعض الخلفاء : دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمنى . قالوا : كيف تريد؟ قال : « إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم » قالوا : لا نعلمه إلا الربيع بن زياد [الحارثي] . قال : صدقتم ، هو لما .

• وروى الهيثم عن مجالد عن الشعبي قال ، قال الججاج : دلوني على رجل للشرط
قيل : أتى الرجال تريد؟ فقال : « أريد دائم العيوس طويل الجلوس سمين الأمانة
أعجب انليانة لا يخفق في الحق على جرة يهون عليه سبأ الأشراف في الشفاعة »
قيل له : عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي . فأرسل اليه يستعمله ، فقال له :
لست أقبلها إلا أن تكفيني عيالكم وولدتكم وسائيتكم . قال : يا غلام ، نادِ في الناس :
من طلب اليه منهم حاجة فقد برئت منه الذمة . قال الشعبي : فوالله ما رأيت صاحب
شرطة قط مثله ، كان لا يحبس إلا في دين ، وكان إذا أتى رجل قد تقب على قوم
وضع متعبته في بطنه حتى تخرج من ظهره ، وإذا أتى بنيأش حفر له قبرا فدفنه فيه ،
وإذا أتى رجل قاتل بمحذية أو شهر سلاحا قطع يده ، وإذا أتى برجل قد أحرق
على قوم متعلم أحرقه ، وإذا أتى برجل يشك فيه وقد قيل إنه لص ولم يكن منه شيء ،
ضربه ثلثمائة سوط . قال : فكان ربما أقام أربعين ليلة لا يؤتى بأحد فعرض اليه
الججاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة .

(١) زيادة عن النسبة الألمانية .

(٢) كما بالألمين القنوغراف والألماني وهو تحريف والصواب لا يثبت في الحق على جرة ، يقال ما يثبت

علامت على جرة وما يكلم على جرة إذا لم ينظر على حد ودغل ومنه حديث عمر رضي الله عنه :

« لا يصلح هذا الأمر إلا لمن لا يثبت على جرة » اهـ . انظر السلف في جادة جتي .

- وقرأت في كُتَلِبِ أبرويزالى أبْنِه شيرويه : « انتخب لخراجك احد ثلاثة :
- إما رجلا يُظهر زهدا في المال ويدعى ورعا في الدين فاق من كان كذلك عدل على الضعيف وأنصف من الشريف ووفر الخراج وأجتهد في العِبرة، فإن هو لم يَرِغ ولم يَبْقَ إبقاء على دينه ونظروا لأمانته كان حراً أن يمضون قليلا ويوفر كثيرا أَسْتَسْرَاراً بالرياء واكتسابا بالخيانة ، فإن ظهرت على ذلك منه عاقبته على ماخان ولم تتحده على ماوفر، وإن هو جَلَّح في الخيانة وبارز بالرياء نبَّكَت به في العذاب واستنظفت ماله مع الحبس . أو رجلا علما بالخراج غنيا في المال مأمونا في العقل فيدعوه علمه بالخراج الى الاقتصاد في الحلب والعبرة للأرضين والرفق بالرعية، ويدعوه غناه الى العفة ويدعوه عقله الى الرغبة فيما ينفعه والرهبة مما يضره . أو رجلا علما بالخراج مأمونا بالأمانة مُقْتَرِا من المال فتوسّع عليه في الرزق فيقتنم حاجته الرزق ويستكثر لفاقته اليسير، ويُزجى بعلمه الخراج، وَيَقَفْ بأمانته عن الخيانة » .

استشار عمر بن عبد العزيز قوم يستعملهم ، فقال له بعض أصحابه : عليك بأهل السُّدُر . قال : ومن هم ؟ قال : الذين إن عدلوا فهو ما رجوت منهم وإن قصروا قال الناس : قد اجتهد عمر .

- قال عدى بن أرطاة لإياس بن معاوية : دلّني على قوم من القراء أوْلَم . قال له : القراء ضربان : فضرب يعملون للآخره ولا يعملون لك، وضرب يعملون للثنيا، فما ظنك بهم إذا أنت وليتهم فكنتهم منها ؟ قال : فما أصنع ؟ قال : عليك بأهل البيوتات الذين يَسْتَعِينُونَ لأحسابهم فوْلَم .

- أحضر الرشيد رجلا ليؤيّه القضاء فقال له : إني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه . قال الرشيد : فيك ثلاث خلال : لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناغة .

ولك علم يمتك من السجلة ، ومن لم يتجمل قل خطؤه . وأنت رجل تشاور في أمرك ومن شاور أكثر صوابه ، وأما الثقة فسينضم اليك من تتفقه به . فويل فما وجدوا فيه مغلما .

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال حدثني صالح بن رؤيم أبو طاهر الخزاز قال قال لي إياس بن معاوية المزني : أرسل إلى عمر بن هبيرة فأتيته فساكنني فسكت ، فلما أطلت قال : إيه . قلت : سل عما بدا لك . قال : أقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . قال : هل تعرض للفرائض ؟ قلت : نعم . قال : فهل تعرف من أيام العرب شيئا ؟ قلت : نعم . قال : فهل تعرف من أيام العجم شيئا ؟ قلت : أنا بها أعلم . قال : إني أريد أن أستمع بك . قلت : إن في ثلاثا لا أصلح معهن للعمل . قال : ما هن ؟ قلت : أنا دميم كما ترى ، وأنا حديد ، وأنا عتي . قال : أما الدمامة فاني لا أريد أن أحسن بك الناس ، وأما التي فاني أراك تعبر عن نفسك ، وأما سوء الخلق فيقومك السوط . قم ، قد وليتك . قال : فولاني [وأعطاني (*)] ألقى درهم فهما أول مال تمولته .

قرأت في كتاب للهند : « السلطان الخازم ربما أحب الرجل فأقصاه وأطرحه مخافة ضره ، فعل الذي تلص الحية إصبعه فيقطعها لئلا ينتشر سمها في جسده ، وربما أبيض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لئلا يحمده عنده ككأله المرء على الدواء البشع لضعفه » .

حدثني المولى بن أيوب قال سمعت المأمون يقول : « من منح لنا رجلا فقد تضمن عيبه » .

باب محبة السلطان وآدابها وتغير السلطان وتلوته

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن الشعبي عن عبيدة بن عباس قال : قال لي أبي : « يا بُنَيَّ إني أرى أمير المؤمنين يستخيلك ويستشيرك ويقتدك على الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإني أوصيك بخلاف أربع : لا تفتش له سرا ، ولا يجوزن عليك كذبا ، ولا تفتنن عنده أحدا ، ولا تطوعه نهيجه » قال الشعبي قلت لابن عباس : كل واحدة خير من ألف . قال : إني والله ومن عشرة آلاف .

كان يقال : « إذا جعلك السلطان أخا فاجعله أباً ، وإن زادك فزده » .

قال زياد لابنه : « إذا دخلت على أمير المؤمنين فادع له ثم أصفح صفحا جليلا ، ولا يرين منك تهالكا عليه ولا اهتياضا عنه » .

قال مسلم بن عمرو : « ينبغي لمن خدم السلطان ألا يقتر بهم إذا رضوا عنه ولا يتغير لهم إذا سخطوا عليه ولا يستقل ما حملوه ولا يلحف في مستلهم » .

وقرأت في كتاب للهند : « محبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطار ، وإنما تشبه بالجبل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية ، فالارتقاء إليه شديد والمقام فيه أشد ، وليس يتكافأ خير السلطان وشره لأن خير السلطان لا يعدو مزيد الحال ، وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفوس التي لها طلب المزيد ، ولا خير في الشيء الذي في سلامته مال وجاه وفي نكته الجائحة والتلف » .

وقرأت فيه : « من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم للغيظ وأطراح للأففة ، وصل إلى حاجته » .

وقرأت فيه : « السلطان لا يتوسى بكرامته الأفضل فالأفضل ولكن الأدنى فالأدنى كالكرم لا يتماق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه » .

وكانت العرب تقول : « انا لم تكن من قُرَّبان الأمير فكُن من بُدْناه » .

وقرأت في آداب ابن المقفع : « لا تكونن صحبتك للسلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك ومواقفهم فيما خالفك وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك ، فان كنت حافظا إذا ولّوك ، حذرا إذا تروك ، أمينا إذا آتمنوك ، تعلمهم وكأنك تعلم منهم ، وتؤدبهم وكأنك تأدب بهم ، وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر ، ذليلا إن صرّموك ، راضيا إن أحضروك ^(١) ، وإلا فالبعد منهم كل البعد والخذل منهم كل الخذل . وإن وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن به فانه من يتخلى ^(٢) السلطان بحقه يحل بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ، ومن يخدعه بنير حقه يحتمل ^(٣) الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة » .

وقال : « إذا صحبت السلطان فليكن بطول الملازمة في غير طول المعاتبة ، وإذا نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثرك له في الداء إلا أن تكلّمه على رموس الناس ولا يكون طلبك ما عنده بالمسئلة ولا تستبطنه ^(٤) إن أبطأ . اطلبه بالاستحقاق ولا تخبره أن لك عليه حقا وأنت تمتد عليه بلاء . وإن استطعت ألا ينسى حقك وبلائك بتجديد النصيح والاجتهاد فافعل . ولا تعطينه المجهود كله في أقل صحبتك له فلا تجد موضعا للزبد ولكن ادع للزبد موضعا . وإذا سأل غيرك فلا تكن المحيب . وأعلم أن استلابك للكلام خفة بك واستخفاف منك بالسائل والمستول ،

(١) في الأدب الكبير : شاركه في نسخة من ظلود . (٢) في الأدب الكبير : من لا يأخذه بحقه .

(٣) في الأدب الكبير : من يأخذ عمل . (٤) في الأصل التوقعافى : وإن .

فما أنت قاتل إن قال لك السائل : ما إراك سألت ، وقال لك المسئول : اجب أيها
المجَّب بنفسه المستخفِّ بسلطانه ؟ » .

وقال : « مثل صاحب السلطان مثل راكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب » .

- وقال عبد الملك بن صالح لمؤدِّب ولده بعد أن اختصه بحالسته ومعادته : « كن
على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماس الكلام فانهم قالوا : إذا
عجبك الكلام فاشمت وإذا أعجبك الصمت فكلم . [يا عبد الرحمن (*)] لا تساعدننى
على ما يبيع بى ولا تردِّدْ على الخطأ فى جلسى ولا تكلفنى جواب التشميت والتهنئة
ولا جواب السؤال والتعزية ودع عنك كيف أصبح الأمير وأمسى . وكلفنى بقدر
ما أستطعتك واجعل بدل التقرىظ لى حسن الاستماع منى . واعلم أن صواب
الاستماع أقل من صواب القول . وإذا سمعتنى أتعنت فأرى فهمك فى طرفك وتوقفك
ولا تجهد نفسك فى نظرية صوابى ولا تستدع الزيادة من كلامى بما تظهر من
استحسان ما يكون منى ، فن أسوأ حالا ممن يستكده الملوك بالباطل فيدلُّ على تهاونه ،
وما ظنك بالملك وقد أحلك محلَّ المجَّب بما تسمع منه وقد أحلَّته محل من لا يسمع
منه ؟ وأقل من هذا يُحيط إحسانك ويُسقط حقَّ حرمة إن كانت لك . إني جعلتك
مؤدِّبا بعد أن كنت معلِّما وجعلتك جليسا مقربا بعد أن كنت مع الصبيان مباحثا .
ومنى لم تعرف قصصا ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه ، ومن لم يعرف
سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يبلى » .

دخل أبو مسلم على أبي العباس وعنده أبو جعفر فسلم على أبي العباس فقال له :
يا أبا مسلم ، هذا أبو جعفر ! فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا موضع لا يقضى فيه
إلا حَقُّك .

قال الفضل بن الربيع : « مسألة الملوك عن أحوالهم من تحيات التوسّعي ، فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ، قل : صَبَحَ اللهُ الأميرَ بالكرامة . وإذا أردت أن تقول : كيف عيّد الأمير نفسه ، قل : أنزلَ اللهُ على الأمير الشفاء والرحمة ، فإن المسئلة توجب الجواب فإن لم يحبك اشتدّ عليك وإن أجابك اشتدّ عليه . »

٥ وقرأت في آداب ابن المقفع : « جانب المسخوط عليه والظنين عند السلطان ولا يجتمع وإياه مجلس ولا منزل ولا تظهرن له عذرا ولا تُثَنّ عليه عند أحد ، فإذا رأيته قد بلغ في الانتقام ما ترجو أن يلين بعده فاعمل في رضاه عنك برفق وتلطّف ، ولا تُسارّ في مجلس السلطان أحدا ولا تؤمّي إليه بجفك وعينك فإن السرار يحيل إلى كل من رآه من ذى سلطان وغيره أنه المراد به ، وإذا كلمك فاصغ إلى كلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا قلبك بحديث نفس . »

١٥ وقرأت في كتاب للهند أنه أهدى الملك الهند ثياب وحلّ فدعا بامرأته له وخير أخطأها عنده بين اللباس والحلية ، وكان وزيره حاضرا ، فنظرت المرأة إليه كالمستشيعة له فغمزها باللباس تفضيلا بينه ، ولحظه الملك ، فاخترت الحلية لئلا يقطن للغمزة ، ومكث الوزير أربعين سنة كاسرا عينه لئلا تحرك تلك في نفس الملك وليظن أنها عادة أو خلقة وصار اللباس للآخرى [قلب] حضرت الملك الوفاة قال لولده : توصّ بالوزير خيرا فإنه اعتذر من شيء يسير أربعين سنة] .

قال شبيب بن شبة : « ينبغي لمن سار خليفة أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شيء لم يحتاج إلى أن يلتفت : ويكون من ناحية إن

(١) في الأدب الكبير « من الإحاط بما يحيط عليه فيه ما ترجو أن يلين له به قلب الوالي » والإحاط الجرح من الاسامة .

(٢) في الأدب الكبير : عه . (٣) زيادة عن الأصل التوقر عن .

انفتحت لم تستقبله الشمس، وإن سارين يديه أن يجيد عن سَنَ الرِّيح التي تَوَدَّى
النَّصار إلى وجهه » .

قال رجل من النساك لآخر : « إن أبليت بأن تدخل إلى السلطان مع الناس
فأخذوا في الثناء فليكن بالدعاء » .

- (١) قال ثَمَامَة : كان يحيى بن أكرم يمشى المأمون يوما في بستان موسى
والشمس عن يسار يحيى والمأمون في الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحدان
حتى بلغ حيث أراد ثم كرّ راجعا في الطريق التي بدأ فيها فقال ليحيى : كانت الشمس
عليك لأنك كنت عن يساري وقد نالت منك فكن الآن حيث كنت وأتحول أنا
إلى حيث كنت . قال يحيى : واه يا أمير المؤمنين لو أمكنني أن أفيك هَوَلَ المطلع
بنفسى لتعلت . فقال المأمون : لا واه ما بُدَّ من أن تأخذ الشمس منى مثل
١٠ ما أخذت منك . فتحول يحيى وأخذ من الظل مثل الذي أخذ منه المأمون .
وقال المأمون : « أول العدل أن يعدل الرجل على عِطائته ثم على الذين يَلُونَهُم حتى
يبلغ العدل الطبقة السفلى .

المداخلى قال، قال الأحنف : « لا تنقبضوا عن السلطان ولا تتأكلوا عليه فانه من
أَشْرَفَ للسلطان أُنْدَرَاهُ ومن تَضَرَّعَ لَهُ أَحْظَاهُ » .
١٥

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني محمد بن عمرو الرومى [قال حدثنا زهير بن معاوية]
عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع قال، قال حذيفة بن اليمان : « ما مشى قوم قط إلى
سلطان الله في الأرض لِيُدْنُوهُ إِلَّا أَنْلَمَ الله قبل أن يموتوا » .

(١) كذا بالأصل، وفي النقد القرطبي : مؤنة بنت المهدي .

(٢) حكاه في الألمانية، وفي التتوграфия أخطاه . وفي النقد القرطبي : ومن ظان له خطاه ،
٢٠ قال : شيوخ السلطان بالريح الشديدة التي لا تضربها لأن يتأيل منها عن الشجر والحشيش، وما استهدف
لها قصه . (٣) زيادة من نسخة الألمانية .

وفي أخبار خالد بن صفوان أنه قال : دخلت على هشام بن عبد الملك فاستدناني حتى كنت أقرب الناس منه فتنفس ثم قال : يا خالد، لرب خالد قد مقلدك هذا أشبهى إلى حديثنا منك . فعلمت أنه يعني خالد بن عبد الله . قتل : يا أمير المؤمنين ، أغلا تميده ؟ قال : إن خالدا أدلّ فأمل وأوجف فأعجف ولم يدع راجع مرجعا ، على أنه ما سألني حاجة . قتل : يا أمير المؤمنين ، ذاك أخرى . قال : هيهات إذا انصرفت تسمى عن الشيء لم تكن * إليه بوجه آخر الدهر تُقبل

حدثنا الفضل بن محمد بن منصور يعني هذا الحديث ، وبعبضه نيك : اعتل يحيى بن خالد فبعث إلى منك المندى فقال له : ما ترى في هذه العلة ؟ قال منك : داؤك كبير ودواؤه يسير وأيسر منه الشكر ، وكان متفتنا . قال له يحيى : ربما تقل على السمع خطرة الحق به ، فإذا كان ذلك كانت الهجرة له ألزم من المفاوضة فيه . قال منك : صدقت ولكني أرى في الطوالع أثرا والأمد فيه قريب وأنت قسم في المعرفة وقد بُهت ، وربما كانت صورة الحركة للكوكب عقيمة ليست بذات نتائج ولكن الأخذ بالجزم أوفر حظ الطالبين . قال يحيى : للأمر منصرف إلى العواقب وما أُختم لابد من أن يقع ، والمنعة بمسألة الأيام تُهزّء فاقصد لما دعوتك له من هذا الأثر الموجود بالمزاج . قال منك : هي الصفراء ما زجتها مائة من البلم فحدث لها بذلك

(١) الرواية المشهورة في هذا البيت : لم تكن .

(٢) ورد هذا الاسم في النسخة الألمانية مضبوطا بضم النون وضع الهاء . وفي تقريب التهذيب لابن حجر : « نيك » بوزن عظم ابن يريم . وفي تحفة ذكرى الأرب في مشكل الأسماء والنسب لابن خطيب المصنعة : « نيك » ككريم آتبه كاف حيث وقع اسما وكنية .

(٣) كذا بالقد الفريد وفي النسخة القنوغرافية : « متقا » وفي النسخة الألمانية : « متقا » وكلاهما من تحريف التبايح .

(٤) كذا بالقد الفريد وفي القنوغرافية : « المتة » وفي الألمانية : « المتمة » وكلاهما محرف .

- ما يحدث للهب عند مماسته رطوبة المسادة من الاشتعال نغذ ماء رقتين^(١) فدههما بإهليلجة سوداء تهنضك مجلسا^(٢) [أو مجلسين^(٣)] وتسكن ذلك التوقد الذي تجد إن شاء الله.
- فلما كان من حديثهم الذي كان، تلطف منك حتى دخل على يحيى في المجلس فوجده جالسا على ليد ووجد الفضل بين يديه يمين^(٤) أى يخدم فاستبر منك وقال: قد كنت ناديت لو أعرت^(٥) الإجابة . قال له يحيى: أترك علمت من ذلك شيئا جهلته؟ كلا .
- ولكنه كان الرجاء للسلامة بالبرامة من الذنب أغلب من الشفق وكان مزايلة التصدر الخلطير عينا فلما تهنض به الهمة . وبعد قد كانت نعم ارجو أن يكون أولها شركا وآمرها اجرا . فما تقول في هذا الداء؟ قال له منك: ما أرى له دواء أنجح من الصبر، ولو كان يغدى بمال أو مفارقة عضو كل ذلك مما يجب لك . قال يحيى: قد شكرت لك ما ذكرت فان أمكك تمهدنا فافعل . قال منك: لو أمكننى تخفيف الروح عندك ما يخلت بذلك ، فانما كانت الأيام تحسن لى بسلامتك . قال الفضل كان يحيى يقول: دخلنا في الدنيا دخولا أخرجتنا منها .

وقرات في كتاب للهند: «إنما مثل السلطان في قلة وفائه للاصحاب ومخاض نفسه عن قُدد منهم مثل البغي والمكثب، كلما ذهب واحد جاء آخر» .

- والعرب يقول: «السلطان ذو صدوان وذو بدوان وذو قُدر» يريدون أنه سريع الانصراف كثير البدوات هجوم على الأمور .

- (١) كذا بالأصل الفتوغرافى وفي القند الفريد: نغذ ماء الزمان فدهق فيه إهليلجة الخ .
- (٢) كذا بالقند الفريد وفي الفتوغرافية هكذا: "تنضك" . وفي الأمانة: "تنضك" وكلاما آخر .
- (٣) الزيادة من القند الفريد .
- (٤) في الأصل الفتوغرافى كتب تحتها كالتفسير لها "يخدم" . وزيد في النسخة الألمانية كلمة من الأصل
- (٥) في القند الفريد "أسمعت" وفي الأصلين الفتوغرافى والألماني هكذا: "أعرب" ونقل في هامش النسخة الألمانية: "أعربت" ولعله الصواب .

قال معاذ ابن مسلم : رأيت أبا جعفر وأبا مسلم دخلا الكعبة ففرع أبو جعفر نعله فلما أراد الخروج قال : يا عبد الرحمن ، هات نعلي . فجاء بها ، فقال : يا معاذ ضعها في رجلي . فالبسته إياها ففقد ذلك أبو مسلم ، ووجه أبو جعفر يقطين بن موسى الى أبي مسلم لاحصاء الأموال فقال أبو مسلم أفلها ابن سلامة الفاعلة ؟ لا يكنى . فقال يقطين : عجلت أيها الأمير ، قال وكيف ؟ قال : أمرني أن أحصى الأموال ثم أسدتها اليك لتعمل فيها برأيك . ثم قدم يقطين على المنصور فأخبره . فلما قدم أبو مسلم المدائن في اليوم الذي قتل فيه جعل يضرب بالسوط معرفة يردونه ويقول بالقارسية كلاما معناه : ما تُفني المعرفة اذنا لم يُقدر على دفع المحتوم . ثم قال : جائزة ذيلها ، تدعو يا ويلها ، بدجلة أو حولها ، كأننا بعد ساعة ، قد صرنا في دجلة .

قال المنصور : « ثلاث كن في صدري شفى الله منها : كتاب أبي مسلم إلى وأنا خليفة : عافانا الله وإياك من سوء . ودخول رسوله علينا وقوله : أيكم ابن الحارثية ؟ . وضرب سليمان بن حبيب ظهري بالسياط . »

قال المنصور لسم ابن قتيبة : ما ترى في قتل أبي مسلم ؟ فقال سلم (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) فقال : حسبك يا أُميَّة .

قال أبو دلامة

أبا مجرم ماغير الله نعمة * على عبده حتى يُغيرها العبد
أنى دولة المهدي حاولت غيرة * ألا إن أهل القدر أبأوك الكرد
أبا مجرم خوفنى القتل فأتقى * عليك بما خوفنى الأسد الورد

قال مروان بن محمد لعبد الحميد حين أيقن بزوال ملكه : « قد احتجت إلى أن تصير مع عدوى وتظهر الغدرى ، فان إعجابهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تدعوم الى حسن الظن بك ، فان استطعت أن تنفني في حياتي وإلا لم تَجِزَ عن حفظ

حُرْمَتِي بَعْدَ وَفَايَ» قَالِ عَبْدُ الْحَمِيدِ: إِنَّ الَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ أَتَعِ الْأَمْرَيْنِ لَكَ وَأَتَجْهِنُهُمَا
بِي وَمَا عِنْدِي إِلَّا الصَّبْرُ حَتَّى يَفْضَحَ اللَّهُ لَكَ أَوْ أَقْتُلَ مَعَكَ . وَقَالَ
أَسِيرٌ وَفَاءٌ ثُمَّ أَظْهَرَ قَلْبَهُ * فَنَ لِي بِجَذْرِ يُوسُفَ النَّاسِ ظَاهِرُهُ

المشاوره والرأى

- حَتَّى الزَّيَادِي قَالَ حَتَّى حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ هِشَامٍ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَشِيرُ حَتَّى الْمَرْأَةَ قَشِيرُ عَلَيْهِ بِالنَّهْيِ فَيَأْخُذُ بِهِ» .
وَقَرَأْتُ فِي التَّاجِ أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الْعَجَمِ اسْتَشَارَ وَزَرَءَهُ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ :
« لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مَنَّا أَحَدًا إِلَّا خَالِيًا بِهِ ، فَانَّهُ آمَوْتُ لِلْمَرْءِ وَأَحْزَمْتُ لِلرَّأْيِ
وَأَجِدَرُ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْنَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةِ بَعْضٍ ، فَإِنْ إِفْشَاءَ السَّرَّاءِ إِلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ
أَوْتَمَى مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى اثْنَيْنِ ، وَإِفْشَاءَهُ إِلَى ثَلَاثٍ كَافَشَائِهِ إِلَى الْعَامَةِ لِأَنَّ الْوَاحِدَ رَهْنٌ
بِمَا أَفْتَى إِلَيْهِ وَالثَانِي يُطْلَقُ عَنْهُ ذَلِكَ الرَّهْنُ وَالثَّلَاثُ عِلَاقَةٌ فِيهِ ، وَإِذَا كَانَ مِنْ الرَّجُلِ
عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ أُخْرَى إِلَّا يُظْهِرُهُ رَهْبَةً مِنْهُ وَرَغْبَةً إِلَيْهِ ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَ اثْنَيْنِ
دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ الشُّبْهَةُ وَاتَّسَعَتْ عَلَى الرَّجُلَيْنِ الْمَمَارِضُ ، فَإِنْ عَاقَبَهُمَا عَاقِبَ اثْنَيْنِ
بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ، وَإِنْ أَتَاهُمَا اتَّهَمَ بَرِيئًا بِجَنَايَةِ مُجْرِمٍ ، وَإِنْ عَفَا عَنْهُمَا كَانَ الْعَفْوُ عَنْ
أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنِ الْآخَرِ وَلَا حُجَّةَ مَعَهُ » .
- وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ الْهِنْدِ أَنَّ مُلْكًَا اسْتَشَارَ وَزَرَءَهُ لَهُ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : « الْمَلِكُ
الْحَازِمُ يَزِيدُ بِرَأْيِ الْوُزَرَءِ الْحَرَمَةِ كَمَا يَزِيدُ الْبَحْرُ بِمَوَاقِدِهِ مِنَ الْأَنْهَارِ ، وَيَنَالُ بِالْحَرَمِ
وَالرَّأْيِ مَا لَا يَنَالُهُ بِالْقُوَّةِ وَالْجُنُودِ ، وَلِلْأَسْرَارِ مَنَازِلُ : مِنْهَا مَا يَدْخُلُ الرَّهْطُ فِيهِ ، وَمِنْهَا
مَا يَسْتَعْمَلُ فِيهِ بِقَوْمٍ ، وَمِنْهَا مَا يَسْتَفْتَى فِيهِ بِوَاحِدٍ . وَفِي تَحْصِينِ السَّرِّ الْفَقْرُ بِالْحَاجَةِ
وَالسَّلَامَةُ مِنَ الْخُلَلِ . وَالْمُسْتَشِيرُ إِنْ كَانَ أَفْضَلَ رَأْيًا مِنَ الْمُسِيرِ ، فَانَّهُ يَزِيدُ بِرَأْيِهِ

(*) فِي النُّسَخَةِ الْقُتُوبِيَّةِ : إِلَّا الصَّبْرَ مَعَكَ .

رأيا كما تزاد النار بالسليط ضوما . وإذا كان الملك محصنا لسره بيذا من ان يُعرف
ما في نفسه متخيرا للوزراء مهيا في أفس العامة كافيا بحسن البلاء لا يخافه البرى .
ولا يأمته المريب مقترا لما يُفيد وينفق ، كان خليقا لبقاء ملكه . ولا يصلح لسرنا
هذا إلا لسانان وأربع آذان . ثم خلا به .

قال أبو محمد : كتبت الى بعض السلاطين كتابا وفي فصل منه : « لم يزل حزمة^(*)
الرجال يستحلون صرامة قول النصحاء ويستهدون العيوب ويستثيرون صواب الرأى
من كل حتى الأمة الوكهاء ، ومن احتاج الى إقامة دليل على ما يدعيه من مودته وقهاء
طويته فقد أغثنى الله عن ذلك بما أوجبه الاضطرار إذ كنت أرجو بدوام نعمتك
وارتفاع درجتك وانبساط جاهك ويدك زيادة الحال » .

وفي فصل آخر : « وقد تحلّت في هذا الكتاب بعض العتب وخالفت ما أعلم إذ
مرضيت بالرأى ولم أستشر وأحلت نفسي محل الخواص ولم أحلّ وزعت في النفس ،
حين جهشت وضاعت بما تسمع ، عن طريق الصواب لها الى طريق الصواب
لك ، وحين رأيت لسان عدوك منبسطا بما يدعيه عليك وسهامه نافذة فيك ،
ورأيت وليك ممكوما عن الاحتجاج إذ لا يجد العذر ورأيت عوام الناس يخوضون
بضر وبالأقوال في أمرك ، ولا شيء أضّر على السلطان في حال ولا أضع في حال
منهم . وبما يحريه الله على السقيم تسيير الركان وتبقى الأخبار ويخلد الذكر على النهر
وتشرف الأعقاب ، وظاهر الخبر عندهم أعدل من شهادة العدول الثقات » .

وفي فصل منه : « وسأئس الناس ومدبر أمورهم يحتاج الى سعة الصدر واستشعار
الصبر واحتمال سوء أدب العامة وإفهام الجاهل وإرضاء المحكوم عليه والمنعوج مما
(*) في الأصل القترغرافي : كتب الى بعض أصحاب السلطان الخ ، ولكن الحكاية تؤيد رواية النسخة
الأساندية .

يسأل بتعريضه من أين منع ، والناس لا يجمعون على الرضا إذا جُمع لهم كل أسباب الرضا فكيف إذا مُنعوا بعضها ، ولا يمدّون بالمدح الواضح فكيف بالمدح الخفي ، وأخوك من صدقك وأرتخص لك لا من تابعك على هواك ثم غلب عنك بغير ما أحضرته .

- قال زياد لرجل يشاوره : « لكل مستشيرة ولكل مرستودع ، وإن الناس قد أبدعت بهم خصلتان : إضاعة السر ، وإحراج النصيحة . وليس موضع السر إلا أحد رجلين : رجل آتوه يرجو ثواب الله ، أو رجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون به حسيبه ، وقد عجمتهما لك » .

- وكتب بعض الكلاب : « اعلم أن الناصح لك المشفق عليك من طالع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره ، ومثل لك الأحوال المخوفة عليك ، وخط لك الوعر بالمهل من كلامه ومشورته ليكون خوفك كفتا لرجائك وشكرك إزاء النعمة عليك . وأن الفاسد لك الحاطب عليك من مد لك في الاعتزاز ووعطاً لك مهاد الظلم وجرى معك في عنائك متقاداً لهواك » .

وفي فصل : « إني وإن كنت ظنيت عندك في هذه الحال فني تدبرك صفحات هذه

- المشورة ما ذلك على أن نخرجها عن صدق وإخلاص » .

- إبراهيم بن المنذر قال : استشار زياد بن عبيد الله الحارثي عبيد الله ابن عمر في أخيه أبي بكر أن يوليّه القضاء ، فأشار عليه به ، فبعث إلى أبي بكر فامتنع عليه ، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبي بكر ، فقال أبو بكر لعبيد الله : أنشدك بالله أترى لي أن أليّ القضاء ؟ قال : اللهم لا . قال زياد : سبحان الله ! استشرتك فأشرت عليّ به ثم أسمعك تنهائ ! قال : أيها الأمير استشرتني فأجبتك لك رأيي ونصحتك ، واستشارني فأجبتك له رأيي ونصحتي .

كان نصر ابن مالك على شرط أبي مسلم ، فلما جاءه إذن أبي جعفر في القيد عليه استشاره قنائه عن ذلك وقال : لا آمنه عليك ، قال له أبو جعفر لما صار إليه : استشارك أبو مسلم في القيد على قنيتي؟ قال نعم : قال وكيف ذاك؟ قال : سمعت أخاك إبراهيم الإمام يحدث عن أبيه محمد بن علي قال « لا يزال الرجل يزاد في رأيه ما يصح لمن استشاره » وكنت له كذلك وأنا اليوم لك كما كنت له .

قال معاوية : « لقد كنت ألقى الرجل من العرب أعلم أن في قلبه على ضغنا فاستشيرته ، فغير ألى منه بقدر ما يحده في نفسه فلا يزال يوسعي شتما وأوسعها حلما حتى يرجع صديقا أستمين به فيعيتي وأستجده فيجندني » .

وقرأت في كتاب إبرورزالي ابنه شيرويه وهو في حبسه : « عليك بالمشاورة فانك واجد في الرجال من ينضج لك الكي^(١) ويحسم عنك الداء ويخرج لك المستكن ولا يدع لك في مدوك فرصة إلا اتمزها ولا لمدوك فيك فرصة إلا حصنها ، ولا يمنعك شدة رأيك في ظنك ولا علو مكانك في نفسك من أن تجمع الى رأيك رأي غيرك فان أحمدت اجتنبت وإن ذممت قبيت ، فان في ذلك خصالا : منها أنه إن وافق رأيك ازداد رأيك شدة عندك ، وإن خالف رأيك عرضته على نظرك ، فان رأيته معتليا لما رأيت قبلت ، وإن رأيته متضما عنه استغفنت ، ومنها أنه يجتهد لك النصيحة عن شاورت وإن أخطأ ويحضر لك موته وإن قصر » .

وفي كتاب للهند : « من التمس من الاخوان الرخصة عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة ، أخطأ الرأي وازداد مرضا وحمل الوزر » .

(١) قبل يامش النسبة الألمانية من نسمة "فيثور" الخ .

(٢) في الأصل "يصح" وهو تحريف .

(٣) هكذا في النسبة الألمانية والقنوقرافة ، والمناصب لماتيه "أذمت" يقال أذمه أى وجدته ذميا :

وفي آداب ابن المقفع : « لا تحزن في رُوعك أنك إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأى غيرك ، فيقطعك ذاك عن المشاورة ، فانك لا تريد الرأى للتصغر به ولكن للاتفاف به . ولو أنك أردت الذكر كان أحسن الذكر عند الأكباء أن يقال : لا ينفرد برأيه دون ذوى الرأى من إخوانه » .

- قال عمر بن الخطاب : « الرأى الفرد كالخيط السَّحِيل ، والرأىان كالخيطين المبرمين ، والثلاثة مَرَارٌ لا يكاد ينقض » . وقال أُمّ حُصَيْن :

رأى سرى وعبودُ الناس هاجمَةٌ * ما أتر الحزم رأى قدم الحذرَا

- كتب الحاج الى المهلب يستعجله في حرب الأزارقة ، فكتب اليه المهلب : « إن من البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يصره » . وقيل لعبد الله ابن وهب الراسبي يوم عقدت له الخوارج : تكلم . فقال : ما أنا والرأى الضعيف والكلام القصيب . وقال أيضا : نعيم الرأى خير من فطيره ، ورُبَّ شئ غابَ خير من طريه ، وخير من تقديمه . وقيل لآخر : تكلم . فقال : ما أشتى الخبز إلا بإتنا .

- كان ابن هبيرة يقول : « اللهم إني أعوذ بك من محبة من غايته خاصة نفسه والانعطاط في هوى مستشيره ، ومن لا يتمس خالص مودتك إلا بالثأني لمواقفة شهوتك ، ومن يساعذك على سرور ساعتك ولا يفكر في حوادث غدك » . وكان يقول : « من أعطى أربعة لم يُنْعَ أربعة : من أعطى الشكر لم يُنْعَ المزيد ، ومن أعطى التوبة لم يُنْعَ القبول ، ومن أعطى المشورة لم يُنْعَ الصواب ، ومن أعطى الاستخارة لم يُنْعَ الخيرة » . وكان يقال : لا تستشر ممثلا ولا راى الغنم ولا كثير القعود مع النساء . وكان يقال : لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها ولا جائعا ولا حاقن بول .

وقالوا « لا رأى لحاقن ولا لحازق » وهو الذى ضغطة الخف « ولا لحاقب » وهو الذى يحد رزاً فى بطنه . وقالوا أيضاً : لا تشاور من لا دقيق عنده .

وكان بعض ملوك السجم إذا شاور مرآز بنه قفصروا فى رأى دعا الموكلين بأرزاقهم فصاقبهم ، فيقولون : تخطى مرآز بنك وتناقبتا ! فيقول : نعم ، إنهم لم يخطئوا إلا لتعلق قلوبهم بأرزاقهم وإذا اهتموا أخطئوا . وكان يقال : إك النفس إذا أحرزت [قوتها] ورزقها اطمأنت .

وقال كعب : لا تستشيروا الحاكمة فإن الله سلبهم عقولهم ونزع البركة من كبهم .
قال الشاعر

وأنتع من شاورت من كان ناصحا * شفيقا فأبصر بسدما من تشاور
وليس بشافيك الشفيق ورأيه * غريب ولا دنوا الرأى والصدور وأضر
ويقال : علامة الرشدا أن تكون النفس مشتاقة . وقال آخر

إذا بلغ الرأى النصيحة فاستعن * برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غصاصة * فان الخوافى رافعات القوادم
ومثل المؤنينا للضعيف ولا تكن * قووما فان الحزم ليس ببناءم
وأدين من القربى المقرب نفسه * ولا تشهد الشورى أمراً غير كاتم
وما خير كف أسك الفل أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقاتم
فإنك لن تستطرد المم بالئى * وإن تبلغ العليا بغير المكاتم

قال أعرابى : ما عُيْتُ قط حتى يُعَبِّن قومى . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لا أصل شيئا حتى أشاورهم . وقيل لرجل من بنى عبس : ما أكثر صوابكم ! فقال :

نحن ألف رجل وفيما حازم واحد ونحن نطعيه، فكأن ألف حازم . ويقال : « ليس بين الملك وبين أن يملك رعيته أو يملكه إلا حزم أو توان » .

وقال القطاوى فى معصية الناصح

- ومعصية الشفيق عليك • • • يزيدك مرة منه استعاضا
وغير الأمر ما استقبلت منه • • • وليس إن تبعه اتباعا
كذلك وما رأيت الناس إلا • • • الى ما جر غاويهم سرا
تراهم يغمزون من استتركا • • • ويحتنون من صدق المصاعا

وقال آخر، أنشدنيه الرياضى

- ومولى عصانى وأستبد برأيه • • • كما لم يطلع باليقين قصير
فلما رأى أن غب أمرى وأمره • • • وولت بأعجاز الأمور صدور
تمنى بشئسا أن يكون أطاعنى • • • وقد حدثت بعد الأمور أمور

- وقال سبيع لأهل الإمامة « يا بنى حنيفة بعدا كما بعدت عاد وثمود، أما والله لقد أنباتكم
بالأمر قبل وقوعه كأنى أسمع جرسه وأبصر غيبه ولكنكم أبيتُم النصيحة فاجتنيتم الندم،
وأصبحتم فى أيديكم من تكذيبى التصديق ومن تهجى الندامة، وأصبح فى يدي من
هلاككم البكاء ومن ذلك الجزع، وأصبح ما قالت غير مردود وما بقى غير مأمون. ١٥
وإنى لما رأيستكم تهمون النصيح وتسفهون الحليم استشرحت متك اليأس وخفت
عليكم البلاء . والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غرره ولقد أمهلكم حتى ملأ
الواعظ ونحن الموعوظ وكتمت كما نمتى بما أتم فيه غيركم » .

- وأشار رجل على صديق له برأى، فقال له : « قد قلت ما يقول الناصح الشفيق الذى
يخطأ حلوكلامه بمؤته وحرته بسبله ويجزك الاشفاق منه ما هو ساكن من غيره ، ٢٠

وقد وُعيتَ الصبح فيه وقبلته إذ كان مصدره من عند من لا يُسَلَك في مودته وصافى
غيبه، وما زلتُ بحمد الله إلى كل خير طريقاً منهاجاً ومهيماً واضحاً .

وكتب عثمان إلى عليٍّ حين أحبط به : « أما بعد فإنه قد جاوز المساء الزبي وبَلَغَ
الحزام الطينين وقد تجاوز الأمر بي قدره .

فإن كنتُ ما كولا فكن خيراً كل * وإلا فادركني ولما أمرتُ »

وقال أوس بن حجر

وقد أُعيبَ ابنُ العِلمِ إن كنتُ ظالماً * وأغفر عنه الجهل إن كان أجْهلاً

وإن قال لي ماذا ترى ؟ يستشيرني * يحدني ابن عمٍ عَظَمَ الأمرُ ميزاناً

أقيم بدار الحزم ما دام حزمها * وأخيراً إذا حالت يارب أمحولاً

وأستبدل الأمر القوي بغيره * إذا عَقَدَ مأفونُ الرجالُ مَحَللاً

وكان يقال : « أناة في عواقبها ترك، خير من معاجلة في عواقبها قوت » .

وأشدنى الراشي

وعجزُ الرأي مضياً لفرصته * حتى إذا فات أمر عاتب القدراً

وكن يقال : « روِّجْهم فانما استوضحت فاعزم » .

الاصابة بالظن والرأي

كان ابن الزبير يقول : « لا تأسَ بخير من لم يروأيه ما لم يربعيته » . ومثله

بعض الحكماء : ما العقل ؟ فقال : « الإصابة بالظن ومعرفة ما لم يكن بما كان » .

وكان يقال : « كفى تحيراً عما مضى ما بقى ، وكفى صبراً لأولى الألباب ما جربوا » . وكان

يقال : « كل شيء محتاج إلى العقل ، والعقل محتاج إلى التجارب » . ويقال : « من لم

ينفعك ظنه لم ينفعك يقينه » . وقال أوس بن حجر

الألمى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمع

وقال آخر

وأبني صوابَ الظنِّ أعلم أنه * إذا طُلس ظنُّ المرء طاشت مَعَادِرُهُ

وقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في عيد الله بن عباس : « إنه لينظر إلى الغيب من مستر رقيق » . ويقال : « ظنُّ الرجل قطعةٌ من عقله » . ويقال : « الظنون مفاتيح اليقين » . وقال بعض الكتّاب

أصونك أن أظنّ عليك ظناً * لأن الظن مفتاح اليقين

وقال الكيت

مثلُ التدبر في الأمر أثنافك * والمرء يعجز في الأقوام لا الحيل^(١)

وقال آخر

وكنّت متى تهزّز خطب تُنقّشه * ضرائب أمضى من رفاق المضارب ١٠
تجلبّته بالرأى حتى أريته * به ملّ عينه معكّان العواقب

وقال آخر يصف عاقلاً

بصير بأعقاب الأمور كأنما * يرى بصواب الرأى ما هو واقع

وقال آخر في مثله

علم بأعقاب الأمور برأيه * كاتّ له في اليوم عيناً على الغد ١٥

وقال آخر يصف عاقلاً

بصير بأعقاب الأمور كأنما * يخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال جثامة بن قيس^(٢) هجو قوما

أنتم أناس عظام لا قلوب لكم * لا تهابون أجاه الرشد أم غابا

(١) هكذا في النسخة الألمانية والفرنغرافية، ولعله محرف عن الاقدام .

(٢) في النسخة الفرنغرافية : وقال آخر .

وتبصرون رؤوس الأمر مقبلة * ولا ترون وقد ولّين أذنابا
وقلنا يضبا المكروه صاحبه * إذا رأى لوجوه الشر أسبابا
(*)
وقال آخر

فلا يحذرون الشر حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمر إلا تدبرا

• ويقال : «ظن الماقل كهانة» . وفي كتاب الهند : «الناس حازمان وعاجز، فاحذر
الحازمين الذي إذا نزل به البلاء لم يبطر وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه ، وأحزم
منه العارف بالأمر إذا أقبل فيدفعه قبل وقوعه ، والعاجز في تردد وثقل حائر بائر
لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا» .

وقال الشاعر

وإني لأرجو الله حتى كأني * أرى يجمل الظن ما الله صانع

وقال آخر

وغيره مرة من فعل غير * وغيره مرتين فعلاً موق
فلا تفرح بأمر قد تدنى * ولا تأيس من الأمر السحيق
فإن القرب يبعد بعد قرب * ويدنو البعد بالقدر المسوق
ومن لم يتق الضحاضح زلت * به قدماه في البحر العميق
وما آكتسب المحامد طالوبها * بتسل البشر وألوجه الطليق

وقال مروان بن الحكم الحنفي بن دبلج : أظنك أحمق . قال : «أحمق ما يكون
الشيخ إذا عمل بظنه» . ونقش رجل على خاتمه : «الخاتم خير من الظن» . ومثله :
«طينة خير من ظنة» .

(*) في النسخة المتوغلغرافية وقال جماعة بن قيس . والبيت لم يرد في النسخة .

أتباع الهوى

- كان يقال : الهوى شريك العمى . وقال عاصم بن الظرب : الرأى نائم والهوى يقظان ، ولذلك يطلب الرأى الهوى . وقال ابن عباس : « الهوى لله معبود » وقرأ (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) . وقال هشام بن عبد الملك ، ولم يقل غيره
- إذا أنت لم تعص الهوى فادك الهوى * إلى بعض ما فيه طيبك مقال
- وقال بزرجهر : « إذا أشتبه عليك أمران فلم تدري في أيهما الصواب ، فانظر أقربهما إلى هواك فاجتنبه » .
- كان عمرو بن العاص صاحب عمارة بن الوليد إلى بلاد الحبشة ومع عمرو أمراته فوقعت في نفس عمارة فدفع عمرا في البحر فتعلق بالسفينة ونرج ، فلما ورد بلاد الحبشة سعى عمرو بجارة إلى النجاشي وأخبره أنه يخالف إلى بعض نساءه فدعا النجاشي بالسواحر فغضخ في إحليله فهام مع الوحش ، وقال عمرو في ذلك
- تعلم عمارة أن من شر شمية * لثلك أن يدعى ابن عم له أبنا
وإن كنت ذابرد بن أحوى رجلا * فلت براء لابن عمك محترما
إذا المرء لم يترك طعنا ما يحبه * ولم يعص قلبا فاويا حيث يما
- قضى وطرا منه يسيرا وأصبحت * إذا ذكرت أمثاله تملأ الفها
- وقال حاتم طيء في مثله
- وانك إن أعطيت بطنك سؤلة * وفردك نالا متهى الذم أجمعا
- وقال آخر
- جار أبلنيد عل تحكما * جهلا ولست بموضع الظلم
أكل الهوى مجبى ورب هوى * مما سيأكل حمة الخضم
- قال اعمراني : « الهوى هوان ، ولكن غلب باسمه » .

وقال الزبير بن عبد المطلب

وَأَجْتَنِبُ الْمَقَادِيعَ حَيْثُ كَانَتْ • وَأَتْرُكُ مَا هَوَيْتُ لَمَّا خَشِيتُ

وقال البرقي الهذلي

أَبْنَى لِي مَا تَرَى وَالْمَرْءُ ثَابِي • عَزَمْتُهُ وَيَقْلِبُهُ هَوَاهُ

فَبِعَمَى مَا يَرَى فِيهِ عَلَيْهِ • وَيَحْسَبُ مَا يَرَاهُ لَا يَرَاهُ

وكان يقال : «أخوك من صدقك وأتاك من جهة عقلك لا من جهة هواك» .

السِّرُّ وَكَيْفَانُهُ وَإِعْلَانُهُ

حدثني أحمد بن الحليل قال حدثنا محمد بن الحُصَيْب قال حدثني أوس بن

عبد الله بن بُرَيْدَةَ عن أخيه سهل عن بُرَيْدَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

«اسْتَمِعِينَا عَلَى الْخَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مُحْسُودٌ» . وَكَانَتْ الْحِكْمَاءُ تَقُولُ :

«سِرٌّكَ مِنْ دَمَكِ» • وَالْعَرَبُ تَقُولُ : «مَنْ ارْتَادَ لِسِرِّهِ مَوْضِعًا فَقَدْ أَذَاعَهُ» .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيْبٍ عَنْ عَمِّهِ الْأَصَمِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا

قَالَ : دَخَلَ ابْنُ أَبِي عَجْجَنٍ التَّمَنِيُّ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَبُوكَ الَّذِي يَقُولُ

إِذَا مِتُّ فَأَدْفَنِي إِلَى أَصْلِ كَرْمَةٍ • تُرَوِّى عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوفُهَا

وَلَا تَدْفَنُنِي فِي الْقَلْعَةِ فَاتْنِي • أَخَافُ وَرَاءَ الْمَوْتِ أَنْ لَا أَدْفَنُهَا

فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَجْجَنٍ : لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا مِنْ شَعْرِهِ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ :

وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ قَوْلُهُ

لَا تَسْأَلِ الْقَوْمَ مَا مَالِي وَمَا حَسْبِي • وَسَأَلِ الْقَوْمَ مَا حَزَمِي وَمَا خُلِقِي

الْقَوْمُ أَعْلَمُ أُنَى مِنْ سَرَائِهِمْ • إِذَا تَطْلُشَ يَدُ الرَّعْدِ بَدَا الْفَرْقِ

أَعْطَى السَّيِّئَانِ غَدَاةَ الرُّوحِ حَصَّتَهُ • وَعَامَلَ الرَّحْمَ أَرْوَاهُ مِنَ الْعَاقِ

قَدْ أَرَكِبُ الْهَوَلَ مَسْدُورًا عَسَا كُرُهُ • وَأَكْتُمُ السَّرْفِيَّةَ ضَرْبَةَ الْعَتَى

وَأَشْدَى لِلصِّلَانِ الْمَيْدَى

وَسُرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ * وَسُرُّ التَّلَاةِ غَيْرُ النَّصِي

وَكَانَ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَمَلَّ بِهَذِينَ الْبَيْتَيْنِ

وَلَا تُخْشِ سُرُّكَ إِلَّا إِلَيَّ * فَاتِ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا

فَإِنِّي رَأَيْتُ غُصَاةَ الرَّجَا * لِي لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا

وَقَالَ الشَّاعِرُ

وَمُرَاقِبَيْنِ تَكَامَا بِهِمَا * جَعَلَا الْقُلُوبَ لِمَا تُحِبُّ قُبُورًا

بِتَلَاخُطَانٍ تَلَاخُطًا فَكَأَمَّا * يَتَنَاسَخَانِ مِنَ الْخَفُونِ سُلُورًا

وَقَالَ مِسْكِينُ الدَّارِي

أَوَانِي رِجَالًا لَسْتُ أُطْلِعُ بَعْضَهُمْ * عَلَى مَرٍّ بَعْضُ غَيْرَ أُنَى جِاعُهُ

يَقْلُوبُونَ شَقِي فِي الْبِلَادِ وَسُرُّهُمْ * إِلَى حَضْرَةِ أُمَيَّا الرِّجَالِ انْصِدَاعُهُ

وَقَالَ (*)

وَلَوْ قَدَّرْتُ عَلَى نِسْيَانٍ مَا أَشْتَمَلْتُ * مَنَى الضُّلُوعِ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْخَبَرِ

لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سِرَّاهُ * إِذْ كُنْتُ مِنْ نَشْرَاهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرِ

أَسْرَجُلٍ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ حَدِيثًا فَلَمَّا اسْتَقْبَاهُ قَالَ لَهُ: أَفْهِمْتُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ نَسِيتُ.

قِيلَ لِأَعْرَابِي: كَيْفَ كِتَابُكَ لِلسَّرِّ؟ قَالَ: «مَا قَلْبِي لَهُ إِلَّا قَبْرٌ». وَقِيلَ لِمُزِيدٍ:

أَيُّ شَيْءٍ تَحْتَ حَضْرَتِكَ؟ فَقَالَ: يَا أَحْمَقُ لِمَ خَبَانُهُ. وَقَالَ الشَّاعِرُ

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثٍ * فَافْشِ الرِّجَالَ فَرْنَ تَلُومِ

إِذَا طَابَتْ مِنْ أَفْتَى حَدِيثِي * وَسَرَى عِنْدَهُ فَاذَا التَّلُومِ

وَأَيُّ حِينَ أَسَامَ حَمَلُ سَرَى * وَقَدْ ضَمَّتْهُ صَدْرِي سَوْدُومِ

(*) فِي النُّسَخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ: وَقَالَ أَمْرٌ. عَلَى أَنَا لَمْ تَسْرُ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ الْمُسْكِينُ الدَّارِي.

قيل لرجل : كيف كتابتك للسرا؟ قال : «أجحد الخسر وأحلف المستخير». وكان
يقال : «من وفى الأمر إعلانه قبل إحكامه». وقال الشاعر
إذا أنت حملت الخوون أمانة • فأنك قد أسننتها شرمسند

وقال عمرو بن العاص : «ما أستودعت رجلاً سرّاً فافشاه فلبته ، لآنى كنت أضيق
صديراً حين أستودعته». وقال

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها • فسرّك عند الناس أفتى وأضيع

وكان يقال : «من ضاق قلبه اتسع لسانه» .

وقال الوليد بن عتبة لأبيه : إن أمير المؤمنين أسرالى حديثاً ولا أراه يطوى
عنك ما يبسطه لغيرك ، أفلا أحدثك به؟ قال : لا يا بنى «لأنه من كتم سره كان الخیار
له ، ومن أفشاه كان الخیار عليه ، فلا تكون مملوكاً بعد أن كنت مالكا» قال قلت :
وإن هذا ليجرى بين الرجل وأبيه؟ قال : لا ، ولكنى أكره أن تذلّ لسانك بأحاديث
السرا . فحدثت به معاوية فقال : يا وليد ؟ أعتقك أحمى من رقب انطلا .

وفى كتب السج أن بعض ملوك فارس قال : «صونوا أسراركم فإنه لا سر لكم
إلا فى ثلاثة مواضع : ميكبة مُحَاوَل أو متريلة تُرَاوَل أو سريرة مدخولة تُكتم ،
ولا حاجة بأحد منكم فى ظهور رضى منها عنه» . وكان يقال : «ما كنت كاتم من
عدوك فلا تظهر عليه صديقك» .

وقال جميل بن ممر

أموت وألقى الله يابتن لم أبح • بسرّك والمستخرون كثير

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومي

ولما تلاقينا عرفنا الذى بها • كئيل الذى فى حدوك النمل بالنمل

قَالَتْ وَأَرْحَتِ جَانِبَ السِّرِّ إِنَّمَا * مَعِيَ تَكَلَّمُ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ أَهْلِي
قُلْتُ لَهَا مَا بِيَ لِمَ مِنْ رِقْبٍ * وَلَكِنْ سَرَى لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي
يُرِيدُ أَنَّهُ لَيْسَ يَحْمِلُهُ أَحَدٌ مِثْلِي فِي صَيَانَتِهِ وَسَقَرِهِ، أَيْ فَلَا أَبْدِيَهُ لِأَحَدٍ . وَقَالَ زُهَيْرُ
السَّرْدُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا * يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِرِّ
وَقَالَ آخَرُ

فَسَرَى كَمَا عَلَانِي وَتَكَ خَلِيقِي * وَطَلَمَةُ لَيْلٍ مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِيَا
وَقَالَ آخَرُ لِأَخٍ لَهُ وَحَدَّثَهُ بِحَدِيثٍ : اجْعَلْ هَذَا فِي وَعَاءٍ غَيْرِ سِرِّبٍ ، وَالسِّرِّبُ السَّائِلُ .
وَكَانَ يَقَالُ : «لِلْقَائِلِ عَلَى السَّامِعِ جَمْعُ الْبَالِ وَالْكَتَّانِ وَبَسَطُ الْعَذْرِ» . وَكَانَ يَقَالُ :
«الرَّعَايَةُ خَيْرٌ مِنَ الْإِسْتِرَاءِ» .

١٠ أَنَّى رَجُلٌ عُبِيدَ اللَّهُ بْنُ زِيَادٍ فَأَخْبَرَهُ : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ هَمَّامٍ السُّلُولِيَّ سَبَّهَ . فَأَرْسَلَ
إِلَيْهِ فَأَتَاهُ فَقَالَ : يَا بَنَ هَمَّامٍ إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّكَ قُلْتَ : كَذًا وَكَذًا . فَقَالَ ابْنُ هَمَّامٍ
فَأَنْتَ أَمَرُوا إِنَّمَا انْتَهَكْتَ خَالِيَا * نَفِثْتُ ، وَإِنَّمَا قُلْتُ قَوْلًا بِلَا عِلْمٍ
وَإِنَّكَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ أَتَيْتَهُ * لَنِي مِثْلُ بَيْنِ الْإِسْيَانَةِ وَالْإِيمِ
وَقَالَ آخَرُ

١٥ اخْفِضِ الصَّوْتِ إِنْ نَطَقْتَ بِبَلِيلٍ * وَالتَفِثْ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلَامِ
وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ
وَلَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أُمْتُمُهَا * وَلَا أَدْعُ الْأَسْرَارَ تَقْلِي عَلَى قَلْبِي
وَإِنَّ قَلِيلَ الْمَقْلِ مِنْ بَاتٍ لِيَلَهُ * تُقَلِّبُهُ الْأَسْرَارُ جَنِّبًا إِلَى جَنْبِ
وَقَالَ أَبُو الشَّيْخِ

٢٠ لَا تَأْمَنْ عَلَى سِرِّي وَسِرِّكُمْ * غَيْرِي وَغَيْرَكَ أَوْ يَكُنِ الْقَرَاطِمِسُ
أَوْ طَائِرٌ سَأَحْلِيهِ وَأَقْتَبِهِ * مَا زَالَ صَاحِبُ تَقْفِيرٍ وَتَأْسِيسِ

سُودَ بَرَأَيْتُهُ مَيْلَ دَوَائِبُهُ • صُفْرِ حَالِقِهِ فِي الْحَسَنِ مَعْمُوسُ
قَدْ كَانَ هَمَّ سَلْيَانٍ لِيَذْبَحَهُ • لَوْلَا سَمَائَتُهُ يَوْمًا يَلْقَيْسُ

وقال أيضا

أَفْضَى إِلَيْكَ بِسَرِّهِ قَلْمٌ • لَوْ كَانَ يَعْرِفُهُ بَكِي قَلَمُهُ

وقال مُسْلِمٌ بْنُ الْوَلِيدِ فِي الْكَتَابِ يَأْتِيكَ فِيهِ السَّرُّ

الْحَزْمُ تَحْرِيقُهُ إِنْ كُنْتَ ذَا حَذَرٍ • وَإِنَّمَا الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ
إِذَا أَتَاكَ وَقَدْ أَدَّى أَمَانَتَهُ • فَاجْعَلْ صِيَانَتَهُ فِي بَطْنِ أُرْمَاسِ

وقال آخر

سَاكُنْتُهُ سَرِّ وَأَحْفَظُ سَرَّهُ • وَلَا غَرْنِي أَنِي عَلَيْهِ كَرِيمٌ
حَلِيمٌ قَيْسَى أَوْ جَهْلٌ يُسْمِعُهُ • وَمَا النَّاسُ إِلَّا جَاهِلٌ وَحَلِيمٌ

١٠

الكتاب والرَّكَابَةُ

(١)

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهَ عَنْ وَهْبِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ
عَنِ الْحَسَنِ عَنْ عَمْرِو بْنِ قَلْبَبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "مَنْ أَشْرَاطُ
السَّاعَةِ أَنْ يَفِضَ الْمَالُ وَيُظْهَرَ الْقَلَمُ وَتُغْشَى التِّجَارُ" قَالَ عَمْرُو: "إِنْ كُنَّا لَنَتَمَسَّ
فِي الْحَوَاءِ الْعَظِيمِ الْكَتَابُ، وَيَبِيعُ الرَّجُلُ الْبَيْعَ فَيَقُولُ: حَتَّى أَسْتَأْذِنَ تاجرِي بَنِي فَلَانٍ."
حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبَانَ عَنْ عَنَسَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيِّ
عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَادَانَ عَنْ أُمِّ سَعْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُمَلِّي فِي بَعْضِ حَوَائِجِهِ فَقَالَ "ضَعْ الْقَلَمَ عَلَى أُذُنِكَ فَإِنَّهُ أَذْكُرٌ لِلْعَمَلِ بِهِ".

١٥

(١) كَذَا بِالْفَتْوْرِغْرَافَةِ. وَفِي الْأَلْمَانِيَةِ «عِيدُ اللَّهِ» وَلَعَلَّهُ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ بْنُ دُبَارٍ الْعَبْدِيُّ رَأَى الْحَدِيثَ

كَثِيرًا مِنَ الْحَسَنِ الْبَصَرِيِّ وَفِيهِ • (٢) الْحَوَاءُ مُجْتَمِعُ بُيُوتِ الْهَيَا إِذَا تَدَاعَتْ •

٢٠

وحدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال: «كان إدريس النبي عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب وليسما وكان من قبله يلبسون الجلود» .

- حدثنا إسماعيل بن راهويه قال: أخبرنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عياض ابن أبي موسى أن عمر بن الخطاب قال لأبي موسى: أدع لي كاتبك ليقرا لنا محففا جاءت من الشام . فقال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد . قال عمر: أله جناية؟ قال: لا، ولكنه نصراني . قال: فرقع يده فضرب نخذه حتى كاد يكسرها ثم قال مالك! فأنك الله! أما سمعت قول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَئِكَ لَا يَتَخَذُوا الْإِنْسَانَ إِلَّا نَجْسًا) فقال أبو موسى: له دينه ولي كتابته . فقال عمر: «لا أكرههم إذ آهانهم الله ولا أعزهم إذ أنعم الله ولا أدينهم إذ أقصاهم الله» .

- حدثنا إسماعيل بن راهويه قال أخبرنا عيسى بن يونس قال حدثنا أبو حيان التميمي عن أبي زيناب عن أبي النعمان قال: ذكر لعمر ابن الخطاب غلام حافظ من أهل الحيرة وكان نصرانيا، فقيل له: لو اتخذته كاتباً . فقال «لقد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين» .

حدثني أبو حاتم قال: مرّ امرئ بن مروة من أهل الأتبار وهو الذي وضع كتابة العربية، ومن الأتبار انتشرت في الناس .

(*) هكذا في النسخة الفوتوغرافية والألمانية . والذي في القاموس: ومرامر بن مرة بضمها أول من وضع الخط العربي . ونقل صاحب اللسان عن ابن القطاي ما يوافق عبارة صاحب القاموس ثم قال: قال ابن بري: الذي ذكره ابن النحاس وغيره عن المباشي أنه مرامر بن مروة .

حدثني أبو سهل عن الطنّافسي عن المنكدر بن محمد عن أبيه محمد بن المنكدر قال جاء الزبير بن العوام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف أصبحت ؟ جملني الله فذاك ! قال " ما تركت أعرايتك بعد " .

قال عبد الملك ابن مراون لأخيه عبد العزيز حين وجهه إلى مصر : « تفقد كاتبك وحاجبك وجلسك ، فانّ النائب يخبره عنك كاتبك ، والمتوسّم يعرفك بحاجبك ، والداخلُ عليك يعرفك بجلوسك » .

ابن أبي الزناد عن أبيه قال : كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز فكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم فيراجعه ، فكتب إليه : « إنه يُخيل إلى أني لو كتبتُ إليك أن تُعطي رجلاً شاة لكتبتَ إلى : أضأن أم ماعز ، ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتَ : أذكر أم أخى ، ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتَ : أصغير أم كبير . فانّا أذاك كتابي هنا فلا تُراجعن في مظلمة » .

وكتب أبو جعفر إلى سلم بن قتيبة يأمره بهدم دُورٍ من نخرج مع إبراهيم وعقرو نخلهم . فكتب إليه : بأى ذلك تبدأ أبا النخل أم بالدور ؟ فكتب إليه أبو جعفر . « أما بعد ، فاني لو أمرتك بافساد تمرهم لكتبتَ إلى تستاذن في أيّة تبدأ أبا البرقي أم بالشهريز ؟ » وعزله ، وولى محمد بن سليمان . وكان يقول : « للكتاب على الملك ثلاثة ، رفع الحجاب عنه ، وإتهام الوشاة عليه ، وإفشاء السرّ إليه » .

كانت العجم تقول : « من لم يكن عالماً بأجراء المياه وبمقفر قُرض الماء والمسارب ورَدَم المَهاوى ومجاري الأيام في الزيادة والنقصان واستهلاك القمر وأفعاله ووَزَن الموازين

(١) في التنويرانية : سلام وهو تحريف .

(٢) في التنويرانية فرض المتشاب .

وَدَرَعَ الْمُتَلَتِّ وَالْمُرَجَّ وَالْمُخْتَلِفَ الزَّوَايا وَنَصَبَ الْقَنَاطِرَ وَالْجُسُورَ وَالنَّوَالِيَّ وَالنَّوَاغِرَ عَلَى الْمِيَاهِ وَحَالَ أَدْوَاتِ الصَّنَاعِ وَدَقَاقِي الْحِسَابِ كَانَ نَاقِصًا فِي حَالِ تَمَاجِيهِ .

قال تميم بن ميمون «إذا كانت لك إلى كاتب حاجة فليكن رسولك إليه الطعم» .
وقال : «إذا آخيت الوزير فلا تخش الأمير» .

- وفي كتاب للهند : «إذا كان الوزير يساوى الملك في المال والهيبة والطاعة من الناس فليصرعه الملك، وإن لم يفعل فليعلم أنه هو المصروع» .

المدايني قال : خلا زياد يوما في أمر ينظر فيه وعنده كاتب له يكتب وإبنيه حبيد الله، فمضى زياد فقال لعبيد الله: تمهد هنا لا يكتب شيئا، وتام، فوجد عبيد الله مَسَا من البول ففكر أن يوقظ أباه وكره أن يُجِلَّ الكاتب فشد إبهامه بخيط وختمه وقام لحاجته .

١٠

قال أبو عباد الكاتب: ما جلس أحد قط بين يدي إلا تخيل إلى أنى جالس بين يديه .
وقرأت في التاج أن أبروز قال لكاتبه : «أكرم السر واصدق الحديث واجتهد في النصيحة واحترم بالحذر، فإن لك على أن لا أعجل بك حتى أستاذني لك ولا أقبل عليك قولاً حتى أستيقن ولا أطعم فيك أحدا فيفتالك . واعلم أنك بمنجاة رفيعة فلا تعطلها وفي ظل مملكة فلا تسترلته، وقارب الناس مجاملة عن نفسك وباعد الناس مشايحة^(*) من عدوك واقصد إلى الجميل أدراغا لعدك وتحصن بالغاف صونا لمروءتك وتحصن عندى بما قدرت عليه من حسن ولا تشرعن الأكسنة فيك ولا تقبحن الأحذوتك عنك ورض نفسك صون الذرة الصافية وأخلصها إخلاص الفضة البيضاء وعاتها معاينة الحذر المشفق وحصنها تحصين المدينة المنية . لا تدعن أن ترفع إلى الصغير، فانه يدل على الكبير ولا تكتمن الكبير فانه ليس شاعلي عن

٢٠

(*) مشايحة : محاذرة .

- الصغير . هذب أمورك ثم ألقى بها وأحكم لسانك ثم راجني به ولا تجترئ على فامتنع ولا تنقبض مني فاتهم ولا تخرصن ما تلقاني به ولا تحذجنه . وإذا فكرت فلا تعجل وإذا كتبت فلا تمسدر ، ولا تستعين بالفضول فانها علاوة على الكفاية ولا تنصرون عن التحقيق فانها هجنة بالمقالة ولا تليسن كلاما بكلام ولا تباعدن معنى عن معنى . أكرم كتابك عن ثلاث : خضوع يستخفه ، وانتشار ينجسه ، ومعان تفتد به ، وأجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول ، وليكن بسطة كتابك على السوق كبسطة ملك الملوك على الملوك ، ولا يكن ماتملك عظيما وما تقول صغيرا فانما كلام الكاتب على مقدار الملك فاجعله عاليا كملؤه وفاقا كفقوه . واعلم أن جماع الكلام كله خصال أربع : سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرك بالشيء ، ونهيك عن الشيء . ١٠ فهذه انحلالات دعائم المقالات إن اتس لها خامس لم يوجد وإن نقص منها رابع لم تتم ، فاذا أسررت فأحكم واذا سألت فأوضح واذا طلبت فأبشج واذا أخبرت فحقق فانك اذا فعلت ذلك أخذت بحزامير القول كله فلم يشبه عليك وارده ولم يسجرك منه صادره . أثبت في دواوينك ما أدخلت وأحص فيها ما أخرجت وتيقظ لما تأخذ وتجرّد لما تعطى ولا ينلبيك النسيان عن الإحصاء ولا الأثارة عن التفتق ولا تخرجن وزن قيراط في غير حق ولا تعظمن إنعراج الكثير في الحق ، وليكن ذلك ١٥ كله عن مؤامرتي » .

قال رجل لبنيه : « يا بني تروا بزي الكتاب فان فيهم أدب الملوك وتواضع السوق » .

- قال الكسائي : « لقيت أعرابيا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف وعن الشيء بعد الشيء أقرنه بغيره فقال : يا لله ! ما رأيت رجلا أقدر ، على كلمة الى جنب ٢٠ كلمة أشبه شيء بها وأبعد شيء منها ، منك ! » .

وقال ابن الأعرابي: «رأى أعرابي وأنا أكتب الكلمة بعد الكلمة من أقاله فقال إنك لحثف الكلمة الشroud» .

وقال رجل من أهل المدينة: «جلست الى قوم ببغداد ف رأيت أوزن من أحلامهم ولا أطيش من أقلامهم» .

- وكتب بعض الكتاب الى صديق له: «وصل الى كاك ف رأيت كتابا أسهل فنونا ولا أملس متونا ولا أكثر عيوننا ولا أحسن مقاطع ومطالع ولا أشد على كل مفصل حزا منه. أنجزت فيه عتة الرأي وبشرى القراسة وطاد الظن بك يقينا والأمل فيك مبلوتا» .

ويقال: «عقول الرجال في أطراف أقلامها» .

- ١٠ ويقال: «القلم أحد اللسانين وخفة العيال أحد اليسارين وتجيل اليأس أحد الظفرين وإملاك المبعين أحد الرعين وحسن التقدير أحد الكاسيين وألبن أحد الحميمين» . وقد يقال: المرق أحد الحميمين .

- قيل لبعضهم: إن فلانا لا يكتب، فقال: تلك الزمانة الخفية . وقرأت في بعض كتب المعجم أن موبذات موبذ وصف الكتاب فقال: «كتاب الملوكة عبيتهم المصونة عندهم وأذانهم الواعية وألسنتهم الشاهدة، لأنه ليس أحد أعظم سعادة من وزراء الملوكة إذا سمعت الملوكة، ولا أقرب هلكة من وزراء الملوكة إذا هلكت الملوكة، فترفع التهمة عن الوزراء إذا صارت نصائحهم للوكة نصائحهم لأنفسهم، وعظم الثقة بهم حين صار اجتباؤهم للوكة اجتباؤهم لأنفسهم فلا يتهم روح على جسده ولا يتهم جسده على روحه لأن زوال ألفتها زوال نعمتها، وأن التثام ألفتها صلاح خاصتها» .

وقال

ثَنَ ذَهَبُ إِلَى الْجَنَاحِ يَتَلَوُّ * إِنْ لَأَحَقُّ مِنْ تَجَدُّدِي بِهِ الْعَبْرُ
مُسْتَحَقًّا مُخَفًّا تَدْمِي طَوَائِفَهَا * وَفِي الصَّمَاتِ حَيَاتٌ مَنَّا كَبْرُ

وقال بعض الشعراء في القلم

عَجِبْتُ لِمَنْ سَيِّئَ فِي الْمَاءِ نَبْطُهُ * لَهُ أَثَرٌ فِي كُلِّ مَصْرِ وَمَعْبَرِ

وقال بعض المحدثين في القلم

ضَلِيلُ الرِّوَاءِ كَبِيرُ الْقَنَاءِ * مِنْ الْبَحْرِ فِي الْمَنْصِبِ الْأَخْضَرِ
كَتَلُ أُنَى الْمَشَقِّ فِي مُخَصِّصِهِ * وَفِي لَوْنِهِ مِنْ بَنَى الْأَصْفَرِ
يَمُزُّ كَهَيْئَةِ مَرِّ الشَّجَا * عِزٌّ فِي دِفْعِ عَيْنِيَةِ الْأَخْضَرِ
إِذَا رَأَيْتُهُ مَعَ لَمْ يَنْبُتْ * وَجَازَ السَّبِيلَ وَلَمْ يَبْصُرِ
وَإِنْ مُدِيَهُ صَدَّتْ رَأْسُهُ * جَرَى جَرَى لَا هَائِبَ مُقْصِرِ
يَقْضَى مَا رَبَّهَ مَقْبِلًا * وَيُخَيِّمُهَا هَيْئَةُ الْمُدِيرِ
تَجُودُ بِكَفِّ قَتَى كَفَّهُ * تَسُوقُ الثَّرَاءَ إِلَى الْمَعْرِ

وقال حبيب الطائي يصف القلم

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بَشَّابَتُهُ * يَصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ وَالْمَقَابِلِ
لِحَابِ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لِعَابُهُ * وَأَزَى الْجَنَى أَشَارَتُهُ أَيْدِ عَوَاسِلِ
لَهُ رِيقَةٌ طَلٌّ وَلِصْقٌ وَقَعُهَا * بِأَثَرِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ وَابِلِ
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ * وَأَعْيَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلِ
إِذَا مَا أَمْتَلَى الْخَمْسَ اللَّطَافِ وَأَفْرِغَتْ * عَلَيْهِ شِمَابُ الْفَكْرِ وَهِيَ حَوَافِلِ
أَطَاعَتِهِ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوُّضَتْ * لِنَجْوَاهِ تَقْوِيصُ الْخِلَامِ الْجَاهِلِ
تَرَاهُ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مَرْمَقٌ * صَنَى وَمِيمَا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاسِلِ

وقال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي يصف القلم

وأسم طاولي الكشح أنرس ناطقي * له ذملاكت في بطون المهازي
إذا استجلبته الكف أمطر خاله * بلاصوت إرداد ولا ضوء بارقي
كان الآلاتي والبرجد نطقه * ونور الخزامي في بطون الحدائق

وقال بعض المحدثين يمدح كتابا

وإذا تالقي في الندي كلامه ألت منظم خلت لسانه من غضبه
وإذا دجت أقلامه ثم اتججت * برقت مصابيح الدجى في كتبه
باللفظ يقرب فهمه في بعده * منا ويعد نيله في قربه
حكم فسانمها خلال بناته * متدفق وقليها في قلبه
كالروض مؤتلف بحجرة نوره * وبياض زهرته وخضرة عشب

وقال سعيد بن حميد يصف المود

وناطقي بلسان لا ضميره * كأنه تغذ نيظت الى قدم
يُبدى ضمير سواه في الكلام كما * يُبدى ضمير سواه منطلق القلم

بعث الطائي الى الحسن بن وهب بدواة ابنوس وكتب اليه

قد بعثنا إليك أم المنايا * والعطايا زنجية الأحساب
في حشاها من غير حرب حراب * هي أمضى من مرهقات الحراب

وقال ابن أبي كريمة يصف الدواة والقلم

ومسوذة الأرجاء قد خضت مامعا * وورقت من قعرها غير مُنبت
نحيص الحشا يروى على كل مشرب * أمينا على سر الأمير المسلط

وقال بعض أهل الأدب : إننا قيل "ديوان" لموضع الكتبة والحساب لأنه يقال : للكتاب بالفتارسية "ديوان" أى شياطين، لحذفهم بالأمور ولطفهم فسمى موضعهم باسمهم .

وقال آخر : إنما قيل لمدير الأمور عن الملك "وزير" من الوزر وهو الحمل يراد أنه يحمل عنه من الأمور مثل الأوزار وهى الأحمال ، قال الله عز وجل (وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ رَبِّنَا الْقَوْمِ) أى أحمالا من حلهم ، ولهذا قيل للإثم : وزر، شبه بالحمل على الظهر، قال الله تبارك وتعالى (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ) .

وكان الناس يستحسنون لأبى نواس قوله

يا كاتباً كتب الغداة يسئلى * من ذا يطبق براعة الكتاب
لم ترض بالإعجام حين سببى * حتى شككت عليه الإعراب ١٠
وأردت إفهامى فقد أنعمتلى * وصدقت فيما قلت غير محابى

وقال آخر

يا كاتباً تسئراً أقلامه * من كفه دُرّاً على الأسطر
وقال عدي بن الرقاع

صلى الله على امرئ ودعته * وأتم نعمته عليه وزادها ١٥
ومنه أخذ الكتاب : وأتم نعمته عليك وزاد فيها عندك .

وقال حاتم طي في معنى قولهم مُتَّ قبلك

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا * بموت فكن أنت الذى نتأخر
وقال جرير في معناه .

رُدِّى فؤادى وكوفى لى بمترلى * يا قبل نفسك لاقى نفسى التلث ٢٠

كتب بعض الملوك الى بعض الكُتّاب كتابا دعا له فيه بأمر الله بك ، فكتب اليه ذلك الكاتب

أُحِلَّتْ عَمَّا عَهِدْتُ مِنْ أَدَبِكَ * أَمْ تَلَتْ مُلْكَاقِيَّتْ فِي كِتَابِكَ
أَمْ هَلْ تَرَى أَنْفَ فِي التَّوَاضُعِ لِلْأَخْوَانِ هَمَّا عَلَيْكَ فِي حَسَبِكَ
أَمْ كَانَمَا كَانَ مِنْكَ عَنْ غَضَبٍ * فَأَيُّ شَيْءٍ أَذْنَاكَ مِنْ غَضَبِكَ
إِنِّي جَفَاءُ كِتَابٍ ذِي مِقَّةٍ * يُكْتَبُ فِي صَدْرِهِ : وَأَمْنٌ بِكَ

وقال الأحمى في البرامكة

إِذَا ذُكِرَ الشَّرْكَ فِي مَجْلِسٍ * أَثَارَتْ وَجْوهُ بَنِي بَرْمَكٍ
وَإِن تُلَيْتَ عَنْهُمْ آيَةً * أَتَوَّأ بِالْأَحَادِيثِ عَنْ مَرْوَكٍ^(٢)

وقال آخر

إِن الْقَصْرَاعَ دَعَانِي * إِلَى آبَتَاهُ الْمَسَاجِدِ
وَإِن رَأَيْتَ فِيهَا * كَرَأَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ

مرَّ عبد الله بن المقفع بيت النار، قال

يَا بَيْتَ عَاتِكَةِ الَّذِي أُنْعَزَلُ * حَذَرَ الْعَدَا وَبِهِ الْقَوَادِ مُوَكَّلُ

وقال دِعْجَلُ فِي أَبِي عِبَادٍ

أَوَّلَى الْأُمُورِ بَصِيحَةٌ وَفَسَادُ * أَمْرٍ يَدْبُرُهُ أَبُو عِبَادٍ
حَتَّى عَلَى جُلُوسَاتِهِ بَدَوَاتُهُ * فَمُرْمَلٌ وَمَضْمُخٌ بِمَسَادٍ
وَكَانَهُ مِنْ دَيْرِهِ قُلُومٌ مُقْلَتٌ * حَرْدٌ يَمِيزُ سِلَاسِلَ الْأَقْيَادِ

(١) هذا ما كتبه عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المتعم . أنظر هذا الشعر ورد

ابن الزيات عليه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٤

(٢) كذا بالأصلين الفتوغرافي والألماني وهو محرف عن " مرزك " واليه ينسب المزدكية ، وقد خرج في أيام قباذ بن فيروز قبل شريعة زرادشت واستحل الحارم وسقى بين الناس في الأموال والنساء والعبيد فكثر أتباعه وعظم شأنه وتبع قباذ نفسه ولم يزل كذلك حتى ولي كسرى أنوشروان قتلته وأباد أتباعه اه باختصار من ابن الأثير . وقد ورد البيتان في البيان والبيان لملاحظ .

حياتات العمال

حدثنا إسحاق بن راهويه قال: دُكر لنا أن امرأة من قريش كان بينها وبين رجل خصومة فأراد أن يناصمها إلى عمر فأهدت المرأة إلى عمر نغذ جزور ثم خاصمته إليه فوجه القضاء عليها، قالت: يا أمير المؤمنين، انفصل القضاء بيننا كما انفصل نغذ الجزور. ف قضى عليها عمر وقال: إياكم والمدايا. وذكر القصة.

قال إسحاق: كان الجحاج استعمل المغيرة بن عبيد الله الثقفي على الكوفة فكان يقضى بين الناس، فأهدى إليه رجل سراجاً من شبيه ^(١) وبلغ ذلك خصمه فبعث إليه ببغلة. فلما اجتمعا عند المغيرة جعل يحمل على صاحب السراج وجعل صاحب السراج يقول: إن أمرى أضوأ من السراج. فلما أكثر عليه قال: ويحك إن البغلة رحمت السراج فكسرتة.

حدثنا إسحاق قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا حماد بن سامة عن الجريري عن أبي بصرة عن الربيع بن زياد الحارثي أنه وفد إلى عمر فأعجبته هيئته ونحوه، فشكا عمر طعاماً غليظاً يأكله. فقال الربيع: يا أمير المؤمنين، إن أحق الناس بمطعم طيب وملبس لين ومركب وطىء لأنت. فضرب رأسه بمريدة وقال: والله ما أردت بهذا إلا مقاربتى، وإن كنت لأحسب أن فيك خيراً. ألا أخبرك بمثل ومثل هؤلاء، إنما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفنوا نفقاتهم إلى رجل منهم وقالوا ألقها علينا. فهل له أن يستأثر عليهم بشيء؟ قال الربيع: لا.

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا هنيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال: لما أتى عمر تاج كسرى ومواريه جعل قلبه يعود في يده ويقول: والله إن الذي أدى

(١) النطاس الأصفر. (٢) كذا بالأصل غير مضبوط، ولعله الجريري صيغة الصغير وهو سعيد ابن إلياس الجريري، وقد جافى تهذيب التهذيب وفي الأنساب للسمعاني أن من جملة من روى عنه الحمادان: حماد بن سلمة وحماد بن زيد.

اليَا هَذَا لِأَمِينٍ . قَالَ رَجُلٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ أَمِينٌ اللَّهُ يُؤْتُونَكَ مَا أَدَيْتَ
إِلَى اللَّهِ فَإِنَّا رَفَعْنَا رَعْوَاهُ . قَالَ : صَدَقْتَ .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاشِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : لَمَّا أُتِيَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَالِ أَقْعَدَ يَدَيْهِ
الْوِزَانَ وَالْقَادَ فَكُوِّمَ كُوْمَةً مِنْ ذَهَبٍ وَكُوْمَةً مِنْ فِضَّةٍ وَقَالَ : يَا حِمْرَاءُ وَيَا بَيْضَاءُ
احْمَرِّي وَابْيَضِي وَغَرِّي غَرِّي . وَأَنشَدَ

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ * أَذْكَلُ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي
خَالِدٍ عَنْ عَاصِمٍ قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا بَسَّتَ عَامِلًا يَشْتَرِطُ عَلَيْهِ أَرْبَعًا :
أَلَّا يَرْكَبَ الْبَرَّادِينَ ، وَلَا يَلْبَسَ الرِّقِيقَ ، وَلَا يَأْكُلَ النَّقْيَ ، وَلَا يَتَّخِذَ بَوَابًا . وَصَرَّ بِنَاءُ
يُنِي بِمَجَارَةٍ وَجَسَّ قَالَ : لِمَنْ هَذَا ؟ فَذَكَرُوا عَامِلًا لَهُ عَلَى الْبَحْرَيْنِ فَقَالَ : «أَبَتْ
الدَّرَاهِمُ إِلَّا أَنْ تُخْرِجَ أَعْنَاقَهَا» وَشَاطِرُهُ مَالُهُ . وَكَانَ يَقُولُ : «لِي عَلَى كُلِّ خَائِنٍ أَمِيتَانِ
الْمَاءُ وَالطِّينُ» .

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبٍ الشَّيْبِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا قُرَيْشُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ سَعِيدٍ
عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : جَاءَ كِتَابُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى وَالِيهِ : أَنْ دَعَى لِأَهْلِ الْخُرَاجِ مِنْ أَهْلِ
الْقُرَاتِ مَا يَتَخْتَمُونَ بِهِ الذَّهَبَ وَيَلْبَسُونَ الطَّيَالَةَ وَيَرْكَبُونَ الْبَرَّادِينَ وَخَذَ الْقَضْلُ .
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ هُوْدَةَ عَنْ عَوْفٍ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ ^(١) [وَأِسْحَاقُ عَنْ النَّضْرِينِ ^(٢)
تُكْمِيلَ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ] بِمَعْنَاهُ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ أَبُو هُرَيْرَةَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ
قَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّ كِتَابِهِ ، أَسْرَقْتَ مَالَ اللَّهِ ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَسْتُ بِعَدُوِّ اللَّهِ

(١) فِي النُّسخَةِ الْقُتُورِيَّةِ : «مُحَمَّدٌ» وَالْأَسْمَانُ وَارِدَانِ سَا فِي تَهْذِيبِ الْكَلَالِ فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ . وَلَيْسَ
فِي تَرْجُمَةٍ أَحَدُهُمَا مَنْ يَرَوِي عَنْ هُوْدَةَ هَذَا ، وَلَمَّا رَوَى الْأَلْمَانِيُّ هِيَ الْعُرُوبُ حَيْثُ تَقْدِمُ كَثِيرًا أَنَّ ابْنَ
تَهْمَةَ يَرَوِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ هَذَا . (٢) زِيَادَةُ لَازِمَةٌ مِنَ النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ .

ولا عدو كتابه ولكني عدو من ماداهما ولم أسرق مال الله . قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم ؟ قال : خيلي تاسلت وعطائي تلاحق وسهامي تباغت فقبضتها منه . قال أبو هريرة : فلما صليت الصبح استغفرت لأمر المؤمنين ثم قال لي عمر بعد ذلك : ألا تعمل ؟ قلت : لا . قال : قد عمل من هو خير منك يوسف . قلت : يوسف بنى ابن نبي وأنا ابن أُمَيَّة ^(١) أخشى ثلاثا واثنين . قال فهلا قلت نحسا ؟ قلت : أخشى أن أقول بنير علم ، وأحكم بنير حلم ، وأخشى أن يضرب ظهري ، ويشتم عرضي ، ويترع مالي .

حدثنا محمد بن داود عن نصر بن قُذَيْد عن إبراهيم بن المبارك عن مالك بن دينار أنه دخل على بلال بن أبي بُرْدَة وهو أمير البصرة فقال : أيها الأمير ، إني قرأت في بعض الكتب : « من أحق من السلطان ومن أجهل من عصاني ومن أعز من أعزني . أيا راعى السوء دفعت إليك غنا سمانا سحاحا فأكلت اللحم وشربت اللبن واتلمت بالسمن ولبست الصوف وتركها عظاما تنقع » .

حدثني محمد بن شَبَابَة عن القاسم بن الحكم العُزَينِي القَاضِي قال حدثني اسماعيل ابن عِيَّاش عن أبي محمد القرشي عن رَجَاء بن حَيَّوَة عن ابن عُمرَة قال : إني لثحت منبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجارية حين قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، اقرءوا القرآن تُعرفوا به وأعملوا به تكونوا من أهله . إنه لن يبلغ فوحي في حقه أن يطاع في معصية الله . ألا إنه لن يبعد من رزق الله ولن يقرب من أجل أن يقول المرء حقا وأن يذکر عظيم . ألا وإني ما وجدت صلاح ما ولآني الله إلا بثلاث : أداء الأمانة ، والأخذ بالقوة ، والحكم بما أنزل الله . ألا وإني ما وجدت

(١) اسم أبي هريرة . (٢) في النسخة الألمانية : ومن آخر من اخترني .

(٣) في الألمانية : « غمرة » ولعل الصواب ما في المتن غمرانية حيث ذكر في ترجمة رجاء بن حيوة أن من شربته المسود بن غمرة .

صلاح هذا المال إلا بثلاث : أن يؤخذ من حق ، ويعطى في حق ، ويعم من باطل . ألا وإنا أنا في مالكم هذا كوالى اليتم إن استغثت استغثت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، تَهْرَمُ الْبَهْمَةُ .

- بلغنى عن محمد بن صالح عن بكر بن خُنَيس عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : « كان زياد إذا ولى رجلا قل له : خذ عهدك وسِرِّالى عملك واعلم أنك مصروفٌ •
- رأس سنك وأنت تعبر الى أربع خلال فاحتر لنفسك : إنا إن وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلنا بك لضعفك وسأمتك من معزتنا أمانتك ، وإن وجدناك خائناً قويا استهنا بقوتك وأحسننا على خيانتك أدبك فأوجعنا ظهرك وأقلنا غرمك ، وإن جمعت علينا الجرمين جمنا عليك المضرتين ، وإن وجدناك أميناً قويا زدناك في عملك ورفضنا لك ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك » .

١٠

قال العتيبي : بُعث الى عمر بن الخطاب فاقسمها فأصاب كل رجل ثوب فصعد المنبر وعليه حلة ، والحلة ثوبان ، فقال : أيها الناس ألا تسمعون . فقال سليمان : لا نسمع . قال : ولم يا أبا عبد الله ؟ قال : لأنك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك حلة . قال : لا تعجل يا أبا عبد الله . ثم نادى يا عبد الله فلم يجبه أحد ، فقال : يا عبد الله بن عمر . قال : لييك يا أمير المؤمنين . قال : نشدتك بالله ، التوب الذى أُنْزِرْتُ به هو ثوبك ؟ قال : ١٥ اللهم نعم . فقال سليمان رضى الله عنه : أما الآن فقل نسمع .

بلغنى عن حفص بن عمران الرازى عن الحسن بن عُمار عن المُنْهال بن عمرو قال : قال معاوية لشداد بن عمرو بن أوس : قم فاذا كر علينا فننقصه فقام شداد فقال : « الحمد لله

(*) كذا بالأصل ، وفي القاموس : واتزربه وتآزر به ولا تقل اتزرو وقد جاء في بعض الأحاديث ولعله من تحريف الرواة اهـ . وفي النهاية لابن الأثير أنه خطأ لأن الهزوة لا تدغم في التاء . وفي التاج : وقال المازنى أنه لغة عامية ثم قل من الصاغاني أنه يجوز أن تقول اتزرو بالمرأى أيضا فين يدغم الهزوة في التاء كما يقال إئتته والأصل إئتته .

٢٠

- الذى اقترض طاعته على عباده وجعل رضاء عند أهل التقوى أثر من رضا غيره . على ذلك مضى أولم وعليه يمضى آخرهم . أيها الناس إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، وإن الدنيا عرض حاضرياً كل منها البر والقاجر، وإن السامع المطيع لائحة عليه وإن السامع العاصي لائحة له . وإن الله جل وعز إذا أراد بالناس صلاحاً عمل عليهم صلحهم وقضى بينهم فقههم وجعل المال في شُبعائهم ، وإذا أراد بالعباد شراً عمل عليهم سفههم وقضى بينهم جهلهم وجعل المال عند بخلائهم . وإن من صلاح الولاء أن يصلح قرنائها . نصحك يا معاوية من أمخطك بالحق وعثك من أرضك بالباطل » فقال له معاوية : اجلس . وأمر له بحال ، وقال : ألسنتُ من السمحاء ؟ قال : إن كان مالك دون مال المسلمين تعدت جمعه غافة تبعته فأصبته حلالاً وأغفقتة إفضالاً ، فتم . وإن كان مما شارك فيه المسلمون فأحسنته دونهم ، أصبته اقترافاً وأغفقتة إسرافاً ، فإن الله عز وجل يقول (إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) .
- مر عمرو بن عُبيد بجاعة عكوف ، فقال ما هذا ؟ قالوا : سارق يقطع . فقال : لا إله إلا الله ، سارق السرى يقطعه سارق العلانية ! .
- ومر طارقٌ صاحب شُرطة خالد القسرى بابن شبرمة ، وطارق في موكبه فقال ابن شبرمة ١٥
أراها وإن كانت تُحِبُّ كأنها * محابةٌ صيف عن قريب تَقَشُّعُ
- اللهم لى دبنى ولم دنياهم . فاستمحل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء ، فقال له ابنه : أتذكر يوم مر بك طارق في موكبه وقلت ما قلت ؟ فقال : يا بُنى ، إنهم يحدون مثل أبيك ولا يحد مثلهم أبوك . إن أباك أكل من حلواتهم وحط في أهوائهم .
- ولى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينة مستين فأحسن السيرة وعف عن ٢٠
أموال الناس ثم عزل فاجتمعوا اليه فأنشد لمرّاج الضبائى .

فلا السجن أبكاني ولا القيد شقني * ولا أني من خشية الموت أجزع
ولكن أقوما أخاف عليهم * إذ امتُّ أن يُطوا الذي كنت أمتع
ثم قال : والله ما أسفت على هذه الولاية ولكني أخشى أن يلى هذه الوجوه
من لا يرى لها حقها .

- ووجدت في كتاب لعل بن أبي طالب كرم الله وجهه الى ابن عباس حين أخذ
من مال البصرة ما أخذ : « إني أشركك في أمانتي ولم يكن رجل من أهل أوتق
منك في نفسي ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب ، والمدق قد حرب قلبت
لابن عمك ظهر المجن برفاقه مع المفارقين وخذلانه مع الخاذلين واختطفت ما قدرت
عليه من أموال الأمة اختطاف الذئب الأزل دامية المفزى » وفي الكتاب : « صم^(*)
رويدا فكان قد بلغت المدى وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي به ينأى المفتر
بالحسرة ويتقى المضيق التوبة والنظام الرجعة » .

وفي كتاب لعمر بن عبد العزيز الى عدى بن أرطاة : « غرتني منك مجالستك القراء
وعمامتك السوداء فلما بلوتك وجدناك على خلاف ما أثلناك ، فاطمك الله ! أما تمشون
بين القبور ! » .

- قال ابن أحرير ذكر عمال الصدقة
• إن اليباب التي يُخفون مُشربة * فيها البيان ويُلوى عندك الخبر
فاجت الهم لحاسبهم محاسبة * لا تخف عين على مين ولا أثر
هل في الثماني من السبعين مظلمة * وربها بكتاب الله مصطبر
وقال عبد الله بن همام السلولي

- أقبل على اللوم يا أم ملك * وذمى زمانا ساد فيه القلايس

(*) صم من خبث الغم اذا رعبها في الضحى ، أى ارج فضك على مهل فانما أنت على شرف الموت .

وساج مع السلطان ليس بناسح * و"مختارين من مثله وهو حارس" (٥)

قدم بعض عمال السلطان من عمل فدعا قوما فاطعمهم وجعل يحثهم بالكذب ، فقال بعضهم : نحن كما قال الله عز وجل (سَمِعُونَ اللَّكْظَ أَكْأَلُونَ السُّخْتِ) . قال بعض الشعراء

ما ظنكم بأناس خير كسبهم * مصرح السحت سموه الإصابات
وقال أبو نواس في إسماعيل بن صبيح

بنيت بما خنت الامام سقاية * فلا شربوا إلا أمر من الصبر
فما كنت إلا مثل بائعة آستها * تعود على المرضي به طلب الأجر
يريد معنى الحديث أن امرأة كانت في بني إسرائيل ترى بحب الرتان وتصدق به على المرضى .

وقال فيه أيضا محمد الأمين ١٠

ألست أمين الله سيفك نعمة * اذا ما في يوما في خلافتك مائق
فكيف بإسماعيل يسلم مثله * عليك ولم يسلم عليك متائق
أعيزك بالرحمن من شر كاتب * له قلم زان وآخر سارق
وقال فيه أيضا

ألا قل لإسماعيل إنك شارب * بكأس بني ما هان ضربة لازم ١٥

أنسمن أولاد الطريد ورهطه * ياهزال آل الله من نسل هاشم
وتخبر من لايت أنك صائم * وتصدو بفرج مقطر غير صائم
فإن يسر إسماعيل في بقراته * فليس أمير المؤمنين بناسم

ولي حارثة بن بدر "سرق" فكتب إليه أنس الدؤلي

أحار بن بدر قد وليت ولاية * فكن جردا فيها تخون وتسرق ٢٠

(*) مثل يضرب للرجل يرتين على حفظ شيء لا يؤمن أن يخرن فيه ، كما في لسان العرب .

وبار تهما بالغنى إن للفنى * لسانه المرء المسيب ينطق
فإن جميع الناس إما مكذب * يقول بما يهوى وإما مصدق
يقولون أقوالا ولا يعامونها * وإن قيل هاتوا حقا لم يحققوا
ولا تحقروا يا حارسينا أصبته * حفظك من ملك العراق سرق
فلما بلغت حارثة قال : لا يسمى عليك الرشد .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن جويرية بن أسماء قال، قال فلان : « إن الرجل
ليكون أمينا فإذا رأى الشيباع خان » .

قرأت في كتاب أبرويزالى ابنه شيرويه : « اجعل عقوبتك على السير من
الخيالة كمعوبتك على الكثير منها ، فإذا لم يطلع منك في الصغير لم يجترأ عليك
في الكبير . وأرد البريد في الدرهم ينقص من الخراج ، ولا تعلقن على شيء كمعوبتك
على كسره ولا ترزقن على شيء كرزقك على إزجائه ، واجعل أعظم رزقك فيه وأحسن
نوابك عليه حقن دم المزجي وتوفير ماله من غير أن يعلم أنك أهدت أمره حين
عف واعصم من أن يهلك » .

وقرأت في التساج أن أبرويز قال لصاحب بيت المال : « إني لا أحتملك على
خيانة درهم ولا أحمذك على حفظ ألف ألف درهم ، لأنك إنما تحقن بذلك دمك
وتسمر به أمانتك فأنك إن خنت قليلا خنت كثيرا . واحترس من خصلتين :
التقصان فيها تأخذ ، والزيادة فيما تعطى . واعلم أني لم أجعل أحدا على ذخائر الملك وعمارة
المملكة والعدة على العدو إلا وأنت آمن عندي من موضعه الذي هو فيه وخواتمه
التي هي عليها ، غفقت ظني في اختياري إياك أحقق ظنك في رجائك لي ، ولا تنتموض
بغير شرا ولا برقة صفة ولا بسلامة ندامة ولا بأمانة خيانة » . وكان يقال : « كفى بالمرء
خيانة أن يكون أمينا لغفوة » .

قدم معاذ من ائمن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر رضى الله عنه فقال له : ارفع حسابك . فقال : أحسابان ، حساب من الله وحساب منكم ؟ لا والله لا إلى لكم عملاً أبداً .

ذكر أعرابي رجلاً خاطباً فقال : إن الناس يأكلون أماناتهم لئلاً وإن فلاناً يحسوها حسوا .

قال بعض السلاطين لعامل له : « كل قليلاً تعمل طويلاً وألزم المغاف يلزمك العمل ، وإياك والرأى يشتد ظهرك عند الخصام » .

القضاء

حدثنا إسماعيل بن راهويه قال أخبرنا بشر بن المفضل بن لاحق قال حدثنا المغيرة ابن محمد عن عمر بن عبد العزيز قال : « لا ينبغي للرجل أن يكون قاضياً حتى تكون فيه خمس خصال : يكون عالماً قبل أن يستعمل ، مستشيراً لأهل العلم ، ملقياً للرجوع ، منصفاً الخصم ، محملاً للأثمة » .

حدثني علي بن محمد قال حدثنا اسماعيل بن إسماعيل بن إسماعيل عن عبد الله بن أبي حمزة عن عبد الله بن هبيرة عن علي عليه السلام أنه قال : « ذمى رهينة وأنا به زعيم لمن صرح له العير ألا يهلك على التقوى زرع قوم ولا يظلم على التقوى سنيخ أصل . ألا وإن أبغض خلق الله إلى الله رجل قس جهلاً غاراً بأغباش الفتنة عيماً بما في عقد المدينة سماه أشبله من الناس عالماً ولم يُعْنِ في العلم يوماً سالماً . بَكَرٌ

(١) الحرص والطبع . (٢) كذا بالتسكين الألمانية والفتوغرافية وصوابه « مفتياً بالأثمة » وقد ورد هذا الأثر في القند الفريد وفي البيان والتبيين بما فيه : إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كل : علم ما كان فيه ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم عن الخصم ، وانقضاء بالأثمة ، ومشاورة أهل الرأي . (٣) في التسكين الألمانية والفتوغرافية « حبيج » والتصويب من نهج البلاغة . (٤) في الأصلين « حجب » والتصويب من نهج البلاغة .

- فاستكثر ، ما قل منه فهو خير مما كثر حتى اذا ما ارتوى من آجن واكثر من غير طائل فقد بين الناس قاضيا لتخليص ما التبس على غيره ، إن نزلت به إحدى المبهمات هيا حشوا رثا من رأيه ، فهو من قطع الشبهات في مثل غزل المنكوت . لا يعلم اذا أخطأ ، لأنه لا يعلم أخطأ أم أصاب . خباط عشوات ركاب جهالات . لا يستنذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض في العلم بفسر قاطع . يدرو الرواية تدرو الربيع الهشيم ، تبيك منه الدماء وتصرخ منه الموارث ويستحل بقضائه الفرج الحرام . لا ملأ والله باصدار ما ورد عليه ولا أهل لما قرط به »

قال ابن شبرمة

- ما في القضاء شفاعة لخاصم * عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
أهون على اذا قضيت بسنة * أو بالكتاب برغم أنف الزاعم
وقضيت فيما لم أجد أثرا به * بنظائر معروفة ومعالم

- الهيثم عن ابن عياش عن الشعبي قال : كان اقل قاض قضى لمعمر بن الخطاب بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلي ، ثم شهد القادسية وكان قاضيا بها ، ثم قضى بالمدائن ، ثم عزله عمر واستقضى شرحبيل بن المدائن ، ثم عزله واستقضى أبا قرّة الكندي وعراسه فاخط الناس الكوفة وقاضهم أبو قرّة . ثم استقضى شرحبيل بن الحارث الكندي فقضى نحسا وسبعين سنة إلا أن زيادا أخرجه مرة الى البصرة واستقضى مكانه مسروق بن الأجدع سنة حتى قدم شرحبيل فاعاده ولم يزل قاضيا حتى أدرك الفتنة في زمن ابن الزبير فقدم ولم يقض في الفتنة . فاستقضى عبيد الله بن الزبير رجلا مكانه ثلاث سنين فلما قتل ابن الزبير أعيد شرحبيل على القضاء فلقى رجلا شريفا في الطريق فقال : يا أبا أمية قضيت والله بجور ، قال : وكيف ذاك ؟ ويحك ! قال : كبرت

(*) في الأصلين « رأيا » والتصويب عن نهج البلاغة .

سُكَّ واختلط عقلك وارثتي ابتك ، قال [شريح لا جرم] لا يقولوا أحد بملك .
 فأبى المجاج فقال : والله لأقضى بين اثنين . قال : والله لا أعفك أو تبغني رجلا .
 فقال شريح : عليك بالعفيف الشريف أبي بردة بن أبي موسى . فاستقضاه المجاج
 وألزمه سعيد بن جبيرة كاتباً ووزيراً .

وروى الثوري عن علقمة بن مرثد أنه لقي محارب بن دثار وكان على القضاء
 فقال له : يا محارب ، إلى كم ترصد الخصوم ؟ فقال له : إلى والخصوم كما قال الأعشى
 أرقمتُ وما هذا السُّهاد المؤرِّقُ * وما بي من سقم وما بي معشَقُ
 ولكن أراني لا أزال بمحدث * أغادى بما لم يحس عندي وأطرقُ

حدثني إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب
 ابن الشهيد قال : كنت جالسا عند إياس بن معاوية فأتاه رجل فسأله عن مسألة
 فطول فيها ، فقال إياس : إن كنت تريد الفتيا فعليك بالحسن معلى ومعلم أبي ،
 وإن كنت تريد القضاء فعليك بعبد الملك بن يعلى — وكان على قضاء البصرة
 يومئذ — وإن كنت تريد الصلح فعليك بمجيد الطويل ، وتدرى ما يقول لك ؟
 يقول لك : خط شيتا ، ويقول لصاحبك : زده شيتا حتى نصلح بينكما ، وإن
 كنت تريد الشغب فعليك بصالح السُّنوسي ، وتدرى ما يقول لك ؟ يقول لك :
 ابجد ما عليك . ويقول لصاحبك : ادع ما ليس لك وادع بيئة غيباً .

قرأت في الآتين : « ينبغي للحاكم أن يعرف القضاء الحق العدل والقضاء العدل غير
 الحق والقضاء الحق غير العدل ويقايس بثبوت وروية ويحفظ من الشبهة » . والقضاء
 الحق العدل عندهم قتل النفس بالنفس ، والقضاء العدل غير الحق قتل الحر بالعبد ،
 والقضاء الحق غير العدل الدية على العاقلة .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الأعمشى قال حدثني عبيد الله بن الأعمشى قال
قال أعرابي لقوم يتنازعون : هل لكم في الحق أو فيما هو خير من الحق ؟ قليل :
وما يكون خيرا من الحق ؟ قال : التحاط والهُضْم فإن أخذ الحق كله مر .

حدثني أبو حاتم عن الأعمشى قال : اختلف رجلان في شيء ، فحكّا رجلا له في الخطئ
هو ، فقال للخطئ : من يقول بقولك أكثر .

الهيثم بن عدي قال : تَشَمَّتْ كُلُّم بنت سريع مولى عمرو بن حريث وأخوها
الوليد إلى عبد الملك بن عُمر وهو قاضي الكوفة ، وكان ابنه عمرو بن عبد الملك
يرى بها قضى لها ، فقال هذيل الأشجعي

- أناه رفيق بالشهود يسوقهم * على ما أدعت من صامت المال والحوّل
فأدلى وليدٌ عند ذاك بحقه * وكان وليد ذا مرأه وذا جدل
ففتنت القبطى حتى قضى لها * بغير قضاء الله في السور الطول
فلو كان من في القصر يعلم علمه * لما استعمل القبطى فينا على عمل
له حين يقضى للنساء تمناؤص * وكان وما منه التناؤص والحوّل
إذا ذات دُلّ كلمته لحاجة * فهم بأن يقضى تمحج أو سعل
[وبرق عينيه ولاك لسانه * يرى كل شيء ما خلا شخصها جل] ١٥

فكان عبد الملك بن عمر يقول : والله لربما جاءني السعلة أو التمتع وأنا في المنوَّض
فأكف عن ذلك .

وقال ابن منذر في خالد بن طليق وكان قد ولي قضاء البصرة :

قل لأُمير المؤمنين الذي * من هاشم في سرها واللباب

- ٢٠ (١) زيادة في النسخة الألمانية .
(٢) في القاموس : وابن منذر وضع فيصرف شاعر بصري لأنه محمد بن المنذر بن المنذر وفي الأغانى
أنه إذا قيل له ابن منذر يفتح الهم يفضب ثم يقول أماذر الصغرى أم منذر الكبرى وهما كوركان من كور
الأهواز . إنما هو منذر على وزن مفاعل من نادر هو منذر مثل ضارب فهو مضارب ومقاتل فهو مقاتل .

إن كنت للسلطة عاقبتنا * بخالد فهو أشد العقاب
كان قضاء الناس فيا مضى * من رحمة الله وهذا عذاب
يا عجباً من خاله كيف لا * يخطئ فتياً مرة بالصواب

وقال فيه

جعل الحاكم يا للناس من آل طليق
مُحْكَمٌ يحكم فينا * س برأى الجاثليق^(١)
أى قاض أنت في التقص وتطيل الحقوق
يا أبا الميثم ما أنست لهننا بجليق
لا ولا أنت لما حملت منه بجليق

١٠ أراد عدي بن أرطاة بكربن عبد الله المزني على القضاء فقال له بكر: والله ما أحسن القضاء، فإن كنت كاذباً أو صادقاً فما يحيل لك أن توليني .

وروى عبد الزاق عن معمر قال : لما عزل ابن شبرمة عن القضاء قال له وإلى أين : اختر لنا رجلاً نوليّه القضاء . فقال له ابن شبرمة : ما اعرفه . فذكر له رجل من أهل صنعاء فأرسل إليه بفاء ، فقال له ابن شبرمة : هل تدري لم دُعيت ؟ قال : لا . قال : إنك قد دُعيت لأمر عظيم ، للقضاء . قال : ما أيسر القضاء ! فقال له ابن شبرمة : فنسلك عن شيء يسير منه ، قال : سل . قال له ابن شبرمة : ما تقول في رجل ضرب بطن شاة حامل فالتقت مافي بطنها ؟ فسكت الرجل ، فقال له ابن شبرمة : [إنا بلوناك^(٢) فما وجدنا عندك شيئاً . فقيل له : ما القضاء فيها ؟ قال ابن شبرمة [نُؤم حاملًا ونُؤم حائلاً ونُؤم قدر ما بينهما .

٢٠ (١) في القاموس : الجاثليق بفتح التاء المخطئة رئيس للصاري في بلاد الاسلام بمدينة السلام . قال صاحب التاج وهو المعروف الآن بالقتل كقفذ . (٢) زيادة في النسبة الألمانية .

(*) حدثني عبد الله بن محمد الخَلَّجِي قال : كان يحيى بن أكرم يتحنن من يريلم للقضاء ، فقال لرجل : ما تقول في رجلين زوج كل واحد منهما الآخر أمه فقلت لكل واحد من امرأته ولد ، ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها ، فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه .

- ودخل رجل من أهل الشام على عبد الملك بن مروان فقال : إني تزوجت امرأة وزوجت ابني أمها ولا تخي بنا عن ذلك . فقال له عبد الملك : إن أخبرني ما قرابة ما بين أولادكما إذا أولدتما ، فعلت . قال : يا أمير المؤمنين ، هذا حميد بن بحدل قد قلده سيفك ووليت ما وراء بابك فسله عنها ، فإن أصاب لزمي الحرمان ، وإن أخطأ أتبع لي العذر . فدعا بالبحدل فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك ما قدمتي على العلم بالأنساب ولكن على الطعن بالمزاح ، أحدهما عم الآخر والآخر خاله .

- ١٠ قال ابن سيرين : كنا عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة في قبة له وبين يديه كأثون له فيه نار بقاءه رجل يجلس معه على فراشه فسأله بنو لا تدرى ما هو ، فقال له أبو عبيدة : ضَع لي أصبعك في هذه النار . فقال له الرجل : سبحان الله ! تأمرني أن أضع لك أصبعي في هذه النار ! فقال له أبو عبيدة : أتبخل علي بأصبع من أصابعك في نار الدنيا وتسطني أن أضع لك جسدي كله في نار جهنم ! قال : فظننا أنه دعاه إلى القضاء .

كان يقال : « ثلاث إذا كنت في القاضي فليس بكامل : إذا كره اللوام ، وأحب الحامد ، وكره العزل . وثلاث إذا لم تكن فيه فليس بكامل : يشاور وإن كان علما ، ولا يسمع شكية من أحد حتى يكون معه خصمه ، ويقضي إذا علم » .

- ٢٠ (*) في النسخة البغدادية : « عبد الرحمن » وفي أنساب السعدي ما يزيد رواية الألمانية .

قالوا : « ويحتاج القاضي الى العدل في لفظه ولفظه وقعود الخصوم بين يديه وألا يقضى وهو غضبان ولا يرفع صوته على أحد الخصمين مالا يرفعه على الآخر » .
قال الشعبي : حضرت شريحا ذات يوم وجاءته امرأة تخاض زوجها فأرسلت عنيها فبكت فقلت : يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة . فقال : يا شعبي ، إن إخوة يوسف جاءوا بأبهم عشاء سيكون .

- بلغني عن كثيرين هشام عن جعفر بن برقان قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أبي موسى الأشعري كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس . سلام عليك ، أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم أنا أدلى اليك فانه لا ينبغي تكلم بحق لا نقاد له . آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يياس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين الناس إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ، ولا يمتنع قضاء قضيتته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهدئت لرشدك أن ترجع الى الحق فإن الحق لا يبطله شيء . واعلم أن مراجعة الحق خير من التداي في الباطل . الفهم الفهم فيما يتلجج في صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة ، وأعرف الأشباه والأمثال ثم قس الأمور عند ذلك ثم اعمد لأحبها الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى . اجعل لمن ادعى حقا ظاهرا أمدا ينتهي اليه فان أحضر بينة أخذ بحقه وإلا استحللت عليه القضاء . والمسامون عدول في الشهادة إلا مجلوبا في حد أو مجريا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو قرابة . إن الله تولى منكم المرائر ودرا عنكم بالبينات . وإياك والفاق والضجر والتأذي بالخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر ، فانه من صلحت سريره فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للدنيا بنير ما يعلم الله منه شانه الله ، والسلام » .

وقال سلمة بن الخوشب لسيِّع التَّغْلِي في شأن الرُّم التي وضعت على يديه في قتل
عُيسٍ وذُيَّان .

- أبلغ سبيعا وأنت سيدنا * قبلنا وأوفى رجالنا ذمنا
أن يفضا وأن إخوتها * ذبيان قد خرموا الذي اضطروا
نبئت أن حكوك بينهم * فلا تقولن بئس ما حكنا
إن كنت ذا عِرفة بشأنهم * تعرف ذا حقهم ومن ظلمنا
ونُزل الأمر في منازلهم * حكنا وعلما ونحضر الفهمنا
فاحكم فانت الحكيم بينهم * لن يعلموا الحق باردا صمنا
وأصدع أديم السواء بينهم * على رضا من رضى ومن رغبنا
إن كلنا ما لا فتل عتته * مالٌ بجال وإن دمنا فدنا
هذا وإن لم تُطِقْ حكومتهم * فانبذ إليهم أمورهم سلبنا
وأشدَّ عمر بن الخطاب شعر زهير بن أبي سلمى، فلما بلغ قوله
فإن الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفار أو جلاء

- جعل عمر يتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ويقول : لا يخرج الحق من
إحدى ثلاث إما يمين أو حاكمة أو حجة .

- وقال ابن أبي ليلى الفقيه في عيد الله بن شربة
وكيف ترى لفصل القضاء * ولم تصب الحكم في نفسك
وترى أنك لا بين الجُلَّاح * وهيأت دعواك من أصلها

- عيد الله بن صالح السَّجَل قال : خرج شريك وهو على القضاء يتلقى الخيَّزان وقد
أقبلت تريد ليج، فأنى، "شاهي" فأقام بها ثلاثا ولم توافي تخفَّ زاده وما كان
معه من الخبز فجعل يبئله بالماء وياكله بالملح، فقال العلاء بن المِثَال الغنوي

فان كان الذى قد قلت حقا * بان قد اكرهوك على القضاء
فيا لك موضعا في كل يوم * تلقى من ينج من النساء
مقيا في قرى شاعى ثلاثا * بلا زاد سوى كسير وماء
يزيد الناس خيرا كل يوم * قرجع ياشريك الى وراء
وقال فيه ايضا

فليت ابا شريك كان حيا * فيقصر حين يصره شريك
ويترك من تدريه علينا * اذا قلنا له هذا ابوك^(١)
وانشد لبعض الشعراء في بعض الحكماء

ابكي وأندب بهجة الاسلام * اذ صرت تقعد مقعد الحكماء
إن الحوادث ما علمت كثيرة * وأراك بعض حوادث الأيام ١٠

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني القاسم بن الفضل قال حدثني رجل من بني
جرير أن رجلا منهم خاصم رجلا الى سوار بن عبد الله قضى على الجريري، فر
سوار بنى جرير فقام اليه الجريري فصرعه وخنقه وجعل يقول
رأيت أحلاما فبهرتها * وكنت للأحلام عيارا
رأيت أختي ضبا على * مجر و كان الضب سوارا ١٥

في الشهادات

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال لي أيوب^(٢) : إن من أصحابي من أرجو
دعوته ولا أجيز شهادته . قال وقال سوار : ما أعلم أحدا أفضل من عطاء السامى،
ولو شهد عندي على قلسين لم أجز شهادته . يذهب الى أنه ضعيف الراى ليس بالحازم،
(١) في هذا الشعر الإتهام وهو المخافة بين القوافي في حركة الإعراب، وقد أورد صاحب اللسان هذين
البيتين في جملة الشواهد المسوقة عليه . . (٢) في النسخة الألمانية « أبو أيوب » . ٢٠

- لا أنه يظن عليه في دينه وأمانته . قال : وشهد أبو عمرو بن العلاء عند سوار على نسب فقال سوار : وما يدريك أنه ابنه ؟ قال : كما أعلم أنك سوار بن عبد الله ابن صرة بن ثقب . قال : وشهد رجل عند سوار في دار قد ادعاه رجل قال : أشهد أنها له من الماء الى السماء . وشهد آخر فقال للكتاب : اكتب شهادتهما .
- قال : أي شيء أكتب ؟ فقال : كل شيء يخرج البار من يد هذا ويعملها في ملك هذا فكتبه . [قال أبو حاتم بلغني أنه إنما قيل شهادة عربية وما أشبهه] قال وشهد رجل عند سوار ، فقال له : ما صناعتك ؟ قال : أنا مؤتب . قال : فانا لا نجيز شهادتك . قال ولم ؟ قال : لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجرا . قال : وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرا . قال : إني أكرهت على القضاء . قال : يا هذا ، القضاء أكرهت عليه فهل أكرهت على أخذ الرزق ؟ قال : هلم شهادتك ، فاجازها .
- قال : وشهد الفرزدق عند بعض القضاة فقال : قد أجزنا شهادة أبي فراس ، وزيدونا . فقيل له حين انصرف : إنه واقع ما أجاز شهادتك . قال : وما يمنعه من ذلك وقد قذفت ألف مُحَصَّنة . وجاء أبو دلالة ليشهد عند ابن أبي ليلى فقال في مجلسه ذلك
- إِنَّ الْقَوْمَ غَطَوْنِي تَغَطَّيْتُ دُونَهُمْ * وَإِنْ مَجَّحُوا عَنِّي فَسَيَمَّ مَبَاحُثُ
- وإن حفروا بئرى حفرتُ سائرهم * لِيُعلم ما تخفيه تلك النَّبَائِثُ
- فأجاز شهادته وحبس المشهود عليه عنده وأعطاه قيمة الشيء .

- أتى رجل ابن شبرمة يقوم يشهدون له على قراح فيه نخل ، فشهدوا وكانوا عدولا فصألم : كم في القراح من نخلة ؟ قالوا : لا نعلم . فردَّ شهادتهم . فقال له رجل منهم : أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة ، فأعلمنا : كم فيه من أسطوانة ؟ فاجازهم .
- (١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) كنا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة الفونوغرافية أمابن سيرين والأمل أقرب اذ لم تقف في ترجمة ابن سيرين على توليه القضاء .

وقال بعض الشعراء

والخصم لا يرمي النجاة له • يوما إذا كان خصمه القاضي

قدم رجل خصما له الى زياد في حق له عليه، فقال : إن هذا الرجل يُدلى بخاصة
ذكر أنها له منك • قال : نعم • وما خبرك بما ينفعه عندي من خاصته : إن
يكن الحق له عليك آخذك أخذنا عيفا ، وأن يكن الحق لك عليه أقيض عليه ثم
أقيض عنه •

وقال أبو اليقظان : كان عبيد الله بن أبي بكر قاضيا وكان يميل إلى إخوانه •
ف قيل له في ذلك • قال : وما خير رجل لا يقطع من دينه لإخوانه ؟ •

قال المدائني : كان بين طلحة بن عبيد الله والزبير مداراة في واد بالمدينة • قال
فقالا : نجعل بيننا عمرو بن العاص ، فأتياه فقال لهما : أنتم في فضلكما وقديم سوابكما
وضمة الله عليكما تحتفظان ! وقد سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما سمعت
وحضرتما من قوله مثل الذي حضرت فيمن اقتطع شبرا من أرض أخيه بغير حق
أنه يُطَوَّقُه من سبع أرضين ! والحكم أحوج إلى العدل من المحكوم عليه وذلك لأن
الحكم إذا جار رُزئ دينه والمحكوم عليه إذا جبر عليه رُزئ عرض الدنيا [إن شئتما
فأدليا بحججكم^(١) و] إن شئتما فأصلحا ذات بينكما • فاصطلحا وأعطى كل واحد منهما
صاحبه الرضا •

وكان الشنقي ابن شلعل لا يستعلف المكارى ولا الحائك ولا الملاح
ويجعل القول قول المدعى مع يمينه ، ويقول : اللهم إني أستغفرك في الجمال ومعهم
الصبيان •

وقال أبو اليداء سمعت شيخا من الأعراب يقول : نحن بالبادية لا نقبل شهادة العبد ولا شهادة العذبوط ولا المغدّي بيوله . قال أبو اليداء : فضحكت والله حتى كدت أبول في ثوبي .

وقيل لعبد الله بن الحسن العنبري : أنجز شهادة رجل عفيف نقي أمحق ؟ قال : لا ، وسأريك . ادعوا لي أبا مودود^(١) حاجي ، فلما جاء قال له : اخرج حتى تنظر ما الرّيح ؟ نفخ ثم رجع فقال : شمال يشوبها شيء من الجنوب . فقال : أتروني كنت مجيزا شهادة مثل هذا ؟

قال الأعمش قال لي عمار بن دثار : وليت القضاء فيكي أهل وعُزِلت عنه فيكوا ، فما أدرى مم ذاك ؟ قلتُ له : وليت القضاء فكرهته وجزعت منه فيكي أهلك ، وعزلت عنه فككرهت العزل وجزعت منه فيكي أهلك . فقال : إنه ليكما قلت .

قدم إياس بن معاوية الشام وهو غلام قدّم خصما له الى قاض لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخا كبيرا . فقال له القاضي : أتقدم شيخا كبيرا ؟ فقال له إياس : الحق أكبر منه . قال : امسكت . قال : فمن ينطق بحجتي ؟ قال : ما أظنك تقول حقا حتى تقوم . قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال : اقض حاجته وأخرج من الشام لا يفسد على^(٢) الناس .

قال أعرابي لخصم له : « والله لئن هملجت إلى الباطل إنك عن الحق لقطوف » .

(١) في النسخة القزوينية : مودود . (٢) في الأصل "طيك" والتصويب من البيان والبيان .

باب الأحكام

حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت الزبير بن الحارث يحدث عن عكرمة عن أبي هريرة قال : « قضى رسول الله عليه وسلم إذا اختلف الناس في الطرق أنها سبع أذرع » .

حدثني يزيد بن عمرو عن محمد بن موسى عن إبراهيم بن حاتم عن غزال بن مالك الفخاري عن أبيه عن جده قال : « كفل النبي عليه السلام رجلا في تهمة » .

قال وحدثني أيضا عن إبراهيم بن حاتم عن غزال بن مالك عن أبيه عن جده قال قال أبو هريرة : « حبس النبي صلى الله عليه وسلم في التهمة حبسا يسيرا حتى استبرا » .

حدثني يزيد قال حدثني الوليد^(١) عن جرير بن حازم عن الحسن : « أت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له : رباب » وقال لي رجل بالمدينة : هو ذور باب .

حدثني أحمد بن الحليل عن سليمان بن حرب عن جرير عن يعلى بن حكيم عن أبيه عن ابن عباس قال : « أتى ماعز بن مالك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني زيت يا رسول الله . فقال : لعلك مسست أو لمست أو غمرت . فقال : لا ، بل زيت فأعادهما عليه ثلاثا ، فلما كان في الرابعة رجمه » .

حدثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن الثوري عن علي بن الأقرع عن يزيد بن أبي كريمة أن أبا الدرداء أتى بامرأة سرق ، فقال : أسرقت ؟ قولي : لا .

(١) نسخة الأمانة : "نعم" ولم نشر على ما يرجح إحدى الروايتين .

(٢) نسخة التتغرافية "أبو الربيع" .

حدثني سهل بن محمد قال حدثني الأصمعي قال : جاءوا زيادا بلصّ وعنده جماعة فيهم الأحنف ، فاتهموه وقالوا : اصدق الأمير . فقال الأحنف : إن الصديق أخيانا معجزة . فأعجب ذلك زيادا وقال : جزاك الله خيرا .

حدثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن حذيفة عن ابن عباس قال « جرّ الرأس والحية لا يصلح في العقوبة لأن الله عز وجل جعل حلق الرأس نكسا لمرضاته » .

حدثني شبابة عن القاسم عن الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز قال « لا تأكل والمثلة في العقوبة جرّ الرأس والحية » .

حدثني محمد بن خالد بن خديش قال حدثنا سَلْمُ بْنُ قَتِيبة قال حدثنا يونس عن أبي بكر بن حفص بن عمر قال : كان مروان بن الحكم أمير المدينة قضى في رجل ١٠ فزّج رجلا فصرط بأربعين درهما .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق عن جوير عن الضحاك عن ابن مسعود قال « لا يَحِلُّ في هذه الأمة غُلٌّ ولا صَفْدٌ ولا تجريدٌ ولا مدٌّ » .

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال : كان حامر بن الظرب العدواني حَكَمَ العرب ، فنزل به قوم يستفوتونه في خثي وله جارية يقال لها خُصيلة^(١) . وربما لامها في الإطلاء ١٥ في الرعي وفي الشيء يحمده عليها . فقال : يا خصيلة لقد حبست هؤلاء القوم وريثهم حتى أمرعت في غمي . قالت وما يكن عليك من ذلك ؟ أتبعه مباله . فقال لها : "مسي خُصِيل بعدها أَوْ رَوَّحِي" .

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي الفتوغرافية « جميلة » وهو تحريف . وقد أورد صاحب بلوغ الأرب في أحوال العرب خصيلة عنه في حكايات العرب قال ولعلها هي التي كان أبوها حامر يقول لها "مسي خُصِيل بعدها أَوْ رَوَّحِي" بناء على أنها كانت تسمى خُصيلة أيضا . وقد ذكر الميداني أنها جارية حامر بن الظرب وأورد الخليل هكذا وذكر القصة .

قال: وأتى ابن زياد بأهسان له قُبِلَ وذَكَرَ ولا يُدري كيف يُورث. فقال: من لهذا؟ فقالوا: أرسل إلى جابر بن زيد. فأرسل إليه، فجاء برسيف في قيوده فقال: ما تقول: في هذا؟ قال: ألقه بالحدار فإن بال عليه فهو ذَكَرٌ، وإن بال في رجليه فهو أنثى. حدثني محمد بن خالد بن خَدَّاش قال حدثنا سَلَمٌ بن قتيبة قال حدثنا قيس بن الربيع عن أبي حصين أن رجلاً كسر طنبورا لرجل نفاخه إلى شريح، فقال شريح: لا أفضى في الطنبور بشيء.

[حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه قال: قال لي أبو الصجاج: يا ابن أصمع والله لئن أفررت لأزيمتك. أي لا تهر.]

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه عن معمر قال: رد رجل على رجل جارية اشتراها منه، نفاخه إلى إياس بن معاوية، فقال له: بم تردها؟ قال له: بالحق. فقال لها إياس: أي رجلك أطول؟ فقالت: هذه. فقال: أتذكرين ليسة ولدت؟ قالت: نعم. فقال إياس: رد رد.

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن قيس عن أبي حصين قال: رأيت الشعبي يقضى على جلد أسد.

الظلم

حدثني عبد الرحمن [بن عبد الله بن قُريب قال حدثني الأصمعي] قال أخبرنا بعض أشياخ البصرة أن رجلاً وأمرأته اختصما إلى أمير من أمراء المراق وكانت المرأة حسنة المتئقب قيحة المسفر، وكان لها لسان فكان العامل مال منها فقال: يعمد أحكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسيء إليها! فأهوى زوجها إلى الثقب فألقاه

عن وجهها قال العامل : عليك اللعنة ! كلامٌ مظلومٌ ووجهٌ ظالمٌ . وأشدُّ الرأى
في نحو هذا

رأيتُ أبا الجحيم في الناس جاثراً * ولون أبي الجحيم لونُ البهائم
تراه على ما لاحه من سواده * وإن كان مظلوما له وجه ظالم

- أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : كان رجل من العرب
في الجاهلية إذا رأى رجلاً يظلم ويعتدى يقول : فلان لا يموت سويًا . فيرون ذلك
حتى مات رجل من قال ذلك فيه فقيل له : مات فلان سويًا . فلم يقبل حتى
تأبست الاخبار . قال : إن كنتم صادقين إن لكم دارا سوى هذه تجازون فيها .^(١)

- كتب رجل من الكُتّاب الى سلطان : « أعينك بالله من أن تكون لاهيًا عن
الشكر محجوبًا بالنعم صارفًا فضل ما أوتيت من السلطان الى ما قبل عائدته وتعظم تبعته
من الظلم والدون ، وأن يسترلك الشيطان بخدمته وغروره وتسويله فيزِيل عاجل
النيطة وينسيك مذموم الماقبة ، فان الحازم من يذكر في يومه المخوف من عواقب
غده ولم يفره طول الأمل وتراخي النسيان ولم يضرب في غمرة من الباطل ولا يدري
ما تحبل به مقبته . هذا الى ما يتبع الظالم من سوء المتقلب وقبح الذكر الذي لا يفنيه
كر الجديدين واختلاف المعصرين » .
١٥

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو إبراهيم السقاء
عن ليث عن مجاهد قال : « يؤتى بعلم الصبيان يوم القيامة فان كان عدل بين الغلمان^(٢)
والأقيم مع الظلمة » . وكان معاوية يقول : إني لأستحي أن أعظم [من لا يجد

(١) كما بالأصل ولعل القاء سقطت من النسخ . (٢) في القتوغرافية : للكتاب .

(٣) زيادة في النسخة الألمانية .

على ناصرا إلا الله . وقال بلال : « إني لأستحي أن أنظلم [وأخرج أن أنظلم » .
وكان يقال : إذا أراد الله أن يخف عبدا قبض له من يظلمه .

كتب رجل إلى سلطان : « أحق الناس بالاحسان من أحسن الله إليه وأولاهم
بالانصاف من بسطت بالقدرة يده » .

• ذكر الظلم في مجلس ابن عباس فقال كتب : إني لا أجد في كتاب الله المنزل أن
الظلم يُحرب الديار . فقال ابن عباس أنا أوجدك في القرآن ، قال الله عز وجل
(فَتَكُفُّ يَوْمَئِذٍ ظُلُومُهُمْ بِمَا ظَلَمُوا) .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان قرعان وهو من بني تميم لا يزال يُغير
على إبل الناس فيأخذ منها ثم يقاتلهم عليها إلى أن أغار على رجل فأصاب له جملا ،
بغاه الرجل فأخذ بشعره فغذبه فبرك ، فقال الناس : كبرت والله يا قرعان . فقال : لا والله
ولكن جذبي جذبة محق . وكان سديف بن ميمون مولى اللهيين يقول : اللهم قد
صار فيكنا دولة بعد القسمة وإمارتنا غلبة بعد المشورة وعهدنا مِراثا بعد الاختيار
للأمة . واشتريت الملامى والمعاذف بسهم اليتيم والأرملة وحكم في أبشار المسلمين
أهل الذمة وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة . اللهم وقد استحصد زرع الباطل
وبلغ نهايته واجتمع طريقه . اللهم فأنق له يدا من الحق حاصدة تبدد شمله وتفتق
أمره ليظهر الحق في أحسن صوره وأتم نوره .

ولى أعرابي بعض التواشي بجمع اليهود في عمله وسأله عن المسيح فقالوا : قتلناه
وصلبناه . فقال : فهل أدبتم دينه ؟ قالوا : لا . قال : فوالله لا تخرجون أو تؤذوها .
فلم يبرحوا حتى أتوها .

كان أبو العَاج على جَوَالِي البصرة فَأَتَى برجل من النصارى : فقال ما أَسْمُكَ ؟
فقال : بنداذ شهر بنداذ . فقال : اسمُ ثلاثةٍ وجزيةٍ واحدٍ ! لا والله العظيم . قال :
فأخذ منه ثلاثَ حُرَى .

ولى أعرابى "سَبَّالَةً" فصعد المنبر فما حمد الله ولا أنشئ عليه حتى قال : إن الأمير
أعزنا الله وإياه ولآئى بلادكم هذه ، وإنى والله ما أعرف من الحق موضع سوطى ،
ولن أوتى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعهما ضرباً ، فكانوا يتماطلون بالحق بينهم
ولا يرضعون إليه . قال بعض الشعراء

بنى عَمَّنَا لا تذكروا الشعربعد ما * دفتم بصحراء الفُسرِ القوافيا^(١)
فلستأ كن كنتم تصيبون سَلَةً * فقبلَ صَيًّا أو نحسَّكم قاضياً
ولكن حكم السيف فيكم مسلط * فترضى إذا ما أصبح السيفُ راضياً
فان قلمُ إنا ظلمنا فلم نكن * ظلمنا ولكننا أسانا ألقاضياً
[وقال آخر^(٢)

نفرحُ أن تغلبي ظالمًا * والغالبُ المظلومُ لو تعلم]
وكانوا يتوقون ظلمَ السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا : « بسم الله إلى أعود
بالرحمن منك إن كنت تقيا ، آخسثوا فيها ولا تكلِّون ، أخذتُ سمعك وبصرك بسمع
الله وبصره . أخذتُ قوتك بقوة الله . بنى وبينك سِرَّ النبوة الذى كانت الانبياء
تستبره من سطوات القراعسة . جبريلُ عن يمينك وميكائيل عن يسارك وعبد
أمامك والله مطلع عليك ويحجزك عنى ويعننى منك » .

(١) هكذا بالنسخة الألمانية . وقد ورد كذلك في الحاشية منسوباً لشيخنا الحارثي . والنصير موضع بين
ذات عرق والبلدان وقيل بـجـيلين غير أبي رغال كما في باقوت ثم ذكر أنه اسم لموضع آخر . وقد ورد
في القنوغرافية هكذا « النبط » محرفاً عن « النبط » وفي اللسان والمعجم أنه اسم واد منه جمرات النبط
وقد ورد في شعر امرئ القيس

فألقى بصحراء النبط بآه * كهرج اليماني ذى اللياب المحمل

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

وقال بعض الشعراء

ونستعدي الأمير إذا ظلمنا * فنُعدي إذا ظلم الأمير
[وقال آخر^(١)

إذا كان الأمير عليك خصما * فلا تُكثِرْ فقد غلب الأمير
وكتب رجل إلى صديق له : قد كنت أستعديك ظالماً على غيرك فتحكم لي وقد
استعديتْك عليك مظلوماً فضايق عني عليك ، وذُكرني قول القائل
كنت من كُربى أقر الهم * فهم كُربى فأين الفرار^(١)
[ونحوه]

والخصم لا يُرجى النجاح له * يوما إذا كان خصمه القاضي]

حدثني مهمل بن محمد عن الأعمى قال : كان يقال : ما أُعطى أحد قط النصف
فأباه إلا أخذ شراً منه . قال : وقال الأحنف : ما عُرِضت النصفة قط على أحد
فقبلها إلا دخلتني له هبة ولا ردها إلا اختبأتها في عقله .

وقال البعيث

وإني لأعطي النصف من لو ظلمته * أقر وطابت نفسه لي بالظلم

وقال الطائي

يرى العلقم المادوم بالزأرية * يمانية والأرى بالضم علقا
إذا فرشوه النصف نامت شدائته * وإن رموا في ظلمه كان أظما

[وقال العباس بن عبد المطلب

أبي قومنا أن يُصِفونا فأنصفت * قواطع في أيماننا تقطر الدما
تركاهم لا يستعملون بعدها * لدى رحيمهما من البحر محرماً]

(١) زيادة في النسخة الألمانية . وقد تقدم البيت الثاني في صيغة ٧٠

بلغنا عن شجرة عن ثور بن يزيد قال : كتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عماله :
أما بعد فإذا حدثك قدرتك على الناس الى ظلمهم فاذكر قدرة الله عليك وفناء ما تُؤرق
اليهم ويقاه ما يؤتون اليك ، والسلام .

سمع ابن سيرين رجلا يدعو على من ظلمه ، فقال : أقصر يا هذا ، لا يترج عليك
ظلمك .

قولهم في الحبس

(١) [في الحديث المرفوع : «شكا يوسف عليه السلام الى الله عز وجل طول الحبس
فاوحى الله اليه : مَنْ حَسَبَكَ يَا يُوسُفُ ، أَنْتَ حَبَسْتَ نَفْسَكَ حَيْثُ قَلْتَ (رَبِّ
السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ) وَلَوْ قُلْتَ : الْعَافِيَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ لَمُوفِيتُ » .]

- ١٠ حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب قال : «إن يوسف عليه
السلام دعا لأهل السجن دعوة لم تزل تُعرف لهم الى اليوم ، قال : اللهم احفظ
عليهم قلوب الأخيار ولا تُهم طغيهم الأخيار » . فيقال : إنهم أعلم الناس بكل خبر
في كل بلد .

وكتب على باب السجن : «هذه منازل البلوى وقبور الأحياء ونجerie الصديق
وشجاعة الأعداء » .

١٥

أنشدني الراثي

ما يدخل السجن إنسان قسألُهُ * ما بال حبسك إلا قال مظلوم

وقال أعرابي .

وكذا دخلت السجن كبر أهله * وقالوا أبو ليلى النداء حزين

٢٠

وفي الباب مكتوب على صفحاته * بأنك تروى ثم سوف تلين

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

ويقال : إن قولهم « تترو وتلين » رؤى مكتوبا على باب حبس ففرضه الناس مثلاً .

وقال بعض المسجونين

وبتُّ بأحصنها متزلاً * قبيلاً على عقى السالكِ
ولستُ بضيف ولا في كركا * ولا مُستجير ولا مالكِ
ولستُ بشبيب ولا كالرَّهون * ولا يشبه الوقف عن هالكِ
ولى مُسمِعات فأداهما * يفتنى ويسمع في الحالكِ
وأقصاهما ناظرٌ في السما * عَمدا وأَوْحى من عاركِ

السُّمع الأقل قيده والثاني صاحب الحرس . ونحوه قول الآخر
ولى مُسمِعات وزَمارة * وظلُّ مليد وحسن أمق
الزَّمَارة الفُل ، وأصل الزَّمَارة السَّاجور .

قال أبو عبيدة : اختصم خالد بن صفوان مع رجل إلى بلال بن أبي بردة ، قضى للرجل على خالد ، فقام خالد وهو يقول

* بحابة صيف عن قليل تَقشَع *

فقال بلال : أما إنها لا تَقشَع حتى يصيبك منها شُرْبُوبٌ برد . وأمر به إلى الحبس ، فقال خالد : علام تحبسنى ؟ فوافقه ما جئت جناية ولا خنت خيانة . فقال بلال : يخبرك عن ذلك بابٌ مُصَمَّت وأقيادٌ تُقال وقيمٌ يقال له حَفَص . قال الججاج للنضبان بن القُبَيْرَى وراه سميئا : ما اسمك ؟ قال : القَيْدُ والرَّقعة ، ومن كان في ضيافة الأمير سميئا .

كان خالد بن عبد الله حبس الكيت الشاعر فزارته امرأته في السجن فلبس ثيابها وخرج ولم يُعرف فقال

ولما أحلوني بصلحاء صليهم * بإحدى زبى ذى اللبدتين أبى الشبل
نرجتُ خروج القُدح قدح ابن مُقبل * على رغم آثاف التوايح والمُشلى
على ثياب الفانيات وتحتها * عزيمة مرءٍ أشبهت سلة النصل

وكان خالد بن عبد الله حبس الفرزدق فقال

وأنى لأرجو خالدا أن يفككنى * ويطلق عني مقفلات الحدائد
فإن يك قيدي رد همتي فربما * تناولت أطراف المومم الأبعاد
وما من بلاء غير كل عسيرة * وكل صباح زائر غير عائد
يقول لى الحداد هل أنت قائم * وما أنا إلا مثل آخر قاعد

وقال بعض الشعراء في خالد بن عبد الله القسري حين حبس

لمرى لقد أعرمتم السجن خالدا * وأوطأتموه وطأة المشاغل
فإن تحبسوا القسرى لا تحبسوا اسمه * ولا تسجنوا معروقه في القبائل

وقال بعض المسجونين^(١)

أصبرٌ وفيد واغتراب وعُسرة * وقد حبيب! إن ذا لعظيم
وإن أمراً تبقى موثيق عهده * على كل هذا، إنه لكريم

وقال آخر مثله

لى الله أشكو إنه موضع الشكوى * وفي يده كشف المصيبة والبلوى
نرجنا من الدنيا ونحن من أهلها * فلستنا من الأحياء فيها ولا الموقى

(١) كذا بالسجين في نزهة الألبانية وفي هامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى «المجونين»
ولم نجد التضمين لا في القاموس ولا في اللسان .

إذا جاعنا السجّات يوما لحاجة * عجبتا وقتلنا جاء هذا من الدنيا
وتسجبتا الرؤيا بجُلّ حديثنا * إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فإن حُصِّل لم تاتِ عجلي وأجالت * وإن قُبِحت لم تحميس وأنت عجلي
وقال يزيد بن المهلب وهو في الحبس : يا لهفني على طليّة بمائة ألف وفرج في جبهة
أسد . ودخل الفرزدق على المهلب وهو محبوس فقال

أصبح في قيدك السباحة والسجود وحملٌ لمضليح الأفعال
قال له : أتمدحنى على هذه الحال؟ فقال : أصبتك رخيصا فاشتريتك^(١) .

وحبس الرشيد أبا العتاهية فكتب إليه من الحبس بآيات منها
تفديك نفسى من كل ما كرهت * نفسك إن كنت مننبا فاغفر
يا ليت قلبي مصور لك ما * فيه لتسقين الذى أضمر

فوقع الرشيد في رقعته : لا بأس عليك . فأعاد عليه رقعة أخرى فيها
كأن الخلق رُكب فيه روح * له جسد وأنت عليه رأس
أمين الله إن الحبس بأْس * وقدوققت «ليس عليك بأس»

فأسر باطلاته

الحجاب

أبو حاتم عن العتي عن أبيه أن عبد العزيز زُرارة الكلابى وقف على باب
معاوية قال : من يستأذن لى اليوم فأدخله غدا؟ وهو فى شمتين، فلب دخل على
معاوية قال : هزئت ذوائب الرجال اليك إذ لم أجد معولا إلا عليك . أمتطى الليل
بعد النهار وأسسم الجاهل بالآثار . يهودنى نحوك رجاء وتسوقنى إليك بلوى، والنفس
مستبعدة والاجتهاد جائر . فأكرمه وقربه . فقال فى ذلك

(١) فى الأصل : «أسلتتك» والتصويب عن القندليريد . (٢) فى التنويفافية : الزجاة .

- دخلتُ على معاويةَ بنِ حرب * وذلك إذ يئسْتُ من الدخول
وما نلتُ الدخولَ عليه حتى * حلتُ محلةَ الرجلِ الذليل
وأغضيتُ الجفونَ على قنَاضها * ولم أسمعِ إلى قالٍ وقيل
فأدرِكتُ الذي أملتُ فيه * بمكثٍ وانحطَّ زادُ السَّجول
- وقال غير العتي: لما دخل عبد العزيز بن زُرارة على معاوية قال له: «إني رحلتُ
إليك بالأمل واحتملتُ جَفَوَتِكَ بالصبر، ورأيتُ بياك أقواما قدمهم الخطأ، وأتحرين
باعدكم الحرمانُ. وليس ينبغي للتقدم أن يأمن ولا للتأخر أن يئأس. وأول المعرفة
الاختبار فأقبل وأختبر» وفي حجاب معاوية إياه يقول شاعر مضر
من يَأْذَنُ اليومَ لعبدِ العزیز * يَأْذَنُ له جسدُ عَزِيزٍ غدا
- قال أبو القطفان: كان عبد العزيز بن زُرارة قتي العرب .
- استأذن أبو سفيان على عثمان لحجبه . فقيل له : حبيك أمير المؤمنين ؟ فقال
لا خدمتُ من قومي من إذا شاء حجبتني . وحجب معاوية أبا الدرداء فقال أبو الدرداء :
من ينشُدُ السلطانَ يتم ويقعد ومن صادف بابا عنه مقلقا وجد إلى جانبه بابا
فُتِحا ، إن دعا أُجيب وإن سأل أُعطي .
- قال رجل لحاجبه : إني بين أنظرُ بها وجنة أستقيم إليها ، وقد ولّيتك بابي ،
فأترك صانعا يرعيني ؟ قال : أنظرُ إليهم بينك وأحلمهم على قدر منكألهم عندك
وأضعهم في إبطائهم عن زيارتك ولزومهم خدمتك مواضع استحقاقهم وأرتبهم حيث
وَضَعهم ترتيبك وأحسنُ إبلاغك عنهم وإبلاغهم عنك . قال : قد وقَّيتُ ما لك وما عليك
إن صدقته بفعل . وكان يقال : حاجبُ الرجل حارسُ عِرْضه .

وقرأت في التاج أن أرويز قال لحاجبه : « لا تهتمن مستغيثا ولا تضرعن ناشرف بصعوبة حجاب ولا ترفعن ذا ضمة بسهولة . وضع الرجال مواضع أخطارهم ، فمن كان مقدما له الشرف عن أزدردعه ولم يهيمه من بعد بنائه فقدمه على شرفه الأول وحسن رأيه الآخر ، ومن كان له شرف مقدم فلم يضرن ذلك إبلاغا به ولم يزدردعه تكميلا له فالحق باباته مهلة سبقهم في خواصهم ، والحق به في خاصته ما ألحق بنفسه . لا تأذن له إلا دبرا ولا تأذن له إلا سارارا . وإذا ورد عليك كتاب عامل من عمالي فلا تحبسه عنى طرفه عين إلا أن أكون على حال لا تستطيع الوصول الى فيها ، وإن أذاك مدع لنصيحة فاستكتبها سرا ثم أدخله بعد أن تستأذن له . حتى اذا كان منى بحيث أراه فادفع الى كتابه ، فإن أهدت قبلت وإن كرهت رفضت ، ولا ترفعن الى طلبة طالب إن منعه يخطي وإن أعطيته أزدرداني ، إلا بمؤامرة منى من غير أن تعلمه أنك قد أعلمتني وإن أذاك عالم يستأذن على لم يزم أنه عنده فاسأله : ما علمه ذلك ؟ ثم استأذن له فإن العلم كاسمه ، ولا تحجبن تحفة ولا تأذن رضا ، اخصص بذلك الملك ولا تخص به نفسك » .

المهيم قال : قال خالد بن عبدالله لحاجبه : « لا تحجبين عنى أحدا إذا أخذت مجلسي ، فإن الوالى لا يحجب إلا عن ثلاث : عنى يكره أن يطالع عليه منه ، أورية ، أو يخل فيكره أن يدخل عليه من يسأله » . ومنه أخذ ذلك محمود الوزاق فقال

إذا اعتصم الوالى بإغلاق بابي * ورد ذوى الحاجات دون حجابي
ظننت به إحدى ثلاث وربما * نزع بظرف واقع بصوابي
قللت به منى من اليتي ظاهري * ففى إذنه للناس إظهار ما به
فان لم يكن عنى اللسان فطالب * من البخل يجرى ما له عن طلابي
فان لم يكن هبنا ولا ذا فريئة * يصر عليها عند إغلاق بابي

وقال بعض الشعراء

إعلمن إن كنت تعلمه • أن عرض الملك حاجه

فيه تبدو محاسنه • وبه تبدو مآيبه

وقال آخر

كم من فني تُحمد أخلاقه • وتسكن الأحرار في ذقته

قد كثر الحالجب أعداءه • وسلط الهم على نعمته

- حضر باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه جماعة منهم سهيل بن عمرو وعيينة ابن حصن والأفرع بن حابس ففرج الآذن فقال : أين صبيب ؟ أين عمار ؟ أين سلمان ؟ فتممرت وجوه القوم . فقال واحد منهم : لم تتمر وجوهكم ؟ دُعوا ودعينا فأسرعوا وأجابنا ، ولئن حدثتوهم على باب عمر لَأعد الله لهم في الجنة أكثر . ١٠

وقال بعض الشعراء

سأترك هذا الباب ما دام إذنه • على ما أرى حتى يخف قليلا

إذا لم يجد للآذن عندك موضعا • وجدنا الى ترك الهوى ميلا

وقال آخر الحالجب

- سأترك بابا أنت تملك إذنه • وإن كنت أعمى عن جميع المسالك ١٥
فلو كنت بواب الجنان تركتها • وحولت رجلى مُسرعا نحو مالك

وكتب أبو العاتية الى أحمد بن يوسف

لئن عدت بعد اليوم إلى ظالم • سأصرف وجهي حيث تبنى المكارم

مَنْ يَنْجُ الْفَاسِدَ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ • وَنَصَفَكَ مَحْبُوبَ وَنَصَفَكَ نَاقِمٌ؟

- وقال آخر ٢٠

ولست بمتخذ صاحب • يُقيم على باب حاجبا

إذا جئتُ قال له حاجةٌ * وإن عدتُ أهيته غائباً
ويُزِمُ إخوانه حقّه * وليس يرى حقهم وإجبا
فلستُ بلا قِصصٍ الخاتِ * إذ أنالُم الله راصباً

وقال عبد الله بن سعيد في حاجب الحجاج وكان يحجبه دائماً
ألا ربّ نصبح يُفلق البابُ دونه * وغشّ إلى جنب السرير يُعْرَبُ
وقال آخر

ما ضاقت الأرضُ على راغبٍ * يَطْلُبُ الرزقَ ولا هاربٍ
بل ضاقت الأرضُ على طالبٍ * أصبح يشكو جفوة الحاجب

ومُحِبُّ رجل عن باب سلطان فكتب إليه: «نحن نعوذ بالله من المطامع الدنية
والهمم القصيرة وابتذال الحرية، فإن نسي والحمد لله آية ما سقطت وراءه
ولا دخلها صبر عند نازلة ولا استرقها طمع ولا طمعت على طبع وقد رأيتك وليت
عرضك من لا يصونه ووصلت ببابك من يشينه وجعلت ترحمان عقلك من يكثر من
اعدائك ويتقص من أوليائك [ويسمى العبارة عنك ويوجه وقد الذم اليك] ويضعن
قلوب إخوانك عليك إذ كان لا يعرف لشريف قدرا ولا لصديق منزلة، ويزيل
المراتب عن جهل بها وبدرجاتها فيحطّ العلى إلى مرتبة الوضع ويرفع الأدنى إلى مرتبة
الرفع ويحتقر الضعيف لضعفه وتنبو عنه عن ذى البذاءة ويميل إلى ذى اللباس
والزينة ويقم على الهوى ويقبل الرشاً» .

وقال بشار، وقيل هو لغيره

تأبى خلاقي خالد وفضاله * ألا تجنبَ كلَّ أمر عائب
فاذا آتيت الباب وقت غداه * أذن الفداء برغم أنف الحاجب

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

وهذا ضد قول الآخر

إذا تفتى فتر يوابه * وأردت من غير يد يابه
ومات من شهوة ما يُحتسى * عباله طرا وأصحابه

وقال آخر

يا أميرا على جريب من الأثر * ض له تسعة من الحُجَلَب
قاعدا في الخراب يُحجَب عنه * ما سمعنا بحاجب في خراب!

وقال آخر

على أى باب أطلب الاذن بعد ما * مُجبت عن الباب الذى أنا حاجبه

وقال الطائي

يا أيها الملك النائي برؤيته * وجوده لمُراعى جوده كَتَب
ليس الحجاب يُقَصِّص عنكلى أملا * إن السماء ترجى حين تحتجب

وقال أيضا

وحجَّيْ حاولته فوجدته * نجما عن الركب المُفَاة شُسُوعا
أعدمته لما عدمت نواله * شكوى فرُحنا معدمين جميعا

وقال آخر

قد أطلنا بالباب أمس التصودا * وجُفينا به جفاء شديدا
وذمنا المييد حتى إذا نحن بُلُونَا المولى عذرا العييدا

ومُجِب رَجُل فكتب

أبا جعفر إن الولاية إن تكن * متبلة قوما فانت لما تُبَل

فلا ترضع عنا لشيء وليته * كالم يصغر عندنا شأنك العزل

- وكتب رجل من الكتاب في هذا المعنى إلى صديق له : «إن كان ذهولك هنا لدينا
أَخْضَلَتْ عليك سماؤها وأَرَبَّتْ بك دِيَمُهَا^(١) إن أكثر ما يمرى في الظن بك بل في اليقين
ملك أنك أملك ما تكون لِمَنَّاك أن يَجَحَّ بك ولنفسك أن تستملَّ عليك إذا لانت لك
أَكْثُهَا [وَأَقَادَ في كَفِّكَ زَمَانُهَا لَأَنَّكَ لم تَتَلْ مَا نَلْتَ خَلْسًا وَلَا خَطْفًا، ولا عن مقدار
جَرَفَ اليك غيرَ حَقِّكَ وأمالَ نَحْوَك سوى نصيبك . فانْ ذَهَبَ إلى أن حَقَّكَ
قد يحتمل في قُوَّتِهِ وسعته أن تضمَّ إليه الجَفْوَةَ والنُّوَّةَ فيتضامل في جنبه ويصغر عن
كِبَرِهِ فغير مدفوع عن ذلك . وَأَيُّمَ الله لَوْلَا مَا بَلَيْتَ به النفس من الظن بك وأن مكانك
منها لا يَسُدُّه غَيْرُكَ نَسَخَتْ عَنْكَ وَذَهَلَتْ عن إقبالِكَ وإدبارِكَ ولكان في جفائك ما يَرِدُ
من غَيْرَتِهَا ويَرُدُّ من غُلَّتِهَا، ولكنه لما تكاملت النعمة لك تكاملت الرغبة فيكَ .»
- ١٠ أبو حاتم عن العتيبي قال : قال معاوية لحُصَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ وكان يدخل عليه
في أحراب الناس : يَا أَبَا سَامَانَ كَأَنَّهُ لَا يُحْسِنُ إِذْنُكَ . فَأَنشَأَ يَقُولُ
كل خفيف الشأن يسعى مشمراً * إذا فتح البواب بابك إصعبا
ونحن الجلوس الساكنون رزانة * وحلما إلى أن يفتح الباب أجما
- وقال بعض الشعراء في بشر بن مروان
بعيدُ مردِّ العين ماردُ طوقه * حِذَارُ الغواشي بابُ دار ولا مِسْتَرُ
ولو شاء بشر كان من دون بابهِ * حَلَامُ سَوْدُ أو صَقَالِبُ حَمَرُ
ولكن بشرًا يَسَّرَ البَلَابَ لَتَى * يكون له في عِيَاهَا الحمد والأجر
- وقال بشر
فلا تخفلا بجل أبى قَرْعَةَ إنه * مخافة أن يُرِجى نداء حزينُ
- ٢٠ (١) كنا بالأصمول التي بين أيدينا ولعل الغاء سقطت من قلم النسخ .
(٢) كل ما بين حذين القوسين المربعين غير موجود بالنسخة المتوفرة في هذه قلنا من النسخة الألمانية .

إذا جئت في العرف أغلق بابه * فلم تفتح إلا وأنت كيف

قل لأبي يحيى متى تدرك العلا * وفي كل معروف عليك بين

وقال ابن هرمة يمدح

هش إذا زل الوفود بيباه * سهل المحاب مؤدب الخدام

وإذا رأيت شقيقه وصديقه * لم تدر أيهما أخو الأرحام

وكتب رجل إلى بعض الملوك

إذا كان الجواد له حجاب * فما فضل الجواد على البخيل

فكتب إليه الآخر

إذا كان الجواد قليل مال * ولم يصدر تمل بالمحباب

وقال عبيد الله بن عكراش

وإني لأرني للكرم إذا غدا * على طمع عند اللئيم بطالبة

وأرني له من مجلس عند بابه * كرميئي للطرف والمليح راكمه

وكتب عبد الله بن أبي عينة إلى صديق له

أتيتك زائراً لقضاء حق * فخال الستر دونك والمحباب

ولست بسافط في قدر قوم * وإن كرهوا كما يقع الثياب

أبو حاتم عن عبيد الله بن مصعب الزيري قال: كتابا الفضل بن الربيع وهم ياذنون

لنوى الهيئات والشارات وأعرأى يدنو فكلما دعا طرح . فقام ناحية وأنشأ يقول

رأيت آذنتا يعتام برزتتا * وليس لهيب الزاكي بمعتام

ولو دُعيتا على الأصحاب فدنيتي * بمجد تليد وجد راجح نامي

متى رأيت الصقور الجدل يقدما * خططان من رخم قرع ومن هام

دخل شريك الخارثي على معاوية فقال له معاوية : من أنت ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ما رأيت لك حفة قبل هذه . مثلك ينكر مثل من رعبته ! فقال له معاوية : إن معرفتك متفرقة ، أعرف وجهك إذا حضرت في الوجوه ، وأعرف اسمك في الأسماء إذا ذكرت ، ولا أعلم أن ذلك الاسم هو هذا الوجه ، فاذكري اسمك تجتمع معرفتك .

استأذن رجلان على معاوية فأذن لأحدهما وكان أشرف منزلة من الآخر ، ثم أذن للآخر فدخل عليه بغلس فوق صاحبه . فقال معاوية : إن الله قد ألزمتنا تاديكم كما ألزمتنا رعايتكم ، وإنا لم نأذن له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك . فقم لا أقام الله لك وزنا .

دخل أبو مجلز على عمر بن عبد العزيز حين أقدمه من خراسان ، فلم يقبل عليه . فلما خرج قال له بعض من حضر المجلس : هذا أبو مجلز . فردّه واعتذر إليه وقال : إني لم أعرفك . قال : يا أمير المؤمنين فهلا أنكرني .

قال أئصح السلمي يذكر باب المنصور بن زياد^(١)

على باب ابن منصور * علامات من البذل

جماعات وحسب البا * ب فضلا كثرة الأهل

وكانت العرب تتعوذ بالله من قرع الفناء ومن قرع المراح . وقال بعض الشعراء

مالي أرى أبوابهم مهجورة * وكان بأك نجح الأسواق

أرجوك أم خافوك أم شاموا الحيا * بحرأك فأتجبعوا من الآفاق

وقال آخر

يزدحم الناس على بابه * والمشرع المنب كثير الزحام

(١) هكذا في النسخة الألمانية . وفي القنوغرافية منصور . والصواب محمد بن منصور كما في الكامل للرد وهو الحافظ لقوله « ابن منصور » في البيت . (٢) الحرا والحراة الناحية .

وقال آخر * إن الندى حيث ترى الضناط .

يعنى الزحام

وقال بشار

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو * ف ولكن يلدُ طمّ المطاء

يسقط الطيرُ حيث يتشّر الحبُّ وتُغشى منازل الكرماء

دقّ رجل على عمر بن عبد العزيز الباب فقال عمر: من هذا؟ قال أنا. قال عمر: ما تعرف أحدا من إخواننا يسمى أنا .

خرج شبيب بن شيبه من دار الخلافة يوما فقال له قائل : كيف رأيت الناس؟ فقال : رأيت الداخل راجيا ورأيت الخارج راضيا .

قال أبو العتاهية

إذا أشنّدوني حجابُ أمرئ * ككَيْتُ المؤونة حُجَابَه

حُجْب أعرابي على باب السلطان فقال

أهين لهم قمى لا كرمها بهم * ولا يُكرّم النفس الذى لا يُمينها

وقال جرير

قوم إذا حضر الملوك وفودهم * تُنتفت شواربهم على الأبواب

وقال آخر

فلما وردت البابَ أيقنْتُ أنا * على الله والسلطان غيرُ كرام

وقال أبو القمقام الأسدي^(٢)

أبلغ أبا مالك عنى مُفْلَنة * وفى العتاب حياةٌ من أقوام

(١) فى النسخة الفتواغرافية عمرو بن عبيد .

(٢) كذا بالتسخين الألمانية والفتواغرافية وقد أورد الجاحظ هذا الشعر فى البيان والبيان، ونسب لهما الرقائى ونسب المرتضى فى التاج لصام بن عبيد الزناتى .

(٣) كذا بالأصل ويوافقه لسان العرب وفى البيان الجاحظ والتاج للرقائى : أبا مسنن

أَدْخَلْتَ قَبْلِي قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ * مِنْ قَبْلِ أَنْ يَلْجُوا الْآبَوَابَ قَدَامِي
لَوْعْدِي بَيْتٌ وَبَيْتٌ كُنْتُ أَكْرَمُهُمْ * بَيْتًا وَأَبْصَحُ مِنْ مَثَلِ الْقَدَامِ
قَدْ جَلَسْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلَتْ * بِيَابِ دَارِكَ أَدْلُوها بِأَقْصَا

التلطف في مخاطبة السلطان

والقاء النصيحة إليه

العتبي قال قال عمرو بن عُتْبَةَ للوليد حين تَكَرَّه الناس : يا أمير المؤمنين إنك سَطَقْتَنِي
بِالْأَنْسِ بَكَ وَأَنَا أَكْفَيْتُ ذَلِكَ بِالْهَيْبَةِ لَكَ . وَأَرَاكَ تَأْمِنُ أَشْيَاءَ أَخَافُهَا عَلَيْكَ ، أَفَأَسْكُتُ
مُعْطِيًا ؟ أَمْ أَقُولُ مُشْفِقًا ؟ قَال : كُلُّ مَقْبُولٍ مِنْكَ ، وَفِيهِ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٍ نَحْنُ صَارُونَ
إِلَيْهِ . وَنَعُودُ فَنَقُولُ : قَتَلْتِ بَعْدَ أَيَّامٍ .

١٠ وفي إلقاء النصيحة إليه : قرأت في كتاب للهند أن رجلا دخل على بعض
ملوكهم فقال له : أيها الملك نصيحتك واجبة في الحفير الصغير بله الجليل انظر
ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك ما يسوء موقعه من الأسماع والقلوب في جنب
صلاح العاقبة وتلافي الحادث قبل تفاقمه لكان خرقا مني أن أقول ، وإن كنا إذا رجعنا
إلى أن بقا^(١)نا [موصول] ببقائك وأنفسنا معلقة بنفسك لم أجذب^(١)ك من أداء الحق
إليك وإن أنت لم تستلني [أو خفت^(١) ألا تهبل^(١) مني] ، فإنه يقال : من كتم السلطان
نصحه والأطباء مرضه والإخوان بته فقد خان نفسه .

الخفوت في طاعته

قال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد : إني قد أعددتك لأمر . قال : يا أمير المؤمنين ،
إن الله قد أعد لك مني قلبا معقودا بنصيحتك ويدها مهسوطة بطاعتك وميفها مشحودا
على عدوك فلذا شئت قتل .

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

وفي مثله : قال إسماعيل بن إبراهيم قال لى جعفر بن يحيى أغد على غدا لكتنا .
فقلت : أنا والصبيح كغريسي رهان . وفي مثله : أمر بعض الأمراء رجلا بأمر فقال
له : أنا أطوع لك من اليد وأذل لك من النمل . وقال آخر : أنا أطوع لك من الرداء
وأذل لك من الحناء .

التلطف في مدحه

قال خالد بن عبد الله القسري لعمر بن عبد العزيز : من كانت الخلافة زانته ،
فانك قد زنتها ، ومن كانت شرفه فانك قد شرفتها ، فانت كما قال القائل
وإذا الذر زان حسن وجوه * كان للذر حسن وجهك زيننا
فقال عمر : أعطى صاحبكم مقولا ولم يعط معقولا .

- ١٠ وكتب بعض الأدباء إلى بعض الوزراء : « إن أمير المؤمنين منذ استخلصك لنفسه
نظر بعينك وسمع بأذنك ونطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك وأورد وأصدر عن
رايك ، وكان تفويضه إليك بعد امتحانك وتسليطه الرأي على الهوى فيك بعد أن
میل بينك وبين الذين سموا لرتبتك وجرّوا إلى غايتك فاستقطعهم مضارئك وحققوا
في ميزانك ولم يزدك رفة إلا أزددت قه تواضعا ، ولا بسطا وإنما إلا أزددت له
هبة وإجلالا ، ولا تسليطا وتمكيناً إلا أزددت عن الدنيا عز وفا ، ولا تقربا إلا أزددت
من العامة قربا . ولا يخرجك فرط النصيح للسلطان عن النظر لرعيته ، ولا إثارة حقه
عن الأخذ لها بحقها عنده ، ولا القيام بما هو له عن تضمن ما عليه ، ولا تشغلك
جلائل الأمور عن التفتد لصغارها ، ولا الجدل بصلاحها واستقامتها عن استعمار
الحذر وإمعان النظر في عواقبها » .

- ٢٠ وفي مدحه : دخل العُماني الرابض على الرشيد لينشده وعليه قلنسوة طويلة وحُف
ساذج ، فقال له الرشيد : يا عُماني ، إياك أن تشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور

وَحَنَانٌ دَقَّانٌ فَبَكَرَ إِلَيْهِ مِنَ النَّدَى وَقَدْ تَرَى بَرِيَّ الْأَعْرَابِ ثُمَّ أَتَشَدُّ وَقِيلَ يَدُهُ وَقَالَ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَاقَهُ أَتَشَدُّ مَرَّوَانٌ وَرَأَيْتُ وَجْهَهُ وَقِيلَتْ يَدُهُ وَأَخَذَتْ جَائِزَتَهُ
 ثُمَّ زَيْدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ ثُمَّ السَّفَاحُ ثُمَّ الْمَنْصُورُ ثُمَّ الْمَهْدِيُّ . كُلُّ هَؤُلَاءِ
 رَأَيْتُ وَجُوهَهُمْ وَقِيلَتْ أَيْدِيَهُمْ وَأَخَذَتْ جَوَائِزَهُمْ ، إِلَى كَثِيرٍ مِنْ أَشْيَاءِ الْخُلَفَاءِ وَبِكَارِ
 الْأُمَرَاءِ وَالسَّادَةِ وَالرُّؤَسَاءِ ، وَاقَهُ مَا رَأَيْتُ فِيهِمْ أَبْهَى مَنَظَرًا وَلَا أَحْسَنَ وَجْهًا وَلَا أَنْهَمَ
 كَفًّا وَلَا أَتَدَّى رَاحَةً مِنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَعْظَمَ لَهُ الْجَائِزَةُ عَلَى شَعْرِهِ وَأَضْعَفَ لَهُ
 عَلَى كَلَامِهِ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَنَاسِلَهُ حَتَّى تَمَّتْ جَمِيعٌ مِنْ حَضْرَتِهِ أَنَّهُ قَامَ ذَلِكَ الْمَقَامُ .

وفى المديح : كتب الفضل بن سهل إلى أخيه الحسن بن سهل فقال : « إن الله
 قد جعل جَنَّتَكَ عاليًا وجعلك في كل خير مُقَدِّمًا وإلى غاية كل فضل سابقًا وصيرك ، وإن
 ثاب بك الدار ، من أمير المؤمنين وكرامته قريبًا ، وقد جدد لك من البر كَيْتَ وكَيْتَ .
 وكذا يحوز الله لك من الدين والدنيا والعز والشرف أكثره وأشرفه إن شاء الله » .
 وفى مدحه : قال الرشيد يوما لبعض الشعراء : هل أحدثت فينا شيئًا ؟ فقال :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ المديحُ فيك دون قدرك والشعرُ فيك فوق قدرى ، ولكنى أَسْتَحْسِنُ
 قول العتّابيّ

مَاذَا بَرَى قَاتِلٌ يَنْقُى عَلَيْكَ وَقَدْ * نَادَاكَ فِي الْوَحْيِ تَقْدِيسٌ وَتَطْهِيرُ
 قُتَّ الْمَدَامِخِ إِلَّا أَنْتَ أَلْسُنَا * مُسْتَنْطَلَقَاتُ بِمَا تَحْفَى الضَّائِرِ
 [فِي عَقَّةٍ لَمْ تَمْ إِلَّا بَطَاطِنُهُمْ * مِنْ الْكَتَابِ وَلَمْ تُقْصَ الْمَشَاعِرِ
 هَذِي يَمِينُكَ فِي قُرْبَاكَ صَائِلَةٌ * وَصَارُمٌ مِنْ سَيُوفِ الْهِنْدِ مَأْثُورِ]

(١) كذا بالأصل غير مضبوط والله أعلم كما في القاموس دوية كالبُور . وفى المقد الفريد « دَقَّان » .

وفى البيان والبيان « دَمَالِقَان » والدماق الحجر الأملس .

(٢) زيادة فى النسبة الألبانية .

(٣) فى الأصل « عربة » بالياء . الموحدة والتصحيح عن الأغاني .

(٤) فى الأصل « جدواك مائجة » والتصحيح عن الأغاني .

- وفي مدهه : كتب بعض الكلاب إلى بعض الأمراء : « إن من النعمة على الخبيث عليك أنه لا يخاف الإفراط ولا يأمن التقصير ولا يحذر أن تلحقه هيبعة الكذب ولا ينتهي به المدح إلى غاية إلا وجد في فضلك عوناً على تجاوزها . ومن سعادة جنتك أن الداعي لك لا يقدم كثرة المشايين ومساعدة النية على ظاهر القول » .
- وفي مثله كتب بعض الأدباء إلى الوزير : « مما يمين على شركك كثرة المنصين له ، وما ييسر لسان مادحك أمنه من تحمل الإثم فيه وتكذيب السامعين له » .
- وفي مثل ذلك : لما عقد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون فقال لعمر بن سعيد : قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد فإن يزيد ابن معاوية أمل تأملونه وأجل تأملونه ، إن استضيفتم إلى جلمه وسعكم ، وإن أخرجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن أقصرتم إلى ذات يده أغناكم ، جدع قارع سوق فسبق ١٠ وموجد فجدع ومورع فخرج فهو خلف أمير المؤمنين ولا خلف منه » فقال معاوية : أوسعت يا أبا أمية فاجلس .
- وفي مثل ذلك : قال رجل للحسن بن سهل : « أيها الأمير ، أسكتني عن وصفك تساوياً أفضالك في السوء وحيرني فيها كثرة عندها فليس لي ذكر جميعها سبيل ، وإن أردت ذكر واحدة اعترضت أختها إذ لم تكن الأولى أحق بالذكر منها ، فليست ١٥ أصفها إلا باظهار العجز عن صفتها » .
- وفي مثل ذلك : كتب آخر إلى محمد بن عبد الملك « إن مما يطعن في بقاء النعمة عليك ، ويزيدني بصيرة في العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها واستوجبها بما فيك من أسبابها ، ومن شأن الأجتناس أن تتواصل وشان الأشكال أن تتقاوم ، والشئ ٢٠ يتغلغل في مدنه ويمتن إلى عنصره ، فإذا صادف منيته ولز في مغرسه ضرب بعرقه وسمق فرعوه وتمكن تمكن الإقامة وثبت ثبات الطبيعة » .

وفي مثل ذلك : كتب آخر الى بعض الوزراء : « رأيتني فيما أتعاطى من مدحك كالشجر
عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذي لا يخفى على ناظر، وأيقنت أني حيث
اتهي في القول منسوب إلى السجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك إلى
الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك » .

وفي مثله كتب المتأني إلى خالد بن يزيد : « أنت أيها الأمير وارث سلفك وبقية
أعلام أهل بيتك، المسدود بك تلهمه والمجند بك قدیم شرفهم والمتب به أيام صيتهم
والمستب [ب] آمالنا والصائبك أكالنا والمأخوذ بك ^(١) [حظوظنا، فانه لم يحل من
كنت واريه، ولا درمت آثار من كنت سالك سبيله ولا أعنت معاهد من خلفته
في مرتبته » .

وفي شكره : قرأت في التاج قال بعض الكتاب لللك : « الحمد لله الذي أعلقني سببا
من أسباب الملك ورفع خسيستي بمخاطبته وعزز ركني من النلة به وأظهر بسطقي
في العانة وزين مقاومتي في المشاهدة وفقا غني عيون الحسد وذل لي رقاب الجبارة
وأعظم لي رغبات الرعية وجعل لي به عيبا يوطأ وخطرا يعظم ومزية تحسن، والذي
حقق في رجا من كان يأملني وظاهر به قوة من كان ينصرني وبسط به رغبة من
كان يستغفني، والذي أدخلني من ظلال الملك في جناح سترني، وجعلني من أتكافه
في كنف آتسع عل » .

وفي شكره وتعداد نعمه : قرأت في سير العجم أن أردشير لما استوسق له أمره
جمع الناس وخطبهم خطبة بليغة حضهم فيها على الألفة والطاعة وحذرهم المعصية
وصنف الناس أربعة أصناف، نخر القوم مجدا وتكلم متكلهم مجيا فقال : « لا زلت

- أيها الملك محبوا من الله بركة النصر ودرك الأمل ودوام العافية وحسن المزيد، ولازلت نتابع لديك النعم وتُسبِّح عندك الكرامات والفضل حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها ولا تنقطع زهرتها في دار القرار التي أعدتها الله لنظرائك من أهل الزُلفى عنده والحظوة لديه ، ولازال ملكك وسلطانك باقين بفاء الشمس والقمر زائمين زيادة البحور والأشجار حتى تستوى أقطار الأرض كلها في علوك عليها وقاد أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الشمس ووصل اليها من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم ، فعممت الأيدي بعد اقترافها والكلمة بعد اختلافها وأقمت بين القلوب بعد تباعدتها وأنعت الإحَنَ والحسَنَ بعد أسيار يرانها ، وأصبح فضلك لا يدرك بوصف ولا يحُدُّ بتعداد ، ثم لم ترَضَ بما عَمَّتنا به من هذه النعم وظاهرت من هذه الأيادي حتى أحبت تطييدها والاستيقاق منها وعملت لنا في دوامها كعملك في إقامتها وكفَّلت من ذلك ما نرجو نفعه في الخُلُوف والأعقاب ، وبلغت همتك لنا فيه حيث لا تبلغ همم الآباء للأولاد ، فجزاك الله الذي رضاه تحزيت وفي موافقته سمعيت أفضل ما التمسْت ونويت» .

- وفي مثله : قال خالد بن صفوان لوالٍ دخل عليه : « قدست فأعطيت كلاً بقسطه من نظرك وجلسك وصلاحك وعدلك حتى كأنك من كل أحد أو كأنك لست من أحد» .
- وفي شكره : كتب بعض الكُتَّاب إلى الوزير يشكره : « من شكرك عن درجة رفعتك إليها أو ثروة أفدته إياها فان شكرى إياك على مهجة أحييتها وحُشاشة تبقيتها ورمقي أمسكت به وقت بين التلف وبينه » .

- وفي شكره : قرأت في كتاب : « ولكل نعمة من نعم الدنيا حدٌ تنتهى إليه ومدى تُوقف عنده وغاية في الشكر يسمو إليها الطُرفُ خلا هذه النعمة التي قاتت الوصف
- وطالت الشكر وتجاوزت كل قدر وأنت من وراء كل غاية وجمعت من أمير المؤمنين

مِنَ الْجَمَةِ أَبَقْتُ لِلصَّاحِبِينَ مِمَّا وَلِلْبَاقِينَ نَفَرَ الْأَبَدُ وَرَدَّتْ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمَتْ عَنَّا
أَنْفَ الْحَسُودِ وَبَسَطَتْ لَنَا عِزًّا تَتَدَاوَلُهُ ثُمَّ نَحْلِقُهُ لِلْأَعْقَابِ فَتَنْحَنُّ نَلْجَأُ مِنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَتَفِ كَرِيمٍ وَقَلْبِ عَطُوفٍ وَنَظَرِ رَعُوفٍ، فَكَيْفَ يَشْكُرُ
الشَّاكِرُ مَنَّا وَأَيْنَ يَبْلُغُ اجْتِهَادُ مَجْتَهِدِنَا وَمَتَى تَزْدَى مَا يُلْزِمُنَا وَيَقْضِي الْمَقْتَرَضَ عَلَيْنَا وَهَذَا
كَتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي لَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ وَلَا بَائِتُهُ الرَّاشِدِينَ عِنْدَ مَنْ مَضَى مَنَا وَمَنْ غَبَا
إِلَّا مَا وَرَدَ مِنْ صَنُوفِ كَرَامَتِهِ وَأَيَادِيهِ وَلَطِيفِ أَلْفَاظِهِ وَمَخَاطِبَتِهِ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ
مَا يَحْسُنُ الشُّكْرَ وَيُسْتَفْرِغُ الْمَجْهُودَ .

التلطف في مسألة العفو

قال كسرى لبوشت المنيّ وقد قتل فهلوز حين فاقه وكان تلميذه : « كُنْتُ
أَسْتَرِيحُ مِنْهُ إِلَيْكَ وَمَنْكَ إِلَيْهِ فَأَذْهَبَ شَطْرَ مَتَمَيِّ حَسْبُكَ وَقَتْلُ صَدْرِكَ » ثُمَّ أَمَرَ
أَنْ يَلْقَى تَحْتَ أَرْجْلِ الْقَيْلَةِ فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِذَا قَتَلْتُ أَنَا شَطْرَ طَرَبِكَ وَأَبْطَلْتُهُ
وَقَتَلْتَ أَنْتَ شَطْرَهُ الْآخَرَ وَأَبْطَلْتُهُ، أَلَيْسَ تَكُونُ جَنَائِبَتِكَ عَلَى طَرَبِكَ بِكَفَايَتِي عَلَيْهِ ؟
قَالَ كَسْرَى : دَعُوهُ، مَا دَلَّةٌ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ إِلَّا مَا جُعِلَ لَهُ مِنْ طَوْلِ الْمَلَّةِ .

وفي العفو أيضا . قال رجل للنصور : « الْإِسْتِقَامُ عَدْلٌ وَالتَّجَاوُزُ فَضْلٌ وَنَحْنُ نَعْبُدُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ مِنْ أَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِأَوَكْسِ النَّصِيْبِينَ دُونَ أَنْ يَبْلُغَ أَرْفَعَ الدَّرَجَتَيْنِ » .
وفي العفو : جلس الجمّاج يقتل أصحاب عبد الرحمن ، فقام إليه رجل منهم فقال :
أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنِّي عَلَيْكَ حَقًّا . قَالَ : وَمَا حَقُّكَ عَلَيَّ ؟ قَالَ : سَبَّكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَوْمَا
فَرَدَدْتُكَ عَنْكَ . قَالَ : وَمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ ؟ قَالَ الرَّجُلُ : أَنَسَّدَ اللهُ رِجْلَا سَمِعَ ذَلِكَ
إِلَّا شَهِدَ بِهِ . فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَمَرِيِّ فَقَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَقَالَ : خَلَوْا

عنه . ثم قال للشاهد : فما تمك أن تترك كما أنكرك ؟ قال : لقد يم بنضى إياك . قال :
ويخلى هذا لصدقه .

وفي العفو : أسر معاوية يوم صفين رجلا من أصحاب علي صلوات الله عليه ، فلما
أقيم بين يديه قال : الحمد لله الذي أمكن منك . قال : لا تقل ذلك فانها مصيبة .
قال : وآية نعمة أعظم من أن يكون الله أنظرني رجل قتل في ساعة واحدة جماعة
من أصحابي . اضربا عنقه . فقال : ألهم اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ولا لأنك
ترضى قتلي ، ولكن قتلتني في الغلبة على حطام هذه الدنيا ، فان فعل فاضل به ما هو
أهله ، وإن لم يفعل فاضل به ما أنت أهله . فقال : فأتلك الله ! لقد سببت فأوجعت
في السب ودعوت فأبشيت في الدماء . خلينا سبيله .

- ١٠ وفي مثله . أخذ عبد الملك بن مروان سارقا فأمر بقطع يده فقال .
يدى يا أمير المؤمنين أعيئها * بفوك أن تلقى مكانا يشينها
فلا خير في الدنيا وكانت حبيبة * إذا ما شمالي فارقتها يمينها
فأبى إلا قطعه ، فدخلت عليه أنه فقالت : يا أمير المؤمنين ، واحدى وكاسي .
فقال : بئس الكاسب ! هذا حد من حدود الله . فقالت : اجعله من الذنوب
التي تستغفر الله منها . فعفا عنه .

- ١٥ وفي مثله : أخذ عبد الله بن علي أسيرا من أصحاب مروان فأمر بضرب عنقه فلما
رفع السيف ليضرب به شرط الشأمي فوق العمود بين يدي الغلام ونفرت دابة عبادته
فضحك وقال : اذهب فانت عتيق أسك . فالتفت اليه وقال : أصلح الله الأمير !
رأيت ضربة قط أنجيت من الموت غير هذه ؟ قال : لا ، [قال ^(١) هذا والله الإدبار . قال :
وكيف ذاك ؟ قال : ما ظنك بنا وكنا ندفع الموت بأستنا فصرنا ندفعه اليوم بأستنا .

(١) زيادة يمينها السابق .

وفي مثله : خرج النعمان بن المنذر في غيب سماء فترجل من بني يثرب جالسا على غدیر ماء ، فقال له : أعرف النعمان ؟ قال الإشكري : أليس ابن سلمى ؟ قال : نعم . قال : والله لربما أمررت يدي على فرجها . قال له : ويحك ، النعمان بن المنذر ! قال : قد خبرتك . فما أقضى كلامه حتى لحقته الخليل وحيوه بتحية الملك . فقال له : كيف قلت ؟ قال : أبیت اللعن ، إنك والله ما رأيت شيئا أكذب ولا أألم ولا أوضع ولا أعص بغير أمه من شيخ بين يديك . فقال النعمان : دعوه ، فأنشأ يقول :

تغفو الملوك عن العظيمة من الذنوب لفضلها

ولقد تُعاقب في اليسير وليس ذاك لجليلها

إلا ليمرّف فضلها * ويخاف شدة نكحها

وفي مثله : لما أخذ المأمون إبراهيم بن المهدي استشار أبا إسحاق والعباس في قتله فأشارا به ، فقال له المأمون : قد أشارا بقتلك . فقال إبراهيم : أما أنت يكونا قد نصبا لك في عظم الخلافه وما جرت به عادة السياسة فقد فصلا ، ولكك تأتي أن تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله . وكان في اعتذاره إليه أن قال : إنه وإن بلغ جرّمي استعلاّ دمي فحلم أمير المؤمنين وفضله يُلغاني عفوّه ولي بعدهما شُفعة الإقرار بالذنب وحقّ الأبوة بعد الأب . فقال المأمون : لو لم يكن في حق سببك حقّ الصنع عن جرّمك لبُلتك ما أمّلت حسنُ تتصّلك ولطف توصّلك . وكان إبراهيم يقول بعد ذلك : والله ما عفا عني المأمون صلة لرحمي ولا عجة لاستحيائي ولا قضاء لحق عمومي ، ولكن قامت له سوق في العفو ففكر أن يُفسدها بي . ومن أحسن ما قيل في مثله قول المتأبّي

رحل الرجاء إليك مُفترِبا * حُشِدَتْ عليه نوابث الدهر

(*) هكذا بالقصورافية وفي العقد الفرید "نبيك" .

رَدَّتْ إِلَيْكَ نَدَامَتِي أَمْسِلُ * وَفِي إِلَيْكَ عِصَانَهُ تُصَكِّرِي
وَجَعَلْتُ عَتَبَكَ عِبَ مَوْعِظَةٍ * وَرَجَاءَ عَفْوِكَ مُنْتَهَى عِذْرِي

وقول علي بن الجهم للتوكل

عفا الله عنك ألا حرمة * تموز بفوك أن أبدا^(١)
لئن جل ذنب ولم أحمله * لأنت أجل وأعلى يدا
ألم تر عبدا عدا طوره * ومولى عفا ورشيدا هدى
ومفسد أمر ثلاثيته * فساد فأصلح ما أفسدا
أقلني أفا لك من لم يزل * حقيق ويصرف عنك الردى^(٢)

وفي مثله . ويجد بعض الامراء على رجل جفاه وأطرحه حينما ثم دعا به ليستهله

عن شيء فراه ناحلا شاحبا . فقال له : متى اعتللت ؟ فقال
ما مسنى سقمٌ ولعكني * جفوت نفسي إذ جفاني الأمير^(٣)

فعاد له .

وقال آخر

ألا إن خير العفو محجل * وشر العقاب ما يُعْجِزُ به القدرُ

وكان يقال : بحسب العقوبة أن تكون على مقدار الذنب .

وفي العفو : قال بعضهم : إن عاقبت جازيت وإن عفوت أحسنت والعفو

أقرب للتقوى .

(١) في الأصلين المتنوعين والألساني «تمجود» والتصويب عن الألفاني .

(٢) في نسخة : العدا .

(٣) كذا بالتنوعين والألفاني على أنه شعر والكلام في ذاته مستقيم الوزن ، وأورده صاحب النقد

تراجمه «وأكبت أن لأرضي منها حتى يرضى عنها أمير المؤمنين» .

ونحوه : قال رجل لبعض الأمراء : أسألك بالذي أنت بين يديه أدل منى بين يدك، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي إلا نظرت في أمري نظراً من برئ أحب إليه من سُقْمى وبرأى أحب إليه من جرئ .

ونحوه قول آخر : قديم الحرمة وحديث التوبة يحقان ما بينهما من الإساءة .
وفي مثله : أتى الأحنف ابن قيس مُصعب بن الزبير فكلّمه في قوم حبسهم ، فقال، أصلح الله الأمير: إن كانوا حُبسوا في باطل فالحق يخرجهم، وإن كانوا حُبسوا في حق فالحق يسعهم، نخلّاهم .

وفي مثله : أمر معاوية بمقوبة رَوْح بن زُبَيْع فقال له روح : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع مني خسيصة أنت رفعتها أو تنقض مني مرة أنت أبرمتها أو تُسَمِت بي عدوا أنت وقّنته وإلا أتى حُلُك وعفوك على جهلى وإساءى . قال معاوية : خَلِّيا عنه . ثم أنشد :

« إذا الله سَنَى عقدَ امرئ يسيراً »

وفي مثله . أمر عمر بن عبد العزيز بمقوبة رجل قد كان نذر إن أمكنه الله منه ليفعلن به ليفعلن . فقال له رجاء بن حيوة : قد فعل الله ما تحب من الظفر فافعل ما يحب الله من العفو .

وفي مثله : قال ابن القُرَيْبِ السَّيَّاح في كلام له : أَقْلَنِي عَثْرِي وَأَسْغِنِي رَيْقِي فَانْه لا بد للجواد من كِبوة ولا بد للسيف من نبوة ولا بد للحليم من هفوة . فقال المجابح : كَلَّا، والله حتى أوردك جهنم . أَلست القاتل بِرُسْتَقْبَاد : تَتَدَوُّوا الحدى قبل أن يتعشّاكم .
وفي مثله : أمر عبد الملك بن مروان بقتل رجل فقال : يا أمير المؤمنين، إنك أعز ما تكون أحوج ما تكون إلى الله، فأعف له فانك به تُمان وإليه تمود . نخلّي سبيله .

(١) تهرته وأذنته .

(٢) كنا بالأصل في الأصل وأسألك بالله إلا أتى حلك الخ .

وفي مثله . قال خالد بن عبد الله لسليلان بعد أن عذبه ^(١١) [بما عذبه به] : إن القدرة تذهب الحفيظة وقد جُلَّ قدرُك عن العتاب ونحن مقرُّون بالذنب ، فإن تمَّ فاهل العفو وإن تعاقب فيها كان منا . فقال ^(١١) [أولى لك] أما حتى تأتي الشام راجلاً فلا عفو .
وفي مثله : ضرب المجاج أعتاق أسارى أتى بهم ، فقال رجل منهم : والله لئن كنا أسانا في الذنب فما أحسنَت في المكافاة . فقال المجاج : أف لهذه الحيف ! أما كان فيهم أحد يحسن مثل هذا ! وكفَّ عن القتل .

وفي مثله . أخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه . فقال : أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذي يستضاء به فاتمق بأطرافك وأقول أي ربِّ سل مصعباً فيم قتلى . قال : أطلقوه . قال : اجعل ما وهبت لي من حياتي في خَفَض . قال أعطوه ١٠ مائة ألف . قال : بأبي أنت وأمي ، أشهد الله أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفاً . قال : ولم ؟ قال : لقوله فيك

إنما مصعبٌ شهاب من الله تجمَّلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه * جبروتٌ يُخشى ولا كبرياء
يُنقَى الله في الأمور وقد أفلح من كان همه الاتقاء ١٥

فضحك مصعب ، وقال : أرى فيك موضعاً للصنعة ، وأمره بلزومه وأحسن إليه فلم يزل معه حتى قتل .

وفي مثله : قال عبد الملك بن الحجاج التتلي لعبد الملك بن مروان : هربت إليك من العراق . قال : كذبت ، ليس إلينا هربت ، ولكك هربت من دم الحسين وخفَّت على دمك فليجأت إلنا . ثم جاء يوماً آخر فقال ٢٠

(١) زيادة في التسمية الألمانية .

(٢) في التسمية الألمانية « عبد الله » .

أدنو لترحمي وترثي خلتى * وأراك تنفنى فأين المدفع

ونحوه قول الآخر

كنتُ من كربى أقر إليهم * فهمُ كربى فأين القرار

وفى مثله : قَتَعَ المِجْهَاجُ رجلاً فى مجلسه ثلاثين سوطاً وهو فى ذلك يقول

وليس بتعزيز الأمير تَرْأِيَهُ * على إذا ما كنتُ غير مُرِيب

ونحوه

وإن أمير المؤمنين ونفسه * لكالدهر، لا عار بما فعل الدهر

وفى مثله : مر الحسن البصرى برجل يُقَاد منه . فقال للوئى : يا عبد الله، إنك

لا تدري لعل هذا قتل وليك وهو لا يريد قتله ، وأنت تقتله متعمدا ، فانظر لنفسك .

قال : قد تركته لله . ١٠

وفى مثله . حدثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن عيسى بن عمر قال : رُمى المِجْهَاجُ

فقال : انظروا من هذا ؟ فأوما رجل بيده ليرمى . فأُغْذِ فأَدْخَلَ عليه وقد ذهبَتْ

روحُه . قال عيسى بصوت ضعيف يَحْكِي المِجْهَاجُ : أنت الرأَمِيَا منذ الليلة ؟ قال :

نعم أيها الأمير . قال ، ما حملك على ذلك ؟ قال : أَلَمَّا وَافَقَ واللَّؤْم . قال : خَلُّوا

عنه . وكان إذا صُلِقَ انكسر ١٥

وفى مثله : حدثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن عثمان الشَّحَام قال : أُنِى المِجْهَاجُ

بالشَّعْبِي فقال له : أخرجتَ علينا يا شعبي ؟ قال : أجذب بنا الجَنَابُ وأُحْرَنُ بنا المَزَلُ

واستحلستنا الخوْفَ واكسحلنا السَّهْرَ وأصابتنا نَزْية لم تكن فيها بَرَّةٌ أَتْقِيَاهُ ولا بَجْرَةٌ

أَقْوِيَاهُ . فقال المِجْهَاجُ : لله أبوك . ثم أرسله .

وفي مثله: أتى موسى بن المهدي رجل كان قد حبسه فجعل يُقرّعه بذنوبه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، اعتذارى مما تفرّغني به ردّ عليك وإقرارى بما تَعْتَدُه عليّ يُلْزِمُنِي ذَنْبًا لَمْ أَجِئْهُ، ولكنّي أقول

فإن كنتَ ترجو بالعقوبة راحةً * فلا تَهْدُنْ عند المعافاة في الأجر

- وفي مثله: قال الحسن بن سهل لَنُجَيْمِ بْنِ حَازِمٍ وقد اعتذر إليه من ذنب عظمه :
- على رِسْلِكَ أيها الرجل، تَقَلَّمْتُ لَكَ طَاعَةً وَتَأَخَّرْتُ لَكَ تَوْبَةً، وليس لذنوب بينهما مكان، وما ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو .

- وفي الدعاء له : قال رجل لبعض الأمراء : « إني لو كنت أعرف كلاما يجوز أن أتى به الأمير غير ما جرى على ألسن الناس، لأحببت أن أبلغ ذلك فيما أدعو به له وأعظم من أمره، غير أنني أسأل الله الذي لا يخفى عليه ما تحتجب به النيوب من نيات القلوب أن يجعل ما يطلع عليه مما تبليغه نيتي في إرادته للأمر أدنى ما يؤتیه إياه من عطاياه ومواهبه » .
- ١٠

وفي الدعاء له : قرأت في كتاب رجل من الكتاب « لا زالت أيامك ممدودة بين أمل لك تبليغه وأمل فيك مُحَقَّقُهُ حَتَّى تُنْقِلَ مِنَ الْأَعْمَارِ أَطْوَلَهَا وَتَرْقَى مِنَ الدَّرَجَاتِ أَفْضَلَهَا » .

- ١٥
- وفي الدعاء : دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قُبِضَتْ ضِيَاغُهُ فقال : السلام عليك أمير المؤمنين . محمد بن عبد الملك سليل نِعمتك وآبن دولتك وغصن من أغصان دوحتك، أتأذن له في الكلام ؟ قال : نعم . فتكلّم بعد حمد الله والثناء عليه . فقال « نَسْتَمِعُ اللَّهَ لِحَيَاةِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَرِعَايَةِ أَدْنَانَا وَأَقْصَابِنَا بِنِقَائِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عَمْرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا وَفِي أَثَرِكَ مِنْ آثَارِنَا وَيُقَيِّقَ
- ٢٠

(١) في النسخة التوغرافية « لا جبت » وهو تحريف .

الأذى باسماعنا وأبصارنا . هذا مقام المائذ بظلك الهارب الى كتفك وفضلك الفقير الى رحمتك وعملك » ثم تكلم في حاجته .

وفي شكر السلطان وفي حمده : قدم رجل على سليمان بن عبد الملك في خلافة فقال له : ما أقدمك عليّ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أقدمني عليك رغبة ولا رهبة . قال : وكيف ذاك ؟ قال : أما الرغبة فقد وصلت اليها وفاضت في رجالنا وتناولها الأقصى والأدنى منّا ، وأما الرّهبة فقد أمّناً بملكك يا أمير المؤمنين علينا وحسن سيرتك فينا من الظلم ، فصحت وفد الشكر .

وفي حمده : كتب بعض الكُتاب الى وزير : « كلّ مدّي يبلغه القائل بفضلك والواصف لأيامك والشاكر للنعمة الشاملة بك قصد أمّ عند الفضائل الموفورة لك والمواهب المقسومة للرعية بك ، فواجبٌ عليّ من عرف قدر النعمة بك أن يشكرها وعلى من أظله عزّ أيامك أن يستدعيه وعلى من حاطته دولتك أن يدعو الله ببقائها ونائها ، فقد جمع الله بك الشّئات وأصلح بها الفساد وقبض الأيدي الجائرة وعطف القلوب النافرة ، فأمنت سرب البرىء وخفضت جأشه وأخفت سبيل الجاني وأخذت عليه مذاهبه ومطالمة ووقفت بالخاصّة والعامة على قصد من السيرة أمّنوا بها من المتآمر والكبوة » .

وفي حمده على شكر الله عز وجل . قال شبيب بن شيبه للهدى : إن الله عز وجل لم يرض أن يجعلك دون أحد من خلقه ، فلا ترصّ بأن يكون أحد أشكر له منك والسلام .



٢٠ تم كتاب السلطان ، ويتلوه في الجزء الثاني كتاب الحرب

كتاب الحرب

آداب الحرب ومكايدها

- قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية ابن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام والأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَا تُمَتُّوْا لقاء العدو فمضى أن تُبْتَلَوْا بهم ولكن قولوا اللهم أكفنا وكف عنا بأسهم ، وإذا جاعوكم يمزفون ويزحفون ويصيحون فعليكم الأرض جلوسا ، ثم قولوا : اللهم أنت ربنا وربهم ، ونواصيتنا ونواصيهم بيدك ، فإذا غشوكم فنوروا في وجوههم» .

- حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن عبد العزيز عن
١٠ حدثه أن أبا الدرداء قال : أياها الناس ، عمل صالح قبل الفوز فاتما تقاتلون بأعمالكم .
حدثنا القاسم بن الحسن عن الحسن بن الربيع عن ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث أمراء الجيوش أو صاهم بتقوى الله العظيم ، ثم قال عند عقد الألوكة : بسم الله وعلى عون الله وأمضوا بتأييد الله بالنصر وبزوم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تمتدوا إن الله لا يحب المعتدين . لا تجبئوا عند اللقاء ولا تمتلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند
١٥ الظهور ولا تهتلوا هريما ولا امرأة ولا ولدا . وتوقروا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند

(١) في الألمانية "الحكم" .

حُجَّةُ التَّهْذِيبَاتِ وَفِي شَقِّ الْفَارَاتِ . وَلَا تَقُولُوا عِنْدَ الْغَنَائِمِ وَتَزَهُوا الْجِهَادَ عَنْ عَرَضِ الدُّنْيَا وَأَبْشِرُوا بِالرَّيَاحِ فِي الْبَيْعِ الَّذِي يَأْتِيكُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

استشار قوم أكرم بن صَيْفِيَّ فِي حَرْبِ قَوْمِ أَرَادُوهُمْ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُوصِيَهُمْ فَقَالَ : أَقْلُوا الْخِلَافَ عَلَى أَمْرَانِكُمْ ، وَعَلِمُوا أَنَّ كَثْرَةَ الصَّبَاحِ مِنَ الْفَتْلِ وَالْمَرَّةِ يَجِيزُ لَا عَمَالَةَ . تَتَبِعُوا فَنَاحِمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكْبَيْنِ ، وَرُبَّتْ عَجَلَةٌ تُعَقِّبُ رَبَّنَا ، وَأَتَرَوْا لِلْحَرْبِ وَادْرَعُوا اللَّيْلَ فَانْهَ أَخَى لَوْلِي ، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنْ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَنَا أَدَبَ الْحَرْبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسَازَعُوا فَعِثْلُوا وَتَلَهَّبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

١٠ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا مَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ ، قَالَ عُبَيْدُ بْنُ رِيعَةَ يَوْمَ بَدْرٍ لِأَصْحَابِهِ : أَلَا تَرَوْنَهُمْ — يَعْنِي أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — جُثِيًّا عَلَى الرُّكْبِ كَأَنَّهُمْ تُحْرَسُ يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الْحَيَاتِ . قَالَ : وَبِمَعْتَمِدِ عَائِشَةَ يُكَبِّرُونَ يَوْمَ الْجَمَلِ فَقَالَتْ : لَا تَكْثُرُوا الصَّبَاحَ فَإِنَّ كَثْرَةَ التَّكْبِيرِ عِنْدَ الْإِقَاءِ مِنَ الْفَتْلِ .

١٥ وَذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ عَنِ النَّبِيِّ عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ قَالَ : أَوْصَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ حِينَ وَجَّهَهُ إِلَى الشَّامِ فَقَالَ : يَا يَزِيدُ سِرٌّ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . فَإِذَا دَخَلْتَ بِلَادَ الْعَدُوِّ فَكُنْ بَعِيدًا مِنَ الْجَمَلَةِ فَإِنَّهُ لَا أَمَانَ عَلَيْكَ الْجَوْلَةَ . وَاسْتَظْهَرِ بِالزَّادِ وَسِرَّ بِالْأَدْلَاءِ وَلَا تَقَابِلْ بِجُرُوحٍ فَاقَ بَعْضُهُ لِبَعْضٍ مِنْهُ ، وَأَحْتَرَسْ مِنَ الْبَيَاتِ فَإِنَّ فِي الْعَرَبِ

غِرَّةً، وأقلل من الكلام فأنما لك ما وُحى عنك. وإذا أتاك كتابي فأنهضه فأنما أعمل على حسب إناذه. وإذا قُدمت عليك وفودُ العجم فأنزِلهم معظم عسكرك وأسبغ عليهم النفقة وأمنع الناس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين. ولا تُلحِّن في عقوبة [فإن أدناها وجع] ولا تسرعن إليها وأنت تكفى بشيها. وأقبل من الناس على أيهم وكلهم إلى الله في سرائرهم، ولا تجسَّس عسكرك فتفضحه ولا تهمله فتفسده. وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائمه.

[^(١١) قال أبو بكر لمكرمة حين وجهه إلى عُمان : يا عكرمة سر على بركة الله ولا تنزل على مستأمن ولا تؤثمن على حق مسلم وأهدر الكفر مضه ببعض. وقدم الثَّورين يديك. ومهما قلت إلى فاعل فافعله ولا تجعل قولك لنوا في عقوبة ولا عفو. ولا ترجُ إذا أمنت ولا تخافُ إذا خُوفت ولكن أنظر متى تقول وما تقول. ولا تعدك معصية بأكثر من عقوبتنا فإن فعلت أمت وإن تركت كذبت. ولا تؤمن شريفاً دون أن يُكفل بأهله ولا تُكفل ضعيفاً أكثر من نفسه. وأتق الله فإذا لقيت فاصبر.]

وأوصى عبد الملك بن صالح أمير سريَّة إلى بلاد الروم فقال: أنت تاجر الله لعباده فكن كالنصارى الكيس الذي إن وجد ربها تجر، وإلا احتفظ برأس المال. ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة. وكن من احتيالك على عدوك أشد حذراً من احتيال عدوك عليك.

وحديثي محمد بن عبيد عن ابن عيينة قال : أخبرني رجل من أهل المدينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة أو لمعرو بن الماص: «إذا مبتك في سرية فلا تَنَقِّهم وأقطعهم فإن الله ينصر القوم بأضعفهم».

(١) زيادة في النسخة الألمانية.

(٢) كذا بالسنتين التتوغرافية والألمانية وفي العهد الفريد «مروان».

حدثني محمد بن عبيد [عن ابن عيينة] عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال :
غزا نبي من الأنبياء أو غير نبي فقال : « لا يفزوت معي رجل بنى بناء لم يكمله ،
ولا رجل تزوج امرأة لم يبين بها ، ولا رجل زرع زرعاً لم يحصده » .

[وذكر ابن عباس علياً فقال : ما رأيت رئيساً يوزن به . (١) رأيت يوم صيفين وكان
عينه سراجاً ساطعاً وهو يحبس أصحابه إلى أن انتهى إلى وأنا في كنف فقال : معشر
المسلمين ، استشعروا الخشية وعشوا الأصوات وتجليبوا السكينة وأكلوا اللؤم وأخفوا
الحنون وقلقلوا السيوف في اغمادها قبل السلة وألحظوا الشرز وأطعموا النبر وناخفوا
بالقبا وصلوا السيوف بالخطأ والراح بالنيل وأمشوا إلى الموت مشياً مجباً . (٢) وعليكم
بهذا السواد الأعظم والرواق المطنب فأضربوا نجيحه فان الشيطان راكد في كسره ناخف
خصيه مفترش ذراعيه قد قدم للوثية بدا وأثر للنكوص رجلاً] . (٣)

ولما ولي يزيد بن معاوية سلم بن زياد نراسان قال له : إن أباك كفى أخاه
عظيماً ، وقد استكفيتك صغيراً فلا تسكبن على عذر مني فقد انكثت على كفاية منك .
وإياك متى قبل أن أقول إياي منك ، فإني الظن إذا أخلف فيك أخلف منك .
وأنت في أدنى حظك فأطلب أقصاه ، وقد أتعبك أبوك فلا تريح نفسك ، وكن
لنفسك تكن لك ، واذكر في يومك أحاديث غلك ترشد إن شاء الله . (٤)

قال الأحمي قالت أم جبنويه ملك طخارستان لنصر بن سيار الليثي : ينبغي
للأمير أن تكون له ستة أشياء : وزير يثق به ويضئ إليه سره ، وحصن يلجأ إليه
إذا فرغ فينجيه — يعني فرسا — وصيف إذا نازل به الأقواف لم يخف خوته ،

(١) زيادة في النسخة الألمانية - (٢) في الأصل «كف» وهو يحرف والكف الحشد والجماعة .
(٣) من التنية أي الحبس والأمر أي أحسوا أصواتكم ولا ترضوها . (٤) كذا في الأصل ولم نجد في نهج
البلدة ولعله «أخفوا الخوذ» جمع خوذة أي اجعلوها خفيفة حتى لا تتحلبكم في الحرب . (٥) يقال طين
نبر : غطس كأنه ينبر إلى أي يرضه بسرعة . وفي نهج البلدة : والحنول الخوذوا لشرز .

وذخيرة خفيفة المحمل إذا تابته ثائية أخذها، وامرأة إذا دخل عليها أذهبت همه، وطباخ إذا لم يشته الطعام صنع له ما يشتهه .

وبلغنى عن عباد بن كثير عن عُبَيْل ^(١) [بن خالد] عن الزُهري عن عبيد الله بن عبد الله السرايا أربعمائة وخمسين الجيوش أربعة آلاف وما غلب قوم قط يبلغون اثني عشر ألفا إذا اجتمعت كلمتهم . ^(٢) [وقال رجل يوم حنين: لن تغلب اليوم عن قلة. وكانوا اثني عشر ألفا. فهزم المسلمون يومئذ وأزل الله عز وجل (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكُمْ الْآيَةُ)]. وقالوا كان يقال: ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي، قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بُنِيتُمْ عَلَىٰ تَرْسَاتٍ ثَلَاثٍ خَلْفَ بَيْتِكُمْ) والمكر، قال الله تعالى (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) والتكتك، قال عز وجل (مَنْ نَكَتْ فَأَمَّا يَنْتَكُ عَلَىٰ نَفْسِهِ) .

١٠. وقرأت في كتاب للهند: لا ظفر مع بغي، ولا محبة مع نهم، ولا ثناء مع كبر، ولا صداقة مع خب، ولا شرف مع سوء أدب، ولا بر مع شح، ولا آجتاب مع حرم، ولا محبة مع زهو، ولا ولاية حكم مع عدم فقه، ولا عذر مع إصرار، ولا سلامة مع رية، ولا راحة قلب مع حسد، ولا سودد مع انتقام، ولا رياسة مع غرارة وتجب، ولا صواب مع ترك المشاورة، ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة وزراه .

خرجت خاتمة بخراسان على قتيبة بن مسلم فاهمه ذلك فقيل له: ما يهتك منهم وجه اليهم وكيف بن أبي سود فانه يكفيكمهم . فقال: لا، إن وكما رجل به كبر يحقر أعداءه، ومن كان هكذا قلت مبالاته بعدوه فلم يحترس منه فيجد عدوه منه غرة .

٢٠. (١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) كذا في الأصل القنوغرافي وفي النسخة الألمانية: الزيري والصواب الأول فان المعروف في كتب طبقات المحققين أن عُبَيْل بن خالد يروي عن الزهري والزهري يروي عن عبيد الله بن عبد الله . (٣) في القنوغرافية «ولا محبة مع هز» .

وقرأت في بعض كتب العجم أنك ملكا من ملوكهم سئل : أي مكاييد الحرب أحرز ؟ فقال : إذكاه العيون واستطلاع الأخبار وإشياء القلب وإظهار السرور وأمانة الفرق والاحتراس من البطانة من غير إقصاء لمن يُستنصح ولا استنصاح لمن يُستغنى ولا تحويل شيء عن شيء إلا بسنة ناحية من المراتب وحسن مجاملة الفنون وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بشيء . وسئل عن وثائق الحزم في القتال فقال : غائلة المدق عن الرِّيف وإعداد العيون على الرِّصد وإعطاء المبلّغين على الصدق ومعاينة المتوصلين بالكذب والأُتُخْرِيج هاربا إلى قتال ولا تُضَيِّق أمانا على مستأمن ولا تُسَبِّ عن أصحابك للبقية ولا تُسَدِّدك النعمة عن المخادرة .

وقرأت في كتاب للهند : الحازم يحذر عدوه على كل حال . يحذر الموائبة إن قُرب، والغارة إن بُعد، والكيّن إن انكشف، والاستطراد إن وُتّي، والمكران رآه وحيدا . ويكره القتال ما وجد بُدّا لأن الثقة فيه من الأُتُس والثقة في غيره من المال .

وقرأت في الآيين : قد جرت السنة في المحاربة أن يوضع من كان من الجند أعسر في الميسرة ليكون لقاءه يسرا ودميه شرا وأن يكون اللقاء من الفرسان قُدما وترك ذلك على حال ممّالة أو مُجانبة وأن يرتاد للقلب مكانا مُشْرِفا ويلتمس وضعه فيه فان أصحاب الميمنة والميسرة لا يُقهرون ولا يُغلبون وإن زالتا بعض الزوال ما ثبت المادّتان فان زالت المادّتان لم ينفع بثبات الميمنة والميسرة . [وإذا عَيَّ الجند فليطوِّش أهل الميمنة والمادّتان فاما الميسرة] فلا تُسَدِّدْ منهم أحد إلا أن يبادر اليهم من العدو من يخاف باهتته فيردون عاديّتهم مع أن أصحاب الميمنة والمادّتين لا يقدرون على لقاء من يناوشهم والرجوع إلى أصحابهم عاطفين ، وأصحاب الميسرة لا يقدرون على مناوشة

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفي الفهرغرافية هكذا "المادّتان" ولم نوفق إلى تصويبها .

(٢) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية .

- الا مائتين ويجزهم الرجوع عاطفين . ولا يَأْلُوَنَّ صاحبُ الجيش على حال من الحال أن يستدبر جنده عين الشمس والريح ، ولا يحاربَنَّ جندا الا على أشدّ الضرورة وعلى حال لا يوجد معها من المحاربة بدّ ، فإذا كان كذلك فليجهد صاحب الجيش أن يدافع بالحرب الى آخر النهار . وينبغي على كل حال أن يحلّي بين المنهزمين وبين النهاب ولا يُجهسوا . وإن كان الجند قد نزلوا على ماء وأراد العدو أن يتالوا من الماء فليس من الرأي أن يُحال بينهم وبينه لئلا يُخرجوا الى الجحْد في محاربتهم . وإن كان العدو قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فإن وقت طلب ذلك عند رى العدو من الماء وسقيهم دوابهم منه وعند حاجة الجند إليه ، فإن أسلس ما يكون الانسان عن الشيء عند استغنائه عنه وأشدّ ما يكون طلبا للشيء عند حاجته اليه . وتيسر الطلائع في قرار من الأرض وغفوا على التلاع ولا يجوزوا أرضا لم يستقصوا خبرها . وليكن الكمين في التمر والأماكن الخفية . وليطرح الحسك في المواضع التي يتقوف فيها البيات . وليحترس صاحب الجيش من انتشار الخبر عنه فإن في انتشاره فسادا للسكر وانتقاضه . وإذا كان أكثر من في الجند من المقاتلة مجرّين ذوى حنكة وبأس فيدار العدو الجند الى الوعدة خير للجند . وإذا كان أكثرهم أغمارا ولم يكن من القتال بدّ فيدار الجند الى مقاتلة العدو أفضل للجند . وليس ينبغي للجند أن يقاتلوا عدوا إلا أن تكون عتتهم أربعة أضعاف عتة العدو أو ثلاثة أضعافهم ، فإن غزاهم عدوهم لزهمهم أن يقاتلوهم بعد أن يزيدوا على عتة العدو مثل نصف عتتهم . وإن توسط العدو بلادهم لزهمهم أن يقاتلوهم وإن كانوا أقل منهم ، وينبغي أن يختصب للكين من الجند أهل جرأة وشجاعة وتيقظ وصرامة وليس بهم أنين ولا سُعال ولا عطاس ويُختار لهم من الدواب مالا يقصّل ولا يفتن^(١)، ويُختار لكونهم مواضع لا تُقشّى ولا تُؤثّى ، قريبة من

(١) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة الفارسية " يمت " . ولعل الضواب بنيت كضربها بالهاتئ النفس بأنين وهو الزفير .

الماء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم، وأن يكون إقدامهم بعد الروية والتشاور والثقة بإصابة القرصة، ولا يخيفوا سباعا ولا طيرا ولا وحشا . وأن يكون إقاعهم كضرب الحريق، وليجنبوا الفئام ولينفضوا من المكان متفرقين إذا ترك العدو الحراسة وإقامة الرمايا، وإذا أونس من طلائعهم تواتر وتفرط وإذا أمر جوا دوابهم في الرعى، وأشد ما يكون البرد في الشتاء وأشد ما يكون الحر في الصيف . وأن يرفضوا ويفرقوا إذا تاروا من مكثهم بعد أن يستخير بعضهم بعضا وأن يسرعوا الإيقاع بعدوهم ويتركوا التلبث والتلفت . وينبغي لليتين أن يفترصوا الليأت إذا هبت ريح أو أونس من نهر قريب منهم تحرير فانه أجدر ألا يُسمع لهم حس . وأن يتوخي بالوقعة نصف الليل أو أشد ما يكون إظلاما، وأن يصير جماعة من الجند وسط عسكر العدو وبعيتهم حوله، ويبدأ بالوقعة من يصير منهم في الوسط ليُسمع بالضجة والضوضاء من ذلك الموضع لا من حوله، وأن يُسرّد قبل الوقعة الأقره فالأقره من دوابهم ويقطع أرسائهم وتُهمز بالرماح في أعجازها حتى تتغير وتغير وتُسمع لها ضوضاء، وأن يتف هاتف ويقول : يا معشر أهل المسكر النجاء النجاء فقد قُتل قائدكم فلان وقتل خلق وهرب خلق . ويقول قائل : أيها الرجل استعجني لله . ويقول آخر : العفو العفو . وآخر : أوه أوه، ونحو هذا من الكلام . ولعلم أنه إنما يحتاج في الليأت الى تحيير العدو وإخافته وليجنبوا التقاط الأمتعة واستباق الدواب وأخذ الفئام . قال : وينبغي في محاصرة الحصون أن يُستال من يُقدر على استقالته من أهل الحصن والمدينة ليُظفر منهم بمفصلتين : أحدهما استنباط أسرارهم، والآخرى إخطائهم وإفزازهم بهم، وأن يُدسّ منهم من يصغر شأنهم ويؤيهم من المدد ويخبرهم أن سرهم منتشر في مكبتهم، وأن يُفاض حول الحصن ويشار اليه بالأيدي كأن فيه مواضع حصينة وأثر ذليلة ومواضع يُنصب المجانيق

(١) في النسخة الفهرغرافية بعد هذا زيادة : وأشد

فأره بذكرها إذا مذكرتها * ومن بعد أرض دونها وماء

- عليها ومواضع ثَمِّ الرَّمَادَاتِ لها ومواضع تُقْبَعُ قِبا ومواضع توضع السَّلَامُ عليها ومواضع يُسَوَّرُ منها ومواضع يُضْرَمُ النارُ فيها لِيَلْأَمُّ ذلكَ رِجاءً، وَيَكْتَبُ عَلَى نَشَابَةِ إِيَّاكُمْ أَهْلُ الْحِصْنِ وَالْإِعْتِرَارِ وَالْإِغْثَالِ الْحِرَاسَةَ، عَلَيْكُمْ بِمَحْفَظِ الْأَبْوَابِ فَإِنَّ الزَّيْمَانَ خِيْبَتْ وَأَهْلُهُ أَهْلُ غَدَرٍ فَقَدْ خُدِعَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْحِصْنِ وَأَسْتَيْلُوا، وَيُرَى بِتِلْكَ النَّشَابَةِ فِي الْحِصْنِ ثُمَّ يَدْسُ لِمَخَاطِبَتِهِمُ الْمُنْطِيقُ الْمَصِيبُ الدَّهِيُّ الْمَوَارِبِ الْخَائِلِ غَيْرِ الْمُهْذَارِ .
- وَلَا الْمَغْفَلِ . وَتَوَثَّرَ الْحَرْبُ مَا أَمَكُنَ ذَلِكَ فَإِنَّ فِي الْحَارِبَةِ بَحْرَةً مِنْهُمْ عَلَى مَنْ حَارِبَهُمْ وَدَلِيلًا عَلَى الْحِيلَةِ وَالْمَكِيدَةِ، فَإِنَّ كَانَ لَا بَدَّ مِنَ الْحَارِبَةِ فَلْيَحَارِبُوا بِأَخْفِ الْعُدَّةِ وَأَيْسَرِ الْأَكْلَةِ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَغْلِبَ الْعَدُوُّ عَلَى الْأَرْضِ ذَاتِ النَّخْرِ وَالشَّجَرِ وَالْأَشْجَارِ لِلْعَسْكَرِ وَمَصَافِّ الْجُنُودِ وَيُجَلِّي بَيْنَ الْعَدُوِّ بَيْنَ بَسَاطَةِ الْأَرْضِ وَدَكَاذِكِهَا .

- ١٠ وفي بعض كتب العجم أن بعض الحكماء مثل عن أشدَّ الأمور تدرِيا للجنود وَتَحْذَرُهَا، قَالَ: اسْتِعَادَةُ الْقِتَالِ وَكَثْرَةُ الظُّفْرِ، وَأَنْ تَكُونَ لَهَا مَوَادٌّ مِنْ وَرَائِهَا وَغَضِيْمَةٌ فِيهَا أَمَامُهَا، ثُمَّ الْإِكْرَامُ لِلْجَيْشِ بَعْدَ الظُّفْرِ وَالْإِبْلَاحُ بِالْمُجْتَهِدِينَ بَعْدَ الْمُنَاصِبَةِ، وَالتَّشْرِيفُ لِلشَّجَاعِ عَلَى رِعَوسِ النَّاسِ .

- قَالَ الْمَدَائِنِيُّ^(١) [قَالَ نَصْرِيْنِ سَيَّارٌ] : كَانَ عَظْمَاءُ التَّرْكِ يَقُولُونَ : الْقَائِدُ الْعَظِيمُ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِيهِ خِصَالٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْحَيَوَانِ : شِمَاعَةُ الدِّيكِ، وَنَحْنُ الدِّجَاجَةِ، وَقَلْبُ الْأَسَدِ، وَحِمْلَةُ الْخَزِيرِ، [وَرَوْنَانُ الثَّلَبِ، وَخَيْلُ الذَّنْبِ . وَكَانَ يُقَالُ فِي صِفَةِ الرَّجُلِ الْجَامِعِ : لَهُ وَثْبَةُ الْأَسَدِ، وَرَوْنَانُ الثَّلَبِ، وَخَيْلُ الذَّنْبِ^(٢)] وَجَمْعُ الذَّرَّةِ، وَتُكْوَرُ الْغُرَابِ .

وَكَانَ يُقَالُ : أَصْلَحَ الرِّجَالُ لِلْحَرْبِ الْمُجَرَّبُ الشَّجَاعُ النَّاصِحُ .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الأصم قال ، قيل لعمرو بن معاوية المُقَلِّ وكان صاحب صَوَائِف : بم ضبِطت الصوائِف ؟ أى الثَنُور قال : بِسَيِّئَةِ الظَّهَرِ وكثرة الكهك والقفيد . وفى كتاب الآيين : ليكن أول ما تمجله معك خبزاً ثم خبزاً ثم خبزاً . ولإياك والمقارش والثياب . أبو اليَقْظَان قال قال شبيب الخارجي : الليل يكفيك الجبان ونصف الشجاع . وكان إذا أمسى قال لأصحابه : أتاكم المَدَد ، يبنى الليل . وقيل لبعض الملوك : يَتَّ مَدُّوك . قال : أكره أن أجعل عَليَّ سرقة .

المداثني قال : لما اشتغل عبد الملك بمحاربة مُصعب بن الزبير اجتمع وجوه الروم الى ملكهم فقالوا : قد أمكنتك الفرصة من العرب بتشاغل بعضهم ببعض ، فالرأى أن تنزوم في بلادهم . ففهم عن ذلك وخطأ رأيهم ، ودعا بكليين فأرَّش بينهما فاقْتلا قتالا شديداً ، ثم دعا بشطب فغلاهما بينهما ، فلما رأى الكلبان الثملب تركا ما كانا فيه وأقبلا على الثملب حتى قتلاه ، فقال لهم ملك الروم : هذا مثنا ومثلهم . فعرفوا صدقه [وحسن رأيه] ورجعوا عن رأيهم .

وأوصى بعض الحكماء ملكاً فقال : لا يَكُن العدو الذى قد كشف لك عن عداوته بأخوف عندك من الظَّيْن الذى يستتر لك بمخالفته ، فانه ربما تخوف الرجل المم الذى هو أقتل الأشياء وقتله الماء الذى يحيى الأشياء ، وربما تخوف أن يقتله الملوك التى تمككه ثم قتله العبيد التى يملكها . فلا تكن للعدو الذى تُتَّاصِب بأخذ منك للطعام الذى تأكل . وأنا لكل أمر أخذت منه نذيرك وإن عظم آمن منى من كل أمر عرَّسته من نذيرك وإن صغر . واعلم أن مدينك حرز من عدوك ، ولا مدينة تحوز فيها من طعامك وشرابك ولباسك وطبيك ، وليست من هذه الأربع واحدة إلا وقد تهتل بها الملوك .

- وذكر عبد الملك بن صالح الهاشمي أن خالد بن برمك، حين فصل مع خطبة من نخراسان، يتأهلاً هو على سطح بيت في قرية قد نزلها وهم يفتنون نظراً إلى الصحراء فرأى أقطم طبع نلباء قد أقبلت من جهة المبحاري حتى كانت تحاطب المسكر، فقال لخطبة: أيها الأمير ناد في الناس: يا خيل الله اركبي، فإن المدد قد نهد إليك وحشاً، وغاية أصحابك أن يسرجوا ويلجئوا قبل أن يروا سرطان الخيل، فقام خطبة مذعوراً فلم ير شيئاً يروعه ولم يبارن غباراً، فقال لخالد: ما هذا الرأي؟ فقال خالد: أيها الأمير لا تتشأ في وناد في الناس. أما ترى أقطم الوحش قد أقبلت وفارقت مواضعها حتى خالطت الناس! إن وراءها نجماً كثيفاً. قال: فواقه ما أسرجوا ولا ألبجوا حتى رأوا ساطع الفبار فساموا، ولولا ذلك لكان الجيش قد أصطلم.
- ١٠ وقال بعض الحكماء لبعض الملوك: أمرتك بالتقدم والأمر ممكن، وبالإعداد لند من قبل دخولك في غد كما تمتد السلاح لمن تخاف أن يقاتلك وعسى ألا يقاتلك، وكما تأخذ عتاد البناء من قبل أن تصيبه السماء وأنت لا تدري لعلها لا تصيبه، بل كما تمتد الطعام لتد الأيام وأنت لا تدري لعلك لا تأكله. وكان يقال: كل شيء طلبته في وقته فقد مضى وقته.
- ١٥ [وقرأت في كتاب سير العجم أن فيروز بن زردجرد بن بهرام لما ملك سار يجنوده نحو نخراسان ليفزو اخشنوار ملك الهياطلة يبلغ، فلما انتهى إلى بلاده اشتد رعب اخشنوار منه وحذر له، فناظر أصحابه ووزرائه في أمره، فقال له رجل منهم: أعطني موثقاً وعهداً تطمئن إليه نفسي أن تكفيني أهلي وولدي وتضمن إليهم وتعلمني فيهم، ثم أقطع يدي ورجلي وألقي على طريق فيروز حتى يترى هو وأصحابه فأكفيك مؤوتهم [وشوكهم] وأوزطهم موطاً تكون فيه هلكتهم. فقال له اخشنوار: وما الذي تتضع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت قد هلكت

- ولم تُشْرِكَا في ذلك؟ قال : إني قد بَلَّغْتُ ما كنت أحب أن أبلغه من الدنيا وأنا موقن بأن الموت لا بد منه وإن تأخر أياما قليلا ، فأحب أن أختم عمري بأفضل ما تُحْتَمُّ به الأعمار من النصيحة لاخواني والنكاية في عدوى فيشرف بذلك عقي وأصيب سعادة وحظوة فيا أُمّاي ، ففعل به ذلك وأمر به فألقى حيث وصف له .
- فلما مرَّ به فيروز سألَه عن أمره فأخبره أن اخشنوار فعل ذلك به وأنه احتال حتى حُلَّ الى ذلك الموضع ليبلِّه على عورته وِغْرَتِه وقال : إني أدلك على طريق هو أقرب من هذا الذي تريدون سلوكه وأخفى ، فلا يشمر اخشنوار حتى تهجموا عليه فيقتلهم الله منكم ، وليس في هذا الطريق من المكروه الا تَقْوِزُ يومين ثم تُفَضُّون الى كل ما تحبون . فقبل فيروز قوله بعد أن أشار عليه وزرأؤه بالاتهام له والحذر منه وبغير ذلك ، فخافهم وسلك الطريق حتى انتهى بهم الى موضع من المغازة لا صَدَرَ عنه ثم بين لهم أمره ففارقوا في المغازة يمينا وشمالا يلتمسون الماء قَتَلَ العطش أكثرهم ولم يخلص مع فيروز منهم الا عتَّة يسيرة فلأنهم انطلقوا معه حتى أشرفوا على أعدائهم وهم مستعدون لهم فواقهم على تلك الحالة^(١) وعلى ما بهم من الضر والجهد فاستمكنوا منهم وأعظموا النكاية فيهم ، ثم رغب فيروز الى اخشنوار وسأله أن يَمُنَّ عليه وعلى من بقي من أصحابه على أن يحصل لهم عهد الله وميثاقه ألا يفرزه أبدا فيما يستقبل من عمره وعلى أنه يَحُدُّ فيما بينه وبين مملكته حدا لا تجاوزه جنوده ، فرضى اخشنوار بذلك وخلق سبيله وانصرف الى مملكته ، فكث فيروز بُرْهة من دهره كثيبا ثم حمله الأتق على أن يسود لفرزه ودعا أصحابه الى ذلك فردوه عنه وقالوا : إنك قد طاهدته ونحن نتخوف عليك عاقبة البغي والتدبر مع ما في ذلك من العار وسوء المقالة .
- فقال لهم : إني إنما شَرَطْتُ له ألا أجوز البحر الذي جسلته بيني وبينه فأنا أمر بالبحر

(١) في الأصل : فواقهم على تلك من حالة وعلى ما بهم الخ والتصويب واضح .

- ليحمل على عَجَلَة أماناً . فقالوا له : أيها الملك ، إنَّ اليهود والمواثيق التي يتعاطاها الناس بينهم لا تُحمل على مائسِر المعطى لها ولكن على ما يُعِين المعطى ، وإنك إنما جعلت له عهد الله وميثاقه على الأمر الذي عَرَفَه لا على أمر لم يخطر بباله . فابى فيروز ومضى في غَزَااته حتى انتهى الى الهياطلة وتضافَّ الفريقان للقتال فأرسل اخشونار الى فيروز يسأله أن يرز فيما بين صفتهم ليكله ، فخرج اليه فقال له اخشونار •
- قد ظننت أنه لم يدْعُك الى غزونا آلا الأثْف بما أصابك . ولعمري لئن كُنَّا احلنا لك بما رأيت ، لقد كنت التمسْت منّا أعظم منه ، وما ابتدأتك ببني ولا ظلم ولا أردنا إلا دفعك عن أنفسنا وعن حريمنا ، ولقد كنت جديراً أن تكون ، من سوء مكافأتنا بمنّا عليك وعلى من مملك من نقض العهد والميثاق الذي وكَّدت على نفسك ، أعظم أُنْما وأشدَّ امتناعاً مما نالك منّا ، فإنَّا أطلقناكم وأتمم أسرى وسمَّنا عليكم وأتمم مشرفون ١٠ على الملَكة وحقاً دماءكم وبنا قدرة على سفكها ، وإننا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الراغب اليها فيه والمريد لنا عليه ففكر في ذلك وميل بين هذين الأمرين فانظر أيهما أشدَّ عاراً وأقبح سماعاً ، إن طلب رجل أمراً فلم يُتَّع له وسلك سبيلاً فلم يظفر فيها ببغيته وأستمكن منه عدوه على حال جهْد وضِيعَة منه ومن معه ، فمنَّ عليهم وأطلقهم على شرط شرطوه وأمر اصطَلحوا عليه فاضطرَّ لمكرهه ١٥ القضاء وأستعجا من النَّكث والقدر أن يقال امرؤ نكث العهد وختر الميثاق • مع أني قد ظننت أنه يزيدك نجاحاً ما تنق به من كثرة جنودك وما ترى من حسن عُنْتهم وطاعتهم لك ، وما أجدني أشك أنهم أو أكثرهم ككارهون لما كان من مُحْضوكِهم عارفون بأنك قد حملتهم على غير الحق ودعوتهم الى ما يُسخط الله ، فهم في حربنا غير مستبصرين ونيأتهم في مناصحتك اليوم مدخولة ، فانظر ما قدر غنَاء من ٢٠ يقاتل على مثل هذه الحلال ، وما عسى أن تبلغ نكايته في عدوه إذا كان عارفاً بأنه

- إن ظفر فع عار وإن قُتل فالى النار، فانا أذكرك الله الذى جعلته على نفسك كفيلا ونعمى عليك وعلى من معك بعد بأسكم من الحياة وإشفائكم على الممات، وأدعوك الى ما فيه حظك ورشدك من الوفاء بالمهد والاعتداء بأبائك الذين مضوا على ذلك فى كل ما أحبوه أو كرهوه، فأحمدوا عواقبه وحسن عليهم أثره، ومع ذلك إنك لست على قمة من الظفر بنا والبلوغ لتهمتك فينا وإنما تلمس منا أمرا تلمس منك مثله وتاوى عدوا لعله يمنح النصر عليك فقد بالغت فى الاحتجاج عليك وتقدمت فى الإغذار اليك ونحن نستظهر بالله الذى آعترزنا به ووثقنا بما جعلته لنا من عهده إذا استظهرت بكثرة جنودك وأزدهتك عتة أصحابك، فدونك هذه النصيحة فوالله ما كان أحد من نصحاءك يبلغ لك أكثر منها ولا زائد لك عليها، ولا يحرمك منفعتها محرجهما ننى فإنه لا يزرى بالمنافع عند ذوى الرأى أن كانت من قبل الأعداء كما لا يحبب المضار اليهم أن تكون على أيدي الأولياء. واعلم أنه ليس يدعونى الى ما تسمع من مقاتلى ضعف أحسنه من نفسى ولا قلة من جنودى، ولكنى أحبت أن أزداد بذلك حجة واستظهارا، وأزداد به من الله للنصر والمعونة استيجابا ولا أثر على العافية والسلامة شيئا ما وجدت اليهما سبيلا، فأبى فيروز إلا تملقا بحجته فى الحجر الذى جعله حدا بينه وبينه وقال: لست ممن يردعه عن الأمر بهم به وعيد ولا يقتاده التهديد والترهيب، [ولو كنت أرى ما أطلبك غدرا منى ما كان أحد أنظر ولا أشد اتقاء منى على نفسى فلا يمتزك منّا الحلال التى صادفتنا عليها فى المرة الأولى من القلة والجهد والضعف]. قال اخشونار: لا يمتزك ما تتدع به نفسك من حلاك الحجر أمامك، فاق الناس لو كانوا يعطون اليهود على ما تصف من إسرار أسرى وإعلان أسر، إذا ما كان ينبغي لأحد أن يفتّر بأمان ولا يشق بعهد، وإذا لما قبل الناس شيئا

- بما يعطونه من ذلك، ولكنه وضع على العلانية وعلى نية من تُقَدِّمُ اليهود والشروط له .
فانصرفا يومهما ذلك فقال فيروز لأصحابه : لقد كان اخشنوار حسن المحاورة ،
وما رأيتُ للفرس الذي كان تحته نظيرا في الدواب فانه لم يُزل قوائمه ولم يرفع حوافره
عن موضعها ولا صهل ولا أحدث شيئا يقطع به المحاورة في طول ما تواقفنا . وقال
اخشنوار لأصحابه : لقد واقفتُ فيروز كما علمتم وعليه السلاح كله فلم يمزك رأسه .
ولم يزعزعه رجله من ركابه ولا حنا ظهره ولا ألقت يميناً ولا شمالاً ، وقد توزكت
أنا مرارا وتمطيتُ على فرسي وتفتتُ الى من خلفي ومددتُ بصرى فى أمانى وهو
متصبُّ ساكن على حاله ، ولولا محاورته لماى لظننت أنه لا يصرفى . وإنما
أرادا بما وصفا من ذلك أن ينتشر هذان الحديثان فى أهل عسكرهما فيُشغَلوا
بالإنفاضة فيما عن النظر فيما تذاكراه . فلما كان فى اليوم الثانى أخرج اخشنوار
الصحيفة التى كتبها لهم فيروز ، فوضعها على رُح لينظر اليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا
غدره وبغيه ويخرجوا من منابته ، فانقص عسكر فيروز وأختفوا وما لبثوا إلا يسيراً
حتى أنهزموا وقتل منهم خلقٌ كثير وهلك فيروز ، فقال اخشنوار : لقد صدق الذى
قال : لا رادَ لما قُدِّر ، ولا أشدَّ إحالةً لمنافع الرأى من أهوى وألجأج ، ولا اضيع
من نصيحة يُمنحها من لا يؤمن نفسه على قبولها والصبر على مكر وهما ، ولا أسرع
عقوبة ولا أسوأ عاقبة من البنى والفدر ، ولا أجلب لعظيم المار والفُضوح من إفراط
الفخر والأففة .

- وقال أبو اليقظان : لما خرج شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجى بالموصل بعث اليه
الجباج قائداً فقتله ثم قائداً فقتله كذلك حتى أتى على خمسة قواد قتلهم وهزم جيوشهم
وكان أحد القواد موسى بن طلعة بن عبيد الله ، ثم خرج شبيب من الموصل يريد
الكوفة وخرج الجباج من البصرة يريد الكوفة فطعم شبيب أن يلقي الجباج قبل

أن يصل الى الكوفة فَأَلْغَمُ الجُحَاجُ خِيْلَهُ فدخل الكوفة قبله، ومَرَّ شَيْبٌ بِعَتَّابِ بْنِ وَرْقَانَ فقتله ومَرَّ بِعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهرب منه، وقدم شَيْبٌ الكوفة وأكلى الأَبْرَحَ عنها أو يَلْقَى الجُحَاجُ فيقتله أو يُقْتَلُ دونه؛ فنُفِرَ الجُحَاجُ إِلَيْهِ فِي خِيْلِهِ، فلما قَرُبَ مِنْهُ عَمَدُ إِلَى سِلَاحِهِ فَأَلْبَسَهُ أَبَا الْوَرْدَ مَوْلَاهُ وَجَلَّهَ عَلَى الذَّابَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا، فلما تَوَاقَفَا قَالَ شَيْبٌ: أَرُونِي الْجُحَاجَ، فَأَوْمَأُوا لَهُ إِلَى أَبِي الْوَرْدِ فَعَمَلَ عَلَيْهِ فقتله، ثم نَجَرَ مِنَ الْكُوفَةِ يَرِيدُ الْأَهْوَازَ ففُرِقَ فِي دُجَيْلٍ وَهُوَ يَقُولُ (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ).

الأوقات التي تختار للسفر والحرب

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري قال: كَانَ أَحَبَّ الْأَيَّامِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَمْدُدَ فِيهِ رَأْيَتَهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَكَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسَافِرَ فِيهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ.

وقالت الجم: أَمَّا الْحَرْبُ مَا اسْتَطَعْتُ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ بَدَأَ فَاجْعَلْ ذَلِكَ آخِرَ النَّهَارِ. وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن عون عن محمد بن سيرين أن النعمان بن مقرن قال لأصحابه: إِنِّي لَفِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ مِنْ أَحَبِّ مَا يَلْقَى فِيهِ إِذَا لَمْ يُلْقَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ وَحَلَّتِ الصَّلَاةُ وَهَبَّتِ الرِّيحُ وَدَعَا الْمُسْلِمُونَ. وَيُرْوَى قَوْمٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ الْجُمُعَةَ وَالْإِبْتِدَاءَ بِعَمَلٍ فِي حَقِّ الْقَمَرِ وَفِي حُلُولِهِ فِي بَرَجِ الْقَرَبِ. [وقال بعضهم: كُنْتُ مَعَ عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَوْقَ سَطْحٍ وَهُوَ يَرِيدُ الرُّكُوبَ، فَظَنَرْتُ فَإِذَا الْقَمَرُ بِالْإِدْرَانِ فَقُلْتُ: أَنْظِرْ إِلَى الْقَمَرِ مَا أَحْسَنَ اسْتَوَاهُ! فَرَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ نَظَرَ فَرَأَى مِثْلَهُ فَضَحِكَ، وَقَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مِثْلِهِ، وَإِنَّمَا

(١) زيادة في النسخة الألمانية.

لا تقيم لشمس ولا لقمرو ولكنا نسير بالله الواحد القهار [. وكان يقال : يوم السبت يوم مكر وخديعة ، ويوم الأحد يوم غرس وبناء ، ويوم الاثنين يوم سفر وأبتداء رزق ، ويوم الثلاثاء يوم حرب وديم ، ويوم الأربعاء يوم الأخذ والإعطاء ، ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الخوارج ، ويوم الجمعة يوم خطب ونكاح .

الدعاء عند اللقاء

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية عن أبي إسحاق عن أبي رجاء قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا اشتدت حلقه البلاء وكانت الضيقة : « تضيق تفرج » ثم يرفع يديه فيقول : « بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم إياك نعبد وإياك نستعين اللهم كف عنا بأس الدين كفروا إنك أشد بأساً وأشد تنجيلاً فما يخفض يديه المباركتين حتى يُزل الله النصر .

- وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن موسى بن عتبة عن سالم أبي النصر مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتباً له ، قال : كتب عبد الله بن أبي أوفى حين نخرج إلى الحروية أن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو أنظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال : « لا تفتنوا لقاء العدو وأسألوا الله العافية ، فإذا قُتِلتموهم فأتوا وأصبروا وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ثم قال : « اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم » وقال أبو النصر : وبلغنا أنه دعا في مثل ذلك فقال : « اللهم أنت ربنا وربهم وهم عبيدك ونحن عبيدك ونواصيتنا ونواصيتهم بينك فأهزمهم وانصرنا عليهم » .

- حدثني محمد بن عبيد قال : لما صافقتي بن مسلم الترك وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع ما يصنع ؟ قالوا : هو في أقصى الميمنة جانح على مية قومه
- (١) كنا بالسنتين وهو عمرو بن عبيد الله كافي قريب بالهذيب . (٢) سيق القوس ما أنطفت من طرفها .

يُنْقَضُ بإصبعه نحو السماء . فقال قتيبة : تلك الإصبع القاردة أحبّ إلى من مائة ألف سيف شير وستان طرير . فلما فتح الله عليهم قال لمحمد : ما كنت تصنع ؟ قال : كنت آخذ لك يمامع الطرق .

الصبر وحضّ الناس يوم اللقاء عليه

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال كان عاصم بن الحذعان رجلا من العرب عالما قديما وكان رأس الخوارج بالبصرة وربما جاءه الرسول منهم من الجزيرة يسأله عن بعض الأمر يختصمون فيه فتربه الفرزدق فقال لأبنته : أنشد أبا فراس فأنشده

وهم إذا كسروا الجفون أكارم * صبرٌ وجبنٌ تحلل الأزرارُ
يفشون حومات المنون وإنها * في الله عند نفوسهم لصغار
يمشون في الخطى لا يثنيهم * والقوم إذ ركبوا الرياح تجار

فقال له الفرزدق : ويحك ! اكنم هذا لا يسمعه النساءون فيخرجوا علينا ^(١) بخفوفهم . فقال عاصم : يا فرزدق ، هذا شاعر المؤمنين وأنت شاعر الكافرين .

حدثنا سهل قال حدثنا الأصمعي قال قال سليط بن سعد قال بسطام بن قيس لقومه : تردون على قوم آغارهم آثار نساء وأصواتهم أصوات صردان ولكنهم صبر على الشر . يعني بني يربوع . وفي هؤلاء يقول معاوية : لو أن النجوم تارتت لسقط قمرها في سمور بني يربوع . قال الأصمعي قلت لسليط : أكان عتبة بن الحارث خنقا ؟ قال : لا ولا من قوم خفام . يعني بني يربوع .

(١) الحفّ المتّجّ وجمه خفوف . (٢) في النسخة الألمانية «عينة» وهو محرف .

- (١) [وقال عمر بن الخطاب لبي عيسى : كم كنتم يوم الهبأة؟ قال : كما مائة كالذهب ، لم نكثر فتوا كل ولم قتل فنذل . قال : فكيف كنتم تهررون من ناوأكم ولستم بأكثر منهم عدداً ولا مالا ؟ قال : كنا نصبر بعد اللقاء هنية . قال : فذلك إننا . قيل لعترة العيسى : كم كنتم يوم الفروق؟ قال : كما مائة لم نكثر فنشغل ولم قتل فنذل] .
- وكان يقال : النصرع الصبر . ومن أحسن ما قيل في الصبر ، قول تهشل بن حريّ
- ابن صفرة

ويوم كأن المصطليين بحزّه * وإن لم تكن نار قيام على الجمر
صبرنا له حتى يئوخ وإنما * تفرج أيام الكربة بالصبر
ومثله قول الآخر

- بكي صاحبي لما رأى الموت فوقنا * مُطلاً كإطلال السحاب إذا أكنهز
قلبت له لا تبك عينك إنما * يكون غدا حسن الشتاء لمن صبر
فما أتر الإجمام يوماً معجلاً * ولا عجل الإقدام ما أتر القدر
فأسى على حال يقبل بها الأمل * وقاتل حتى أسنهم الورد والصدور
وكرّ حفاظاً خشية العار بعد ما * رأى الموت معروضا على منبج المكر
- وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد حين وجهه : احرص على الموت
- توهب لك الحياة . وتقول العرب : الشجاع موق . وقالت النخساء
- نهيئ النفوس وهون الضو * من يوم الكربة أوقى لها

وقال يزيد بن المهلب

تأثرت أستقي الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل أن أهدما

- (١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) أرض لطفان ويوما من أيام العرب كان فيه الصرع ليس على ذبيان . (٣) موضع يديار بن سعد ويومه من أيام حروب عيسى وذبيان أيضا .
- (٤) في الألمانية مظلا كإطلال الخ بالطاء المعجمة .

وقال قَتِيرَى بْنُ الْقَبَاءِ

وَقَوْلِي كُلَّما جَشَأْتُ وَجَشَأْتُ * مِنْ الْأَهْطَالِ وَيَحِكْ لَا تُرَاعِي
فَأَنْتِ لَوْ سَأَلْتَ حَيَاةَ يَوْمٍ * سِوَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي
[وقال معاوية بن أبي سفيان شجعتني على علي بن أبي طالب قول عمرو بن الإطناية .

أَبَتْ لِي عِقَّتِي وَأَبَى بِلَانِي * وَأَخَذَنِي الْحَمْدُ بِالْثَمَنِ الرِّيحِ
وَإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ قَمِي * وَضَرَبَنِي هَامَةُ الْبَطَلِ الْمَشِيعِ
وَقَوْلِي كُلَّما جَشَأْتُ لِنَفْسِي * مَكَائِكَ تُجْحَدِي أَوْ تُسْتَرِيحِي
لَأَدْفَعَنَّ عَنْ مَآثِرِ صَالِحَاتٍ * وَأُحْيِي بَعْدُ عَنْ عَرَضٍ صَحِيحِ
أَبَتْ لِي أَنْ أَقْضِيَ فِي فَعَالٍ * وَأَنْ أَغْضِيَ عَلَى أَمْرِ قَبِيحِ

وقال ربيعة بن مقروم

وَدَعَا أَزْزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ * وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَتَزَلْ

وكان خالد بن الوليد يسير في الصفوف يذمر الناس ويقول: يا أهل الإسلام، إن
الصبر عز وإن الفشل عجز وإن النصر مع الصبر . وقال بعض أبطال العرب .
إِنَّ الشُّوْءَ وَالْفَشْلَ وَالرُّغْفَ * وَالْقِيَنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأَفْ

لِلضَّارِبِينَ انْخِلِيلَ وَالْخِلِيلَ قُطِّفَ

وقال أعرابي: الله يُخْلِفُ مَا أَلْفَ النَّاسُ، والدهر يتلف ما جمعوا، وكم من مَيَّةٍ
عَقَّتْهَا طَلَبُ الْحَيَاةِ، وَحَيَاةٌ سَبَبُهَا التَّمَرُّضُ لِلَوْتِ . ومثله قول أبي بكر الصديق لخالد:
أَحْرَضَ عَلَى الْمَوْتِ تَوَهَّبَ لَكَ الْحَيَاةُ .

[قَدِمْتُ مُنْهَزِمَةً الرُّومَ عَلَى هِرَاقِلَ وَهُوَ بَأْطَلَاكِيَّةَ، فِدَا رَجُلًا مِنْ عِظَائِهِمْ فَقَالَ:
وَيَحْكَمْ! أَخْبَرُونِي مَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَقَاتِلُونَهُمْ؟ أَلَيْسُوا بَشَرًا مِثْلَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى . بَعْنَى

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) يشجعهم ويصحبهم على القتال .

(٣) ما طبع من الهم بغير تأويل .

- العرب. قال : فأتيت أكثر أمهم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضغاث في كل موطن .
 قال : ويلكم ! فما بالكم تنهزمون كلنا تقيتموهم ؟ فسكتوا ، فقال شيخ منهم :
 أنا أخبرك أيها الملك من أين تَوْتُونَ . قال : أخبرني . قال : إذا حملنا عليهم صبروا
 وإذا حملوا علينا صدقوا ، ويحمل عليهم فنكذب ويحملون علينا فلا نصبر . قال : ويلكم
 فما بالكم كما تصفون وهم كما تزعمون ؟ قال الشيخ : ما كنت أراك إلا وقد علمت
 من أين هذا ؟ قال له : من أين هو ؟ قال : لأت القوم يصومون بالنهاش ويقومون
 بالليل ويؤنون بالمهد وأمرؤ بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يظلمون أحدا
 ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا أنشرب الخمر وتزني وتركب الحرام وتنقض العهد
 وتغصب ونظلم وأمر بما يُسخط الله وتنتهي عما يرضى الله ونفسد في الأرض .
 قال : صدقتني ، والله لأخرجن من هذه القرية فما لي في محبتكم خير وأتم هكذا .
 قالوا : تُشهدك الله أيها الملك . تدع سُورِيَّة وهي جنة الدنيا وحولك من الروم عدد
 الحصى والتراب ونجوم السماء ولم يؤت عليهم] .

ذكر الحرب

- قالت العرب : الحرب عَشُوم ، لأنها تتال غير الجاني . وقال الكهيت
 الناس في الحرب شتى وهي مقبلة * ويستون إذا ما أدبر القبل
 ١٥ كل باسمها طَبْ مولىة * والعالون بذى غدويها قُلل
 وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لعمر بن ممدى كرب : أخبرني عن الحرب .
 قال : مُرَّة المذاق إذا قلصت عن ساق ، من صبر فيها عُرف ومن ضعف عنها
 تلف . وهي كما قال الشاعر
 ٢٠ الحرب أول ما تكون قتيبة * تسمى بزيتها لكل جهول

حتى إذا استعرت وشبَّ ضرامها * عادت عجوزاً غير ذات خليل^(١)
 تخطأ جزت رأسها وتكرت * مكروهة لئلم^(١) والتفيل
 كان يزيد بن عمر بن هبيرة يحب أن يضع من نصرين سيار فكان لا يمتد بالرجال
 ولا يرفع ما يرد عليه من أخبار خراسان، فلما كثر ذلك على نصر قال
 أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون له ضرام
 فأت النار بالمودين تذكى * وإن الحرب أولها الكلام
 فان لم يطفئها عقلاء قوم * يكون وقودها جثث وهام
 فقلت من التعجب ليت شعري * أليقظ أمية أم نيام
 ونحو قوله: «الحرب أولها الكلام» قول حذيفة: إن الفتنة تُلغى بالتجوى وتُشج
 بالشكوى. ١٠

العتبي عن أبيه قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبنته الحسن: يا بُحِي
 لا تدعوني أحداً إلى البراءة، ولا يدعوك أحد إليه إلا أجبتَه فإنه بغي.

في العدة والسلاح

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن خُصيفة عن السائب^(٢)
 ابن يزيد — فيما حفظت إن شاء الله — أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عليه درعان
 يوم أُحد. قيل لعباد بن الحُصَيْن وكان أشدَّ رجال أهل البصرة: في أيَّ عدة
 تحب أن تلقى صدوك؟ قال: في أجل مُستأجر.

حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا داود بن أبي هند
 عن عكرمة قال: لما كانت ليلة الأحزاب قالت الجُنبُ للثَّعال: أنطلق بنا نمدد

(١) في البغدادي «حليل» بإخاء المهمة وفيه أيضاً كما في التوزعانية «الشم» بدل الهم.

(٢) في الأصل «حقيقة» بإخاء المهمة وهو تعريف والتصويب والضغط عن كتب التراجم.

رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت الشمال : إنَّ الحوة لا تسمى بالليل ، فكانت الريح التي أرسلت عليهم العُصبا .

حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا ابن أبي الزناد قال : ضرب الخويز بن العوام يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة فقطعه الى القربوس فقالوا : ما أجود سيفك ! ففضب ، يريد أن العمل ليد له لا سيفه .

وقال الوليد بن عبيد البحتري يصف سيفا

ماض وإن لم تمضه يد فارس * بطلي ومصقول وإن لم يصقل
متوقد يقري بأول ضربة * ما أدركت ولو أنها في يديل
وقال آخر

- ١٠ وما السيف إلا برزخ لزنسة * إنْ لم يكن أمضى من السيف حاملة
رؤى الجراح بن عبد الله في بعض الحروب وقد ظاهر بين درعين ، فقيل له في ذلك . فقال : إني لست أفي بدني وإنما أفي صبري . واشترى يزيد بن حاتم أدراعا . وقال : إني لم أشتَر أدراعا إنما اشتريت أعمارا .

وقال حبيب بن المهلب : ما رأيت رجلا في الحرب مُستلثا إلا كان عندي

- ١٥ رجلاين ، ولا رأيت حاسرين إلا كانا عندي واحدا . فسمع هذا الحديث بعض أهل المعرفة فقال : صدق ، إنَّ السلاح فضيلة . أما تراهم يتادون عند الصريح : السلاح (١) السلاح ولا يتادون : الرجال الرجال . [قال المهلب لبنيه : يا بني لا يقعدت أحد منكم في السوق ، فإن كنتم لا بد فاعلين قال ززاد أو سراج أو وراق .] وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر بن معد يكرب : أخبرني عن السلاح . قال : سَل عما شئت منه . قال : الرمح ؟ قال : أخوك وربما خانك . قال التبل ؟ قال : متايا تخطى وتصيب .
٢٠ (١) في النسخة الألمانية « الكوة » . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

قال : الترس ؟ قال : ذاك الحين وعليه تدور التوائره . قال : الدرع ؟ قال :
مُتَّحِلَةٌ لِلرَّاجِلِ مُتَّيِّبَةٌ لِلْفَارِسِ ، وَأَتَهَا لِحَصْنٍ حَصِينٍ . قال : السيف ؟ قال : سَيْفٌ ،
فَارَعَتْكَ أُمُّكَ عَنِ التَّكْثُلِ . قال عمر : بل أُمُّكَ . قال « الْحَمِيُّ أَضْرَعْتَنِي لَكَ » .^(١)

وقال الطائي يصف الرماح ،

مُتَّحِفَاتٌ سَلَبَنَ الرُّومَ زَرْقَهَا * وَالرُّبَّ سُمِّرَتْهَا وَالْعَاشِقَ الْقَضْفَا^(٢)

وقال دحبل يصف الرمح

وَأَسْمِرُ فِي رَأْسِهِ أَزْرُقُ * مِثْلُ لِسَانِ الْحَيَّةِ الصَّادِي

وقال الشاعر

تَلَمَّظَ السَّيْفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنَسٍ * فَالْمَوْتُ يَلْحَظُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ

أَخْلَلَهُ مِنْكَ حَتْفٌ قَدْ تَجَلَّاهُ * حَتَّى يُؤَامِرَ فِيهِ رَأْيُكَ الْقَدَرُ^(٣)

أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ إِلا عِنْدَ قُوَّتِهِ * وَلَيْسَ لِلْسَّيْفِ عَفْوٌ حِينَ يَتَنَبَّدُ

وقال آخر

مَتَى تَلَقَّيْتُ يَمْدُودَ بَزَى مَقْلَصٌ * كَبُتَّ بِهِمْ أَوْ أَغْرَ مَحْبِلٌ

تَلَاقٍ أَمْرًا إِنْ تَلَقَّاهُ فَبَسِيفُهُ * تُعَلِّمُكَ الْيَوْمَ مَا كُنْتَ تَجْهَلُ

وقال علي رضي الله عنه : السيف أُنْجَى عُدَاوًا وَكَثْرَ وَلَدًا . وفي الحديث « بَقِيَّةُ

السيف مباركة » يعني أنَّ من نجا من ضربة السيف بنحو عدده ويكثر ولده . وقال
المهلب : لَيْسَ شَيْءٌ أُنْجَى مِنْ سَيْفٍ . ويقال : لَا يَجِدُ أَمْرَعُ مِنْ مَجْدِ سَيْفٍ .

(١) في الأصلية « مشقة » والتصويب عن المقد الفريد . (٢) هكذا ورد في جميع الأمثال وفي النسخة
الألمانية : « إيلك » . (٣) النجاة . (٤) في القنوغرافية « ديه » . (٥) قال في اللسان : البز
والدرة السلاح ويدخل فيه الدرع والخضر والسيف . (٦) هكذا في النسخة الألمانية ، وفي القنوغرافية
« السيف أُنْجَى عُدَاوًا وَكَثْرَ وَلَدًا » ، وفي نهج البلاغة بقية السيف أُنْجَى عُدَاوًا وَكَثْرَ وَلَدًا . ولعله الصواب .

وكانت درع على رضى الله عنه صدرا لا ظهر لها قهيل له في ذلك فقال : إذا
استمكن عدوى من ظهري فلا يبق . وقال أبو الشيص

خطلته المنون بعد اختيال * بين صقّين من فنا ونصال
في رداء من الصفيح صقيل * وقيص من الحديد مُنَال

- بلغ أبا الأغر أن أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شر فبحث أبوه الأغر وقال :
يا بُنى كن يدا لأصحابك على من قاطعهم ، وإليك والسيف فانه ظل الموت ، وأتق
الرج فانه رشاء المنية ، ولا تحرب السهام فانها رسل لا تؤامر مرسلها . قال : فبأذا
أقاتل ؟ قال : بما قال الشاعر

جَلَّيْتُدُ يَلَانُ الْأَكْفُ كَاتِبَا * رموس رجال حُطَّتْ فِي الْمَوَاسِمِ

- ١٠ وقال الخزرجي في بغداد أيام الفتنة

يا بؤس بغداد دار مملكة * دارت على أهلها دوائرُها
أهلها الله ثم عاقبها * لما أحاطت بها بكائرها
رق بها الدين وأستخف بذى الشفضل وعز الرجال فاجرها
وصار رب الجيران فاسقمهم * وأبتر آمن الدروب شاطرُها

- ١١ يحرق هذا وذاتهما * ويشنئ بالتهاب داعرُها
والصكرخ أسواقها معطلة * يستتر^(١) شدا بها وعائرُها
أخرجت الحرب من أساقطهم * أساد غيل^(٢) ظبا تساورها
من البواري^(٣) ترأسها ومن^(٢) الخوص إذا استلأمت مغايرها
لا الرزق تبني ولا العطاء ولا * يحشرها بالعناء حاشرُها^(٣)

- ٢٠ (١) في الطبري « عيارها » . (٢) جمع باري يشديد الياء وهو الحميم المتوج .
(٣) في الطبري « لقاء » .

ونحوه قول علي بن أمية

دهتنا أمور تُسبب الولد * وَتَحُلُّ فِيهَا الصَّدِيقَ الصَّدِيقِ
فَنَاءٌ مُبِيدٌ وَدُعْرٌ عَتِيدٌ * وَجُوعٌ شَدِيدٌ وَخَوْفٌ وَاضِيقٌ
وَدَاعِي الصَّبَاحِ يَطُولُ الصَّبَاحُ السَّلَاحُ * مَا نَسْتَفِيقُ
فَبِاللهِ نَبْلُغُ مَا نَرْجَى * وَبِاللهِ نَنْفَعُ مَا لَا نُلْقِي

جنى قوم من أهل الإمامة جناية فأرسل إليهم السلطان جندا من بُخَّارية ^(١) ابن زياد، فقال رجل من أهل البادية يُدعى قومه : يا معشر العرب ويا بني المحصنات، قاتلوا عن أحسابكم ونسائكم، والله لئن ظهر هؤلاء عليكم لا يدعون بها لينة حمراء ولا نخلة خضراء إلا وَضَعُوها بالأرض ولا عتراكم من تُشَابٍ معهم في حِمَابٍ كأنها أيور الفيلة يتزعون في قيسى كأنها النمل تَنْتَبِطُ أحداهن أطيط الزرقوق يَمُطُّ أحدهم فيها حتى يتفرق شعر أبيه ثم يرسل تُشَابَها كأنها رِشَاءٌ مقطعة فما بين أحدهم وبين أن تَنْفَضِخَ عينه أو ينصدع قلبه منزلة، تغلق قلوب القوم فطاروا رعبا .

آداب الفروسة

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن عاصم بن سليمان عن أبي عثمان قال : كتب عمر رضي الله عنه : اتروا وارثكم وانتعلوا وألقوا الخفاف وارموا الأغراض وألقوا الرُّكْبَ وأنزوا تزوا على الخليل وطيكم بالممدية، أو قال العربية . ودعوا التمتع وزى العجم ولا تلبسوا الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه إلا هكنا ، ورفع أصبعيه . وقال أيضا : لن تحور قوى ما كان صاحبها يترع ويترو . يعني يترع في القوس ويترو على الخليل من غير استعانة بالرُّكْب . وقال

(١) كذا بالأصلين والصواب بخارية زياد وهي سكة بالبصرة أسكنها زياد ابن أبيه ألف عبد من بخاري حين استولى عليها من خاتون ملكها وكانوا يجيئون إلى القشتاب .

العمرى . كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذنه ^(١) [اليمنى ويده اليسرى أذن فرسه اليسرى] ثم يجمع جَرمَيزَه وَيَتَبُّ فكأما خلق على ظهر فرسه .

وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه يوم صفين : عَضُّوا عَلَى التَّوَاجِدِ مِنَ الْأَضْرَاسِ فَانْهَ أَتَى لِلسَّيْفِ عَنْ الْمَهِمِ . وَأَقَامُوا رِجَالَيْنِ الْعُقَايِينَ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : طَدَّ رِجْلُكَ وَأَصْرَ إِصْرَارِ الْفَرَسِ وَاذْكُرْ أَحَدِيثَ غَدٍ وَإِيَّاكَ وَذَكَرَ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَانْه مِنَ الْفُشْلِ . [وقال غيره طَدَّ رِجْلُكَ إِذَا أَغْتَصَبْتَ بِالسَّيْفِ وَالْمِصْبَا وَأَنْتَ غَيْرُ ^(٢) فِي رُفْعِهِ سَاعَةَ الْمَسَالِمَةِ وَالْمَوَادَعَةِ] . ^(٣)

- وَقُرَأَتْ فِي الْآيِينَ أَنْ مِنْ إِجَادَةِ الرِّمَى بِالنَّشَابِ فِي حَالِ التَّمَلُّكِ إِسْمَاكَ التَّمَلُّكِ الْقَوْسَ .
بيده اليسرى بقوة عَضْدِهِ الْأَيْسَرِ وَالنَّشَابَةِ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَقُوَّةَ عَضْدِهِ الْيُمْنَى وَكُفَّهُ أَصْدْرِيهِ ^(٤)
وَالْقَائِدُ يَبْصُرُهُ إِلَى مَعْلَمِ الرِّمَى وَإِجَادَتُهُ نَصَبُ الْقَوْسِ بَعْدَ أَنْ يَطَّأَنَّ مِنْ سَيْبِهَا ١٠
بَعْضُ الطَّائِفَاتِ وَضَبْعُهُ لِيَاَهَا بِثَلَاثِ أَصَابِعٍ وَإِحْتَاؤُهُ السَّبَابَةَ عَلَى الْوَتَرِ ، وَإِسْمَاكَ بِثَلَاثَةِ
وَعِشْرِينَ كَأَنَّهَا ثَلَاثَةٌ وَسِتُونَ وَضَمُّهُ الثَّلَاثَةَ ضَمًّا وَتَحْوِيلُهُ دَفْعَهُ إِلَى مَنِكَبِهِ [الْأَيْسَرِ] وَإِشْرَافُهُ
رَأْسَهُ وَإِرْحَاقُهُ عَقْبَهُ وَمِيلُهُ مَعَ الْقَوْسِ وَإِقَامَتُهُ ظَهْرَهُ وَإِدَارَتُهُ عَضْدَهُ وَمَقْطَعُهُ الْقَوْسَ
مَقْرَافًا وَنَزْعُهُ الْوَتَرَ إِلَى أَذْنِهِ وَرُفْعُهُ بِيَاضَ عَيْنَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيفٍ لِأَسْنَانِهِ وَتَحْوِيلِ
لَعْنَتِهِ وَارْتِعَاشِهِ مِنْ جِسْدِهِ وَاسْتِقْبَالَتِهِ مَوْضِعَ زِيَجَةِ النَّشَابِ . ١٥

وَقُرَأَتْ فِي الْآيِينَ : مِنْ إِجَادَةِ الضَّرْبِ بِالصُّوْلِحَانِ أَنْ يَضْرِبَ الْكُرَّةَ قَدُّمَا ضَرْبَ
خُلْسَةٍ يُدْرِيقُهُ يَدُهُ إِلَى أَذْنِهِ وَيُجِيلُ صَوْلِحَانَهُ إِلَى أَسْفَلِ مَنْ صَدْرُهُ وَيَكُونُ ضَرْبُهُ
مُقْتَازِرًا مَقْرَفًا مَرْتَسِّلًا وَلَا يُغْفَلُ الضَّرْبُ وَرِيسْلُ السَّانِ خَاصَةً وَهُوَ الْحَامِيَةُ لِمَجَازِ
الْكُرَّةِ إِلَى غَايَةِ الْفَرَضِ ثُمَّ الْجَزُّ لِلْكُرَّةِ مِنْ مَوْضِعِهَا ، وَالتَّوَسُّعُ لِلضَّرْبِ لَهَا تَحْتَ حِزْمِ

- ٢٠ (١) زيادة في النسخة الألمانية وفي البيان والتبيين « يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه اليسرى » . (٢) زيادة في النسخة الألمانية . (٣) كذا بالأصلين ولعله « رُفْعُهَا » . (٤) في الألمانية : « وكفه الصدرة » . (٥) عبارة النسخة القزوينية ولا يغفل الضرب (رسلا البيان ؟) خاصة وهو الحامية لمجاز الكرة الخ .

الدابة ومن قبل آلتها في رفق، وشتمًا لازولة والمباحشة على تلك الحال والترك للاستعانة في ضرب الكرة بسوط والتأثير في الأرض بصولجان والكسرة له جهلا باستماله أو عقير قوائم الدابة، والاحتراش من إلقاء من جرى معه في ميدانه، وحسن الكف للذابة في شتة جريه، والتوقى من الصرعة والصدمة على تلك الحال، والمجانبة للفضب والسب، والاحتمال والملاهة، والتحفظ من إلقاء كرة على ظهر بيت وإن كان ست كرين بدهم، وترك طرد النظارة والجُلوس على حيطان الميدان فإن عرض الميدان إنما جعل ستين ذواعا لللايحال ولا يصرار من جلس على حافته .

وقال أبو مسلم صاحب الدعوة لرجاله : أشيروا قلوبكم الجراءة عليهم فإنها سبب الظفر، واذكروا الضمائم فإنها تبعث على الإقدام، والزموا الطاعة فإنها حصن المحارب .

المسير في الغزو والسفر

حدثنا شبابة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن معدان بن حدير الحضرى عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير عن أبيه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مثل الذين يغزون من أمتي ويأخذون الجمل يتقوون به على عدوهم كمثل أم موسى ترضع ولها وتأخذ أجرها» . حدثني محمد بن عبيد عن ابن عينة عن عبد الرحمن ابن حملة عن سعيد بن المسيب قال : لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم المعرس أمر مناديا فتادى : لا تطرقوا النساء . فتقبل رجلان فكلما وجد مع امرأته رجلا . وكانت العرب تقول : السفر ميزان القوم . وتأمر بالمحلات وهى الدلو والفاس والسفرة والقدّر والقداحة ، وإنما قيل لما محلات لأن المسافرين بها يحل حيث شاء ولا يزال ألا يكون بقره أحد .

(١) في البدائي «السفر ميزان السفر» أى أنه يسفر عن أخلاق المسافرين ، وفي الفتوح إفية السفر مجلدة القوم ويعرج إلى هذا المعنى أيضا .

- حدثني عبد الرحمن بن الحسين عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : قال لقمان لابنه : « يا بني إذا سافرت فلا تم على دابتك فان كثرة النوم سريع في دبرها ، فإذا نزلت أرضا مكثكة فاعطها حظها من الكلا^(١) وأبدأ بملفها وسقيها قبل نفسك وإذا بددت عليك المنازل^(٢) فعليك بالدبح فان الأرض تطوى بالليل . وإذا أردت التناول
- فلا تنزل على قارة الطريق فانها ماوى الحيات والسباع ولكن عليك من بقاع الأرض بأحسنها لونا وألينا تربة وأكثرها كلا^(٣) فانزيفا ، وإذا نزلت فصل ركبتين قبل أن تجلس وقل (رَبِّ أَتَزَلِّي مَثَرًا مَبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرَ الْمَثَرِينَ) . وإذا أردت قضاء حاجة فأبعد المذهب في الأرض وعليك بالسقعة . وإذا أرتحلت من منزل فصل ركبتين وودع الأرض التي أرتحلت عنها وسلم عليها وعلى أهلها فان لكل بقعة من الأرض أهلا من الملائكة . وإذا مررت ببقعة من الأرض أو واد أو جبل فأكثري من ذكر الله فان
- الجبال والبقاع ينادى بعضها بعضا : هل مر بك اليوم ذاكر لله ؟ وإن استطمعت ألا تطعم طعاما حتى تتصلق منه فأفضل . وعليك بذكر الله جل وعز مادمت راجعا وبالتسبيح مادمت صائما وبالدهاء مادمت خائلا . وإياك والسير في أقل الليل وعليك بالتعريس والبلغة من نصف الليل الى آخره . وإياك ورفع الصوت في سيرك إلا بذكر الله ، وسافر بسيفك وقوسك وجميع سلاحك وخفك وعمامتك وإبرتك وخيوطك وتزود معك الأدوية تتفجع بها وتتفجع من محبك من المرضى والزنى . وكن لأصحابك موافقا في كل شيء يقربك إلى الله ويباعدك من معصيته . وأكثر التبسم في وجوههم وكن كريما على رادك بينهم وإذا دعوك فأجبههم ، وإذا استعانوك فاعنهم وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم وأجهد رأيك . وإذا رأيتهم يشون فامش معهم أو يعملون فاعمل معهم . [وإن تصدقوا أو أعطوا فاعط] . واسمع لمن هو أكبر منك . وإن تخيرتم
- في طريق فانزلوا ، وإن شككتم في القصد فتنّبوا وآمروا ، وإن رأيتم خيالا واحدا

فلا تسألوه عن طريقكم فإن الشخص الواحد في القلاة هو الذي حيركم واحذروا
الشخصين أيضا إلا أن تروا ما لا أرى فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وإن
العاقل إذا أبصر شيئا بعينه عرف الحق بقلبه .

علم أعرابي بنيه إتيان الغائط في السفر فقال لهم : أتبعوا الخلاء ولبثوا الكلا
وأكلوا الضراء^(١) وألججوا الخناج النمامة وامسحوا بأشتملكم .

[وقال عمرو بن العاص للحسن بن علي بن أبي طالب رحمهما الله : يا أبا محمد، هل
تتعت الخمرأة؟ فقال : نعم، تُبعد المشي في الأرض الضمضض حتى تنوارى من القوم،
ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ولا تستنج بالرومة ولا المظم ولا تبذل في الماء الراكد].

أراد الحسن البصري الحج ، فقال له ثابت : بلنسى أنك تريد الحج فأجبت
أن نصطحب . فقال : ويحك ! دعنا نتمائش بستر الله ، إني أخاف أن نصطحب
فيري بعضنا من بعض ما تنافقت عليه . وفي الحديث المرفوع عن بقة عن الرضين بن
عطاء عن محفوظ بن طقمة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه
« أما لك إن ترافق غير قومك يكن أحسن لخلقك وأحق أن يُقتنى بك » .

أتى رجل هشاما أخا ذى الرمة الشاعر فقال له : إني أريد السفر فأوصني . قال : صل
الصلاة لوقتها فانك مصليا لا محالة فصلتها وهي تنفعك ، وإياك وأن تكون كلب رقتك
فإن لكل رقعة كلبا ينبع دونهم ، فإن كان خيرا شركوه فيه وإن كان مارا قلله دونهم .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عثمان بن عطاء عن أبيه
قال : إذا ضللت لأحدكم ضالة فليقل : اللهم رب الضالة تهدي الضالة وترد الضالة
أردد على ضالتي ، اللهم لا تبلىنا بملأها ولا تشعبنا بطلها ، ما شاء الله لا حول ولا قوة
إلا بالله . يا عباد الله الصالحين ردوا علينا ضالتنا . وإذا أردت أن تحمل الحمل الثقيل
قل : يا عباد الله أعينونا . [وقال أبو عمرو : إذا ضللت لأحدكم ضالة فليتوضأ^(٢)

(١) الضراء ما يوابك من غيب . (٢) زيادة في التسمية الألفاظية .

حدثني محمد بن عبيد عن حمزة بن وَهْلَةَ عن رجل من مُرَادٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا عَلِيُّ ، أَمَّا أَنْ لَأَمْتُ مِنَ الْفَرَقِ إِذَا رَكِبُوا الْفَلَكَ أَنْ يَقُولُوا بِسْمِ اللَّهِ الْمَلِكِ الرَّحْمَنِ . وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضَ جَمِيعًا مَبْعُوثَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّائِرَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بَيْنَ يَدَيْهِ سُبْحَانَهُ وَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . بِسْمِ اللَّهِ جَهَنَّمَاءُ وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .

وعن الأوزاعي عن حسان بن عطية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 في سفره حين هاجس: « الحمد لله الذي خلقني ولم أَكُ شيئاً مذكوراً، اللهم أعني على
 أهول الدنيا وبوائق الدهر ومصيبات الليالي والأيام وأكفني شر ما يعمل الظالمون
 في الأرض، اللهم في سفرى فَاصْحِنِي، وفي أهلى فَاعْلُفْنِي، وفيما رزقتنى فبارك لى،
 ولك في نفعى فذلِّلْنِي، وفي أمين الصالحين فعظِّمْنِي، وفي خُلُقِ قِتْمُونِي، وإليك ربِّ
 فحْبِبْنِي، إالى من تكلَّمتُ ربَّ المستضعفين وأنت ربى » .

(١) البرق الحيرة والدمش - وفي النسخة الألمانية «برق» وهو تحريف.

وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ معاويةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ حَاصِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ يَقُولُ : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَالْخَوَرِ بَعْدَ الْكَوْرِ وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ وَسُوءِ الْمُنْظَرِ فِي الْأَهْلِ» وَزَادَ فِيهِ «اللَّهُمَّ أَلِّمْنَا الْأَرْضَ وَهَوِّنْ عَلَيْنَا السَّفَرَ» .

• وَقَالَ مَطْرُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَةُ : الْحَسَنَةُ بَيْنَ السَّيِّئِينَ وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا وَشَرُّ السَّيْرِ الْحَقِيقَةُ . وَفِي الْحَدِيثِ « لَا تُحَقِّقْ تَقْطَعُ وَلَا تَبَاطُأُ تَسْبِقُ وَلَكِنْ أَقْصِدْ تَبْلُغْ » وَالْحَقِيقَةُ أَشَدُّ السَّيْرِ . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ « إِنْ الْمُنْتَبِتُ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى » وَقَالَ الْمَرَارُ

تُحَطِّعُ بِالزَّوَالِ الْأَرْضُ عَنَّا • وَبَعْدَ الْأَرْضِ يَقْطَعُهُ التَّزْوَالُ

١٠ الْأَحْمَمِيُّ قَالَ ، قِيلَ لِرَجُلٍ أَسْرَعَ فِي سَيْرِهِ : كَيْفَ كَانَ مَسِيرُكَ ؟ قَالَ كُنْتُ أَكُلُ الْوَجْبَةَ وَأَعْرَسُ إِذَا انْتَحَرْتُ وَأُرْتَحِلُ إِذَا انْصَفَرْتُ وَأَسِيرُ الْوَضْعَ وَأَجْتَنِبُ الْمَلْعَ لِحُجَّتِكُمْ لِحُجِّي سَبْعَ . قَالَ أَبُو الْيَقْطَانِ : مِنَ السَّيْرِ الْمَذْكُورِ مَسِيرُ ذَكْوَانَ مَوْلَى آلِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، سَارَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَقَدِمَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَهُوَ خَلِيفَةُ مَرْوَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ فَصَلَّى الْعَتَمَةَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ : حَاجٌّ غَيْرَ مَقْبُولٍ مِنْهُ . قَالَ لَهُ : وَلَمْ ؟ قَالَ : لَا تِلْكَ فَهَرَّتْ قَبْلَ الزَّوَالِ . فَانْتَرَجَ كِتَابَ مَرْوَانَ بَعْدَ الزَّوَالِ وَقَالَ

أَلَمْ تَرِنِي كَلَفْتُهُمْ سَيْرَ لَيْلَةٍ • مِنْ آلِ مَتَّى نَصًّا إِلَى آلِ يَثْرِبَ
فَاقْسَمْتُ لِاحْتِفَاكِ مَا عَشْتُ سَيْرِي • حَدِيثًا لِمَنْ وَافَى يَجْمَعُ الْمُحْصَبَ

وَمِنَ السَّيْرِ الْمَذْكُورِ مَسِيرُ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ ، وَكَانَ آغَارُ عَلَى هَاجَانَ [التَّهْمَانِ بْنِ] الْمُنْدَرِ ابْنِ مَاءِ السَّمَاءِ وَسَارَ فِي لَيْلَةٍ مَسِيرَةَ ثَمَانَ ، فَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ

هَمْنَا بِالْإِقْلَاسَةِ ثُمَّ مَرَيْنَا • كَسِيرَ حُذَيْفَةَ الْخَلِيعِ بْنِ بَدْرٍ

- قال الشرقي بن القطامي: خرجت من الموصل أريد الرقة فصحني قتي من أهل الجزيرة وذكر أنه من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مزود وركوة وعصا، ورأيت لا يغارها مشاة نحا أو ركبانا وهو يقول: إن الله جعل جماع أمر موسى وأحاجيه وبراهينه ومآربه في عصاه، ويكثر من هذا وأنا أضحك متهاونا بما يقول، فتخلف المكاري فكان حمار القتي إذا وقف أكرهه بالعصا ويقف حماري ولا شيء في يدي فيسبني إلى المنزل فيسترع ويرجع ولا أقدر على الأبراح حتى يوافيني المكاري، قلت: هذه واحدة. ثم خرجنا من عند مشاة فكان إذا أعيأ توكتا على العصا ورجعما أحضر ووضع طرفا على الأرض فاعتمد عليها ومز كأنه سهم زالج حتى اتينا وقد غسخت من الكلال وإذا فيه فضل كثير، قلت: وهذه أخرى. فلما كان في اليوم الثالث هجمتا على حبة منكرة فسارت الينا فأسالت الينا وهربت عنها فضربها بالعصا حتى قتلها، قلت: هذه ثالثة. [وهي أعظمهن] وخرجنا في اليوم الرابع وبنا قرقم إلى اللحم فاعترضتنا أرنب فخذفها بالعصا وأدركنا ذكاتها قلت: هذه رابعة. فأقبلت عليه قلت: لو أن عندنا نارا ما أنرت أكلها إلى المتزل. فأنرج عويدا من مزوده ثم حكك بالعصا فأورث إبرة المرخ والسقار، ثم جمع ما قدر عليه من الفشاء والحشيش وأوقد نارا وألقى الأرنب في جوفها فأخرجناها وقد لاق بها من الرماد والتراب ما بقضها إلى فلقها بيده اليسرى ثم ضرب جنوبها بالعصا وأعراضها ضربا رقيقا حتى انثر كل شيء عليها فأكلناها وسكن القرقم وطابت النفس، قلت: هذه خامسة. ثم نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت ملاثة ووتا وترايا فلم نجد موضعا نظل فيه فنظر إلى حديقة مطروحة في النار فأخذنا بفعل العصا نصبا لها ثم قام بفرف جميع ذلك الروث والتراب وبرد الأرض حتى أظهر بياضها وطابت ريحها قلت: وهذه سادسة. ثم زرع العصا من الحديقة فأوتدتها في الحائط وعلق عليها ثيابه وثيابي

فقلت : هذه سابعة . فلما صرنا الى مَرِّق الطريقين وأردت مفارقتها قال لي :
لو عدلت معي فبت عندى ! فعدلت معه فأدخلني منزلا يتصل بيعة فلما زالى يحدثني
ويطرقني الليل كله فلما كان السحر أخذ العصا بينها وأخذ خشبة أخرى ففرغ بها
العصا فإذا ناقوس ليس في الدنيا مثله وإذا هو أحسن الناس به فقلت له : ويحك !
أما أنت بمسلم ؟ قال : بلى . قلت : فلم تضرب بالناقوس ؟ قال : لأن أبى نصرانى
وهو شيخ كبير ضعيف فإذا شهدت برهته بالكفاية ، وإذا شيطان مارد وأطرف الناس
وأكثرهم أدا تغبرته بالذى أحصيت من خصال العصا ، فقال : واقه لو حدثتك عن
مناقب العصا ليلة الى الصباح ما استغفرتها .

وروى يزيد عن هشام عن الحسن عن جابر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « إذا كنتم في الخصب فأمكنوا الركاب ^(١) واستبها ولا تقعدوا المنازل وإذا كنتم
في الجنب فاستنجوا وعليكم بالدبلة فإن الأرض تطوى بالليل وإذا تقولت لكم
الغيلان فنادوا بالأذان ولا تصلوا على جواد الطرق ولا تزلوا عليها فإنها مأوى السباع
والحيات ولا تقضوا عليها الحوائج فإنها للملائكة » .

وأراد أصراي سفرا فقال لامرأته

عُدِّي السنين لنفسي وتصبري * وذري الشهود فإنهم قصار

فأجابته

أذكر صبا بقاءك اليك وشوقنا * وأرحم بئناك لمنهم صغار

(١) أورد ابن الأثير بلفظ « أطعوا الركاب استبها » وقال تافلا عن أبي عبيد ان كانت القطة
محفوظة فكأنها جمع الأسنان ، قال لما تأكله الابل وترعاه من الغيب من وجهه أسنان ثم است . وقال
الزحمرى ان الأسد هنا الراح وقال في مناه : أطعها ما تمنع به من النمر لأن صاحبها اذا أحسن رعاها
سمت وحسن فيعه فيبذل بها عن أن تفرق به ذلك بالأسد فيفرح الانتاع بها ، وهو كما ترى فكيف
لا يصاح عليه سياق الحديث . (٢) أى أمرعها .

فأقام وترك السفر . وقال إصحاق بن إبراهيم الموصلي

طربت إلى الأصينية الصغار * وهاجك منهم قرب المزار

وكل مسافر يزداد شوقا * إذا دنت الديار من الديار

وفي الحديث المرفوع قال ابن مسعود : كنا يوم بدر ثلاثة على مير فكان علي

وأبو لبابة^(١) زميل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا دارت عقبتهما قالا :

يا رسول الله اركب ونمشي عنك . فيقول « ما أنتم بأقوى مني وما أنا بأخفى عن

الأجرامنكا » .

خطب قتبية بن مسلم على منبر خراسان فقال في خطبته : إذا غروتم فاطموا

الأنظار وقصروا الأشعار .

وقالت عائشة رضي الله عنها : « لا سهر إلا ثلاثة : مُصل أو عروس أو مسافر .

وقال بعض الشعراء

سُررتُ بحسبي والقرب منه * كما سُرَّ المسافر بالإياب

وكنتم بقربه إذ حل أرضي * أميرا بالسكينة والصواب

كمطور ببلدته فاضئ * غنيا عن مطالبة السحاب

وقال آخر في معناه

وكنتم فيهم كمطور ببلدته * فسران جمع الأوطان والمطرا

وقال آخر

إذا نحن أبنا سالمين بأفقس * كرام رجحت أمر الخباب رجاؤها

فانقست خير النعيمة إنها * قلوب وفيها مأوها وحياتها

(١) كنا بضم أوله وقع ثانيه وركنية رفاعة بن عبد المنذر وهو صحابي معروف .

وقال آخر

رجعتا سالمين كما بدأنا * وما خلت غنيمة سالمينا
[وما تدين أي الأمر خير * أما تهوين أم ما تكوهينا^(١)]

وقال بعض المحدثين

فبح الله آل برمك إلى * صرت من أجهل أنا أسفار
إن يكن ذوالقرنين قد مسح الأثر * ض غاني موكل باليسار

القصص^(٢)

حدثني أبي، أحسبه عن الهيثم بن عدي قال : لما كتب أبو بكر رضي الله عنه
إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسير إلى الشام وإلينا مكان أبي عبيدة بن الجراح، أخذ
على السبابة حتى انتهى إلى قراقرة، وبين قراقرة وسوى خمس ليال في مفازة، فلم يعرف
الطريق، فدل على رافع بن حميرة الطائي وكان دليلاً نحرياً فقال لخالد : خف
الافتحال وأسلك هذه المفازة إن كنت فاعلاً، فكره خالد أن يخلف أحداً وقال : لا بد
من أن نكون جميعاً . فقال له رافع : والله إن الزاكب المنفرد ليخافها على نفسه
وما يسلكها إلا مفرغ غاطر بنفسه، فكيف أنت بمن ممل؟ فقال : لا بد من ذلك . فقال
الطائي لخالد : أئني عشرين جزوا مسان عظاماً ففعل فظمأهن ثم سقاهن حتى
روين ثم قطع مشافيرهن وكهمن ثلاثاً تجتر، ثم قال لخالد : سر باليسول والافتحال
فكلما نزلت منزلاً نحررت من تلك الجزر أربعا ثم أخذت ما في بطونها من الماء
فسقته الخليل وشرب الناس مما ترودوا، ففعل . فلما صار إلى آخر المفازة انقطع ذلك

(١) ما بين هذين القوسين زيادة في النسخة الألمانية .

(٢) يقال فوز الرجل بإبله إذا ركب بها المفازة .

(٣) كذا بالألمانية وفي النسخة الفونوغرافية أبي عبيدة محمد بن سعيد وهو خطأ إذ اسم أبي عبيدة عامر
ابن عبد الله بن الجراح الفهري ظله من سهو الناشر .

وجهد الناس وعطشت دوابهم، فقال له خالد : ويحك، ما عندك؟ قال : أدركت
الرى إن شاء الله، انظروا هل تجدون شجرة عوّج على ظهر الطريق؟ فنظروا فوجدوها
فقال : احفرُوا في أصلها فحَفَرُوا فوجدوا عينا فشرَبوا منها وتزوّدوا، فقال رافع : والله
ماوردتُ هذا الماء قط إلا مرة واحدة مع أبي وأنا غلام. فقال راجز المسلمين في ذلك

- لله در رافع أنى أهدى * قَوْزٌ من قُرَاقِرٍ إلى مُسَوَى
أرضا إذا سار بها الجيش يَكى * ماسارها قبلك من إنس أرى^(١)

قال ولما مرّ خالد بموضع يقال له الإشر طلع على قوم يشربون ويصف أيديهم
جفّة وأحلمهم يتغنى

- الأ علاّنى قبل جيش أبي بكر * لعلّ متايانا قريب وما ندرى
الأ علاّنى بالزجاج وكرّرا * على كُتَيْبِ اللون صافية تجري
أظن خيول المسلمين وخالدا * سيطرّفكم قبل الصباح من الإشر
فهل لكم في السير قبل قتالهم * وقبل خروج المعصرات من الخلد

فأ هو إلا أن فرغ من قوله شدّ عليه رجل من المسلمين بالسيف فضرب
عقه فإذا رأسه في الجفنة، ثم أقبل على أهل الإشر فقتل منهم وأصاب من أموالهم.

- ١٥ ابن الكلبي قال : أقبل قوم من أهل اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فأضلوا
الطريق ووقعوا على غير ماء فكتثوا ثلاثا لا يقدرون على الماء فجعل الرجل منهم
يَسْتَدْرِى بِنَى السَّمَرِ وَالطَّلَحِ يَأْسَا من الحياة، فبينما هم كذلك أقبل راکب على بعير
فأنشد بعض القوم بيتين من شعر امرئ القيس

- لما رأت أن الشربة ههنا * وأن الياض من قرآنها دأى
تيممت العين التي عند ضاريج * بِنَى عليها الظل عَرَمَها طأى

(١) هذا بالألمانية، وفي الفترغرافية «أدى» بالهـ ال وله «أرى» بمعنى ما يرجع.

فَقَالَ الرَّكَّابُ : مَنْ يَقُولُ هَذَا ؟ قَالُوا : أَمْرُؤُ الْقَيْسِ . قَالَ وَلَقَدْ مَا كَذَبَ ، هَذَا ضَارِجٌ عِنْدَكُمْ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ ، بَجَثُوا عَلَى الرَّكَّابِ فَإِذَا مَاءٌ عَذَقَ وَإِذَا عَلَيْهِ الرَّمْضُ وَالظَّلْ بِنَى عَلَيْهِ فَمَشَرُوا مِنْهُ رِيْهِمْ وَسَقَوْا وَحَمَلُوا حَتَّى بَلَغُوا الْمَاءَ ، فَأَتَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْيَانَا يَبْتَازُ مِنْ شَعْرِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ قَالَ : « ذَاكَ رَجُلٌ مَذْكُورٌ فِي الدُّنْيَا شَرِيفٌ فِيهَا مَنَسَى فِي الْآخِرَةِ خَامِلٌ فِيهَا ، يَبْنَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَهُ لَوَاءُ الشُّعْرَاءِ يَقُودُهُمْ إِلَى النَّارِ » .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرَيْبٍ عَنْ عَمِّهِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ أَنَّ رُقَّةً مَاتَتْ مِنَ الْعَطَشِ بِالشَّجِيِّ ، فَقَالَ الْمَجَاجُ : إِنِّي أَظُنُّهُمْ قَدْ دَعَا اللَّهُ حِينَ بَلَغَهُمُ الْجَهْدَ فَأَخْضَرُوا فِي مَكَانِهِمُ الَّذِي مَاتُوا فِيهِ لَعَلَّ اللَّهَ يَسْقِي النَّاسَ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ قَدْ قَالَ الشَّاعِرُ

تَرَامَتْ لَهُ يَبْنَ الْوَيْيَ وَعُضِيَّةٌ * وَبَيْنَ الشَّجِيِّ مَا أَحَالَ عَلَى الْوَادِي
وَأَقَّةٌ مَا تَرَامَتْ لَهُ إِلَّا وَهِيَ عَلَى مَاءٍ . فَأَمَرَ الْمَجَاجُ عُضِيَّةَ السَّلْمِيِّ أَنْ يَخْفِرَ بِالشَّجِيِّ بَثْرًا خَفِرَ فَأَنْبَطَ ، وَيَقَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَمِتْ قَوْمٌ قَطُّ عَطِشًا إِلَّا وَهُمْ عَلَى مَاءٍ .
قَالَتِ الْعَرَبُ « أَنْ تَرَدَّ الْمَاءُ بِمَاءٍ أُكْيَسُ » . وَيُقَالُ فِي مِثْلِ : « بَرْدُ غَدَاةٍ غَرَّ عَبْدًا مِنْ نَعْمًا » .

فِي الطَّلِيعَةِ وَالْقَالَ

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : هَرَبَ بَعْضُ الْبَصَرِيِّينَ مِنَ الطَّاعُونَ فَرَكِبَ حِمَارًا لَهُ وَمَضَى بِأَهْلِهِ نَحْوَ سَقَوَانٍ فَسَمِعَ حَادِيًا يَحْدُو خَلْفَهُ وَهُوَ يَقُولُ
لَنْ يُسْبِقَ اللَّهُ عَلَى حِمَارٍ * وَلَا عَلَى ذِي مِيعَةٍ مَطَّارٍ
أَوْ يَأْتِيَ الْخَتَفَ عَلَى مَقْدَارٍ * قَدْ يَصْبِحُ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي

- (١) فِي الْأَمَانَةِ عِيدُ اللَّهِ وَهُوَ تَعْرِيفُ .
(٢) هَكَذَا فِي النُّسخِ الْأَمَانَةِ وَالْجُغَرَاءِ ، وَفِي سَمْعِ الْبَهْدَانِ : « عِيدَةُ السَّلْمِيِّ » .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني سعيد بن سلم بن قتيبة عن أبيه أنه كان يحب من يصنع بالطيرة ويبسها أشد العيب وقال : فرقت لنا ناقة وأنا بالطف فركبت في إثرها فلقيني هاني بن عتبة^(١) من بني وائل يركض وهو يقول * والشرطي مطالع الأكم *

ثم لقيني رجل آخر من الحلي فقال وهو للبيد
ولف بشت لم بقا * ة ما البناة بواجدين

ثم دفعت إلى غلام قد وقع في صفوه في نار فأحرقته فقبض وجهه وفسد ، فقلت له : هل ذكرت من ناقة فارق ؟ قال : ههنا أهل بيت من الأعراب فانظر . فوجدناها قد نجت ومعهما ولدها . يقال : ناقة فارق : قد ضربها الطلق ، وصحابة فارق : قد دنا هراقة ماتها . قال المرقش^(٢)

ولقد غدوت وكنت لا * أغدو على وائ وحاتم
فلما الأشائم كالآيا * من والأيمان كالأشائم
وكذلك لا خير ولا * شر على أحد بدائم

[وقال آخر^(٣)

وليس بهيباب إذا شذ رحله * يقول عناني اليوم وائ وحاتم
ولكنه يعضى على ذاك مقديما * إذا صدعن تلك الهنات الختام^(٤)

(١) في النسخة الفوتوغرافية : « عيب » . (٢) في النسخة الفوتوغرافية « المرم » وهو تحريف وقد أورد في اللسان هذه الأبيات ونسبها للرفش كما هنا ، وأورد صاحب بلوغ الأرب في أسرار العرب المرقش هذا فمن من أنكر الزجر والطيرة من العرب واستشهد له بهذه الأبيات .

(٣) الواق : الصرد ، والحاتم : الغراب الأسود وكانت العرب تشاءم بهما . (٤) زيادة في النسخة الألمانية . (٥) في الأصل « الخشام » وهو تحريف والخشام كخلابط : الزيل المتطير . وقد أورد في لسان العرب هذه الأبيات ونسبها إلى ختم بن عدي وقيل لرقاص الكلبي يمدح بها مسعود بن بحر وهو به ابن برة . أنظر لسان مادة « وقى » .

وقال آخر

تَمَلَّمْ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا * عَلَى مُنْطَبِرٍ وَهُوَ الثُّبُورُ
بَلَى شَيْءٌ يُوَافِقُ بَعْضُ شَيْءٍ * أَحَابِيبًا وَبَاطِلُهُ كَثِيرٌ

حدثني الرياشي عن الأصمعي قال: سألت ابن عون^(١) عن الفأل فقال: هو أن تكون مريضاً قسمع : يا سالم ، أو باغياً قسمع : يا واجد . وفي الحديث المرفوع « أَصَدَّقُ الطَّيْرَةَ الْفَالُ » . وفيه « الطَّيْرُ تَجْرَى بِقَدَرٍ »

أراد أبو العالية أن يخرج من البصرة لعلَّه كانت به فسمع منادياً ينادى : يامتوكل ، فخطَّ رحله وأقام .

وقال عكرمة كما جلوسا عند ابن عمرو بن عباس رضى الله عنهما فرطائر يصبح ، فقال رجل من القوم : خير خير . فقال ابن عباس : لا خير ولا شر . [قال كعب لابن عباس : ما تقول في الطَّيْرَةَ قال : وما عسيت أن أقول فيها ؟ لا طير إلا طير الله ولا خير إلا خير الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال كعب : إن هذه الكلمات في كتب الله المنزل . يعنى التوراة] .

حدثني محمد بن يحيى القطي^(٥) قال حدثني عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أبي حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشة رضى الله عنها فقالا : إن أبا هريرة

(١) كذا بالنسخة الفوتوغرافية وفي الألمانية « عون بن عبد الله » ولم تذكر في كتب التراجم على من تسمى بهذا الاسم سوى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وهذا ما بين سنة عشر ومائة إلى عشرين ومائة هـ فلا تصح رواية الأصمعي عنه لأنه ولد سنة ١٢٢ قتل ما في الفوتوغرافية هو الصواب ويكون المراد به عبد الله بن عون بن أربطان البصري فقد توفي هذا في سنة ١٥١ أى والأصمعي في السن التي يتلق فيها عن مشايخه . (٢) في النسخة الألمانية « أبو الناجية » . (٣) في الألمانية « لقينة كانت بها » وهو غير مناسب مع السياق . (٤) زيادة في النسخة الألمانية . (٥) كذا بالنسخة الألمانية من غير ضبط . وفي الفوتوغرافية « القطي » بضم أؤه وضع ثانيه بعدها ياء مشاة والصواب أنه « القطي » بضم أؤه وضع ثانيه من غير ياء كما ضبطه في تقريب التهذيب ولعله نسب إلى قطيفة — بكهنة — بن عيس ابن بيش وهو أيرسى كما في القاموس وقد ذكر صاحب تهذيب التهذيب محمد بن يحيى هذا وقال إن من شيوخه عبد الأمل . وهو ما يروى عنه . (٦) في الألمانية « ابن حسان » وهو تحريف .

يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انما الطيرة في المرأة والدار والباية
فطارئت شققاً ثم قالت : كذب، والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم، من حدث
بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« كان أهل الجاهلية يقولون إن الطيرة في البابة والدار والمرأة » ثم قرأت : (مَا أَصَابَ
مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا)

كان عبد الله بن زياد صوّر في دهليزه كلباً وأسداً وكبشاً وقال : كلب نايج وكبش
ناطح وأسد كالج . وأنشدني أبو حاتم عن الأصمعي
يا أيها المضير هما لا تهم * إنك إن تُقدر لك الحى تُحْم
ولو علوت شاهقا من العلم * كيف تَوَقَّيك وقد جفّ القلم

- ١٠ ولما أمر معاوية بقتل جُحْر بن عديّ الكنديّ في ثلاثة عشر رجلاً معه قال
جُحْر : دعوني أصل ركعتين فتوضاً واحسن الوضوء، ثم صلى وطول قتيلاً له : أجزعت؟
فقال : ما توضأت قط إلا صابت، ولا صليت قط صلاة أخف منها . وإن أجزع فقد
رأيت سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً محفوراً . فقبل له : مُدَّ عُنُقَكَ ، فقال : إن
ذلك لدمٌ ما كنت لأعين عليه . فقدم فصرّت عنقه . وكان معاوية بعث رجلاً يقال
له هُذْبَةٌ لقتلهم ، وكان أعور ، فنظر إليه رجل من خَتَم فقال : إن صدقت الطيرة قُتِلَ
١٥ نصفنا ، فلما قُتِلَ سبعة بعث معاوية رسولاً أتربماقيتهم فلم يقتل الباقون .

خرج كُثَيْرُ عَزَّةَ الى مصر يريد عزة ، فلقه أعرابي من نهد فقال : يا أبا محضر،
أين تريد؟ فقال : أريد عزة بمصر . قال : فهل رأيت في وجهك شيئاً؟ قال : لا،

(١) كذا بالألمانية، وفي الفونوغرافية « عيد الله » ومما من أولاد زياد بن أبيه كافي المعارف لابن
قتيبة، ولا تدرى أيهما صاحب القصة .

إلا أن رأيت غراباً ساقطاً فوق بانه يتنف ريشه . فقال له : توافي مصر . وقد ماتت
عزة . فاتهمه كثير ثم مضى فوافي مصر والناس ينصرفون عن جنازة عزة ، فقال

فما أعيف التهدي لا تدردره * وأزجره للطير لا عز ناصره

رأيت غراباً ساقطاً فوق بانه * يتنف أعلى ريشه وطايره

فأما غراب فاعتراب ووحشة * وبأن فيين من حبيب تعاشره

وهوى بعد عزة امرأة من قومه يقال لها : أُم الحويرث . فخطبها فابت وقالت :

لا مال لك ، ولكن أخرج فأطلب فإني حابسة همى عليك . فخرج يريد بعض بني

مخزوم ، فبينما هو يسير عن له ظلي فكره ذلك ومضى فإذا هو بغراب يبحث التراب

على وجهه فكرهه وتطير منه ، فاتى الى بطن من الأزدي قال لم بنو لمب ، فقال :

أنيكم زاجر ؟ قالوا : نعم ، فأرشدوه الى شيخ منهم فأتاه فقص عليه القصة ، فقال :

قد ماتت أو خلف عليها رجل من بني عمها . فلما انصرف وجدها قد تزوجت فقال

تيمت لمبا أطلب العلم عندهم * وقد رُد علم الماتقين الى لمب

فقال جرى الطير السنيح بينها ^(١) * فدونك فاهيل جد منهر مسكب

فألا تكن ماتت فقد حال دونها * سواك خليل باطن من بني كعب

حدثني أبو سفيان الفتوى قال حدثني خالد بن يزيد الصمغاري قال حدثنا همام بن

يحيى عن قتادة عن حَضْرَتِي بن لحيق أو عن أبي سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم

كتب الى أمراءه : « اذا أردتم الى بريدنا فاجملوه حسن الوجه حسن الاسم » .

[خرج عمر الى حرة وأقم فلقى رجلاً من جُهينة فقال له : ما أسمك ؟ قال :

شهاب . قال : ابن من ؟ قال : ابن بجرة . قال : ومن أنت ؟ قال : من الحرقفة .

(١) كما بالأصل وقد حذف من الشريطين يتصل بهما المعنى وهما .

فيمت شيطان منهم ذا أمانة * بصيراً بجزر الطير منحى الصلب

فقلت له ماذا ترى في سوانح * وصوت غراب يفسد الأرض بالتراب

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

ثم قال : ممن ؟ قال : من بنى ضرام . فقال له عمر : أدرك أهلك وما أراك .
تدركهم إلا وقد احترقوا ، فأتاهم وقد أحاطت النار بهم] .

خرج ابن ماصر الى المدينة فاذا هو في طريقه بنعامات خمس ، فقال لأصحابه :

قولوا في هذه . فقال بشر بن حسان : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : « لا عدوى ولا طيرة » ومن علم شيئاً فليقله ولكني أقول : فتنة خمس ستين .

قرأت في كتب العجم أن كسرى بعث وهرز الى اليمن لقتال الحبشة فلما اصطفوا

قال وهرز لغلام له : أخرج الى من الجُبَّةِ نُشَابَةً^(١) وكان الأسوار يكتب على كل نُشَابَةٍ

في جعبته ، فمنها ما يكتب عليه اسم الملك ، ومنها ما يكتب عليه اسم نفسه ، ومنها

ما يكتب عليه اسم ابنه^(٢) ، ومنها ما يكتب عليه اسم امرأته . فأدخل العبد يده فأخرج

له نُشَابَةً عليها اسم امرأته فتطير وقال : أنت المرأة وعليك طائر السوء . رُدَّها

وهات غيرها . فردَّها وضرب بيده فأخرج تلك النشابة بعينها ففكر وهرز في طائره ثم

أنتبه فقال : زفان . وزفان بالفارسية : النساء . ثم قال : زن آن ، فاذا ترجعتُ اضرب ذلك

قال : نعم الطائر هذا . ثم وضعها في كبد قوسه ثم قال : صفوا لي ملكهم ، فوصفوه

بياقوتة بين عينيه . ثم إنه مَقَطَ في قوسه حتى اذا مَلَّها سَرَحها فاقبلت بأنها رِشَاءَ

مقطع حتى فَضَّتْ^(٣) الياقوتة فطار فُضاضها ثم فلقَتْ هامته وهُزِمَ القوم . وقال المعلوط

تَآدَى الطائرَانِ بَيْنَ سَلَمَى * على غصنين من غَرْبِ وبان

فكان البان أن بانت سليلى * وفي القَرْبِ اغتراب غير داني

أخذ معناها أبو الشيص فقال

أشأقك والليل ملق الحِرَان * غراب ينوح على غصن بان

أحص الجناح شديد الصباح * بيكي بعينين ما تَدْرِفَان

وفي تَبَاتِ القراب اغتراب * وفي البان بين بعيد التداني

(١) الأسوار بالضم والكسر قائد الفرس . (٢) في الفقه « آيه » .

(٣) في الفقه « آيه » : « حَتَّى مَلَّتْ الْيَاقُوتَةُ فَطَارَتْ فُضَاضًا » .

وقال الطائي

أَنْضَعَضْتُ عِبْرَاتُكَ أَنْدَعْتُ * ورقاء حين تضعضع الإسلام
لا تَشْجَنَ لَهَا فَا نَ بَكَاسَا * ضحك وإن بكائك استفرام
هَنَ الْحَسَامُ فَانْ كَسَرَتْ عِيَافَةً * من حائِنٍ فَانْهَنَ حِمَام

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثني موسى بن مسعود عن عكرمة بن عمار عن
إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: جاء رجل منا إلى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنا نزلنا دارا فكثر فيها عدونا وكثرت فيها أموالنا ثم
نحولنا منها إلى أخرى فقلنا فيها أموالنا وقل فيها عدونا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ذروها وهي ذمية » .

بلغني عن ابن كُثَّامة عن مبارك بن سعيد أني سفيان الثوري قال: بلغنا أن
أعرابيا أضاع ذودا له فخرج في الطلب حتى أدركه العطش، فزأع ربي يخطب ناقة
فنشده ضالته فقال له: متى خرجت في الطلب؟ ادن مني حتى أسقيك لينا وأرشدك .
قال: قبل طلوع الفجر . قال: فما سمعت؟ قال: عواطيس حولى: فناء الشاء
ورغاء البعير وبُباح الكلب وصباح الصبي . قال: عواطيس تنهاك عن الغدو . قال:
فلما طلع الفجر عرض لي ذئب . قال: كسوب ذو ظفر . قال: فلما طلعت
الشمس لقيت نامة . قال: ذات ريش واسمها حسن ، هل تركت في أهلك
مريضا؟ قال: نعم . قال: أرجع فانك ستجد ضالك في مترك .

حدثني عبد الرحمن عن حفص بن عمر الخبيطي قال حدثنا أبو زرعة يحيى بن أبي
عمرو الشيباني عن يثيع عن كعب قال: كانت الشجرة تنبت في محراب سليمان
النبي صلى الله عليه وسلم وتكلمه بلسان ذئب فيقول: أنا شجرة كذا وفي دواء كذا .
فيأمر بها سليمان فيكتب اسمها ومنفعتها وصورتها وتقطع وترفع في الخزان حتى كان
(١) في الأصل «الشيباني» بالسين المعجمة وهو تحريف والتصويب والضبط عن تحريف التهذيب .

أترما جاء منها الخزوبة فقالت : أنا الخزوبة . فقال سليمان : الآن نُيِّتُ الى نضى
وأذن في نراب بيت المقدس . قال الطائي يصف عمروية

بكرُفَا اقترَعَهَا كُفْ حَادِثَةٌ * وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ الثُّوبِ

جَرَى لَهَا الْفَالُ بَرَحًا يَوْمَ انْقِسَرَتْ * اذْغُودِرَتْ وَحَشَةَ السَّاحَاتِ وَالرَّجَبِ

لَمَّا رَأَتْ أَخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ * كَانَ الْحَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرْبِ

مذاهب العجم في العِيفَةِ والاستدلال بها

قرأت في الآيين : كانت العجم تقول : إذا تحوَّل السَّباع والطير الجليبة عن
أماكنها ومواضعها دَلَّتْ بذلك على أن المَتْنَى سَيَشْتَدُّ وَيَتَفَاقَمُ . وإذا قَلَّتْ الجُرْدَانُ

بُرًّا وَشَعِيرًا أَوْ طَعَامًا إِلَى رَبِّ بَيْتِ رُزْقِ الزَّيَادَةِ فِي مَالِهِ وَوَلَدِهِ ، وَإِنْ هِيَ قَرَضَتْ شِيَابَهُ

دَلَّتْ بذلك على نقص ماله وولده ، فيذنبى أن يُقَطَعَ ذَلِكَ الْقَرْضُ وَيُصْلَحَ . وإذا

شَبَّتِ النَّارُ شُبُوبًا كَالصَّحَبِ دَلَّتْ على فرح شديد ، وإذا شَتَّ شُبُوبًا كَالْبُكَاءِ دَلَّتْ

على حزن ، وأما النار التي تَشْتَعِلُ فِي أَسْفَلِ الْقُدُورِ فَانْهَا تَدُلُّ عَلَى أَمْطَارٍ تَكْثُرُ أَوْ ضَيْفٍ

يَحْضُرُ . وإذا فُشَا الْمَوْتُ فِي الْبَقَرِ وَقَعَ الْمَوْتَانُ فِي الْبَشَرِ ، وإذا فُشَا الْمَوْتُ فِي الْخَنَازِيرِ

عَمَّ النَّاسُ السَّلَامَةُ وَالْعَافِيَةُ ، وإذا فُشَا الْمَوْتُ فِي السَّباعِ وَالْوَحُوشِ أَصَابَ النَّاسَ

ضَيْقَةٌ ، وإذا فُشَا الْمَوْتُ فِي الْجُرْدَانِ أَخْصَبَ النَّاسُ . وإذا أَكْثَرَتْ الضَّفَادِعُ

الَّتِي تَقِي دَلَّتْ على موتان يكون . وإذا أُنْ دِيكَ فِي دَارِ فُشَا فِيهَا مَرَضُ الرِّجَالِ ، وإذا

أُنْتُ دَجَاجَةٌ فُشَا فِيهَا مَرَضُ النِّسَاءِ ، وإذا صَرَخَتْ دَبُوكُ صُرَاخًا كَالْبُكَاءِ فُشَا الْمَوْتُ

فِي النِّسَاءِ ، وإذا صَرَخَ الدِّجَاجُ مِثْلَ ذَلِكَ الصَّرَاخِ فُشَا الْمَوْتُ فِي الرِّجَالِ . وإذا نَبَّ

غُرَابٌ أَسْوَدٌ بِجَاوِشِهِ دَجَاجَةٌ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى خَرَابٍ يُعْمَرُ . وإذا قَوَّتْ دَجَاجَةٌ وَجَاوِشُهَا

غُرَابٌ دَلَّ عَلَى عُمُرَانٍ يَخْرَبُ . وإذا غَطَّ الرِّجُلُ الْحَسِيبُ فِي نَوْمِهِ بِلُحْ سَنًا وَرَفْعَةً ،

وَمِنْ نَفَخَ فِي نَوْمِهِ أَسَدٌ مَالَهُ ، وَمِنْ صَرَّتْ أَسْنَانُهُ فِي نَوْمِهِ دَلَّ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى نَيْمَةٍ ،

- ويبني أن يضرب على فيه بحف متخرق . ومن سقطت فئداه حية من بحراً صابته معزة ومضرة . وإذا رنى في الهواء دُخنة وظلمة من غير علة تُخَوِّف على الناس الوباء والمرض . وإذا رنى في آفاق السماء في ليلة مصحبة كاختلاف النيران غشي البلاد التي رنى ذلك فيها عدو ، فإن رنى ذلك وفي البلاد عدو انكشف عنها . وإذا نبج كلب بعد هدأة نجمة بنجة دل على أن السراق قد اجتمعوا بالغارة على بعض ما في تلك الدار أو ما جاورها . وإذا صفق ديك بجناحيه ولم يصرخ دل على أن الخبير محتبس عن صاحبه . وإذا أكثر اليوم الصراخ في دار برئ مريض إن كان فيها . وإذا سُمع ليبت تنقُص تنقُص من فيه عنه ، وإذا عوت ذئاب من جبال وجاورها كلاب من قرى تفاقم الأمر في التمارب وسفك الدماء . وإذا عوت كلاب وجاورها ذئاب كان وباء وموتان جارف ، وإذا أكثر الكلاب في البساتين الحرير دلت بذلك على إتيان العدو البلاد التي هي فيها ، وإذا صرخ ديك في دار قبل وقت صراخ الديوك كان ذلك محاولة لدفع بلية قد شارفت تلك الدار ، وإذا صرخت دجاجة في دار كصراخ ديك كان ذلك تحذيراً لمن فيها من آفة قد أشرفوا عليها . وإذا أكثر ديك التروان على تكأة رب الدار نال شرفاً ونباهة ، وإن فعلت ذلك دجاجة ناله نحول وضعة . وإذا ذرق ديك على فراشه نال مالا رغبيا وخيرا كثيرا وذلك إذا كان من غير تضييع من حشمه لقراشه ، فإن ذرقت دجاجة على فراشه نالت زوجته منه خيرا كثيرا ، وكانوا يقولون : إن الموت من المريض الشبيه للصحيح قريب وإن الصحيح الشبيه بالمريض مستشعر للشر ويبني مباحثته . ويبني أن يعرف كُنه من كان منطيقا لعله لا يبيد العمل ، وحال من كان سيكيتا مترننا لعله بعيد القور . وكانوا يكرهون استقبال المولود ساعة يوضع إلا أن يكون ناقص الخلق فإن بلبته وآفته قد صارتا علي نفسه ، ويكرهون استقبال الزين والكريه الاسم والجاربة

- البكر والغلام الناهب الى المكتب ، وكانوا يكرهون الثيران المقرونة بقران والحيوان المؤنث والدابة المقودة وحاملة الشراب والحطب والكلب ، ويستحبون الصحيح البدن الرضى الاسم والمرأة الوسيمة الثيب والغلام المنصرف من المكتب والدواب التي عليها حُمولة من طعام أو تبن أو زبل . وكانوا لا يُحِبُّون عن سمع الملك ألحان المغنيات ويُفَضُّ الصواري وصيل الخيل والبراذين ويتخذون في بيته ديكا ودجاجة . وإذا أُهديت له خيل مُنَحَّ بها عليه من يساره الى يمينه وكذلك الغنم والبقر ، وأما الرقيق والسباع وما أشبهها فكان يُرَحَّ بها من يمينه الى يساره .

باب في الخيل

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عُيَيْنَةَ عن شَيْبِ بْنِ غَرْقَدَةَ ^(١) عَنْ عُرْوَةَ [البارقي قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «الخير في نواصيها» ١٠ الخيل الى يوم القيامة» .
- حدثني يزيد بن عمرو قال حدثني أَشْهَلُ بْنُ حَاتِمٍ قال حدثني موسى بن علي بن رباح القمي عن أبيه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريد أن أعِدَّ فرسا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فاشتره إذا أدَّعَمَ أو كُنِيْتَا أَفْرَحَ أَرْقَمَ أو حَبَلًا مُطْلَقَ الْيَمِينِ» وفي حديث آخر «فانها مَيَّامِينُ الخيل ثم أغرُ تسلم وتقم إن شاء الله» . ١٥

- حدثني سهل بن محمد قال أخبرني أبو عبيدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «عليكم بامات الخيل فان ظهورها حَرَزٌ وبطونها كثر» قال : وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستحب من الدواب الشُّقْرَ ويقول : «لو جمعت خيل العرب كلها في صعيد»
- (١) زيادة لازمة عن النسخة الألمانية لأن المنسوب الى بارق - وهو كما قال السمعاني جيل ينزل الأزد ٢٠ فها نحن يبلد اليمن - حمزة بن الجعد بن أبي الجعد البارقي الصمالي .

واحد ماسبقها إلا أشقر». وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المال خير . قال «سكة مأبورة» يعنى النخل «ومُهْمرة مأبورة» يريد كثيرة التاج . قال : وكان يكره الشَّكَّالَ في الخليل . [قال أبوذر^(٢) : ما من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه ويقول : اللهم صغرتنى لأبن آدم وجعلت رزقى بيده فاجعلنى أحب إليه من أهله وماله ، اللهم ارزقه وارزقنى على يديه] . سأل المهدي مطربن دراج : أى الخليل أفضل ؟ قال : الذى إذا استقبلته قلت نافر ، وإذا استعرضته قلت زافر ، وإذا استدبرته قلت زاجر . قال : فأى البراذين شر ؟ قال : الغليظ الرقة الكثير الجلبة الذى إذا أرسلته قال أمسكنى وإذا أمسكته قال أرسلنى . قال : فأى البراذين خير ؟ قال : ما طرفه إمامه وسوطه عاتنه .

١٠ [وصف رجل برذونا فقال : ان تركته تنس وإن حركته طار] . وقال ابن أقيصر : خير الخليل الذى إذا استقبلته أقمى وإذا استدبرته جئى وإذا استعرضته استوى وإذا مشى ردى وإذا عدا دحا .

محمد بن سلام قال : أرسل مسلم ابن عمرو ابن عم له الى الشام ومصر يشتري له خيلا فقال : لا علم لى بال خليل قال : ألسنت صاحب قنص ؟ قال : بلى . قال :

- ١٥ (١) ان تكون ثلاث قوائم محبلة والواحدة مطلقة وعكسه أيضا . قاموس .
(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(٣) في العقد الفريد « زاجر » ولا معنى له ، ولعل المراد بالزافر عظيم الزفرة بالضم وهى وسط الفرس ويكون كانه زافر أبدا من عظم جوفه وإخراج جنبيه وذلك مما يمدح في الخليل .

(٤) كذا بالتسخين وفي العقد الفريد « زائر » ولعله الصواب ويكون المعنى أنك إذا استدبرته رأيته عظم الكفل منه وذلك مما يمدح في الخليل أيضا .

٢٠ (٥) جئى : انكب على وجهه وقد أوردته في الأمالى « جئاً » وهو أيضا جئناه . وقال أبوعل القالى الرديان أن يرجم الأرض رجما بين المشي الشديد والعدو . والله سبحانه أن يرى يديه ربما لا يرغف منك عن الأرض .

فانظر، كُلُّ شَيْءٍ تَسْتَحْسِنُهُ فِي الْكَلْبِ فَاطْلُبْهُ فِي الْفَرَسِ . قَدِّمَ بِجَيْلٍ لَمْ يَكْ فِي الْعَرَبِ مِثْلَهَا . وَقَالُوا : سُمِّيَتْ خَيْلًا لِاخْتِيَالِهَا .

وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ فَرَسًا وَسَرَعَتَهُ فَقَالَ : لِمَا خَرَجْتَ الْخَيْلَ جَارِيَّ بِشَيْطَانٍ فِي أَشْطَانٍ فَلَمَّا أُرْسِلَتْ لَمَعَ لَمْعَةً بِمَحَابٍ فَكَانَ أَقْرَبَهَا إِلَيْهِ الَّذِي تَمَعَ عَيْنَهُ عَلَيْهِ .

- وسئل رجل من بني أسد : أتعرف الفرس الكريم قال أعرف الجواد المبرِّ من المبطئ المَقْرُوفِ . أما الجواد المبرِّ فالذي لَمْ يَزَلْ الْعَيْرَ وَأَنْفَ تَأْنِيْفِ السَّيْرِ ، الَّذِي إِذَا عَدَا أَسْلَهَبَ (١) وَإِذَا قَيْدَ أَجْلَبَ وَإِذَا انْتَصَبَ أَتَلَّابٌ . وأما المبطئ المَقْرُوفُ فالممدولك الحَجَبَةُ الضَّخْمُ الْأَرْتَبَةُ الغليظ الرَقَبَةُ [الكثير الجلبة] الَّذِي إِنْ أُرْسِلَتْهُ قَالَ : أَمْسِكْنِي وَإِنْ أَمْسَكْتَهُ قَالَ : أُرْسِلْنِي وَأَنْشَدَ الرَّيْثِيُّ

- ١٠ كَهْمُ سَوْءٍ إِذَا سَكَنَتْ سِرَّتَهُ * رَامَ الْحِمَاحَ فَإِنْ رَقَّتْهُ سَكَا
حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ أَنَّ عَمْرًا بْنَ الْخَطَّابِ شَكَى فِي الْعِتَاقِ وَالْمُحْجِنِ ، فَعَدَا سَلَمَانَ بْنُ رَبِيعَةَ الْبَاهِلِيَّ فَأَخْبَرَهُ ، فَأَمَرَ سَلَمَانَ بِطَلَسَتْ فِيهِ مَاءٌ فَوُضِعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ قُدِّمَتْ الْخَيْلُ إِلَيْهِ فَرَسًا فَرَسًا فَسَاقَنِي مِنْهَا مُنْبِكَةً فَشَرِبَ هَجْنَةً ، وَهَذَا شَرِبَ وَلَمْ يَشْئِمْ سُنْبُكَةً عَرَبِيَّةً . وَذَلِكَ لِأَنَّ

- ١٥ (١) كَذَا بِالنُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَةِ فِي الْفَتْوَعَرَفِيَّةِ هَكَذَا (جاء الشيطان) ائِخْ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ فَرَسًا لَا يَمْنَحُ فَقَالَ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ فِي أَشْطَانٍ . وَلَمَّا أَمَلَ عِيَاةَ النُّسخَةِ الْفَتْوَعَرَفِيَّةِ «جاء كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ فِي أَشْطَانٍ» خَرَفَهَا النَّاسُ كَمَا تَرَى . (٢) كَذَا بِالْفَتْوَعَرَفِيَّةِ مَضْبُوطًا . وَفِي الْفَارُوسِ : بِالْمُهْزَوِّ الْمُضْبَرِّ الْخَلْقُ وَالْخَصِيرُ إِكْتِنَازُ الْهَمِّ فَكَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَمْدَحَهُ بِأَنَّهُ مَكْتَنَزُ الْخَلْقِ كَالْعَبْرِ الْوَحْشِيِّ وَيُورِثُهُ مَا فِي الْإِنْسَانِ وَلَكِنَّهُ مَضْبُوطٌ بِالْبَاءِ لِقَاعِلِ وَلَهُ خَطَأٌ . وَفِي الْأَلْمَانِيَةِ وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ «تَهَزَّزَ الْعَيْرُ» . وَفِي الْإِنْسَانِ تَهَزَّتِ الدَّابَّةُ إِذَا نَهَضَتْ بِصَدْرِهَا السَّيْرَ ، وَلَمَّا مَتَّاهُ أَنْ يَتَنَفَّحَ فِي السَّيْرِ كَالْمَقْدَاحِ الْعَبْرِ الْوَحْشِيِّ .
- ٢٠ (٣) فِي الْإِنْسَانِ : وَإِذَا أَنْفَ يَأْتِي السَّيْرَ وَهُوَ تَحْرِيفٌ دَفَعَ إِلَيْهِ تَوَهَّمُ أَنَّ السَّيْرَ هِيَ بِمَعْنَى الْمَتْنِ لِأَنَّ الْمُتَوَهَّمُ هُوَ الْمُحَدَّثُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَمِنْهُ سِرٌّ (جاء) مُؤْتَفٌ أَيْ مُقَدَّودٌ عَلَى قَدَرٍ وَاسْتَوَاءٍ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ قَدْ حَقَّقَ أَسْوَى كَمَا يَسْتَوِي السَّيْرُ الْمُقَدَّودُ . (٤) أَسْلَهَبَ : مَضَى . وَأَجْلَبَ : ائْتَدَعَ الْأَرْضَ . وَأَتَلَّابٌ : أَسْوَى .
- (٥) حِجَةُ الْفَرَسِ مَا أَمْرَفَ عَلَى صَفَاقِ الْجِلْدِ مِنْ وَرِكَهِ ، وَمَدْلُوكُهَا الَّذِي لَيْسَ لِحْجِهِ إِشْرَافٌ فَهِيَ طِيسَاءُ مَسْتَوِيَّةٌ . (٦) الْأَرْتَبَةُ الْأَنْفُ . (٧) فِي الْأَصْلِ الْكَبِيرُ وَالصَّوْبُ عَنْ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ .
- ٢٥

في أعناق المُنْحَن قسرا فهي لا تنال الماء على تلك الحال حتى تنقش سنانها وأعناق
العناق طولاً .

وحدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال : ذكروا أن كسرى كان إذا أتاه
سائسه فقال : الفرس يشتكى حافره ، قال : المطبخ . وإذا قال : يشتكى ظهره ،
قال : اليطار .

وأنشدني أبو حاتم لأبي ميمون العجلي وهو النضر بن سلمة في شعر طويل له يصف
الفرس ، وقال قرأته على أبي عبيدة وعلى الأصمعي

الجيل مني أهل ما أن يدين * وأن يُقرين وأن لا يُقصين
وأن يُسبان وأن يُصدن * وأن يكون المحض مما يُسقين
وأهل أن يُعلن أو يُقالين * بالطرف والتلد وأن لا يُجفين
وأهل ما هبتنا أن يُففين * وأهل ما أعقبنا أن يُجزين
أليس عز الناس فيا أبلين * والحسب الزاكي إذا ما يُقتين
والأجر والزين إذا ريم الزين * كم من كريم جدّه قد أُعلين
وكم طريد خائف قد أُنجمين * ومن فقير عائل قد أغنين
وكم برأس في لبان أجزين * وجسد للعافيات أعرين
وأهل حصن ذي امتناع أزدن * وكم لها في الغنم من ذى سهنين
يكون فيما اتسموا كالرجلين * وكم وكم أنكحن من ذى طمرين
بغير مهر عاجل ولا دين * والليل والخيرات في قرينين
لا تشكين عملاً ما أنقبن * ما دام غي في سلاحي أو عين
* ما بلل الصوفة ماء البحرين

(١) يقال لما بأي أنت ، كناية عن الاحتفاظ بها . (٢) يُؤزّن . (٣) في اللسان : وصف
البحر فهو على شكل هذا الصوف الحيواني واحدة موية وفي الأبديات : لا آتيك ما بلّ بحر صوفة .

وأشدنى أبو حاتم عن أبي عبيدة . قال : وقال لى أبو عبيدة لا أعرف قاتل
هذا الشعر وعروضه لا يخرج . قال أبو حاتم : أحسبه لعبد الفجار الخزاعي

ذلك وقد أذعر الوحوشا * بصَلَّتْ الخلدَ رَحْبَ لَبَّاهُ جَعْفَرُ^(١)
طويلٌ خميس قصير أربعة * عريض ست مقلص حشور^(٢)
حَلَّتْ له تسعة^(٣) وقد عريت * سمع فقيه لمن رأى منظر^(٤)
ثم له تسعة كُسين^(٥) وقد * أرْحَب منه اللَّبَّانَ والمَنَعَرُ^(٦)
بعيد عشر وقد قُرِبَ له * عشر وخميس طالت ولم تقصر^(٧)

(١) اللَّبَّانُ الصدر وجعفر فتح الفاء واسع الجفرة وهى من القوس وسطه .

(٢) تعرض أبو صفوان الأسدى فى قصيدة له الى ملح فرس وذكر أن ما طال منه سمع وفصرها
ابن الاعرابى بالمق ووطنى الرجلين والبطن والذراعين والفتلين . قال أبو عل القائل : وتفسيره غير
موافق لقول الشاعر لأنه ذكر عشرة أشياء وذكرها الشاعر تسعة وتقل من أبي البياس أن هذا غلط من
الشاعر ثم ذكر أن الذى يستحب طوله فى القوائم ثمانية : وظيفا الرجلين والذراعين والفتن وهى الشعر الذى
فى مؤخر الرسخ ، وقال : فإن كان الشاعر ذهب الى هذا وأراد معها المتى جاز وسمح قوله .

(٣) عددها صاحب القصيدة السابقة الذكر تسعة فقال ابن الاعرابى فى تفسيرها هى أربعة : أرساغه
وطيفها يديه وعسيبه وسافاه . (٤) حدث فى القصيدة المذكورة ثمانية وقال ابن الاعرابى فى تفسيرها
هى التخذان والوركمان والأوتلفة . (٥) حشور : متشح الجنين .

(٦) ذكرت فى تلك القصيدة ثمانية وقال ابن الاعرابى : حديد الثمان : عرفوا به وأذناه وقلبه ومتكناه .
كذا فى أمالى أبى على القائل ولم يذكر الثامن .

(٧) حدث فى تلك القصيدة سبعة . قال ابن الاعرابى السبعة العارضة : خذاه وجهه والوجه كله وقرواحه
فكل هذا يستحب فيه أن يكون طويلا من اللحم .

(٨) حدث فى تلك القصيدة سبعة وقال ابن الاعرابى السبع المكسوة : التخذان وحاميتاه . ووركاه
وحسيرا جنيته وتهداته وهما فى الصدر . وغير ابن الاعرابى يقول تهداته بالفاء . قال أبو عل القائل والصحيح
تهداته وهما الحسنان الثمان فى الزور كالقهدين .

(٩) حدث فى تلك القصيدة ما قرب منه سبعا وما بعد سبعا وقال ابن الاعرابى السبع التى قربت يريد بها سبع
خصال صالحة قربت منه وسبع نجسالى رديت بعدت منه فليست فيه . ولم يبين هذه الخصال على وجه التفصيل .

(راجع قصيدة أبي صفوان الأسدى وشرحها فى الأمالى من صفحة ٢٤٠ - ٢٥٣)

تَقْفِيهِ بِالْمَحْضِ دُونَ وَلَيْتَا * وَعُضْفِهِ فِي آرِيهِ يُنْثَرُ^(١)
نَصْبَحُهُ تَارَةً وَتَقْبِقُهُ * أَلْبَاتَ كُورِمَ رَوَائِمِ أَظْلُورُ
حَتَّى شَتَا بَادِنًا يُقَالُ أَلَا * يَطْلُونُ مِنْ بَدْنِهِ وَقَدْ أُخْمِرُ^(٢)
مَوْثِقُ الْخَلْقِ بِمَرْشَعِ عَيْدٍ * مَضْرُجُ الْحَضَرِ حِينَ يُسْتَحْضَرُ^(٣)
حَاطِلُ الْحَمَاتِينَ لِحْمِهِ زَيْمٌ * نَهْدٌ شَدِيدُ الصَّفَاقِ وَالْأَبَرُ^(٤)
رَقِيقٌ نَحْمَسُ غَلِظَ أَرْبَعَةً * ثَائِي الْمَعْدِنِ لَيْثُ الْأَشْعَرِ^(٥)

وقد فُصِرَت هذا الشعر في كتابي المؤلف في أبيات المهاني في خلق الفرس .

أشدنا أبو سعيد لبعض الصَّيِّين في وصف فرس

مُتَقَاذِفُ عَيْلِ الشَّوَى شَنِيعُ النَّسَا * سَبَاقُ أَنْدِيَةِ الْحِيَادِ عَيْلٌ^(٦)
وَإِذَا تَعَلَّلَ بِالسَّيَاطِ جَائِدًا * أَعْلَاكَ نَائِلَهُ وَلَمْ يَتَعَلَّلْ^(٧)

١٠

فيل لما وضعت حرب صَفَيْنَ أوزارها قال عمرو بن العاص

شَبَّتِ الْحَرْبُ فَأَعْدَدْتُ لَهَا * مُفَرَّعَ الْحَارِكَ مَرُوءِي الشَّيْخِ^(٨)

(١) العُضْفُ : السَّيْنُ تَقْفِيهِ الْإِبِلُ ، وَالشَّعِيرُ وَالْحَنْطَةُ لَا يَشْرِكُهُمَا شَيْءٌ . (٢) الْآرِي : الْأَعْيَةُ
وَهِيَ حَبْسُ الْمَدَابَةِ . (٣) يُقَالُ ضَمِرُ الْخَيْلِ قَضِيمٌ : طَفَحَ الْقَوْتُ بِهَا السَّمَنُ كَاسْمَرِهَا قَامُوسٌ .
(٤) الْجَرْشَعُ كَقَضْفَةِ الْعُظْمِ الصَّدْرُ الْمُنْتَفَخُ الْجَنِينِ . وَمَضْرُجُ الْحَضَرِ : شَدِيدُ الْعَدُوِّ . (٥) هَكَذَا
فِي النُّسَخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ وَالْفَتْوَعَرَفِيَّةِ وَذَكَرَ فِي أَسْفَلِ النُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ أَنَّ فِي بَعْضِ النُّسخِ خَاطِي . وَكَلَامُهَا
غَيْرُ مُنَاسِبٍ لِلْعَنِي وَلَمَّا خَاطِلُ بِإِنْفَاءِ وَالطَّاءِ الْحَبِيبَتَيْنِ فَإِنَّ الْحَمَاتَيْنِ مِنَ الْفَرَسِ الْمُحْتَمَانِ الْمُجْتَمِعَتَانِ فِي ظَاهِرِ
السَّائِقِينَ مِنْ أَعَالِيهِمَا وَاتَّخَاطَى كَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الْمَكْتَزُ الْهَمُّ أَوِ الْغَلِظُ الصَّلْبُ . وَلِحْمُهُ زَيْمٌ : مَكْتَزٌ .
وَالصَّفَاقُ فَرَسُ الْأَحْمَرِ فِي كِتَابِ الْفَرَسِ كَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الْجِلْدُ الْأَسْفَلُ الَّذِي تَحْتَ الْجِلْدِ الَّذِي عَلَيْهِ الشَّعْرُ
وَالْأَبَرُ : عَرَقٌ فِي الظُّهْرِ . (٦) الْمَدَانُ : مَوْضِعٌ دَقِيقُ السَّرَجِ . وَالْأَشْعَرُ : مَا اسْتَدَارَ بِالْخَافِرِينَ مِنْهُ الْجِلْدُ .
(٧) مُتَقَاذِفٌ : سَرِيعٌ . وَعَيْلُ الشَّوَى : غَلِظُ الْقَوَائِمِ . وَالنَّسَا : عَرَقٌ مِنَ الْوَرْدِ إِلَى الْكُتُبِ . وَشَنِيعُ النَّسَا
مَقْبُضُهُ وَهُوَ مَدْحُ الْفَرَسِ لِأَنَّهُ إِذَا شَنِيعَ فَنَاسَهُ لَمْ يَسْتَرْخِ رِجْلَاهُ . (٨) فِي الْفَتْوَعَرَفِيَّةِ
وَمَا يَنْتَلِ وَهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ إِذَا كَانَتِ الْقَائِيَّةُ مَرْفُوعَةً . عَلَى أَنَّهُ فِي الْعَدِّ الْفَرِيدِ أُرِيدَ هَذَا الشَّعْرُ عَلَى نَحْوِ
مَا فِي الصَّلْبِ . (٩) الْحَارِكَ أَعْلَى الْكَاهِلِ وَالتَّيْجُ مَا بَيْنَ الْكَاهِلِ إِلَى الظُّهْرِ .

١٥

٢٠

جُرْشُمًا أَعْظَمَهُ جُفْرَتُهُ * فَاذَا ابْتَلَّ مِنَ الْمَاءِ حَرَجٌ
يَصِلُ الشَّدَّ بِشَدِّ فَاذَا * وَتَتِ الْخَيْلُ مِنَ الشَّدِّ مَجْجٌ^(١)

ووجدت في كتاب من كتب الروم أن من علامة قِراءة المهر الحولى صغر رأسه
وشدة سواد عينيه وأن يكون مُحَدَّدُ الأذنين أَجْرَدَ باطنها كثيف العُرف، في عرفه ميل
من قِبَلِ يمين راحيه عريض الصدر مرتفع الهادى معتدل المضدين مكتنز الجنبين
طويل الذنب عريض الكفْل مستدير الحوافر صحيح باطنها، ومن علامة قِراءة المهر
الآ يكون نفورا [ولا يَقِفُ عند دابة إلا مع أمته] وإذا دفع الى عين أو نهر ماء لم يقف
لتجاوزه دابة فيسير بسيرها ولكنه يقطع ذلك النهر والعين .

قالوا وما يسم الله به الخيل من العين وأشباه ذلك أن يُحْمَلَ في أعناقها حرزة
من قرون الأيائل^(٢) .

١٠

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن صفيان عن حُصَيْن بن عبد الرحمن
عن هلال بن إساف وعن مُحَيِّم بن نُوَيْلٍ قالا : كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود
ونحن نعرض المصاحف، فجاءت جارية الى سيدها فقالت : ما يُحْيِلُكَ؟ قم فأَتِنِجْ لنا
راقيا فإن فلانا لقع مهرَك بينته فترَكته يدور كأنه فلك . فقال عبد الله : لا تَتِنِجْ راقيا^(٣)
ولكن اذهب فَأَتِنِجْ في متغره الأيمن أربعا وفي الأيسر ثلاثا ثم قل : بسم الله لا باس
لا باس اذهب الباس رب الناس وأشف أنت الشافي لا يكشف الضراء إلا أنت .
قال : فما قمنا حتى جاء الرجل فقال : قد فعلت الذي أمرتني به فبال وراث وأكل .
حدثني أبو حاتم عن أبي صبيدة أنه قال : اذا كان الفرس صُلُودا لا يبرق سقيته
ماء قد دُفَّتَ فيه نَجْمَةٌ أو علفته ضِفْتًا من هِنْدَبَاءَ فإن ذلك يُكْثِرُ عرفه ، فإن حُرِّ أَدْخَلْتَهُ^(٤)

- ٢٠ (١) في الفونوغرافية «فاذا وت الخيل من التَّج». والثلة : العدو . ومع كنع : أسرع . (٢) الأيائل
جمع أيال وهو الوعل . (٣) يقال لقع فلانا بينه : أصابه بها . (٤) حمر الفرس كفتح : سقى (نعم)
من أكل الشجر أو تنهت راحته فيه اه قاموس .

الحمام وأتمه عذرة . قلت لأبي عبيدة : ما يدريك أن هذا كذا ؟ قال : خبرني به جل الهندى وكان بصيرا . قال : فإن أصابته مقلعة وهى وجع البطن من أكل التراب أخذله شيء من بوري فندق ونحل فجعل فى ريع دورق من نمر فحقن به وبلى تراب طيب يبول أتان حتى يصير طينا ثم لطح به بطن الدابة . قال : ومما يذهب المرن دماغ الأرنب .

وقف المقيم بن مطهر على باب الخيزران على ظهر دابته ، فبعث إليه الكاتب فى دارها : أنزل عن ظهر دابتك فقد جاء فى الأمر : لا يحملوا ظهور دوابكم مجالس . فبعث إليه : إني رجل أعرج وإن نرج صاحبي خفت ألا أدركه . فبعث إليه : إن لم تنزل أنزلناك . قال : هو خيس إن أنزلني عنه إن أقصمته شهرا فانظر أيما خير له ، راحة ساعة أو جوع شهر ؟ فقال : هذا شيطان ، أتركوه .

باب البغال والحمير

قال مسلمة : ما ركب الناس مثل بغلة قصيرة المنار طويلة العنان . وكتب رجل الى وكيله : آخني بغلة حصاء الذنب طويلة المنق سوطها عنانها وهواها أمامها . عاتب الفضل بن الربيع بعض بنى هاشم فى ركوبه بغلة ، فقال له : هذا مركب تطاطأ عن خيلاء الخيل وأرضع عن ذلة الحمار وخير الأمور أوساطها .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء : قال دفع أبو سيرة بأهل المزدلفة أربعين سنة على حمار لا يتل ، فقالت العرب : « أسمع من عرابي سيارة » قال رجل للفضل الرقاشي وهو جده معتمرا لأمه : إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب ، فلم ذلك ؟ قال : لأنها أكثرها مرققا . قال : وما ذاك ؟ قال : لا تستبدل بالمكان على

قدر اختلاف الزمان ثم هي أقلها داء وأيسرها دواء وأسلم صريحا وأسهل تصرفا وأخفض مهوى وأقل حاسا وأشهر قارها وأقل نظيرا ويُرَى رآكبه وقد تواضع بركوبه، ويكون مقتصدا وقد أسرف في ثمنه . وقال خالد بن صفوان في وصف حمار: قد أركبه عيرا من بنات الكناد ^(١) أنهر السريال ^(٢) تملج القوائم يحمل الرجلَة ويبلغ العقبة ويعنى أن أكون جبارا عنيدا .

- وقال رجل لنخاس : اطلب لي حمارا ليس بالكبير المشتهر ولا القصير المحقر ولا قديم قسما ولا يحمي تلبدا يتجنب بي الزمام ^(٣) والإكام خفيف الجلام اذا ركبته هام واذا ركبه غيرى قام، إن علقته شكر، وإن أجمته صبر. فقال له نخاس : إن مسخ الله القاضى زيادا حمارا رجوت أن أصيب لك حاجتك إن شاء الله . وقال رجل لآخر يوصيه : خذ من الحمار شكره وصبره ومن الكلب نصحه لأهله ومن الغراب كتمانَه للسفاد .

جرير بن عبد الله عن أبيه قال : لا تركب حمارا فإنه إن كان فارها أتعب يديك وإن كان يلدا أتعب رجلك .

باب في الإبل

- المهيم قال قال ابن عياش : لا تشتري خمسة من خمسة : لا تشتري فرسا من أسدي ولا جملا من تهدي ولا عيرا من تميم ولا عبدا من بجلي . ونسى المهيم الخامس ، يريد أن أهل هذه القبائل عظام الجلود في هذه الأشياء . قيل لبنى عيس : أى الإبل
- (١) غل تسب إليه الحر . قاموس . (٢) كذا يهاش النسفة الألمانية عن نسفة أخرى وفيها كما في القنوغرافية «يتجنب» . (٣) في النسفة القنوغرافية «عبد الحيد» وما ورد أن ما في كتب التراجم .
- (٤) كذا في القنوغرافية وفي الألمانية «ابن عياس» ولعل رواية القنوغرافية أصح إذ لم تقف في ترجمة ابن عباس على أن المهيم روى عنه ، ولعل هيا هذا هو المهيم بن خازية الخراساني فقد روى عن إسماعيل بن عياش كما في تهذيب التهذيب لابن حجر السقلائي .

أصبر عليكم في عمارتكم ؟ قال الرُّمك الحِمَاد . قيل : فأى الخيل وجدتم أصبر ؟ قالوا : الكَتَّ الحَوَّ . قيل : فأى النساء وجدتم أصبر ؟ قالوا : بناتِ المم .

المدايني قال قال شُبَّة بن عَقَال : أقبلت من اليمن أريد مكة وخفت أن يفوتني الحج ، ومعى ثلاثة أجمال فررت برجل من أهل اليمن على ناقة له فطويته فلما جُرَّته قام بي بعير لي ثم آخر ثم قام الآخر فظننت أن الحج يفوتني فترى إلى يميني فقال :

مررت بنا ولم تسلم ولم تعرض . فقلت : أجل يرحمك الله . قال : أطلب نسا عما أرى ؟ قلت : نعم . فنزل فارخى أنساع رَحْله ثم قَدَّمه فكاد يضعه على عنقه ثم شدته وقال لي : لولا أنك لا تضبط رأسها لقدمتك . ثم قال لي : خذ حُر متاعك إن لم تطب نسا به فعلت ، ثم ارتفعت فجلتْ تعوم صوما ثم انسلت كأنها تمجان يسيل سيلاً كالنساء فما شعرت حتى أرائني الأعلام وقال : أسمع ؟ فسمعت أصوات الناس فاذنا نحن بجمع ، ففضيت بجمي ، وكان قال لي : حاجتي إليك ألا تذكر هذا فان هذه عندي أثر من ولاية العروض يعني مكة والمدينة ، أدرك عليها التاروهي يَمَسُّ اليعال وأصيد عليها الوحش وأوافي عليها الموسم في كل عام من صنعاء في أقل من غيب الحمار فسألته : من أين هي ؟ قال : بُجَاوِيَّة من هَوَاجِي تَسَاج [بلو] بَيْبِلَة الأولى وهي من المَهَارَى التي يذكر الناس .

[وكتب سليمان بن عبد الملك الى عامله : أصب لي نجايب كِرَام . فقدم رجل على جل سُبَاحِي عظيم الهامة له خلق لم يروا مثله قط فساموا ، فقال : لا أبيعهم . قالوا : لا نكتبك ولا نكتبك ولكننا نكتبك الى أمير المؤمنين بسببه . قال : فهلا خيرا من هذا ؟ قالوا : ما هو ؟ قال : معكم نجايب كِرَام وخيل سابقة ، فدعوني أركب

(١) في النسخة العراقية "قد كان ذاك رحك الله" . (٢) هي المزدقة وسميت بذلك لاجتماع الناس بها .

(٣) زيادة في النسخة الألمانية .

جلى وأبسته وأتبعوني فإن لحقتموني فهو لكم غير ثمن . قالوا : نعم . فذا منه فصاح في أذنه ثم أثاره فوثب وثبة شديدة فبكا ثم أنبست وأتبعوه فلم يدروا كيف أخذ، ولم يروا له أثرا فجعل أهل اليمن علما على وثبته يقال له : الكفلان] .

أخبار الجبناء

- ٥ حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعي قال : أرسل عبيد الله بن زياد رجلا في ألفين الى مر داس بن أدية وهو في أربعين فهزمه مرداس فقتله ابن زياد وأغلظ له فقال : يشتمني الأمير وأنا حي أحب الي من أن يدعوني وأنا ميت . فقال شاعر الخوارج

ألفا مؤمن منكم زعتم * وهزمهم بأسك أربعونا

- ١٠ كذبتهم ليس ذلكم كناكم * ولكن الخوارج مؤمنونا
هم القلة القليلة قد علمتم * على القلة الكثيرة يُصرونا

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عون عن الحسن قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما ألتفت فتنان قط إلا وكف الله بينهما فإذا أراد أن يهزم إحدى الطائفتين أمال كفّه عليهما » . [ورفع معاوية ^(١) شُدُوته بيده وقال : لقد علم

- الناس أن الخليل لا تجرى بمثل، فكيف قال التجاشي
١٥ ويحيى ابن حرب سابق ذو عُلالة * أجش هزيم والراح دَواني]
ابن دأب قال، قال عمرو بن العاص لمعاوية : لقد أعياى أن أعلم أجيان أنت أم شجاع ؟ فقال

شجاع انا ما أمكنتني فرصة * وإلا تكن لي فرصة بجان

(١) زيادة في النسخة الألمانية .

شهد أبو دلامة حرباً مع رَوْح بن حاتم فقال له : هتَم فقاتل . فقال

إني أعود بِرَوْح أنْ يَقْدَمَنِي * إلى القتال فَتَخْزِي بِي بنو أسد

إن المهلب حبَّ الموت وَرَبِّكُمْ * ولم أُورث حبَّ الموت عن أحد

أبو المنذر قال ، حدَّثنا زيد بن وهب قال ، قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : عجباً لابن النابغة ! يزعم أنني تَلَابُة أَعَافِسُ وَأُمَافِسُ ! أما وشَرُّ القول أكْذُبه ،

إنه يسأل فيلجف ويسأل فيبخل ، فإذا كان عند البأس فانه أمرؤ زاجر مالم تأخذ السيوف مأخذها من هام القوم ، فإذا كان كذلك كان أكبرهم أن يُرْقِطَ ويمتَح الناس آسَته . قُبِحه الله وَرَحَهُ . وقال الفرار السَّلْمَى

وَكَيْتِيَّة لُبْسُهَا بِكَيْتِيَّة * حتى إذا التبت فضتُ بها يدي

وتركتهم تَقْصُ الرماحَ ظهورهم * من بين منجبل وآخر مسند

ما كان ينبغي مقال نسايتهم * وقُلت دون رجالهم : لا تَبْعِدِ

وقال آخر

أضحت تشجني هند وقد طابت * أن الشجاعة مقرون بها العُطب

ولا والذي حجت الأنصار كعبته * ما يشتهي الموتُ عندي من له أرب

لحرب قوم أضل الله سعيهم * إذا دعيتهم إلى حَوْبَاتِهَا وثبوا

ولست منهم ولا أبني فاعلم * لا القتل يجيني منها ولا السلب

وقال أيمن بن الحریم

إن للفتنة مِيطاً بَيْنَا ^(١) * فَرُوْدِ المِيطِ منها يعتدل

(١) هكذا بالنسخين ، وفي الأصل : « وما ورثت اختيار الموت من أحد » .

(٢) رواه في القند الفرید « لا راقى منع الأبحار روي » . (٣) في النسخة الألمانية « نراينا » .

(٤) هكذا في النسخين الألمانية والقنوغرافية ، وفي القند الفرید « ما جلا » .

فاذا كنت عطاء فأنهم * وإذا كنت قتال فاعتزل

إنما يسمرها جهالها * حطب النار فدعها تشتعل

وقال آخر

كلني الأنة من كفه * ولقد الجياد بأذناها

وقال جرّان التودفي الدهش

يوم ارتحلت برحلى قبل تودعني * وألقب مستوهل بالين مشغول

ثم اعتضضت على نصوي لأدفعه * إثر الحول الوادي وهو معقول

كان خالد بن عبد الله من الجبناء نرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيرة [من

الرافضة] وهو من بجيلة قتال من الدهش : أطعموني ماء . فذكره بعضهم فقال

عاد الظلوم ظليما حين جدّ به * واستعلم الماء جد في الحرب

وقال عبيد الله بن زياد إما للكنة فيه أو لجن أو دهشة : اقتحوا سيوفكم .

وقال ابن مقرغ الحميري

ويوم فصح سيفك من بعيد * أضمت وكل أمرك للضياح

وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيرا

أكلت الجبان يرى أنه * سيقتل قبل انقضاء الأجل

فقد تدرك الحوادث الجبان * ويسلم منها الشجاع البطل

وقال خالد بن الوليد : لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه

طلعة أو ضربة أو رمية ثم ها أنا أموت على فراشي حتف أنفي ، فلا تامت أعين الجبناء .

(١) كذا بالنسخة الألمانية ولا معنى له ، وفي المتنوغرافية « انترت » بالراء المهملة وهو محرف عن

« انترزت » بالزاي المهملة وبمعناه ركبت وأصله وضع الرجل في الفرز وهو الركاب . (٢) في النسخة

الألمانية « وهو مول لبجيلة » . (٣) كذا بالنسخة المتنوغرافية ، وفي النسخة الألمانية « أموت

على فراشي كما يموت العير » وفي البعد القريد « ثم ها أنا أموت حتف قصي كما يموت العير » .

[^(١) قبل لأعرابي : ألا تنزوي إن الله قد أنذرك . قال : والله إني لأبغض الموت على فراشي فكيف أمضي إليه ركضاً !] وقال قِرَوَاشُ بْنُ حَوْطٍ وذكر جليلين ضَبْعاً مُجَاهِرَةً وَلَيْثاً هُدْنَةً * وَغُفْلِيّاً نَحَرَ إِذَا مَا أَظْلَمَا

وقال عبد الملك بن مروان في أمية بن عبد الله بن خالد
إِذَا صَوَّتَ الْمُصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ * وَلَيْثٌ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
ونحوه قول الأَخَرِ^(٢)

ولو أنها عصفورة لحسبتها * مُسَوِّمَةٌ تَدْعُو عِيْدًا وَأَرْثَمَا
وقال الله جل وعز (يَحْسِبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ) .

ومن أشعار الشُّطَارِ فِي الْجِلْيَانِ

رَأَى فِي النَّوْمِ إِنْسَانًا * فَوَارَى نَفْسَهُ أَشْمَرُ^(٣)

قال ابن المقفع : الجين مَقْتَلَةٌ وَالْحَرْصُ مَحْرَمَةٌ فَاظْطَرَّ (فِيهَا رَأْيُتِ وَمَعْمَتِ) : مَنْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ مَقْبَلًا أَكْثَرُ أَمْ مَنْ قُتِلَ مَدْبِرًا ؟ وَانْظُرْ مَنْ يَطْلُبُ الْيَكَّ بِالْإِجْمَالِ وَالتَّكْرِمِ أَحَقُّ أَنْ تَسْخُو نَفْسَكَ لَهُ بِالْعَطِيَّةِ أَمْ مَنْ يَطْلُبُ الْيَكَّ بِالشَّرِّ وَالْحَرْصِ ؟ وَقَالَ حَنْشُ^(٤) ابْنِ عَمْرٍو

وَأَتَمَّ سَمَاءَ يَحْبِبُ النَّاسَ رِزْهًا * لَهَا زَجَلٌ بَاقٍ شَدِيدٌ وَثِيْدُهُا
تَقَطَّعَ أَطْنَابَ الْبُيُوتِ بِحَاصِبٍ * وَأَكْذَبُ شَيْءٍ بَرَقُهَا وَرَعْدُهَا
فَوَيْلُهَا خَيْلًا تَهَاوَى شِرَارُهَا * إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صَدُودُهَا

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) هو التوام بن شاذب الشيباني . (٣) هكذا في النسختين المتوغرافية والألمانية وفي المقد القريد "عصفورا" .

(٤) نسب هذه الأبيات في الحاشية لقراد بن حنش الصاردي وروى البيت الأول

وَأَتَمَّ سَمَاءَ يَحْبِبُ النَّاسَ رِزْهًا * بِأَيْدِي تَحْيَى شَدِيدٌ وَثِيْدُهُا

والثالث فَوَيْلُهَا خَيْلًا تَهَاوَى شِرَارُهَا * إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صَدُودُهَا

وقال الفرزدق أو البيهقي

سائل سليطاً إذا ما الحرب أفرعها * ما بال خيلكم قُصَّأَ هَوَديها

لا يرضون إلى دأج أعتها * وفي جواشئها داء يُحافها

- كان بالبصرة شيخ من بني نهشل يقال له عروة بن مرشد ويكنى أبا الأغر. ينزل
بني أخت له في سكة بني مازن، وبنو أخته من قريش، فخرج رجالهم إلى ضياعهم
في شهر رمضان وخرج النساء يصلين في مسجدهم فلم يبق في النار إلا الإماء فدخل
كلب يمتس فرأى بيتاً فدخله وأنصفق الباب فسمع الحركة بمض الإمام فظنوا أن لصاً
دخل الدار فذهبت إحداهن إلى أبي الأغر فأخبرته، فقال أبو الأغر: ما يتنى اللص؟ ثم
أخذ عصاه وجاء فوقف على باب البيت وقال: إيه يا ملأمان، أما والله إنك بي لعارف
فهل أنت إلا من لصوص بني مازن شربت حامضاً خبيثاً حتى إذا دارت القدوح
في رأسك متتكت فسك الأمانى وقلت: أطرق ديار بني عمرو والرجال خُوف والنساء
يصلين في مسجدهم فأمرتهم . سوءة لك، والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وأيم الله
لتخرجن أولاهن هتفة مشؤومة يلتقي فيها الحيان عمرو وحنظلة ونجى سعد بعدد
الحصى وتسيل طليح الرجال من هاهنا ومن هاهنا ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود .
فلما رأى أنه لا يبيحه أحد أخذ بالدين فقال : اخرج بابي وأمي، أنت مستور، إني
والله ما أراك تعرفني ولو عرفني لتنعت بقولي وأطمانت إلى . أنا — فديتك —
أبو الأغر التَّهْلِي، وأنا خال القوم وجِلَّة بين أعينهم لا يمصونني، ولن تضار الليلة
فأخرج فانت في ذمتي وعندي قوصرتان أهلهما إلى ابن أختي الباز الوصول فخذ
إحدهما فانقبها حالاً من الله ورسوله . وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق وإذا
سكت وثب يُرِيغُ المخرج، فهايف أبو الأغر ثم تضاحك وقال : يا ألام الناس
وأوسعهم ، لا أرى إلا أني لك الليلة في واد وأنت لي في واد ، أظب السوداء

والبيضاء قُصِبَ وتُطْرَق ، وإذا سكَّتْ عنك وثبتَ تُرِيغُ المخرج ، والله لتخرجن
أو لأجلنَّ عليك البيت . فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت : أعرابى
مجنون ، والله ما أرى في البيت شيئا ، فدفعت الباب فخرج الكلب شذًا وحاد عنه
أبو الأغر ساقطا على قفاه ، ثم قال : يا لله ما رأيت كالليلة ! والله ما أراه إلا كلبا ،
أما والله لو علمت بحاله لوبلت عليه .

وشبه بهذا حديث لأبي حية الثميرى ، وكان له سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق ،
وكان يسميه لعاب المنية . قال جاره : أشرفت عليه ليلة وقد آتسأه وشمرو وهو
يقول : أيها المغتر بنا والمجترئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف
صقيل ، لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهور ضربته لانهاف نبوته . أخرج بالعمو
عنك وإلا دخلت بالمقوبة عليك ، إني والله إن أدعُ قيسا تملأ الأرض خيلا
ورجلا . يا سبحان الله ، ما أكثرها وأطيبها ! ثم فتح الباب فاذا كلب قد نرج ،
فقال : الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفانى حريا .

وقرأت في كتاب كليله ودمنة : يخاف غير الخوف طائر يرفع رجله خشية السماء
أن تسقط ، وطائر يقوم على إحدى رجله حذارا لئلا يسقط إن قام عليهما ، ودودة تأكل
التراب فلا تشبع خوفا أن يفنى إن شبع فتجوع ، والخفافيش تستتر بالتهار حذارا
أن تُصطاد لحسنها .

بينما عبد الله بن خازم السامى عند عيد الله بن زياد إذ دُخِلَ عليه بجُرْدٍ أبيض
فصعب منه وقال : يا أبا صالح ، هل رأيت أعجب من هذا ؟ وإذا عبد الله قد تضاعل
حتى صار كأنه فرخ وأصفى حتى كأنه جراد قد كرم . فقال عيد الله : أبو صالح يعصى
الرحمن ويتهاون بالشيطان ويقبض على الثعالب ويمشى إلى الأسد الورْد ويلقى الرماح
بوجهه قد اعتراه من هذا الجرذ ما ترون ! إن الله على كل شيء قدير !

(١) كذا بالسنتين ، وفي العهد الفردي : « ويتهاون بالسلطان » .

كان الحارث بن هشام أخو أبي جهل بن هشام شهد بدرا مع المشركين وانتهزم، فقال فيه حسان

إن كنت كاذبة الذي حدثتني * فنجوت مني الحارث بن هشام
ترك الأحية لم يقاتل دونهم * ونجا برأس طيسرة ولبام
فاعتذر الحارث من فراره وقال

الله يسلّم ما تركت قتالهم * حتى علوا فرسي بأشقر مُزبد
وعلمت أني إن أقاتل واحدا * أقتل ولا يضرر عدوي مشهدي
فصدت عنهم والأحية فيهم * طمعا لم يعقاب يوم مفسد^(١)

وأسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه، وخرج في زمن عمر من مكة إلى الشام بأهله وماله، فأتبعه أهل مكة ليكون، فرق وبكى ثم قال: أما إننا لو كنا نستبدل دارا ١٠ بدارنا وجارا بجارنا ما أردنا بك بدلا، ولكنها الثقلة إلى الله، فلم يزل هنالك مجاهدا حتى مات.

المدائني قال: رأى عمرو بن العاص معاوية يوما يضحك فقال له: مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحكك الله سنك؟ قال: أضحك من حضور ذهك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبي طالب، أما والله لقد وافقته منانا كريما، ولو شاء أن يقتلك لقتلك. ١٥ قال عمرو: يا أمير المؤمنين أما والله إنني لئن يمينك حين دعاك إلى البراء فاحولت عينك وريا تحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك فن نكسك فاضحك أودع.

وقدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فدخل وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة، فبعث إليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت: من هذا الأعرابي المستلم في السلاح عندك وأنت في غلالة؟ فبعث إليها أنه الحجاج، فأعادت ٢٠
(١) هكذا في النسخين الإملائية والقنطرة، والذي في الماريف للصف "يوم مرمد".

- الرسول إليه، فقال : تقول لك والله لأن يخلوك ملك الموت أحيانا أحب إلى من أن يخلوك الحجاج، فأخبره بذلك الوليد وهو يمازحه، فقال : يا أمير المؤمنين، دع عنك مفاكهة النساء بنحرف القول فإنما المرأة ريحانة وليست قهرمانة فلا تطلعها على شرك ومكيدة صدوك . فلما دخل الوليد أخبرها بمقالة الحجاج فقالت : يا أمير المؤمنين حاجتي أن تأمره غدا بأن يأتيني مستلثا، فضلل ذلك وأتاها الحجاج فحجبت فلم يزل قائما، ثم قالت : إيه يا حجاج، أنت المقتل على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث، أما والله لو لا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برى الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النطاقين أول مولود ولد في الإسلام، وأما نيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذاته وأوطاره فإن كن ينفرجن عن مثله فخير قابل لقولك، أما والله لقد نفّض نساء أمير المؤمنين الطيب من غداثرهن فيعته في أعطية أهل الشام حين كنت في أضيق من القرن^(١) قد أظلتك رماحهم وأثخت كفاحهم وحين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم فأنجلك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه، قاتل الله الفاتل حين نظر إليك وستان غزالة بين كتيبك
- أسد على وفي الحروب نعامه * فصحّ تنفر من صغير الصافر
- هلا كررت على غزالة في الوغى * بل كان قلبك في جوانح طائر
- وغزالة امرأة شيب الخارجي . ثم قالت : أخرج ، فخرج .
- وكان في بني ليث رجل جبان بخيل فخرج رهطه غازين وبلغ ذلك ناسا من بني سليم وكانوا أعداء لم فلم يشعر الرجل إلا بخيل قد أحاطت بهم فذهب يفر فلم يجد مقرا، ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه فلما رأى ذلك جلس ثم تتل كائنته وأخذ قومه وقال
- (١) في النسخة الجغرافية "انقوت". (٢) هو عامر بن ثابت كما في اللسان مادة (عبل) ورواه ما عني وأما طاب خاتل * والقوس فيها وتر عاتل
- * تزل عن صفحه المعامل *

ما طَلَى وَأَنَا جَلَدُ قَائِلٍ * وَالْقَوْمُ مِنْ نَبْعٍ لَهَا بَلَائِلُ
يُرْذِفُ فِيهَا وَتَرْعَائِبِلُ * إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأَتَى هَائِلُ
أَكُلُ يَوْمَ أَنَا عَنْكُمْ نَاكِيلُ * لَا أُطِيعُ الْقَوْمَ وَلَا أَقَاتِلُ
* الموت حق والحياة باطل *

- ثم جعل يرميهم حتى رثم، وجاءهم الصريح وقد منع الحى، فصار بذلك شجاعاً سمحاً معروفاً .

- ولما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير وجه أخاه بشر بن مروان على الكوفة ووجهه معه روح بن زنباع الجندى كالوزير، وكان روح رجلاً عالماً داهية غير أنه كان من أجبن الناس وأبخلهم، فلما رأى أهل الكوفة من بخله مارأوا تخوفوا أن يفسد عليهم أمرهم وكانوا قد صرفوا جيبته فاحتالوا في إخراجهم عنهم فكتبوا ليلاً على بابه
- ١٠ إِنْ ابْنُ مَرْوَانَ قَدْ سَاحَتْ مَنِيَّتُهُ * فَاحْتَلْ لِنَفْسِكَ يَا رُوحُ بِنَ زَنْبَاعٍ

- فلما أصبح ورأى ذلك لم يشك أنه مقتول فدخل على بشر فاستأذنه في الشخص فاذن له ونرج حتى قدم على عبد الملك فقال له : ما أقدمك؟ قال : يا أمير المؤمنين تركت أهلك مقتولاً أو غلوا ، قال : كيف عرفت ذلك؟ فأخبره الخبر فضحك
- ١٥ عبد الملك حتى خفص برجليه، ثم قال : احتال لك أهل الكوفة حتى أخرجوك عنهم .
- كان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وجهه إلى أبي قتيبة فانهزم وأتى الجحاج بدواب من دواب أمية قد وسم على ألقانها "عنة" فأمر الجحاج فكتب تحت ذلك : "للقرار" .

- [وقال عمر رضى الله عنه : إن الشجاعة والجلل غرائز في الرجال ، وتجند الرجل يقاتل عن لائىلى ألا يؤوب الى أهله، وتجند الرجل يفر عن أبيه وأمه، وتجند الرجل
- ٢٠ يقاتل ابتغاء وجه الله فذلك هو الشهيد] .

وقال الشاعر

يفزع الجباب عن أبيه وأمه * ويمحي شجاع القوم من لا يناسبه

باب من أخبار الشجعاء والفرسان وأشعارهم

حدثني أبو حاتم قال حدثني الأعمشى قال سمعت الحرسي يقول: رأيت من الجبل والشجاعة عجباً . استترنا من مَرْرَةٍ في بلاد الشام رجلين يُدْرِيَانِ حنطة، أحدهما أصيغر أحمس^(١)، والآخر مثل الجمل عَطَا، فقاتلنا الأصيغر بالمُدْرَى لا تمدونه دابة إلا نخس أضهما وضربها حتى شق علينا قَتْلُ ، ولم نصل إلى الآخر حتى مات فرقا فأمرت بهما فبقرت بطونهما فإذا فؤاد الضخم يابس مثل الحشفة، وإذا فؤاد الأصيغر مثل فؤاد الجمل يتخضخض في مثل كوز من ماء .

وحدثني أبو حاتم عن الأعمشى قال حدثنا أبو عمرو الصَّفَّار قال : حاصر مسلمة حصنا فتدب الناس إلى ثقب منه، فما دخله أحد . فجاء رجل من عُرْض الجيش فدخله ففتح الله عليهم، فتأدى مسلمة: أين صاحب الثقب؟ فما جاء أحد، فتأدى: إني قد أمرت الآذن بإدخاله ساعة يأتي، فمزمتُ عليه إلا جاء . فجاء رجل فقال: استأذن لي على الأمير . فقال له: أنت صاحب الثقب؟ قال: أنا أخبركم عنه . فأتى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له فقال له: إن صاحب الثقب يأخذ عليكم ثلاثاً: ألا تسودوا اسمه في صحيفة [إلى الخليفة] ولا تأمروا له بشيء، ولا تسالوه من هو . قال: فذاك له . أنا هو . فكان مسلمة لا يصل بعدها صلاة إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب الثقب .

(١) كذا بالألمانية، وفي القنوغرافية "أغيس" ولعله "أحيش" مصراً حش وهو دقيق الساقين .

(٢) في الألمانية "عائت" ولم نعرطه في كتب التراجم، ولعله حماد بن واقد أبو عمرو الصَّفَّار كما في كتب التراجم . (٣) زيادة في الألمانية .

حدثني محمد بن عمرو الجرجاني قال كتب أنوثثروأن إلى مرآزبته : عليكم بأهل
الشجاعة والسخاء فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى . وذكر أعرابي قوما تماربوا
فقال : أقبلت الفحول تمشي مثنى الوعول ، فلما تصالحوا بالسيوف ففرت المنايا
أفواهاها . وذكر آخر قوما اتبعوا قوما أغاروا عليهم فقال : آحتنوا كل جمالية عيرانية
فما زالوا يتحصنون أخفاف الملقى بموافر النليل حتى أدركهم بعد ثلاثة لجملوا المران
أرشيّة الموت وأستقوا بها أرواحهم .

حدثني عبد الرحمن عن عمه عن رجل من العرب قال : انهزمتنا من قعبرى
وأصحابه فادركني رجل على فرس فسمعت حسا منكرا خلفي ، فالتفت فإذا أنا بقعبرى
فيئت من الحياة فلما عرفني قال : أشد عتاتها وأوجع خاصرتها قطع الله يدك .
قال : ففعلت فنجوت منه .

١٠

وحدثني عبد الرحمن عن عمه قال : لما غرق شبيب ^(١) قالت امرأة : العرق
يا أمير المؤمنين ، قال ذلك تقدير العزيز العليم قال ف [أنخرج فشق بطنه وأخرج فؤاده
فإذا مثل الكوز ، بفلوا يضربون به الأرض فيترو .

حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال أخبرنا صاحب لنا عن أبي عمرو بن العلاء
قال : لما كان يوم الكلاب خرج رجل من بني تميم ، أحسبه قال : سعدى ، فقال :
لو طلبت رجلا له فداء ! قال : فخرجت أطلبه ، فإذا رجل عليه مقطعة يمانية على
فرس ذئوب ، فقلت له : على يمينك . قال : على يسارى أقصد لى . قلت : أيها
ملك اليمن . قال : العراق منى أبعد . قلت : وتالله لا ترى أهلك العام . قال
لا والله ولا أهلك لا أراهم . قال : فركبته ولما كان بعد أيام ونست منه بعد ذلك ،
فقبل لى : هو صلة الجرحى .

٢٠

حدثنا محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام عن محمد ابن سيرين قال : بث عمر بن الخطاب رضى الله عنه الأحنف بن قيس على جيش قيل خراسان فينتهم العدو ليلا وغرقوا جيوشهم أرج فرق وأقبلوا معهم الطبل ففرع الناس وكان أول من ركب الأحنف فأخذ سيفه وثقله ثم مضى نحو الصوت وهو يقول

إن على كل رئيس حقا * أن يثضب الصعدة أو تدقا

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله ، فلما فقد أصحاب الطبل الصوت انهزموا . ثم حصل على الكردوس^(١) الآخر ففعل مثل ذلك وهو وحده ، ثم جاء الناس وقد انهزم العدو فاتبعوهم يقتلونهم ، ثم مضوا حتى فتحوا مدينة يقال لها مرو الروذ .

١٠ سأل ابن هبيرة عن مقتل عبد الله بن خازم ، فقال رجل من حضر : سألنا وكيع ابن الوراقية كيف قتله ؟ قال : غلبته بفضل قتاه كان لى عليه فصرعته وجلست على صدره وقلت له : يا ثارات دويلة . يعنى أخاه من أبيه . فقال من تسمى : قتلك الله ! فقتل كبش مضر بأخيك وهو لا يساوى كف نوى ! ثم تنحمت فلا وجهي تخامة ، فقال ابن هبيرة : هذه والله البسالة ! استدلل عليها بكثرة الرقيق فى ذلك الوقت .

١٥ قال هشام لمسامة : يا أبا سعيد هل دخلك دعر قط لحرب [أو عدو]^(٢) قال : ما سلبت فى ذلك من دعر ينه على حيلة ولم يفتنى فيها دعر سلبى رأى . قال هشام : هذه البسالة .

^(٣) خرج رهم بن حرم الهلالي ومعه أهله وماله يريد القنلة من بلد الى بلد فلقيه ثلاثون رجلا من بنى تغلب فعرفهم ، فقال : يا بنى تغلب ، شانكم بالمال وخلووا

٢٠ (١) الكردوس : الكتبة من الخيل فى الحرب . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

(٣) فى النسخة الألمانية « زهير » ولم تشرط ما يرجع الى الرمايين .

الظلمية . فقالوا : رضينا إن ألبيتَ الرمح . قال : وإن رمي لمي . وحمل عليهم
فقتل منهم رجلا مصرع آخر وقال

رُذًا على آخرها الأثاليًا * إن لها بالمشرفي حاديًا
* ذكرني الطمن وكنتُ ناسيًا *

قال الزبيرى : ما استحيأ شجاع أن يفز من عبد الله بن خازم السلمى وقطري
ابن الفُجامة .

أبو اليفظان قال : كان حبيب بن عوف العبدى فانيكا، فلقى رجلا من أهل الشام
قد بعته زياد ومعه ستون ألفا يتجر بها فسايره، فلما وجد غفلة قتله وأخذ المال فقال
يوما وهو يشرب [على لذته] .

- ١٠ يا صاحبي إقلَّ اللوم والمذلل * ولا تهولا لشيء فات ما فعلنا
رُذًا على كُبتِ اللون صافية * إني لقيت بأرض خاليا رجلا
ضخم الفرائص لو أبصرت قنته * وسط الرجال إددن شبهته جملا
ضاحكته ساعة طورا وقلت له * أنفقت ييمك إن ريثنا وإن عَجَلنا^(١)
سايرته ساعة ما بى مخافته * الا التلفت حولي هل أرى دَعَلنا
غادرته بين أجسام ومسبحة * لم يدري غري بعد ما فعلنا
١٥ يدعو زيانا وقد حانت منيته * ولا زياد لمن قد وافق الأجلنا

المفضل الصبي : كان سُلَيْك بن سُلَيْكة التميمي من أشد فرسان العرب وأذكهم
وأدَل الناس بالأرض وأجودهم عتوا على رجله لا تعلق به الخيل وكانت أمه سوداء
وكان يقول : اللهم إنيك تهني ما شئت لما شئت إذا شئت ، اللهم إني لو كنت
ضعيفا كنت عبدا ولو كنت امرأة كنت أمة ، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ،

(١) زيادة في النسخة الألمانية . (٢) في القمعرافية : « إن زينا وإن صلا » .

- فأما الهيبة فلا هية . وأملق حتى لم يبق له شيء ، فخرج على رجله رجاء أن يصيب غيرة من بعض من يكره عليه فيذهب بإبله ، حتى إذا أمسى في ليلة باردة مقمرة واشتعل الصَّاء ونام إذا هو برجل قد جثم على صدره وقال : استأسِر . فرفع سليك رأسه وقال : « إن الليل طويل وأنت مُقَمَّر » بغرى مثلا ، وجعل الرجل يلهمزه ويقول : استأسِر يا خبيث ، فلما آذاه ضمه إليه ضمةً ضرط منها وهو فوقه ، فقال له سليك : « أضربا وأنت الأعلى » بغرى مثلا ، ثم قال له : ما أنت ؟ قال : أنا رجل افتقرت ، فقلت : لا أخرجن ولا أربح حتى أستغني . قال : فانطلق معي ، فضيا فوجدنا رجلا قصته مثل قصتهما ، فاتوا جوف مُراد وهو واد باليمن فلذا فيه نعم كثيرة ، فقال لهما سليك : كوننا قريبا حتى آتى الرءاء وأعلم لكما علم الحى أقرب هو أم بعيد ، فإن كانوا قريب رجعت اليكما ، وإن كانوا بعيدا قلت لكما قولا أحى^(١) به لكما فأغيرا . فانطلق حتى آتى الرءاء ، فجعل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحى فلذا هم بعيد ، فقال لهم سليك : ألا أغنيكم ؟ قالوا : بلى . فتغنى بأعلى صوته ليُسمع صاحبيه :
يا صاحبي ألا لا حتى بالوادي • إلا عيبدُ وأمُّ بين أذواد
أستقران قليلا ريت غفلتهم • أم تعدون أن الريح للعادي
فلما سمعا ذلك أتيا السليك فاطردوا الإبل ونهبوا بها .

- حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان سليك يُحضر فتقع السهام من كانه قترت في الأرض من شدة إحضاره . وقال له بنو تكانة حين كبر : أرايت أن تريا بعض ما بقى من إحضارك ؟ قال : نعم ، اجمعوا لى أربعين شابا وأبنوني درعا ثقيلة . فاخذها فلبسها وخرج بالشباب حتى إذا كان على رأس ميل أقبل يُحضر فلات المدو لوتا^(٢) واهتبصوا في جنبتيه فلم يصحبوه إلا قليلا فجاء يُحضر مُنيرا من حيث لا يرونه وجاءت الدرع تحق في عنقه كأنها خرقة .

(١) من روى عن إذا أوما . (٢) حدثنا .

- قال سهل وحدثني العتيبي قال حدثني رجل من بني تميم عن بعض أشياخه من قومه^(١) قال : كنت عند المهاجرين عبد الله وإلى الإمامة فأتى بأعرابي قد كان معروفا بالسرق فقال له : أخبرني عن بعض عجائبك ، قال : إنها لكثيرة ، ومن أعجبها أنه كان لي بعير لا يُسبَق وكانت لي خيل لا تُلحق^(٢) ، فكنت لا أخرج فأرجع خائبا فخرجت يوما فاحترست ضبا فعلقته على قتي ثم مررت ببيضاء سرى ليس فيه إلا عجوز ، قلت : أخلق بهذا الخباء أن يكون له رائحة من غم وإيل ، فلما أمسيت إذا بإبل مائة فيها شيخ عظيم البطن مثلن اللحم ومعه عبد أسود وغد ، فلما رأيته رحت بي ثم قام إلى ناقه فاحتلبها وناولني الثبة فشربت ما يشرب الرجل فتناول الباقي فضرب به جبهته ثم احتلب تسع أئني فشرب ألبنهن ثم نحر حوارة فطبخه ثم ألقى عظامه بيضا وحشا كومة من بطناء وتوسلما وغط غطيظ البكر ، قلت : هذه والله الفتيمة . ثم قلت ١٠ إلى طفل إليه فخطمته ثم قرنته إلى بعيري وجمعت به فأتيتني النحل وأتبعته الإبل إربابا به ، فصارت خلفي كأنها جبل ممدود ، فضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة ليلة للسرع ، فلم أزل أضرب بعيري بيدي مرة وأقرمه برجل أخرى حتى طلع الفجر ، فابصرت الثنية فاننا عليها سواد فلما دنوت إذا أنا بالشيخ قاعدا وقومه في حمرة فقال : أضيفنا ؟ قلت : نعم . قال : أتسخو نفسك عن هذه الإبل . قلت : لا . ١٥ فأخرج سهما كأن نصله لسان كلب ثم قال : أبصر عين أذن الضب ، ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه ، ثم قال : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأي الأول . قال : انظر هذا السهم الثاني في قفرة ظهره الوسطى . ثم رمى به فكأنم قنره بيده ثم وضعه بأصبعه ، ثم قال : أرايت ؟ قلت : إني أحب أن أستثبت . قال : انظر هذا ٢٠ السهم الثالث في عكوة ذنبه والرابع والله في بطنك . ثم رماه فلم يخطئ العكوة ، قلت : (١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي الفوغرافية « عن بعض أهل » وفي القيد التريد « وحدثني عن بعض أشياخه قال كنت عند المهاجرين » . (٢) في الأصل « تلحق » والتصويب من القيد التريد .

أَنْزِلْ أَمَّا؟ قَالَ : نَعَمْ . فَتَرْتِ فَلَغَسْتَ إِلَيْهِ خِطَامَ حِفْظِهِ وَقَلْتَ : هَذِهِ إِلَيْكَ لَمْ يَذْهَبْ مِنْهَا وَبَرَةٌ وَأَنَا أَسْتَظِرُّمَنْ يَرِيئِي بِسَهْمٍ يَنْتَقِمُ بِهِ قَلْبِي ، فَلَمَّا تَحَيَّيْتُ قَالَ لِي : أَقْبِلْ . فَأَقْبَلْتُ وَاللهَ خَوْفًا مِنْ شَرِّهِ لَا طَعْمًا فِي خَيْرِهِ ، فَقَالَ : أَيُّ هَذَا ، مَا أَحْسَبُكَ جِئْتَهُ اللَّيْلَةَ مَا جِئْتَهُ إِلَّا مِنْ حَاجَةٍ . قُلْتُ : أَجِبْ . قَالَ : فَاقْرَأْ مِنْ هَذِهِ الْإِبِلِ بِمِيزِينَ وَأَمِضْ لِعَيْتِكَ ، قُلْتُ : أَمَّا وَاللهُ حَتَّى أَخْبِرَكَ عَنْ نَفْسِكَ قَبْلًا . ثُمَّ قُلْتُ : وَاللهَ مَا رَأَيْتُ أَعْرَابِيَا قَطُّ أَشَدَّ ضَرْمًا وَلَا أَعْدَى رَجُلًا وَلَا أَرْمَى يَدًا وَلَا أَكْرَمَ عَفْوًا وَلَا أَمْحَى نَفْسًا مِنْكَ .

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ سِيرِ الْعَجَمِ أَنَّ بَهْرَامَ جُورَ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الصَّيْدِ وَمَعَهُ جَارِيَةٌ لَهُ فَعَرَضَتْ لَهُ ظِلَاءٌ ، فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ : فِي أَيِّ مَوْضِعٍ تَرِيدِينَ أَنْ أَضَعَ السَّهْمَ مِنَ الْوَحْشِ ؟ فَقَالَتْ أُرِيدُ أَنْ تُشَبَّهَ ذُكْرَانِهَا بِالْإِنَاثِ وَإِنَاثُهَا بِالذُّكْرَانِ ، فَرَمَى تَيْسًا مِنَ الظِّلَاءِ بِنُشَابَةٍ ذَاتِ شُعْبَتَيْنِ فَاقْتَلَعَ قَرْنَيْهِ وَرَمَى عِزْرًا مِنْهَا بِنُشَابَتَيْنِ فَأَتَتْهُمَا فِي مَوْضِعِ الْقَرْنَيْنِ . ثُمَّ سَأَلَتْهُ أَنْ يَجْعَلَ أُذُنَ الظُّلِيِّ وَيُظْلِفَهُ بِنُشَابَةٍ وَاحِدَةٍ فَرَمَى أَصْلَ أُذُنِ الظُّلِيِّ بِنُتْدَقَةٍ فَلَمَّا أَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى أُذُنِهِ لِيَحْكُتَ رِمَاءَ بِنُشَابَةٍ فَوَصَلَ ظُلْفُهُ بِأُذُنِهِ ثُمَّ أَهْوَى إِلَى الْقَيْئَةِ فَضَرَبَ بِهَا الْأَرْضَ وَقَالَ : شَدَّ مَا اشْتَطَطْتُ ^(١) عَلَى وَارِدَتِ إِظْهَارِ عَجْزِي !

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِهِمْ أَنَّ كَسْرَى اسْتَعْمَلَ قِرَابَةً لَهُ عَلَى الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ الْمَرْوَزَانُ ، فَأَقَامَ بِهَا حِينَئِذٍ خَالَفَهُ أَهْلُ الْمَصَاعِنِ — وَالْمَصَاعِنُ جِبَلٌ بِالْيَمَنِ مِمَّتَعٌ طَوِيلٌ وَوَرَاءَ جِبَلِ آخَرَيْنِهَا فَصَلَ إِلَّا أَنَّهُ مُتَقَارِبٌ مَا بَيْنَهُمَا — فَسَارَ إِلَيْهِمُ الْمَرْوَزَانُ فَغَطَّرَ إِلَى جِبَلٍ لَا يَطْمَعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَهُ إِلَّا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ يَمْتَعُ ذَلِكَ الْبَابُ رَجُلًا وَاحِدًا . فَلَمَّا رَأَى أَنَّ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِمْ صَعَدَ الْجَبَلَ الَّذِي هُوَ وَرَاءَ الْمَصَاعِنِ مِنْ حَيْثُ يُحَاذِي حَصْنَهُمْ فَغَطَّرَ

(١) فِي الْأَصْلِ «أَشَدَّ» وَهُوَ مُعْرَفٌ .

- الى أضيق مكان فيه وتمتعه هواء لا يُقدر قدره، فلم ير شيئا أقرب الى افتتاح ذلك الحصن من ذلك الجبل، فأمر أصحابه أن يقوموا به صفين ثم يعبروا به صَبْحة واحدة ثم ضرب فرسه حتى اذا استجمع حُضرا رى به أمام الحصن وصباح به أصحابه فوثب الفرس الوادى فلما هو على رأس الحصن، فلما نظرت اليه حير قالوا : هذا أَيْم. والأَيْم بالحميرية شيطان، فاتهرم بالفارسية وأمرهم أن يربط بعضهم بعضا ففعلوا واستترلم من حصنهم قَتَل طائفة وسي طائفة وكتب بما كان منه الى كسرى، فتمسح كسرى وأمره بالاستخلاف على عمله والتقدم اليه وأراد أن يُسأى به أساورته، فاستخلف المروزان ابنه ثم توجه نحوه فلما صار ببعض بلاد العرب هلك فوضوه في تابوت ثم حملوه حتى قدموا به على كسرى فأمر كسرى بذلك التابوت فوضع في نزلاته فكان يُخرج في كل عام اليه وإلى من عنده من أساورته فيقول : هذا الذى فعل كلنا وكلنا .

- وروى أبو سُوقة التيمي عن أبيه عن جده عن أبي الأغر التيمي قال : بينا أنا واقف بصَفين مر بي العباس بن ربيعة مكفرا بالسلاح وعيناه تَبْصَان من تحت المِغفر كأنهما عينا أرقم وبيده صفيحة له وهو على فرس له صَعْب يمنة ويلين من عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشام يقال له عرار بن أدهم : يا عباس هلم الى العِراز . قال العباس : فالتزول أذا فانه إِيَّاس من القُفُول . فقتل الشامي وهو يقول إن تركبوا فركوب الخليل عادتا * أو تتزلول فانا معشر نُزُل
وثنى العباس وركه فقتل وهو يقول

- وتصدت عنك نَحْلَة الرجل العَرِيض مُوَحَّجة عن العَظْم
بُحْسام سيفك أو لسانك والكَلم الأصيل كَارِغِب الكَلَم

(١) عبارة القنوغرافية « ويده صفيحة له يمانية بقلها وهو على فرس له صعب فينهاو بقلها (وليت؟)

ويلين من عريكته هتف به هاتف الخ » .

ثم غَضَنَ قَبَلَاتِ دَرَمِهِ فِي مَجْزَمِهِ وَدَفَعَ قَوْسَهُ إِلَى غَلَامٍ لَهُ أَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ : اسْلُمْ
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَلَائِلِ شَعْرِهِ ثُمَّ دَلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ فَذَكَرَتْ بِهِمَا قَوْلَ
أَبِي ذُؤَيْبٍ

فَتَنَازَلَا وَتَوَاقَفَتْ خِيَلَاهُمَا * وَكَلَامُهُمَا بَطَلَ الْفَقَاءَ مُخَدَّعَ

- ٥ وكَفَّ النَّاسُ أَعْتَهُ خِيُولُهُمْ يَنْتَظِرُونَ مَا يَكُونُ مِنَ الرَّجُلَيْنِ فَتَكَلَّفَا بَيْنَهُمَا مَلِيًّا مِنْ
نَهَارِهِمَا لَا يَصِلُ وَاحِدُهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ لِكَيْلِ لَأَمْتِهِ إِلَى أَنْ لَحَظَ الْعَبَّاسُ وَهِيًّا فِي دَرَعِ
الشَّامِيِّ فَأَهْوَى إِلَيْهِ بِيَدِهِ فَهَتَكَ إِلَى شُدُوَّتِهِ ثُمَّ عَادَ لِمَجَاوِلَتِهِ وَقَدْ أَصْفَرَ لَهُ مَفْتَقُ الدَّرَعِ
فَضَرِبَهُ الْعَبَّاسُ ضَرْبَةً انْتَضَمَ بِهَا جَوَانِحُ صَدْرِهِ وَنَحَرَ الشَّامِيِّ لَوَجْهِهِ وَكَبَّرَ النَّاسُ تَكْبِيرَةً
ارْتَجَّتْ لَهَا الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِمْ وَأَنْشَأَ الْعَبَّاسُ فِي النَّاسِ [وَأَنْشَأَ أَمْرَهُ] وَإِذَا قَاتِلٌ
١٠ يَقُولُ مِنَ رَوَانِي (قَاتِلُوهُمْ بِعَدْبِهِمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَبِحُزْمِهِمْ وَيَنْصُرُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفُفُ صُدُورَ
قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُدْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فَانْتَفَتْ
وَإِذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْأَغْرَ، مِنَ الْمُنَازِلِ
لَعْدُونَا؟ فَقُلْتُ : هَذَا ابْنُ أَخِيكُمْ، هَذَا الْعَبَّاسُ بْنُ رَبِيعَةَ. فَقَالَ : إِنَّهُ لَهُو، يَا عَبَّاسُ
الْمِ أَنْتَ لِكَ وَابْنُ عَبَّاسٍ أَنْ تَخْلَا بِمَرْكَكَ أَوْ تَبَاشِرَا حَرْبًا؟ قَالَ : إِنْ ذَلِكَ . يَنْبَغِي نَعْمَ .
١٥ قَالَ : فَا عَدَا مَا بَدَأَ؟ قَالَ : فَأَدْعِي إِلَى الْبَرَازِ فَلَا أَجِيبُ؟ قَالَ : نَعَمْ، طَاعَةُ إِمَامِكَ أَوَّلَى
بِكَ مِنْ إِبَاجَةِ عَدُوِّكَ . ثُمَّ تَقَيَّظَ وَأَسْتَشَاطَ حَتَّى قُلْتُ : السَّاعَةُ السَّاعَةُ، ثُمَّ تَطَامَنَ
وَسَكَنَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ مَبْتَهَلًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ اشْكُرْ لِلْعَبَّاسِ مَقَامَهُ وَاغْفِرْ لَهُ ذَنْبَهُ، اللَّهُمَّ
إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ فَاغْفِرْ لَهُ . قَالَ : وَتَأَسَّفَ مَعَاوِيَةَ عَلَى عِرَارٍ وَقَالَ مَتَى يَنْطَفُفُ فُجْلٌ
بِمَنْظِلِهِ ! أَطَّلَعَ بِهِ ! لَاهَا اللَّهُ ذَا . أَلَا قَدْ جَلَّ يَشْرِي نَفْسَهُ يَطْلُبُ بِدَمِ عِرَارٍ ؟ فَاتَّبَعَتْ لَهُ
٢٠ رَجُلَانِ مِنْ نَحْمٍ . فَقَالَ : انْهَبَا فَإِنَّمَا قَتَلَ الْعَبَّاسُ بَرَازًا فَلَهُ كَذَا . فَاتَّبَاهُ وَدَعَاوَهُ إِلَى
الْبَرَازِ فَقَالَ : إِنْ لِي سَيِّدَا أُرِيدُ أَنْ أُؤَامِرَهُ . فَأَتَى عَلَيْهِمَا فَخَبَرَهُ الْخَبِيرَ، فَقَالَ عَلَى : وَاللَّهِ

- لَوْدِ مَعَاوِيَةَ أَنَّهُ مَا بَقِيَ مِنْ هَاشِمٍ نَافِعٌ ضَرْمَةَ الْأَطْلَحِينَ فِي نَيْطِهِ إِطْفَاءً لِنُورِ اللَّهِ وَيَأْبَى
 اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، أَمَا وَاللَّهِ يَمْلِكُكُمْ مَنَا رِجَالًا، وَرِجَالٌ يَسُومُونَهُمْ
 انْخَسَفَ حَتَّى يَمُوتُوا الْآبَارُ وَيَتَكَفَّفُوا النَّاسُ. ثُمَّ قَالَ: يَا عَبَّاسُ تَأَقَّلْ سِلَاحَكَ
 بِسِلَاحِي، فَتَأَقَّلْهُ وَوَثِبْ عَلَى فَرَسِ الْعَبَّاسِ وَقَصِدِ الْحَمِيمِينَ. فَلَمْ يَسْكُنْ أَنَّهُ الْعَبَّاسُ
 فَقَالَ لَهُ: أَذْنُ لَكَ صَاحِبِكَ؟ فَخَرَجَ أَنْ يَقُولَ نَعَمْ، فَقَالَ: (أَذْنُ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ
 ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) فَبَرَزَ لَهُ أَحَدُهُمَا فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً فَكَانَ مِنْ أَخْطَاةِ
 ثُمَّ بَرَزَ لَهُ الْآخَرُ فَالْحَقَهُ بِالْأَوَّلِ، ثُمَّ أَقْبَلَ وَهُوَ يَقُولُ: (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
 وَالْحَرُمَاتُ قِصَاصٌ فَنِيَّ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) ثُمَّ قَالَ:
 يَا عَبَّاسُ خُذْ سِلَاحَكَ وَهَاتِ سِلَاحِي، فَإِنْ عَادَ لَكَ أَحَدٌ فَعُدْ إِلَيَّ، وَنَحْنُ انْجَبِرْ إِلَى
 مَعَاوِيَةَ فَقَالَ: قَبِحَ اللَّهُ الْجُلُوحُ إِنَّهُ لَقَدْ مَدَّ مَا رَكِبْتَهُ قَطُّ إِلَّا خَلَّتْ. فَقَالَ عَمْرُو
 ابْنُ الْعَاصِ: الْخُذُولُ وَاللَّهُ الْحَمِيمَانِ لَا أَنْتَ. قَالَ مَعَاوِيَةُ: اسْكُتْ أَيْمَنُ الرَّجُلِ
 فَلَيْسَ هَذِهِ مِنْ سَاعَتِكَ. قَالَ: وَإِنْ لَمْ تَكُنْ، رَحِمَ اللَّهُ الْحَمِيمِينَ وَمَا أَرَاهُ يَفْعَلُ. قَالَ:
 ذَاكَ وَاللَّهُ أَخْصَرَ لِمَصْفَقَتِكَ وَأَضْيَقَ لِحُكْرِكَ. قَالَ: قَدْ عَلِمْتَ ذَلِكَ وَلَوْ لَا مِصْرَ لِرَكِبْتَ
 الْمُنْتَجِعَاتِهَا. قَالَ: هِيَ أَعْمَتُكَ وَلَوْ لَا هِيَ لَأَلْفَيْتَ بَصِيرًا. وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِمَعَاوِيَةَ
 مَعَاوِيَةُ لَا أُعْطِيكَ دِينَيَ وَلَمْ أَنْلِ * بِهِ مِنْكَ دُنْيَا، فَانْظُرْ كَيْفَ تَصْنَعُ
 فَإِنْ تَعَطَّى مِصْرًا فَارْجُ بِصَفْقَةٍ * أَخَذْتَ بِهَا شَيْخًا يَضْرِبُ وَيَنْفَعُ
 نَرَجُ الْأَخْبِيسَ الْجَهَنِّيَّ فَلَقِيَ الْحَصِينَ الْعَمْرِيَّ، وَكَانَا جَمِيعًا فَاتَكَبُّنَ، فَسَارَا حَتَّى
 لَقِيا رَجُلًا مِنْ كِنْدَةَ فِي تِجَارَةِ أَصَابِيهَا مِنْ مَمْلُوكٍ وَثِيَابٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَقَتَلَ نَحْتُ شَجَرَةً

- (١) كتب في النسخة الجغرافية بعدها (أي في حقه). وقال في اللسان بعد أن أورد هذه الجملة
 في مادة "نيط" معناه: إلّا ما. ثم قال: وقيل النيط نياط القلب وهو الفرق الذي القلب متعلق به ١٨١
 (٢) في النسخة الألمانية: "شيثا". (٣) كذلك في النسخة الجغرافية وهو الحصين بن عمرو بن معاوية بن
 عمرو بن كلاب كافي لسان العرب في الألفاظ "العمرى" بالياء وفي اللسان جميع الأمثال يرويها الحصين الكلابي.

يَا كَلْ، فَلِمَا أَتَيْتَنِي إِلَيْهِ سَلَامًا . قَالَ الْكَنْدِيُّ : أَلَا تَضْحِكُ؟ قَتَلَا . فَبَيْنَمَا هُم يَأْكُلُونَ
مَرَّ ظَلِيمٌ فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْكَنْدِيُّ ^(٢) وَأَيْدَاهُ بَصْرُهُ فَبَدَتْ لَهُ لَبَتُهُ ، فَاقْتَرَحَ الْحَصِينَ فَضْرَبَ بَطْنَهُ
بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ ، وَاقْتَسَمَا مَالَهُ وَرَجَا ، فَقَالَ الْأَخِينَسُ : يَا حَصِينَ مَا صَعَلَةٌ وَصَعْلٌ ؟
قَالَ : يَوْمَ شُرِبَ وَأُكِلَ . قَالَ : فَأَنْتَ لِي هَذِهِ الْعُقَابُ . فَرَفَعَ رَأْسَهُ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا
فَوَجَا بِطَنَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ مِثْلَ قَتْلِهِ الْأَوَّلِ . ثُمَّ إِنَّ أَخْتَا الْحَصِينَ يُقَالُ لَهَا صَخْرَةٌ
لَمَّا أَبْطَلَا عَلَيْهَا خَرَجَتْ تَسْأَلُ عَنْهُ فِي جَبْرَانٍ لَهَا مِنْ مَرَاكِحٍ وَجَرَمٍ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ
الْأَخِينَسُ قَالَ

وَكَمْ مِنْ فَارِسٍ لَا تَزِيدُهُ * إِذَا شَفَعَتْ لِمَوْقِفِهِ الْعِيُونُ
يَذِلُّ لَهُ الْمَرْزُوقُ وَكُلُّ لَيْثٍ * شَدِيدُ الْمَصْرِ مَسْكَنَةُ الْعَرِينِ
عُلُوتُ بِيَاضٍ مَقْرِقُهُ بَعْضُ * يَنْوُؤُهُ لَوْقُهُ الْهَامُ السُّكُونُ ^(٣)
فَأَمْسَتْ مَرْسُهُ وَلَهَا طَلِيه * هَدُوهُ بَعْدَ لَيْلَتِهِ أَتِينِ ^(٤)
كَصَخْرَةٍ أَذْ تُسَائِلُ فِي مَرَاكِحٍ * وَفِي جَرَمٍ ، وَعَلَيْهِمَا طَلُونُ
تَسَائِلُ عَنْ حَصِينَ كُلِّ رَكْبٍ * وَعِنْدَ جُهِينَةِ الْخَبِيرِ الْيَقِينِ

فَنَحَبَتْ مِثْلًا

[نَجَحَ الْمَهْدِيُّ وَعَلَى بْنِ سُلَيْمَانَ إِلَى الصَّيْدِ وَمَعَهُمَا أَبُو دُلَامَةِ الشَّاعِرُ . فَسَنَحَتْ ^(٥)
لَهُمْ طَبَاءُ فَرَمَى الْمَهْدِيُّ ظُلْيَا فَأَصَابَهُ ، وَرَمَى عَلَى بْنِ سُلَيْمَانَ كَلْبًا فَقَرَعَهُ ، فَضَحِكَ
الْمَهْدِيُّ وَقَالَ لِأَبِي دُلَامَةِ : قُلْ فِي هَذَا ، فَقَالَ

وَرَمَى الْمَهْدِيُّ ظُلْيَا * شَكَّ بِالسَّهْمِ قَوَادَةَ

- (١) فِي النِّسْخَةِ الْفَتْوَعَرَاغِيَّةِ : "صَلِيحَانُ" . (٢) كَذَا فِي الْأَمَلِ وَالصَّوَابِ أَجْدَهُ الْوَحْدَةِ
يُقَالُ أَجْدَهُ النَّظَرِ أَيْ أَعْطَاهُ بَدْنَهُ مِنَ النَّظَرِ أَيْ حَقَّقَهُ . (٣) فِي الْفَتْوَعَرَاغِيَّةِ «تَقَّ» وَهُوَ مَنْ تَقَّ يَتَّقُ
بِمَعْنَى حَوَّزَ . (٤) كَذَا بِالْأَمَلِ وَفِي أَمْثَالِ الْمِثْلَانِي :
وَأَخَذَتْ مَرْسَهُ وَلَهَا طَلِيه * يُبِيدُ هَدُوهُ لَيْلَتَهَا رَجِينِ
(٥) زِيَادَةٌ فِي النِّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ .

وعلى بن سليما * ن رى كلبا فصاده

فهبتا لهما ككل امرئى يا كل زاده

قال أبو دلامة: كنت فى عسكر مروان أيام زحف إلى شبيب الخارجى، فلما التقى
الزحفان خرج منهم فارس يتادى: من يبارز؟ فجعل لا يخرج إليه إنسان إلا أعجمه
ولم يُنهيه، ففاظ ذلك مروان، فجعل يندب الناس على نسمائة، فقتل أصحاب خمس
المائة، وزاد مروان على ثدبته فبلغ بها ألفا، فما زال ذلك فعله حتى بلغ بالندبة
خمسة آلاف درهم، وتحمى فارس لا أخاف خوئه، فلما سمعت بخمسة الآلاف ترقته
واقتحمت الصف. فلما نظروا إلى [الخارجى] علم أنى خرجت الطمع، فأقبل يتبألى
وإذا عليه فزوله قد أصابه المطر فارمعل ثم أصابته الشمس فاقفعل وعيناه تدران
كأنهما فى وقين، فذا متى وقال:

١٠

وخارج أخرجه حب الطمع * فزمن الموت وفى الموت وقع

* من كان ينوى أهله فلا رجع *

فلما وقرت فى أذى انصرف عنه هاربا، وجعل مروان يقول: من هذا الفاسخ؟

أتوتنى به. ودخلت فى غمار الناس فتجوت

كان خالد بن جعفر ندما للثمان، فبينما هو ذات يوم عنده وقد دعا الثمان بقر
وزُبد فهما يا كلان منه إذ دخل عليهما الحارث بن ظالم. فقال الثمان: آذن يا حارث
فكلى، فذا. فقال خالد: من ذا أبيت اللعن؟ قال: هذا سيد قومه وفارسهم
الحارث بن ظالم. قال خالد: أما إن لى عنده يدا. قال الحارث: وما تلك اليد؟
قال: قتلت سيد قومك فتركك سيدهم بعده. بنى زهير بن جذيمة، قال الحارث

(١) فى الأصلين الخمس مائة وفيها بالخمسة آلاف، ولم يقل يصح إلا ظيل من العلماء كما فى شرح المرادى
على التيسيل. (٢) ابتل. (٣) تقيض. (٤) كتب فى الفتوغرافية تحبها كالتفسير لها
«تلوحان». (٥) الوقت تفر فى الصخرة يصنع فيه المياه.

٢٠

أما إني سأجزيك بتلك اليد . ثم أخذه الرَّمْع وأرعدت يده ، فأخذ يعبت بالتر فقال له خالد : أيتن تريد فأنا ولكهما ؟ قال الحارث : أيتن تهجم فأدعها ؟ ثم نهض مغضبا ، فقال النعمان لخالد : ما أردت بهذا وقد عرفت فتكك وسفَهه ؟ فقال : أبيت اللعن ، وما تخشون عليّ منه ؟ فواقه لو كنت نائما ما أيقظني . فانصرف خالد فدخل قبة له من آدم بعد هذه من الليل وقام على بابها أخ له يحرسه . فلما نام الناس خرج الحارث حتى أتى القبة من مؤخرها فشقها ثم دخل فقتله ، فقال عمرو بن الإطناية

عَلَّانِي وَطَلَّا صَاحِبِيَا * وَأَسْتَيَانِي مِنَ الْمَرْقُوقِيَا

إِن فِينَا الْقِيَانِ يَمُزِقْنَ بِالضَّر * ب لَفَتَيْنَا وَعِيشَا رَخِيَا

يَتَنَاهَيْنِ فِي النَّعِيمِ وَيَضْرِبُنَّ خِلَالَ الْقُرُونِ مَسْكَ ذِكَا

أَبْلَاغَا الْحَارِثَ بْنِ ظَالِمِ الرَّعْشِيدِ^(١) وَالنَّائِرِ الثُّدُورِ عَلِيَا

لِنَمَّا تَقْتُلَ النَّيَّامَ وَلَا تَقْتُلَ يَقْظَانَ ذَا سِلَاحٍ كَرِيَا

وكان عمرو قد آلى ألا يدعو رجلا بلسل إلا أجابه ولم يسأله عن اسمه . فأتاه الحارث ليلا فتهتف به ، فخرج إليه ، فقال : ما تريد ؟ قال أعني على أبل لبني فلان وهي منك غير بعيد فلما غنمة باردة . فدعا عمرو بفروسه وأراد أن يركب حاسرا . فقال له : البس عليك سلاحك فإني لا آمن امتناع القوم ، فاستلأم ونرج معه ، حتى إذا برزا قال له الحارث : أنا أبو ليلى تغذ حذرَكَ يا عمرو ، فقال له : آمنٌ عليّ . فجزأ ناصيته . وقال الحارث

عَلَّانِي بَلَدْتِي قَيْتَيَا * قَبْلَ أَنْ تَبْكِيَ الْعَيُونَ عَلِيَا

قَبْلَ أَنْ تَذْكُرَ الْمَوَازِلَ إِنِّي * كُنْتُ قَدَمَا الْأَمْهَرِينَ عَصِيَا

مَأْبَأَالِي إِذَا اصْطَلَحَتْ ثَلَاثَا * أَرَشِيدَا دَعَوَتِي أَمْ غَوِيَا

(١) في الفهرست « المروء » وله عروف عن « الموطد » كما نقل في هامش النسخة الألمانية عن نسخة أخرى . (٢) في الألمانية : أميت .

غَيْرَ أَلَا أَسِرَّ اللَّهُ إِيَّاهُ * فِي حَيَاتِي وَلَا أَخُونٌ صَفِيًّا
 بَلَفْتَنِي مَقَالَةَ الْمَرْءِ عَمْرُو * بَلَفْتَنِي وَكَأَنَّ ذَاكَ يَدِيًّا
 نَفَرَجْنَا لِمَوْصَدٍ فَالْتَقَيْنَا * فَوَجَدْتَاهُ ذَا سِلَاحٍ كَيًّا
 غَيْرَ مَا نَأْتِمُ بِرُؤُوعٍ بِاللَّيْلِ^(١) مُعِيدًا بِكَفِّهِ مَشْرِفًا
 فَرَجَمْنَا بِالْمَنْ مَنَا عَلَيْهِ * بَعْدَ مَا كَانَ مِنْهُ مَنَا بَدِيًّا^(٢)

ووفد عَمِيمُ بْنُ مُرٍّ وَبُكْرَيْنَ وَائِلَ عَلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ، وَكَانَا يَتَادَمَانِهِ بِغَيْرِي بَيْنَهُمَا تَفَانِحُ
 فَقَالَا: أَيُّهَا الْمَلِكُ أَعْطِنَا سَيْفَيْنِ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ بَسِيْفَيْنِ مِنْ عَوْدَيْنِ فَنَحْنُوهُمَا وَمَوْهًا بِالْفَضَّةِ
 وَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُمَا، فَخَلَا يَضْطَرِيَانِ بَعْدَ مَا لَمَّا مِنْ نَهَارِهِمَا، فَقَالَ بَكْرُ
 * لَوْ كَانَ سَيْفَانَا حَدِيدًا قَطَعْنَا *

١٠ وقال عَمِيمُ
 * أَوْ نَحْنُ مِنْ جَنْدِلٍ تَصِيدُنَا *
 فَفَزَقَ الْمَلِكُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَ بَكْرُ لِعَمِيمِ
 * أَسَاجِلُكَ الْعِدَاوَةُ مَا بَهَيْتُنَا *

وقال عَمِيمُ
 * وَإِنْ مَتْنَا نَوْرُثُهَا بَنِينَا *
 ١٥ فَأَوْرَثَاهَا بَيْنَهُمَا إِلَى الْيَوْمِ .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَعْمَشِيِّ عَنْ خَلْفِ الْأَحْمَرِ قَالَ: كَانَ أَبُو عُرْوَةَ السَّبَّاحُ يَصْبِحُ
 بِالسَّجِّ وَقَدْ أَحْتَمَلَ الشَّاةَ فَيَسْقُطُ فَيَمُوتُ فَيُشَقُّ بَطْنُهُ فَيُوجَدُ نَوَادِهِ قَدْ انْخَلَعُ . وَهُوَ
 مِثْلُ فِي شِدَّةِ الصَّوْتِ . قَالَ الشَّاعِرُ فِي ذَلِكَ^(٣)

- ٢٠ (١) فِي النُّسخَةِ الْقَنْزِغَرَايَةِ "بِالْقَتْلِ" . (٢) كَذَلِكَ بِالنُّسخَةِ الْأَلْمَانِيَةِ ، وَفِي النُّسخَةِ الْقَنْزِغَرَايَةِ :
 «بَعْدَ مَا كَانَ مَنَا بَدِيًّا» وَلَمَّا كَلِمَةُ «مَنَا» هَذِهِ مَحْرُوقَةٌ عَنْ «مَنَا» فَيَسْتَعْمِلُ الْمُنْصَرِفُ .
 (٣) هِيَ الْخَاتِمَةُ الْإِلَهِيَّةُ كَمَا فِي السَّانِ مَادَةِ (مِرَا) .

ذَرَّابِي عُرْوَةَ السَّبَاعِ إِذَا * أَشْفَقَ أَنْ يَلْتَهِسَ بِالنَّعَمِ

قال : وأبو عطية عفيف النصرى نادى فى الحرب التى كانت بين قَيْف وبين بنى قَصْرٍ لما رأى الخليل ^(١) يعقوته : يا سوء صباحاه، أَيْتِمَ يابنى يربوع ! قالت الحبالى أولادها، قفيل فى ذلك

وأسقط أحبال النساء بصوته * عَفِيفٌ لَدُنْ نَادَى بِنَصْرِ فَعَزَّبا

فى أخبار وهب بن منبه أن يهودا قال ليوسف : لكفنى أولاً صيحن صبيحة لاتبى حامل بمصر إلا ألفت ما فى بطنها .

محمد بن الضمك عن أبيه قال : كان العباس بن عبد المطلب يقف على سلع فينادى ضلثانه وهم بالغابة فيُسَمِعُهُمْ وذلك من آخر الليل . وبين الغابة وبين سلع ثمانية أميال ، وبلغ جبل وسط المدينة . وكان شبيب بن ربيعة ينتحى فى داره فيسمع تحته بالكُفَّاسَة ، ويصبح براعيه فيسمع ندائه على فرسخ وكان هذا مؤذن مجاح التى تَبَّتْ [ذكر هذا خالد بن صفوان ، وسمه أبو الحبيب التهذى] فقال : ما سمع له بصوت أبعد من صوته بأذانه فإنه كان مؤذنها يعنى مجاح] .

فم رجل الأشر فقال له قائد ^(٢) : اسكت فإن حياته هزمت أهل الشام وإن موته هزم أهل العراق .

المدائنى قال : أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجل يستخمله ، فقال له : خذ بيدي من إبل الصدقة . فتناول ذنب سير صعب فجذبه فاقتله ، فغضب عمر وقال له : هل رأيت أشد منك ؟ قال : نعم ، خرجت بامرأة من أهل أريد بها

(١) القصة : ما سول الدار أو ساحتها .

(٢) زيادة فى القصة الألمانية .

(٣) فى القوتوغرافية : « الحسن بن علي عليها السلام » وفيها بدل « قائد » « يزيد » .

- زوجها فزلنا منزلا أهله حُلُوف قَرَّبْتُ من الحوض فيينا أنا كذلك إذ أقبل رجل ومعه دود والمرأة ناحية فصرَّب فوده الى الحوض ومضى الى المرأة فساورها ونادتنى، فما انتهيت اليها حتى خالطها، فجئت لأدفعه عنها فأخذ برأسى فوضعه بين عضديه وجنبه فما استطعت أن أتحرك حتى قضى ما أراد ثم استلقى . فقالت المرأة : أى خل هذا ! لو كانت لنا منه نخلة ! وأمهله حتى امتلأ نوما فممت اليه بالسيف . فضربت ساقه فأبذته، فأنبه وتناول رجله فعدا فغلبه الدم فرماني برجله وأخطاني وأصاب عتي بيمرى فقتله . فقال عمر : ما فعلت المرأة ؟ قال : هذا حديث الرجل . فكرر عليه مرارا لا يزيد على هذا، فظن أنه قد قتلها .

- حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا أشبل بن حاتم قال حدثنا ابن عوف عن عمير ابن إسحاق قال : كان سعد على ظهر بيت وهو شاك والمشركون يفعلون بالمؤمنين ويفعلون . وأبو عجين في الوثاق عند أم ولد لسعد فأنشأ يقول
- كفى حزنًا أن تلقى الخليل بالقنا * وأترك مشدودا على وثاقيا
إذا شئت غناني الخديلو غلقت * مغاليق من دوني تهم المناديا
- فقالت له أم ولد لسعد : أئجملى لى إن أنا أطلقتك أن ترجع الى حتى أعيذك في الوثاق ؟ قال نعم ، فأطلقته فركب فرسا بقاء لسعد وحمل على المشركين فجعل سعد يقول : لولا أن أبا عجين في الوثاق لظننت أنه أبو عجين وأنها فرسى . فأنكشف المشركون وجاء أبو عجين فأعاده في الوثاق وأنت سعدا فأخبرته ، فأرسل الى أبى عجين فأطلقه وقال : والله لا حبستك فيها أبدا . يعنى النحر ، فقال أبو عجين : وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبدا . وقال الشاعر^(١)

- سأغسل عني العار بالسيف جاليا * على قضاء الله ما كلف جاليا
- (١) في النسخة الألمانية « تلمن » . (٢) حوسد بن ثابت المازني كما في اللسان والحمامة .

وأذهل عن داري وأجعل هدسها * لِعْرِضِي من باقي المنقة حاجيا
ويصغر في عيني تِلَادِي إذا انتنت * يميني بإدراك الذي كنت طالبا
فِيَا لِرِزَامٍ رَحُّوْا نِي مُقَلَّمَا ^(٢) * إلى الموت خَوَاضَا إليه الكُتَابَا ^(١)
إذا هم لم يردع كَرِيمَةً هَمِهِ * ولم يأت ما يأتى من الأمر هَانِبا
أَخَا غَمَرَاتٍ لَا يَرِيدُ عَلَى الَّذِي ^(٣) * يَهْمُهُ مِنْ مُقْطِعِ الْأَمْرِ صَاحِبَا
إذا هم التي بين عيبيه عَزَمَهُ * ونكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا
ولم يَسْتَشِرْ فِي رَايِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ * ولم يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا
عليكم بداري فاهدموها فأنها * تراث كريم لا يخاف العَوَاقِبَا
وقال رجل من بني العنبر ^(٤)

لو كنت من مازن لم تَسْتَبِجْ إِلَى * بنو اللَّقِيْطَةِ مِنْ دُخُلِ بَنِ شَيْبَانَا ١٠
إِذْنًا لِقَامٍ بِنَصْرِي مَعَشَرُ خُشْنٍ * عِنْدَ الْكَرْبَةِ إِنْ ذُو لَوْحَةٍ لَانَا
قوم إذا الشرُّ أبْدَى نَاجِدِيهِ لَمْ * طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا
لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ * لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
يُحْزَنُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفَرَةً * وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانَا ^(٥)
كَانَتْ رَبِّكَ لَمْ يَخْلُقْ خَشْيَتَهُ * سَوَاءٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانَا ١٥
فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا * شَتُّوا الْإِغَارَةَ قُرْسَانَا وَرُكْبَانَا
لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ * فِي النَّاتِبَاتِ عَلَى مَا قَالِ رَهَانَا
لَكِنْ يَطِيرُونَ أَشْتَاتًا إِذَا فَرَعُوا * وَيَنْفِرُونَ إِلَى النَّارَاتِ وَحْدَانَا

(١) في الحماسة "الكتّابا". (٢) في الحماسة "لم تردع عزيمة همه".

(٣) كذا في الحماسة والذي في الأصل «التي هم بها من قطع الأمر».

(٤) هو قُرَيْطُ بْنُ أَيْفٍ كذا في الحماسة. (٥) كذا بالحماسة وفي الأصل «فخرانا».

وقال آخر

وَلَمَّا عَمِرْتُ لَأَشْفِيَنَّ النَّفْسَ مِنْ تِلْكَ الْمَسَاسِ
وَلَأُعلمَنَّ الْبَطْنَ أَنَّ الزَّادَ لَيْسَ بِمُسْتَطَاعٍ
أَمَّا النَّهَارُ فَرَأَى أَصْحَابِي بِمَرْقَبَةٍ يَفَاعُ
أَثَرُ الشَّجَاعِ بِهَا كَثُرَ * دَانَحْرُزْدِي سَيِّدَ الصَّنَاعِ
تَرُدُّ السَّبَاعُ مَعِيَ فَأَلْشَقَى كَالْمَلْدُ مِنْ السَّبَاعِ

وقال آخر

إِنَّا عَمِيوُكَ يَا سَلْمَى خَيِّتِنَا * وَإِنْ سَقَيْتَ كَرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا
إِنَّا لَنُزِيخُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَنْفُسَنَا * وَلَوْ تُسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أُغْلِينَا
بِيضُ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا * نَأْسُو بِأَمْوَالِ آثَارِ أَيْدِينَا

وقال المملوط

أَلَمْ تَرَى خُلِفْتَ أَخَا حُرُوبٍ * إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتَ يَحْيَى جَانِي

وقال آخر^(١)

لَمَمَرَى لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ * نَبِيَّ سُوَيْدٍ أَنْ فَارَسَكُمْ هَوَى
أَجَلٌ صَادِقًا وَالْقَاتِلُ الْفَاعِلُ الَّذِي * إِذَا قَالَ قَوْلًا أَنْبَطَ الْمَاءُ فِي الثَّرَى
فَقَى قَبْلُ لَمْ تَمْسُ السُّنُّ وَجْهَهُ * سَوَى خُلْسَةٍ فِي الرَّأْسِ كَالْبَرْقِ فِي الدَّبَجِ

(١) هو سُوَيْدُ الْمُرَادِّ الْحَارَثِيُّ كَمَا فِي الْحَمَاسَةِ وَاللَّسَانِ فِي مَادَّةِ «عَسَى» .

(٢) كَذَا بِالْحَمَاسَةِ ، وَفِي التَّنْزِيعِ «نَبِيَّ جَوَى» ، وَفِي الْكَامِلِ «نَبِيَّ حَمَى» . (٣) لَمْ تَمْسُ :

لَمْ تَقْبُرْ . (٤) كَذَا بِالْحَمَاسَةِ وَاللَّسَانِ ، وَفِي الْأَصْلِ «شَبَّ» . وَفِي ذِكْرِ اللَّسَانِ فِي مَادَّةِ «عَسَى»

وقال أبو زيد : أَعْلَسَ رَأْسُهُ فَهُوَ عَاسِلٌ وَإِذَا آيَيْضَ بَعْضُهُ فَأَذَا غَلَبَ بَيَاضُهُ سَوَادَهُ فَهُوَ أَشْمٌ .

أشارت له الحرب السَّوْدُ بجماعها * يُقَمِّعُ بِالْأَقْرَابِ^(١) أَوَّلَ مَنْ أَتَى
ولم ينجيها لكن جناها وليه * فأتى قاده فكان كن جنى
وقال بَسَامَةٌ

إنا بنى تَهْشِيلَ لَا نَدْعِي لِأَب * عنه ولا هو بالأبناء يَشْرِينَا
إِنْ تُجَدَّرْ غَايَةً يَوْمًا لَمَكْرُتَةٍ * تَلَقَّ السَّوَابِقُ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا
إِنَّا لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَّاهِلِهِمْ * قِيلُ الْكَلَامَةِ أَلَا أَيْنَ الْمُحَامِلِينَا
لو كان في الألف منا واحد فدعوا * مَنْ فَارِسٌ؟ خَالِمْ لِمَاءِ يَمْنُونَا^(٢)
وقال زهير

يَطْعَنُهُمْ مَا أَرْمَعُوا حَتَّى إِذَا أَلْعَنُوا * ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا أَعْتَنَقَا
وقالت امرأة من كندة

أَبَاؤُا أَبِ فَيَزُولُوا أَلْقَانَا فِي مَحْوَرِهِمْ * وَلَمْ يَرْقُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلَامًا
ولو أنهم فزوا لكانوا أَعِزَّةَ * وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا
وقال آخر

بَنَى عَمَّتَا رُدُّوا فُضُولَ دِمَائِنَا * يَمَّ لَيْلُكُمْ، أَوْ لَا تَلَمْنَا اللِّوَانُ
فَإِنَّا وَلِإِيَّاكُمْ وَلِإِن طَالَ تَرْكُكُمْ * كَيْدَى الدِّينِ يَنَاقِي مَا نَأَى وَهُوَ غَايِمٌ
وقال أبو سعيد الخزْزَمِيُّ وكان شجاعاً

وما يريد بنو الأعيان من رجل * بالجمر مُكْتَمِلٍ بِالنَّيْلِ مُشْتَمِلٍ
لا يشرب المساء إلا من قَلْبِيْدِم * ولا بيت له جارٌ على وَجَلِي

(١) في الأصل «في الأقرب» والقي في الصلح عن الحماة .

(٢) هكذا بالحماة وفي الأصل «ماطف» .

وقال عبد القُدوس بن عبد الواحد من ولد النعمان بن بشير
مَدَى تَحْكُمُ الْأَمَالُ فِيهِ، وَنَجْدَةٌ * تَحْكُمُ فِي الْأَعْدَاءِ بِالْأَسْرِ وَالْقَتْلِ

وقال آخر

ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى إِذَا قَامَ مَيْلُكُمْ * ضَرَبْنَا الْعِدَا عَنْكُمْ بِأَبْيَضِ صَارِمٍ
تَمَثَّلَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ يَوْمَ قُتِلَ يَقُولُ الْقَاتِلَ

أَذَلَّ الْحَيَاةَ وَعِزَّ الْمَوْتَ * وَكَلَّا أَرَاهُ طَعَامًا وَيَسْلَا
فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ وَاحِدٍ * فَسَيُورُوا إِلَى الْمَوْتِ سِيرًا جَمِيلًا

وقال قيس بن الخطيم

أَبْلَجُ لَا يَهْمُ بِالْفِرَارِ * قَدْ طَابَ نَفْسًا بِدُخُولِ النَّارِ

وقال آخر^(١)

وَمَنْ تَكُنِ الْحِضَارَةُ أَعْجَبْتَهُ * فَأَيُّ رَجُلٍ بَادِيَةٍ تَسْرَانَا
وَمَنْ رَبطَ الْجَحَاشَ فَإِنْ فِينَا * قَتَا مُلْبًا وَأَفْرَاسًا حَسَانَا
وَكُنْ إِذَا أَعْرَنْ عَلَى قَبِيلٍ * فَأَعُوذْهُمْ كَوْنُ حَيْثُ كَانَا^(٢)
أَعْرَنْ مِنَ الضُّبَابِ عَلَى حِلَالٍ * وَضَبَّةٌ إِنَّهُ مِنْ حُلَانَا^(٣)
وَأَحْيَانًا نَصِيرُ عَلَى أُخْيَانَا * إِذَا مَالَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا

وقالت الخنساء

تَرَقَّى النِّهْرُ نَهَسًا وَحَرًّا * وَأَوْجَسِي الدَّهْرُ قَرَفًا وَعَمْرًا

(١) هو القضاة كما في الحاشية . (٢) في الحاشية :

وكي إذا أعرن على جناب . وأعوزهم نهب حيث كانا

(٣) جمع جله بكسر أوله وهي كما في القاموس القوم الثرول، وفي ديوان الحاشية : « حلو » جمع حال .
والجمل المثلوث الذين يكونون في مكاتب واحد .

وأنتى رجالى فبادوا معا * فأصبح قلبى بهم مستقرا
ومن ظن بمن يلاقى الحروب * بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

وفىها تقول

ونلبس للحرب أثوابها * ونلبس فى الأمن خرا وقرا

وهذا كقولهم : الپس لكل حالة لبوسها .

وقال عبد الله بن سبرة الحرشى حين قطعت يده ^(٢)

وَلَمْ جَارُ غَدَاةَ الْجَسْرِ فَارَقْنِي * أَعِزُّ عَلَىَّ بِهِ إِذْ بَانَ فَانْصَدَا
يُمْنِي يَدِي غَدَتُ مَنَى مَفَارِقَةٍ * لَمْ أَسْتَطِعْ يَوْمَ خِلْطَاسٍ لَهَا تَبَا
وَمَا ضَيَّعْتُ عَلَيْهَا أَنْ أَصَاحِبَهَا * لَقَدْ حَرَصْتُ عَلَى أَنْ نَسْتَرْجِعَ مِمَّا
وَقَائِلٍ غَابَ عَنِ شَأْنِي وَقَائِلَةٍ * أَلَّا اجْتَنِبْتُ عَدُوَّ اللَّهِ إِذْ صُرِعَا
وَكَيْفَ أَتْرَكَهُ يَمْشِي بِمَنْصَلِهِ * نَحْوِي وَأَجِبْنُ عَنْهُ بَعْدَمَا وَقَعَا
مَا كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الرُّوعِ مِنْ خُلُقِي * وَإِنْ تَقَارَبَ مَنَى الْمَوْتِ وَاكْتَنَعَا
وَيَلْمُهُ فَارِسًا وَلَتْ كَتِيبَتُهُ * حَامِي وَقَدْ ضَيَّعُوا الْأَحْسَابَ قَارِئِمَا
يَمْشِي إِلَى مُسْتَمِيتٍ مِثْلِهِ بَطْلٍ * حَتَّى إِذَا مَكَتَا سَيْفِيهِمَا أَمْتَصَمَا
كُلَّ بَنُوهُ بِمَاضِي الْحَدِّ ذِي شُطْبٍ * جَلَّ الصَّيَاقِلُ عَنْ دَرِيهِ الْعُطْبَا
حَاشِيَتُهُ الْمَوْتَ حَتَّى أَشْتَفَّ آخِرَهُ * فَا اسْتَكَنَّ لِي لَاقَى وَمَا جَزَعَا

(١) كذا فى النسخة القنوغرافية وهو الموافق لما فى الكامل للرد، وفى النسخة الألمانية «يقاسى» .

(٢) فى الأصل القنوغرافى «الجرشى» ويوافقه ما فى الأمال ج ١ ص ٤٩ وصوابه «الجرشى» قال ابن قتيبة فى المعارف وأما الحرشى بن كعب فنهى مطرف بن عبد الله بن الشخير وزدارة بن أدى وعبد الله ابن سبرة الحرشى الذى قطع يده الطربانوس الروى ٨٥ - (٣) فى الأمال «قلطاس» - (٤) فى النسخة القنوغرافية «أكتبة» - (٥) كذا بالأصل يبنى ثلاثوه وإشراهه ، ودرواه فى السان وفى الأمال «ذرية» والقرى فريد السيف وماؤه - (٦) كذا بالأصل وهى محرفة عن «حاسية» بالسين المهملة .

كَانَتْ لَيْتَهُ هُدَابٌ مُحَلَّةٌ * أَحْمَرُ أَرْقُ لَمْ يَسْمُطْ وَقَدْ صَلِمَا
فَإِنْ يَكُنْ أَطْرُبُونَ الرُّومَ قَطْمَهَا * قَفْدَ تَرَكْتُهَا أَوْصَالَهُ قَطْمَا
وَإِنْ يَكُنْ أَطْرُبُونَ الرُّومَ قَطْمَهَا * فَإِنَّ فِيهَا بِحَمْدِ اللَّهِ مُتَقَمَا
بَنَاتَانِ وَجُدْمُورٌ أَهْمٌ^(٢) بِهَا * صَدْرُ الْفَتَاةِ إِذَا مَا آنَسُوا قَزَعَا

وقال بعض الشعراء

إِنْ لَنَا مِنْ قَوْمِنَا نَاصِرَةٌ * بِيضُ الظُّبَا سُمُرُ الْقَنَا شُبَّ اللَّحْمِ
يَسْتَفْرِوْنَ الْمَوْتَ مِنْ تَحْتِمْه * وَيَعْتَوْنَ الْحَرْبَ مِنْ عَقْدِ السُّلْمِ^(٣)
أَوْلَاكَ قَيْسٌ قَوْمُنَا أَكْرَمُ بِهِمْ * قَيْسُ النَّدَى قَيْسُ الْعَلَا قَيْسُ الْكِرَمِ

وقال جعفر بن عتبة الحارثي

لَيْتَنِي عُقَيْلَا أَتَى قَدْ تَرَكْتُهَا * يَنْوَهُ بِقَتْلَاهَا الذَّنَابَ الْهَوَامِلَ^(٤)
لَمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ رُبْقَةٍ تَحْمِيلِ * وَلِي مِنْهُ مَا حُمْتُ عَلَيْهِ الْأَهَامِلُ
إِذَا الْقَوْمُ سَدُوا مَا زَقَا فَرَجَتْ لَنَا * بِأَيْمَانِنَا يَبُصُّ جَلَّتْهَا الصَّيَاقِلُ

وقال عمرو بن معديكرب

أَعَاذَلْ شِكَّتِي بَرَى وَرَمَى * وَكَلَّ مَقْلَصَ سَلَسِ الْفِيَادِ
أَعَاذَلْ إِنَّمَا أَقْنَى شَابِي * رَكُوبٌ فِي الصَّرِيخِ إِلَى الْمُنَادِي^(٥)

قال أبو دلف

لَقَدْ عَلِمْتُ وَأَثَلْتُ أَنَا * نَحْوُ الْحُتُوفِ غَدَاةَ الْحُتُوفِ
وَلَا تَنْتَقِيهَا بِزَحْفِ الْفِرَارِ * إِذَا مَا الصَّفُوفُ أَنْبَرَتْ لِلصَّفُوفِ

(١) كذا بالأصل وهي محذوفة عن «أحم» والجمعة كما قال ابن سيدة لون بين الدهمة والكلمة .

(٢) الجدمور هنا ما بين من يده يبدى قطعها . (٣) في النسخة الألمانية «يتنون» .

(٤) في الأصلين : * ينوهُ بقتلها دماء هوامل * وقد أخذنا ما في الأصل عن هاشم النسخة

الألمانية .

ويوم أفاغت لنا خيلنا * لدى جبل الديلمى المنيف
 طسوّال الفتى بطوال القنا * وبيضّ الوجوه ببيض السيوف
 وكلّ حصان بكل حصان * أمين شطّاه سليم الوطيف
 ألا نسماني فما نعمتي * برادعتي عن ركوب المخوف
 لى الصبر عند حلول البلا * إذا تزلت بي إحدى الصروف
 وإن تسألني تخبرني أني * أفي حسبي بألوف الألوف
 وأحلم حتى يقولوا ضعيف * وما أنا - قد علموا - بالضعيف
 خفيف على فرسي ما ركبت * ولست على ظمالي بالخفيف

باب الحيل في الحروب وغيرها

- ١٠ قال ابن الصحاق : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر ، مرّ حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين . فقال الشيخ : لا أخبركم حتى تخبروني من أنتم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أخبرتنا أخبرناك » . فقال الشيخ : خُبرت أن قريشا خرجت من مكة وقت كذا ، فإن كان الذي خُبرني صدق فهي اليوم بمكان كذا ، للوضع الذي به قريش . وخُبرت أن محمدا خرج من المدينة وقت كذا ، فإن كان الذي خُبرني صدق فهو اليوم بمكان كذا ، للوضع الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : من أنتم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء » ، ثم انصرف . فجعل الشيخ يقول : نحن من ماء ! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا !

- حدثني سهل بن محمد قال حدثني الأعمشى قال حدثني شيخ من بني العنبر قال : أسرت بنو شيان رجلا من بني العنبر فقال لهم : أرسل الى أهل ليقتدونى . قالوا : ولا تكلم

- الرسول إلا بين أيدينا . فجاءوه برسول فقال له : أنت قوي فقل لهم : إن الشجر قد أورق وإن النساء قد أشكت . ثم قال له : أتعقل ما أقول لك؟ قال : نعم أعقل .
- قال : فما هذا؟ وأشار بيده . قال : هذا الليل . قال : أراك تعقل . انطلق لأهلي فقل لهم : عرّوا جلي الأصهب وأركبوا ناقتي الحمراء وسلّوا حارثا عن أمري . فأتاهم الرسول فأنخبرهم ، فإرسلوا إلى حارث فقص عليه القصة ، فلما خلا معهم قال لهم :
- أما قوله : «إن الشجر قد أورق» فإنه يريد أن القوم قد تسَلَّحوا . وقوله «إن النساء قد أشكت» فإنه يريد أنها قد اتخذت الشكاء للفرّ، وهي أسقية ، ويقال للسقاء الصغير شَكْوَة . وقوله : «هذا الليل» يريد أنهم يأتونكم مثل الليل أو في الليل . وقوله : «عرّوا جلي الأصهب» يريد ارتحلوا عن الصَّيَّان . وقوله : «أركبوا ناقتي الحمراء» يريد أركبوا الّتهناء . قال فلما قال لهم ذلك تحوّلوا من مكانهم ، فأتاهم القوم فلم يجدوا منهم أحدا .
- ١٠ أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال :
- أنت الزبير ولا تأت طلحة فإن الزبير ألين وأنت تجد طلحة كالنور طاقصا قرنه ، يركب الصعوبة ويقول هي أسهل ، فأقرته السلام وقل له يقول لك ابن خالك : عرفتني بالجهاز وأنكرتني بالعراق ، فما عدّا بما بدا ؟ قال ابن عباس : فأتيته فأبلغته . فقال
- ١٥ قل له : بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة ، واجتماع ثلاثة وانفراد واحد ، وأمّ مبرورة ، ومشاورة العشرة ، ونشر المصاحف ، تحلّ ما أحلت ونحرم ما حرمت .
- المهيم بن عدى قال : مرّ شبيب الخارجي على غلام في الفرات يستنقع في الماء ، فقال له شبيب : انرج إلى أسائكك . قال : فإنا آمن حتى ألبس ثوبي ؟ قال :
- نعم . قال : فواقه لا ألبسه .
- ٢٠ قال المهيم : أراد عمر رحمه الله قتل المُرْمِزَان . فاستسقى فأبى بلاء فامسكه بيده وأضطرب ، فقال له عمر : لا بأس عليك ، إني غير قاتلك حتى تشربه . فالتقى القديح

من يده وأمر عمر بقتله، فقال : أولم تؤمنني ؟ قال كيف آمنتك ؟ قال : قلت : لا بأس عليك حتى تشربه ، ولا بأس أمان ، وأنا لم أشربه . فقال عمر : قاتله الله ! أخذ أمانا ولم نشعر به . قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق .

المعنى : بعث يزيد بن معاوية عيد الله بن عضاء الأشعري الى ابن الزبير فقال له : إن أول أمرك كان حسنا فلا تفسده بآخره . فقال له ابن الزبير : إنه ليست في عنقي بيعة ليزيد . فقال عيد الله : يامعشر قریش ، قد سمعتم ما قال وقد باعتم وهو يأمركم بالرجوع عن البيعة .

المدائني قال : أقبل واصل بن عطاء في رقة فلقهم ناس من الخوارج ، فقالوا لهم : من أنتم ؟ قال لهم واصل : مستجيرون حتى نسمع كلام الله ، فأعمرضوا علينا . فعرضوا عليهم فقال واصل : قد قبلنا . قالوا : فأمضوا راشدين . قال واصل : ما ذلك لكم حتى تثلثونا مأمنا . قال الله تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) فأبلثونا مأمنا . فجاءوا معهم حتى بلغوا مأمناهم .

وقال معاوية : لا ينبغي أن يكون الهاشمي غير جواد ولا الأموي غير حلیم ولا الزيري غير شجاع ولا المخزومي غير تباه . فبلغ ذلك الحسن بن علي فقال : قاتله الله ! أراد أن يهود بنو هاشم فيقتل ما بأيديهم ، ويحل بنو أمية فيتجيبوا الى الناس ، ويتشجع آل الزبير فيقتلوا ، ويقيه بنو مخزوم فيبعضهم الناس .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال : استقبل الخوارج ابن عمر بأرض اليهودي وهم مجرورون فقال : هل خرج اليكم في اليهود شيء ؟ قالوا : لا . قال : فأعرضوا راشدين .

المدائني قال : لما بلغ قتبية بن مسلم أن سليمان يريد عزله عن خراسان واستعمال يزيد بن المهلب كتب اليه ثلاث صحائف ، وقال للرسول : ادفع اليه هذه ، فان دفعها (١) في السنة الألفية : الحسين .

- الى يزيد فادفع اليه هذه ، فان شئتني عند قراءتها فادفع اليه الثالثة . فلما صار اليه الرسول دفع اليه الكلب الأول وفيه : يا أمير المؤمنين ، إن من بلائى فى طاعة أبيك وطاعتك وطاعة أخيك كيت وكيت . فدفع كتابه الى يزيد فأعطاه الرسول الكتاب الثانى وفيه : يا أمير المؤمنين ، تأمن ابن دحمة على أسرارك ولم يكن أبوه يأمته على أمهات أولاده ! فشم قتيبة ، فدفع اليه الرسول الكتاب الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم الى سليمان ابن عبد الملك ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فوالله لأؤثمن لك أخية لا يترعها المهر الأرين . قال سليمان : عجّلنا على قتيبة . يا غلام ، جدّد له عهده على خراسان .

- لما صرف أهل مِرة الماء عن أهل دمشق وجهوه الى الصهارى كتب اليهم أبو الهيثم^(١) : الى بنى أستها أهل مِرة ، ليسفئ الماء أو لتصبّحنكم الخليل . فوافاهم الماء قبل أن يعمّوا فقال أبو الهيثم : « الصديق يفتي عك لا الوعيد » .
- ١٠ ولما بايع الناس يزيد بن الوليد أتاه الخبير عن مروان ببعض التلكنؤ والتربع ، فكتب اليه يزيد : أما بعد فإني « أراك تهدم رجلا وتؤخر أخرى » فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت ، والسلام .

- ولما هزم أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد لم يذر الناس كيف يمزونه ، فدخل عليه عبد الله بن الأثم فقال : [مرجبا بالصابر المخذول] الحمد لله الذى نظر لنا عليك ولم ينظر لك علينا ، فقد تعرضت للشهادة بجهدك إلا أن الله علم حاجة الإسلام اليك فأبقاك له بخذلان من كان مملوك لك . فصبر الناس عن كلامه .

وكتب الحارث بن خالد المخزومى — وكان عامل يزيد بن معاوية على مكة — الى مسلم بن عقبة المُرّى ، فأناه الكلب وهو بآخر رمق ، وفي الكتاب : أصلح الله

(١) فى النسخة القنوغرافية : أبو الهيثم . (٢) زيادة فى النسخة الألمانية .

الأمير، إنا ابن الزبير أتاني بما لا قبل لي به فأنحزْتُ . فقال : يا غلام أكتب اليه :
أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر أن ابن الزبير أتاك بما لا قبل لك به فأنحزْتُ . وأيم الله
ما أبلَى على أي جنيتك سقطت إلا أن شرهما لك أحبهما إلى ، وبالله لن بقيت
لك لأتزلتك حيث أنزلت نفسك والسلام .

٥ أبو حاتم قال، حدثنا النبي قال حدثنا إبراهيم قال : لما أسن معاوية اعتراه
أرق فكان إذا هوم أيقظته نواقيس الروم، فلما أصبح يوما ودخل عليه الناس قال :
يا معشر العرب، هل فيكم من يفعل ما أسرّه وأعطيته ثلاث ديات أعجلها له وديتين
إذا رجع؟ فقام فتى من غسان فقال : أنا يا أمير المؤمنين . قال : تنهب بكتبي إلى
ملك الروم، فإذا صرت على بساطه أذنت . قال : ثم ماذا ؟ قال : فقط . فقال
١٠ لقد كلمت صغيراً وأتيت كبيراً، فكتب له ونخرج، فلما صار على بساط قيصر أذن،
فتجاوزت البطارقة وأخترطوا سيوفهم فسبق إليه ملك الروم فجنا عليه وجعل يسألهم
بحق عيسى وبحقهم عليه لما كفوا، ثم ذهب به حتى صعد على سريره ثم جعل بين
رجليه، ثم قال : يا معشر البطارقة ، إن معاوية رجل قد أسن وقد أرق وقد آذنه
النواقيس، فأراد أن يقتل هذا على الأذنان فيقتل من قبله من قبله على النواقيس،
١٥ والله ليرجعن إليه بخلاف ماظن . فكساه وحمله فلما رجع إلى معاوية قال : أو قد
جفتني سالماً ؟ قال : نعم، أما من قبلك فلا .

وكان يقال : ما ولي المسلمين أحد إلا ملك الروم مثله إن حازما وإن عاجزا .
وكان الذي ملكهم على عهد عمر هو الذي دون لهم الدواوين ودوخ لهم المسقو،
وكان ملكهم على عهد معاوية يشبه معاوية في حزمه وحلمه . وبهذا الإسناد قال :
٢٠ كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض العرب وتأتي من قبلهم الدنانير، وكان
(١) لهما نهب بكتبي الخ . (٢) في النسخة الألمانية : يده .

- عبد الملك أقر من كتب (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الطوامير، فكتب إليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئا من ذكر نبيكم نكرهه فإنه عنه وإلا أناكم في دنائيرنا من ذكره ما نكرهون، فكبر ذلك في صدر عبد الملك وكره أن يدع شيئا من ذكر الله قد كان أمر به أو يأتيه في الدناير من ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ما يكره، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية فقال : يا أبا هاشم إحدى بنات طَبَق^(١)، وأخبره الخبر. قال : لِيُفْرِخْ رُوعُكَ، حَرِّمَ دَنَائِيرَهُمْ وَأَضْرَبَ لِلنَّاسِ سِكِّكَ وَلَا تُعْصِمُهُمْ مِمَّا يَكْرَهُونَ . فقال عبد الملك : فَرَجَّهَا عَنِّي فَرَجَ اللَّهُ عَنْكَ .

- حدثنا الرباعي قال : لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق كتب إليه ملك الروم : إنك قد هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها فإن كان حقا فقد أخطأ أبوك، وإن كان باطلا فقد خالفته . فكتب إليه الوليد (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَبْنِيانِ فِي الْحَرَّةِ) إلى آخر القصص .

- حدثنا الزياتي محمد بن زياد قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال حدثنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : كتب قيصر إلى معاوية : سلام عليك، أما بعد فانبئني بأحب كلمة إلى الله وثانية وثالثة ورابعة وخامسة، ومن أكرم عبادته إليه وأكرم إمامته، وعن أربعة أشياء فبهن الروح لم يرتكضن في رحم، وعن قبر يسير يصاحبه ومكان في الأرض لم تنصبه الشمس إلا مرة واحدة، والمجرة ما موضعها من السماء، وقوس قزح وما بده أمره ؟ . فلما قرأ كتابه قال : اللهم أكنه ! ما أدرى ما هذا ! . فأرسل إلى يسأني قلت : أما أحب كلمة إلى الله فلا إله إلا الله لا يقبل عملا إلا بها وهي المنجية، والثانية سبحان الله وهي صلاة الخلق، والثالثة الحمد لله كلمة الشكر، والرابعة الله أكبر فوائح الصلوات والركوع والسجود، والخامسة
- (١) بنات طَبَق . الهرامي .

لا حول ولا قوة إلا بالله . وأما أكرم عباد الله اليه فآدم خلقه بيده وعلمه الأسماء كلها ، وأكرم إمانه عليه مريم التي أحصنت فرجها . والأريسة التي فين روح ولم يرتكضن في رحم فآدم وحواء وعصا موسى والكبش . والموضع الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فالبحرين انفلق لموسى وبني إسرائيل . والقبر الذي سار بصاحبه فبطن الحوت الذي كان فيه يونس .

أبو حاتم عن العتي عن أبيه قال : قدم معاوية من الشام وعمر بن العاص من مصر على عمر فأقعدهما بين يديه وجعل يسألها عن أعمالها إلى أن اعترض عمرو في حديث معاوية ، فقال له معاوية : أعلّ تعيب وإلى قصد؟ هلمّ حتى أخبر أمير المؤمنين عن عملك وتخبره عن عمل . قال عمرو : فعلت أنه يعمل أبصر مني بعمله وأت عمرا لا يدع أول هذا الحديث حتى يأتي على آخره ، فاردت أن أفعل شيئا أقطع به ذلك فرفضت يدي فلطمت معاوية ، فقال عمر : ثالثة ما رأيت رجلا أسفه منك ، يا معاوية أظلمه . فقال معاوية إن لي أميرا لا أفضي الأمور دونه . فأرسل عمر إلى أبي سفيان فلما رآه ألقى له وساده ثم قال معتذرا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» ثم قص عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال : ألهذا بعثت إلى ؟ أخوه وأبن عمه وقد أتى غير كبير ، قد وهبت له ذلك .

أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع قال ذكر بشر بن أرطاة عليا فقال منه فضرِب زيد بن عمر — وأمه ابنة علي بن أبي طالب — على رأسه بعصا فشجّه فبلغ ذلك معاوية فبعث إلى زيد بن عمر : أتدري ما صنعت ؟ وثبت على بشر بن أرطاة وهو شيخ أهل الشام فضرِب رأسه بعصا ، لقد أثبت عظيما . ثم بعث إلى بشر فقال أتدري ما صنعت ؟ وثبت على ابن الفاروق وأبن علي بن أبي طالب تسبه وسط الناس وتزدرية ، لقد أثبت عظيما . ثم بعث إلى هذا بشيء وإلى هذا بشيء .

المداخني قال : كان ابن المقفع محبوسا في خراج كان عليه وكان يعذب ، فلما طال ذلك وخشى على نفسه تعين من صاحب المذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به إبقاء على ماله .

- حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال ، قال المختار : ادعوا إلى المهدي محمد بن الحنفية .
 فلما خشي أن يبيح : قال : أما إن فيه علامة لا تخفى ، يضربه رجل بالسيف ضربة لا تعمل فيه . قال الأصمعي عرضة لأن تجزأ به .

- حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عوادة بن الحکم الكلبي قال : ولّى عليّ رضي الله عنه الأشتر مصر فلما بلغ العريش أتى بطراً مصر فقال له مولى لعميان وكان يقول : أنا مولى لآل عمر . هل لك في شربة من سوق أجنحها لك ؟ قال : نعم . فجذح له بسيل وجعل فيها سماً قاضيا فلما شربها يس ، فقال معاوية لما بلغه الخبر : يا بردها ١٠ على الكبد ! « إن لله جنودا منها السمل » . وقال عليّ « للبدن والغم » .

- حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد قال نظر عليّ إلى ولد عثمان كأنهم مستوحشون فسأله فقالوا نرى بالليل ، فقال : من أين يأتيكم الرمي ؟ قالوا : من ههنا . فصعد عليّ ولق رأسه ثم جعل يرمي وقال : إذا عاد فافعلوا مثل هذا فانقطع الرمي .
 قال محمد بن كعب القرظي : جاء رجل إلى سليمان النبي عليه السلام فقال يا نبي الله : ١٥ إن لي جيرانا سرقوا إوزتي فنأدى : الصلاة جامعة . ثم خطبهم فقال في خطبته : وأحدكم يسرق إوزة جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ! فسح رجل على رأسه ، فقال سليمان : خذوه فهو صاحبكم .

(١) الذين واليتهم الرياء ومن الثابتين ومعين أخذ بها .

(٢) في نسخة القنطرة اقية "أي الزيادة" .

أخذ الحكم بن أيوب التقي عامل المجاج إياس بن معاوية في ظنة الخوارج ، فقال له الحكم : إنك خارجي منافق وشتمه ، ثم قال آتني بمن يكفل بك . قال : ما أجد أحدا أعرف بي منك . قال : وما علمي بك وأنا من أهل الشام وأنت من أهل العراق . قال إياس : فقيم هذه الشهادة منذ اليوم . فضحك وغل سبيله .

٥ دخل رجل من بني مخزوم على عبد الملك بن مروان وكان زُبيراً ، فقال له عبد الملك : أليس قد ردك الله على عقبيك ؟ قال : ومن رد عليك فقد رد على عقبيه ؟ فسكت عبد الملك وعلم أنه قد أخطأ .

وكان رجل من النصارى يختلف إلى الضحاك بن مراح فقال له يوما : لو أسلمت ! قال : يعني من ذلك حبي للخمر . قال فأسلم وأشربها . فأسلم ، فقال له الضحاك : إنك قد أسلمت فإن شربت الخمر حذدناك وإن رجعت عن الإسلام قتلناك . ١٠

حسن إسلامه .

دخلت أم أقي العبدية على عائشة رضي الله عنها فقالت : يأم المؤمنين ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً ؟ قالت : وجبت لها النار . قالت : فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكبر عشرين ألفاً ؟ قالت : خذوا بيد عدوة الله .

١٥ العتي قال كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة : أما بعد فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال . إني والله قد لبستكم فاخفقتكم ورقتكم بكم فاحترقكم ثم وضعتكم على رأسي ثم على عيني ثم على فمي ثم على بطني . وآيم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطانتكم وطأة أقبل بها عددكم وأذل غابركم وأترككم أحاديث تُنسخ بها أخباركم مع أخبار عاد وحمود . ثم تمتل

٢٠ لعل الحليم دل على قومي * وقد يُستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال وما رسوني * فعروج على ومستقيم

أبو حاتم قال حدثنا أبو عبيدة قال : أخذ سُرَاقَة بن مِرْدَاس البارقي أسيرا يوم جَبَانَة السَّيِّح ، فقدم في الأسرى فقال

أَمَنْ عَلَى الْيَوْمِ بِأَخِيرِ مَعْدَةٍ * وَخَيْرِ مَنْ حَلَّ بِصَحْرَاءِ الْحَنْدِ^(١)
* وَخَيْرِ مَنْ لَبَّى وَصَلَّى وَبَعْدَ *

- فصفا عنه المختار ثم خرج مع إِسْحَاقَ بْنِ الْأَشْعَثِ عَلَيْهِ بَغْيٌ بِسَرَاقَةِ أُسَيْرَا فَقَالَ لَهُ الْمَخْتَارُ : أَلَمْ أَعُفْ عَنْكَ ؟ أَمَا وَاقِعٌ لَأَقْتُلَنَّكَ . قَالَ : إِنْ أَبَى أَخْبَرَنِي أَنْ الشَّامَ سَتُفْتَحُ لَكَ حَتَّى تَهْدِمَ مَدِينَةَ دِمَشْقَ حِجْرًا حِجْرًا وَأَنَا مَعَكَ فَوَاقِعٌ لَا تَقْتُلَنِي . ثُمَّ أَنْشَدَ

أَلَا أَلْبَحُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَا * تَزَوُّنَا زَوْزَةً كَكَانَتْ عَلَيْنَا
نَخْرُجُهَا لَا نَرَى الضَّمْفَاءَ شَيْئًا * وَكَانَ نَخْرُجُهَا بَطْرًا وَحِينًا
تَزَاهَمَ فِي مَصْصَفِهِمْ قَلْبًا * وَهَمَّ مِثْلَ الدَّبَا لَمَّا آتَيْنَا^(٢)
فَأَصْبَحَ إِنْ قَدَرْتَ فَلَوْ قَدَرْنَا * بَلَّغْنَا فِي الْحُكُومَةِ وَأَعْتَدْنَا
تَقَبَّلَ تَوْبَةً مِنِّي فَانِي * سَأَشْكُرُ إِنْ جَعَلْتَ التَّقْدِيرَ

- نَحْلَى سَبِيلَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِسْحَاقُ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَرَاقَةُ فَأَخَذَ أُسَيْرَا فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَنِي مِنْكَ يَا عَدُوَّاهُ ، فَقَالَ سَرَاقَةُ : مَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخَذُونِي ! فَأَيْنَ هُمْ ؟ لَا أَرَاهُمْ !
إِنَّا لَمَّا آتَيْنَا رَأَيْنَا قَوْمًا عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بَيْضٌ عَلَى خَيْلٍ يُلْقَى تَطْلِيرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .
فَقَالَ الْمَخْتَارُ : خَلُّوا سَبِيلَهُ لِيُخْبِرَ النَّاسَ . [ثُمَّ عَادَ قِتَالَهُ وَقَالَ^(٣)
أَلَا مَنَّتْْ خَيْرَ الْمَخْتَارِ عَنِّي * بَأَنَّ الْبَيْقَ بَيْضَ مَصْمَعَاتِ^(٤)]

(١) في النسخة الفوتوغرافية "بشعر والهند" وهو محذوف وصوابه كما في الطبري "بشعر والهند" .
(٢) في النسخة الفوتوغرافية "عبد الرحمن" وقد سوي في ما مشابهاه إِسْحَاقُ وَرَجَّهَ سَائِلُ الطَّبْرِيِّ وَالْمَقْدِسِيُّ .
(٣) في النسختين «إِنْ» وفي ابن جرير «فَأَصْبَحَ إِذْ مَلَكَتْ» وهو الأنسب . (٤) زيادة في النسخة الألمانية . (٥) في الطبري .

أَلَا أَلْبَحُ أَبَا إِسْحَاقَ إِنِّي * رَأَيْتُ الْبَيْقَ دَهْمًا مَصْمَعَاتِ

أَرَى عَيْفَى مَا لَمْ تَرَأِيَاهُ * كَلَانًا عَالَمًا بِالْمُتْرَهَاتِ
كَفَرْتُ بِدِينِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا * عَلَى قَتَالِكُمْ حَتَّى الْمَوْتِ]

خرج المغيرة بن شعبة مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته وكانت له عترة يتوكأ عليها فربما أهمله فيرمى بها قارعة الطريق فيمتر بها المسار فيأخذها، فإذا صار الى المنزل عرفها فأخذها المغيرة فقطعن له على رضى الله عنه فقال: لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لئن أخبرته لأترد بعدها ضالة أبدا. فامسك على.

باب من أخبار الدولة والمنصور والطلبين

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا أبو أسامة عن زائدة عن سَمَّاءَ عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس أنه كان إذا سمعهم يقولون: يكون في هذه الأمة اثنا عشر خليفة، قال: ما أحقكم! إن بعد الاثنى عشر ثلاثة منا: السفاح والمنصور والمهدى يسلمها الى الدجال. قال أبو أسامة: تأويل هذا عندنا أن ولد المهدى يكونون بعده الى نروج الدجال.

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لرجال الدعوة حين اختارهم للدعوة وأراد توجيههم: أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة على بن أبي طالب. وأما البصرة فثمانية تدين بالكف وتقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل. وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى. وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بنى مروان، عدواة لنا راضحة وجهلا متراكما. وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك البلد الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تنقسمها الأهواء ولم تنوزعها النحل ولم تشغلها ديانة ولم يتقسم فيها فساد وليست لهم اليوم هم العرب ولا فهم كعنازب

الاجتماع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبة العشائر ، ولم يزالوا يذألون ويُمتهنون ويُظلمون ويكظمون ويمتَنون الفرج ويؤتلون [الدول] وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات وِلحَى وشوارب وأصوات هائلة ولغات نفخة تخرج من أفواه منكرة، وبعدُ فكانى أنفَال الى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق .

- ٥ . وقال سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي : كنت مع مروان بن محمد بالزأب فقال لى : يا سعيد من هذا الذى يقابلنى ؟ قلت : عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس . قال : أعرفه ؟ قلت : نعم ، أما تعرف رجلا دخل عليك حسن الوجه مصفراً رفيق الذراعين حسن اللسان فوقع فى عبد الله بن معاوية ؟ فقال : بلى قد عرفته والله ، يابن جعدة لبت على بن أبى طالب [فى التحليل] يقابلنى . إن عليا وأولاده لا حظَّ لهم فى هذا الأمر ، وهذا رجل من بنى العباس ومعه ربح خراسان ونصر الشام ، يا بن جعدة أنتدى لم عقدت لعبد الله ولعبد الله وتركت عبد الملك وهو أكبر منهما ؟ قلت : لا أدرى . قال : لآنى وجدت الذى بلى هذا الأمر بعدى عبد الله أو عبيد الله ، فكان عبيد الله أقرب الى عبد الله من عبد الملك .

- وكتب مروان الى عبد الله بن على : إنى لا أظن هذا الأمر إلا صائرا اليكم ، فإذا كان ذلك فاعلم أن حرمنا حرمكم . فكتب اليه عبد الله إن الحق لنا فى دمك وإن الحق علينا فى حرمك .

- سمر المنصور ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسيرهم وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم الى أبنائهم المترفين فكانت همهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصَدَ الشهوات وإثارة اللذات والدخول فى معاصى الله ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله وأمانا لمكره ، فصلبهم الله العزَّ وقهر عنهم النعمة . فقال له صالح بن على :
- ٢٠ .

يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن مروان لما دخل أرض التوبة هاربا فيمن معه سال ملك التوبة عنهم فأخبر فركب إلى عبد الله فكله بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده ، فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتها في هذه الليلة ويسأله عن ذلك . فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال : يا أمير المؤمنين قدمت أرض التوبة بأثاث سليم لي فاقترشته بها وأقت ثلاثا ، فأتاني ملك التوبة وقد خُبر أمرنا ، فدخل على رجل طوال أفتى حسن الوجه فقعده على الأرض ولم يقرب الثياب ، قلت : ما يمتك أن تهمد على ثيابنا ؟ قال : لأني ملك ، وحق على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفضه . ثم قال لي : لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم ؟ قلت : أجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا لأنك الملك زال عنا . قال : فلم تطأون الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم ؟ قلت : يفعل ذلك جهالنا . قال : فلم تلبسون البساج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرم عليكم ؟ قلت : ذهب الملك منا وقُل أنصارنا فاتصرونا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . قال : فاطرق مليا وجعل يقلب يديه وينكت في الأرض [ويقول :^(١) عبيدنا وأتباعنا دخلوا في ديننا وزال الملك عنا ! يردده مرارا] ثم قال : ليس ذلك كما ذكرت بل أتم قوم استحلتم ما حرم عليكم وركبتم ما عنه نهيتم ، وظلمتم فيما ملكتم فسلبك الله العز وألبسكم اللئل بذنوبكم ، وفيه فيكم نعمة لم تبلغ غايته وأخاف أن يحل بكم العذاب وأتم بيلدي فيصيبني معكم ، وإنما الضيافة ثلاثة أيام فتزودوا ما أحجتكم إليه وأرتحلوا عن بلدي ، ففعلت ذلك .

ولما أفتح المنصور الشام وقتل مروان قال لأبي عون ومن معه من أهل خراسان : إن لي في بقية آل مروان تديرا فتأهبوا يوم كذا وكذا في أجل عدة ، ثم

(١) في الفتوغرافية « عيادته » . (٢) في الفتوغرافية بدل هذه الجملة « وينكت في الأرض ويردد كلامي ثم قال الخ » . (٣) ظاهر هذا أن القصة وقعت مع المنصور ولكن آثار الحكاية وبؤيده ما في الكلام البرد أنها وقعت مع عبد الله بن علي وقد كان أميراً على الشام من قبل المنصور .

بعث إلى آل مروان في ذلك اليوم بجمعوا وأعلمهم أنه يفرض لهم في العطاء، فخصر منهم ثمانون رجلا فصاروا إلى أبيه ومعهم رجل من كلب قد ولّهم ثم أذن لهم فدخلوا، فقال الآذن للكلبي: من أنت؟ قال: من كلب وقد ولّتهم. قال: فانصرف ودع القوم. فإني أن يفعل وقال: إني خالهم ومنهم. فلما استقر بهم المجلس خرج رسول المنصور وقال بأعلى صوته: أين حمزة بن عبد المطلب؟ ليدخل، فابقن القوم بالهلكة، ثم خرج الثانية فتأدى: أين الحسن بن علي؟ ليدخل، ثم خرج الثالثة فتأدى: أين زيد بن علي بن الحسين؟ ثم خرج الرابعة فقال: أين يحيى بن زيد؟ ثم قيل: ائذنوا لهم. فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد^(٣) وكان له صديقا فأوما إليه: أن ارفع. فأجلسه معه على طعسته وقال للباقيين: اجلسوا. وأهل خراسان قيام بأيديهم

- ١٠ العمد فقال: أين البديّ الشاعر؟ فقام وأخذ في قصيدته التي يقول فيها
أما الدّعة إلى الجفان فهاشم * وبنو أميّة من دعاة النار

فلما أُنشد أبياتا منها قال الغمر: يابن الزانية. فانقطع العبدى وأطرق عبد الله ساعة ثم قال: امض في تشيدك. فلما فرغ رمى إليه بصرّة فيها ثلاثمائة دينار، ثم تمثّل بقول الفاعل

- ١٥ ولقد ساءنى وساء سوائى * قريهم من منابر وكراى^(٤)
أزولوها بحيث أنزلها الله به بدار الهوان والإعتاس
[لا تحيلن عبد شمس عتارا * وأقطعوا كل نخلة وغراس^(٥)]
واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقبلا بجانب المهراس

(١) ربّاهم. (٢) في القتوغرافية «الحسين» ولكنه يحيى بن زيد بن علي بن الحسين.

(٣) في القتوغرافية «هشام» ولكنه النضر بن زيد بن عبد الملك بن مروان.

(٤) كذا بالنسخة الألمانية، وفي القتوغرافية «نمارق» ولعله في الكامل للبرد.

(٥) زيادة في النسخة الألمانية. (٦) كذا بالأصل، وفي الكامل للبرد «كل رقعة وأراسى» وقال:

الرقعة النخلة العريضة والأراسى جمع آسية وهى أصل البناء بمنزلة الأساس.

ثم قال لأهل نخراسان : دهيد^(١) . فشدخوا بالعمد حتى سالت أدمتهم وقام الكلبي فقال : أيها الأمير : أنا رجل من كلب لست منهم . فقال
ومُدْخِلَ رَأْسِهِ لَمْ يَذْنِهِ أَحَدٌ * بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ حَتَّى لَزَهُ الْقَرْنُ

ثم قال : دهيد . فشدخ الكلبي معهم ثم التفت إلى النمر فقال : لا خير لك في الحياة
بدمهم . قال : أجل ، فقتل ثم دعا بيرانع فألقاها عليهم وبسط عليها الأنطاع ودعا
بغداثة فأكل فوقعهم وإن أتين بعضهم لم يهدأ ، حتى فرغ ثم قال : ما تهتأت بطعام
منذ عقلت مقتل الحسين إلا يومى هذا . وقام فامرهم بفرجوا بأرجلهم وأغم أهل
نخراسان أموالهم ثم صلبوا في بستانه . وكان يأكل يوما فامر بفتح باب من الزوايا
إلى البستان فإذا رائحة الجيف تملأ الأنوف ، فقيل له : لو أمرت أيها الأمير برد هذا
الباب ! فقال : والله لأرغمها أحب إلى وأطيب من رائحة المسك . ثم قال

حسبت أمة أن سترضى هاشم * عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلا ورب محمد وإلهه * حتى تُباح سهولها وحزونها
وتنزل دُلَّ حليمة لخليها * بالمشرق وتُسترد ديونها

وأقوى المهدي^(٢) برجل من بنى أمة كان يطلبه فتمثل بقول سديف شاعرهم
جرّد السيف وأرفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويًا
لا يضرك ما ترى اليوم منهم * إن تحت الضلوع داء دويًا
فقال الأموي : لكن شاعرنا يقول

شمس العداوة حتى يُستقاد لهم * وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا

فقال المهدي^(٣) : قال شاعركم ما يشبهكم وقال شاعرنا ما يشبهنا . ثم أمر به فقتل .

وقال رجل: كنا جلوسا مع عمرو بن عبيد في المسجد، فأماه رجل بكاتب المنصور على لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعو إلى نفسه، فقرأه ثم وضعه فقال الرسول: الجواب. فقال: ليس له جواب، قل لصاحبك: دعنا نجلس في هذا الظل ونشرب من هذا الماء البارد حتى تأتينا آجالنا في عافية.

- وكان عمرو بن عبيد إذا رأى المنصور يطوف حول الكعبة في قُرطين يقول: إن يُريد الله بأمة محمد خيرا يُولِّ أمرها هذا الشاب من بني هاشم. وكان له صديقا فلما دخل عليه بعد الخلافة وكلمه وأراد الانصراف، قال: يا أبا عثمان سَل حاجتك. قال: حاجتي ألا تبعث إلى حتى آتيك ولا تعطيني حتى أسألك. ثم نهض فقال المنصور
- كَلِّمْ مَائِي رُوَيْدٌ • كَلِّمْ خَاتِلَ صَبِيْدٍ
- ١٠ • خَيْرَ عَمْرُو بْنِ عُيَيْدٍ •

فلما مات عمرو رثاه المنصور فقال

- صَلَّى الْإِلَهَ عَلَيْكَ مِنْ مَتَوَسِّدٍ • قَبْرًا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى مَرَّانٍ
قَبْرًا تَضْمَنَ مَوْثًا مَتَحَنَّنًا • صَدَّقَ الْإِلَهَ وَدَانَ بِالْقُرْآنِ
وَإِذَا الرِّجَالُ تَنَازَعُوا فِي سَنَةٍ • فَصَلَّ الْحَدِيثَ بِحِكْمَةٍ وَبَيَانٍ
١٥ فَلَوْ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ أَتَيْتُ صَالِحًا • أَتَيْتُ لَنَا حَيًّا أَبَا عُثْمَانَ

- قال الوضاح بن حبيب: كنا إذا خرجنا — يعني أصحابه — من عند المنصور صرنا إلى المهدي وهو يومئذ ولي عهده ففعلنا ذلك يوما فابرز إلى يده، ولم يكن ذلك من عادته، فأكببت عليها فقبلتها وضرب بيدي إلى يده، ثم علمت أنه لم يفعل ذلك إلا لشيء في يده، فوضع في يدي كتابا صغيرا تستره الكف، فلما خرجت فتحتة فإذا فيه: يا وضاح، إذا قرأت كتابي فاستأذنني إلى ضياعك بالري، فرجعت فقلت للربيع: ٢٠ استأذنني. فدخل فاستأذن، فأذن لي، فدخلت فقلت: يا أمير المؤمنين، ضياعي بالري

قد اختلّت وبني حاجة الى مطالعتها فقال : لا ، ولا كرامة ، فخرجت . ثم عدت اليه اليوم الثاني والقوم معي فدخلنا فاستأذنته ، فردّ الى مثل الجواب الأول . فقلت : يا أمير المؤمنين ما أريد إصلاحها إلا لأهوى بها على خدمتك . فسرّى عنه ، ثم قال : اذا شدت فودّع . فقلت يا أمير المؤمنين : ولي حاجة أذكرها . قال : قل . قلت : أحتاج الى خلوة . فنهض القوم وبقي الربيع قلت : أخلي . قال : ومن الربيع وبينكما ما بينكما ! قلت : نعم . فتعجّ الربيع ، فقال : قد خلوت قل إن جدت لي بلاك ودمك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، وهل أنا وما لي إلا من نعمتك ، حققت دمي ودم أبي ورددت عليّ مالي وآثرتي بصحبتك . قال : إنه يحس في نفسي أن جهورا على خلع وليس له غيرك لما أعرفه بينكما ، فاطهر إذا صرت اليه الواقعة في والتقص لي حتى تصرف ما عنده ، وإن رأيتهم يخلع فاكتب الي ، ولا تكتبني على يد بريد ولا مع رسول ولا فوتي خبرك في كل يوم فقد نصبت لك فلانا القطان في دار القطن فهو يوصل كتبك في كل يوم الي . قال : فضيت حتى أتيت الري فدخلت على جمهور فقال : أفلت ؟ فقلت : نعم والحمد لله . ثم أقبلت أؤاخره بالواقعة فيه حتى أظهر ما ظن به المنصور فكتبت الي بذلك .

دخل عبد الله بن الحسن الطالبيّ على المنصور وعنده إسحاق بن مسلم المقيّل ١٥ وعبد الملك بن حميد الشامي الكاتب ، فتكلم عبد الله بكلام أعجب إسحاق فمّم ذلك المنصور ، فلما نرج عبد الله قال : يا غلام رده . فلما رجع قال : يا أبا محمد إن إسحاق بن مسلم حدثني أن رجلا هلك بدمشق وترك ناضا كثيرا وأرضا وريقا وزعم أنه مولاكم وأشهد على ذلك . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ذلك مولانا قد كنت أعرفه وأكتبه . فقال المنصور : يا إسحاق ، أعجبك كلامه فأجبت أن تعرفه . ٢٠

(١) في النسخة الألمانية : «جومر» وهو تحريف إذ هو جمهور بن مرار الصبل أحد قواد المنصور.

أبو الحسين المدائني قال : لما بنى أبو العباس المدينة بالأخبار قال لعبد الله ابن الحسن : يا أبا محمد كيف ترى؟ فمحل عبد الله فقال

ألم تر حوثبا أمسى يئس * قصورا نعمها لئى بقتلة

يؤمل أن يعمّر عمر نوح * وأمر الله يحدث كل ليلة

- ثم أنتبه فقال : أفتلى [أفالك الله] ^(١) . قال : لا أفتلى الله إن بت في عسكى ، فأخرجه إلى المدينة . [حُثَّ بن المغيرة قال : جئتُ وأبوذر أخذُ بحلقة باب الكعبة وهو يقول : أنا أبوذر الغفاري ، من لم يعرفني فانا جُنْدَبُ صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَّى»] .

- ١٠ حدثنا خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا شَبَابَةُ بن سَوَّار عن يحيى بن إسماعيل ابن سالم عن الشعبي قال ، قيل لابن عمر : إن الحسين قد توجه إلى العراق ، فلحقه على ثلاث ليال من المدينة وكان عند خروج الحسين غائبا في مال له فقال : أين تريد؟ قال : العراق . وأخرج إليه كتابا وطوأمير قال : هذه كتبهم وبيعتم . فناشده الله أن يرجع فأبى فقال : أما إني سأحدثك حديثا : إن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بين الدنيا والآخرة فأختار الآخرة ، وإنكم يضعونه من النبي صلى الله عليه وسلم ، والله لا تلبها أنت ولا أحد من أهل بيتك وما صرفها الله عنكم إلا لما هو خير لكم فأرجع . فأبى فأعتقه وبكى وقال : أستودعك الله من قتيل .

حدثني القاسم بن الحسن عن علي بن محمد عن مسلمة بن محارب عن السَّكَن قال :

كتب الحسين بن علي رضي الله عنهما إلى الأخنف يدعوهم إلى نفسه فلم يرده الجواب

وقال : قد جربنا آل أبي الحسن فلم نجد عندهم إلاَّ لَئْلَ لَئْلَ ولا جمعا لئال ولا مكيدة

في الحرب . وقال الشعبي : ما لقينا من آل أبي طالب ؟ إن أحببناهم قتلونا ، وإن أبغضناهم أدخلونا النار .

ولما قتل مُصعب بن الزبير خرجت سُكينة بنت الحسين تريد المدينة فأطاف بها أهل الكوفة فقالوا : أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله . فقالت : والله لقد قتلتهم جدى وأبى وعمى وزوجى مُصعباً ، أَيْتَمُونِى صغيرة وأرملتُمنى كبيرة فلا عافاكم الله من أهل بلد ولا أحسن عليكم الخلافة . وقال بعض الشعراء

إِنَّكَ حَسِينًا لِيَوْمِ مَصْرَعِهِ * بِالطَّافِ بَيْنَ الْكَائِبِ الْخُرُسِ
أَخْضَتْ بَنَاتُ النَّبِيِّ إِذْ قُتِلُوا * فِي مَاتَمٍ وَالسَّبَاعِ فِي عُرْسِ

روى يَسَّانُ^(١) بن حَكِيم عن أبيه قال : اتَّهَبَ النَّاسُ وَرَمَا فِي عَسْكَرِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ يَوْمَ قُتِلَ فَمَا تَطْلَيْتُ مِنْهُ أَمْرًا إِلَّا بَرَصَتْ . ولما قتل حسين قالت بنت لعقيل بن أبي طالب

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ * مَاذَا فَعَلْتُمْ وَأَنْتُمْ أَفْضَلُ الْأُمَمِ
بَسْتَقْنِي وَبِأَهْلِي بَعْدَ مَظْلَقِي * مِنْهُمْ أَسَارَى وَقَتْلَى ضُرَجُوا بِدَمِ
[مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي أَنْ نَصَحْتُ لَكُمْ * أَنْ تَحْتَفِلُونِي بِقَتْلِ ذِي رَحْمِي]

لما سمعها أحد إلا بكى .

[دخل زيد بن عليّ على هشام فقال : ما فعل أخوك البقرة ؟ قال زيد : سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باقرا وتسميه بقرة ! لقد اختلفنا .

أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يا جابر إنك ستعمر بعدى حتى يولد لى مولود اسمه كَأَسْمَى يَبْقُرُ الْعِلْمَ بَقْرًا فَإِذَا لَقِيْتَهُ فَأَقْرِمْهُ مِنْ السَّلَامِ » فكان جابر يتردد في سكك المدينة بعد ذهاب بصره وهو ينادى : يا باقر ، حتى قال

(١) كذا بالألمانية في القصة جغرافية «سيارين الحكم» . (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

الناس : قد جئنا جابر . فبينما هو ذات يوم بالبلّاط اذ بصّر بجارية يتوزّكها صبي فقال لها : يا جارية ، من هذا الصبي ؟ قالت : هذا محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب . فقال : أذنيه مني فأدنته منه فقبل بين عينيه وقال : يا حبيبي ، رسول الله يقرئك السلام . ثم قال : نُصِيتَ الىّ قميصي وربّ الكعبة . ثم انصرف الى منزله وأوصى فئات من ليلته .

[قال هشام بلغني ^(١) أنك ترهبُ نفسك للخلافة وتطمع فيها وأنت ابن أمة . قال له زيد : مهلا يا هشام فلو أن الله علم في أولاد المرأى قصصا عن بلوغ غاية ما أعطى إسماعيل ما أعطاه . ثم خرج زيد وبعث اليه بهذه الأبيات]

- مهلا بنى عمنا عن نحت أثنتنا * سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا
لا تجمعوا أن تُبينونا وتكرّمكم * وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
فالله يعلم أنا لا نحبكم * ولا نلومكم ألا تحبونا
- [ثم إن زيدا أعطى الله عهدا ألا يلقي هشاما إلا في كتيبة بيضاء أو حمراء فدخل الكوفة فطعن بها السيوف وكان من أمره ما كان حتى قتل رحمه الله] .

ذكر الأمصار

- قالت الحكماء : المداين لا تبنى إلا على ثلاثة أشياء : على الماء والكلاء والمحتطب .
- قال ابن شهاب : من قدم أرضا فآخذ من ترابها فجعله في مائها ثم شربه عُوفى من وبائها . وقال معاوية لقوم قدموا عليه : كلوا من نخأ ^(٢) أرضنا فقلما أكل قوم من نخأ أرض فضرمهم مأوها .

(١) هكذا في الأصل ، وفي الجملة حذف ، ولعل أصل الكلام : قال هشام لزيد بن علي ، كما يدل عليه باقي القصة ورواية البغد الفريد ، وقد وردت القصة كاملة هكذا في النسخة الألمانية ، وانصرفت في الفتحرافية على قوله « كتب زيد بن علي بن الحسين الى هشام بن عبد الملك » ثم ساق الأبيات .

(٢) القضا : توابل القندور كالقلقل والكون ونحوهما : لسان العرب .

حدثني الرياشي قال حدثني الأصمعي قال قال معاوية: أغبط الناس عندي سعد مولاى، وكان على أمواله بالجهاز، يترج جُدة ويتقيظ الطائف ويتشقى مكة .

حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن : الخطر والكُنْدر والعَصَب والوَرَس .

• حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : اليهود لا تأكل من بقل سُورَى ويقول : هى مَبْيُض الطوفان . قال وقال الأصمعي عن معمر^(١) قال : سبَّح محفوظات وسبَّح ملعونات ، فمن المحفوظات تَجْران ومن الملعونات أَثَافُ [وَرْدَعَة] . وَأَثَافُ^(٢) باليمن . وقتت باليمن على قرية فقلت لامرأة : ما تسمى هذه القرية ؟ فقالت ويحك ! أما سمعت قول الشاعر

أحب أَثَافَتَ عِنْدِ الطَّاف * وعند عَصَاة أعناها ١٠

[قال الأصمعي : سواد البصرة الأهواز ودُسْمَيْسَانَ وفارس ، وسواد الكوفة كَسَكِر^(٣) الى القرب الى عمل حُلُوان الى القادسية ، وعمل العراق حيث الى الصين والسند والهند ثم كذلك الى الرى وتُرَاسان الى الديلم والجبال كلها ، وأصبهان صرة العراق انتنحتها أبو موسى الأشعري ، والجزيرة ما بين دَجَلَة والفرات ، والموصل من الجزيرة ، ومكة من المدينة ومصر لا تدخل في عمل العراق] . ١٥

حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : أول قرية بنيت بعد الطوفان قرية بقرْدَى تسمى سوق ثمانين ، كانت نوح لما خرج من السفينة ابتناها وجعل فيها لكل رجل آمن معه بيتا وكانوا ثمانين فهى اليوم تسمى (١) فى النسبة الألمانية «مئير» وهو تحريف إذ هو أبو عيدة معمر بن الحنفى القزوى النحرى وقد كان ماصرا للأصمعي . (٢) زيادة فى النسبة الألمانية . (٣) ٢٠

(٢) كذا فى الأصل وهى محرفة عن «الزباب» كما فى باقوت .

سوق ثمانين . قال : وحران سميت بهارآن بن آزرد أخى إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبو لوط .

- (١) [قال النبي صلى الله عليه وسلم لبريدة : « يا بريدة إنه سيُبعث بعدى بئوت فإذا بُسِئت فكن في أهل بعت المشرق ثم في بعت خراسان ثم في بعت أرض يقال لها : مرو ، فإذا أتيتها فاتزل مدينتها فانه بناها ذوالقرنين وصلى فيها ، غزيرة أنهارها تجري بالبركة ، في كل قصب منها ملك شاهر سيفه يدفع عنها السوء الى يوم القيامة » فقدها بريدة فأت بها] .

- حدثني أحمد بن الحليل قال حدثني الأصمعي قال أخبرني الثوري بن هلال الحبطي عن قتادة عن أبي جعدة (٢) قال : الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ فلك السودان اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك فارس ثلاثة آلاف فرسخ ١٠ وأرض العرب ألف فرسخ .

- (١) [وقال أبو صالح كاعند ابن عباس فأقبل رجل بجلوس ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل خراسان ، قال : من أي خراسان ؟ قال : من هراة . قال : من أي هراة ؟ قال : من بوشنج . ثم قال : ما فعل مسجدنا ؟ قال : عامر يصل فيه . قال : ابن عباس كان لآبراهيم مسجدان : المسجد الحرام ومسجد بوشنج . ثم قال : ١٥ ما فعلت الشجرة التي عند المسجد ؟ قال : يحالها . قال : أخبرني العباس أنه قال في ظلها] .

(١) زيادة في النسبة الألمانية . (٢) في الأصل « يزيد » وهو تحريف .

(٣) كذا بالألمانية ، وفي النسبة الفونوغرافية « أبي الجدة » ولم تفرق كتب التراجم حل من تكتب بهذه الكنية ، على أن من شيوخ قتادة « أبا بريدة بن أبي موسى » فله محرف عنه .

حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون الخزازي عن عوف بن أبي جميلة عن الحسن البصري قال : لما قدم على رضى الله عنه البصرة ارتقى على منبرها حمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل البصرة ، يا بقايا نمود ويا جند المراقوا^(١) أتباع البهيمة ، رغا فاتبعتم وعقر فأنهزتم . أما إنى لا أقول رغبة فيكم ولا رهبة منكم ، غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تُفْتَحُ أَرْضُ بَقَالِهَا البصرة أَقْوَمُ الْأَرْضِينَ قَبْلَهُ ، قَارَتْهَا أَقْرَأُ النَّاسِ ، وَعَابَدَهَا أَعْبَدُ النَّاسِ ، وَعَالَمُهَا أَعْلَمُ النَّاسِ ، وَمُتَصَدِّقُهَا أَعْظَمُ النَّاسِ صَدَقَةً ، وَتَاجِرُهَا أَعْظَمُ النَّاسِ تِجَارَةً . مِنْهَا إِلَى قَرْيَةٍ يَقَالُ لَهَا الْأُبْلَةُ أَرْبَعَةٌ فَرَامِخٌ . يُسْتَشْهَدُ عِنْدَ مَسْجِدِ جَامِعِهَا أَرْبَعُونَ أَلْفًا ، الشَّهِيدُ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ كَالشَّهِيدِ مِثْلِي يَوْمَ يَدْرُ » .

حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا أبو سامة قال أخبرني أبو المهزم عن أبي هريرة قال : مُثِّلَتِ الدُّنْيَا عَلَى مِثَالِ طَائِرٍ ، فَالْبَصْرَةُ وَمِصْرُ الْجَنَاحَانِ فَذَا تَحَرَّبَا وَقَعَ الْأَمْرُ . وحدثني أيضا عن هارون بن معروف عن صفرة عن ابن شاذب عن خالد بن ميمون قال : البصرة أشد الأرض عذابا وشرها ترابا وأسرعها خرابا . قال وقال ابن شاذب عن يزيد الرشد : قست البصرة في ولاية خالد بن عبد الله القسري فوجدت طولها فرسخين غير دائق .

وقال محمد بن سلام عن شعيب بن تحفجر : تذاكروا عند زياد البصرة والكوفة فقال زياد : لو ضلَّتِ البصرة لجلست الكوفة لمن دلَّني عليها . قال [محمد بن سيرين] كان الرجل يقول : غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المخنف ، عزله عن البصرة

(١) كذا بالنسخة الألمانية ، وفي الفهرست « يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون المرقى » ولم نثر في كتب التراجم على هذين الاسمين ولعل صواب العبارة « حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون المرقى » إذا الامتنان وميوذان صا في كتب التراجم . (٢) يعني بها عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وبالبصرة الجبل الذي ركبته ، وبه سمي هذا اليوم وهو معروف مشهور . (٣) كذا بالألمانية ، وفي الفهرست « الزشت » وكلاما محرف عن الرثك بكسر فسكون وهو لقب يزيد بن أبي يزيد العبسي .

وَأَسْتَمِعْهُ عَلَى الْكَوْفَةِ . [وَقَالَ عَلَى حِينِ دَخَلَ الْبَصْرَةَ : يَا أَتْبَاعَ الْبَيْمَةِ وَيَا جُنْدَ الْمَرَاةِ رَغَا فَاذْجِبْتُمْ وَعُفِّرَ فَاثْنَزِمْتُمْ، دِينَكُمْ نَفَاقٌ وَأَخْلَاقُكُمْ رِقَاقٌ وَمَاؤُكُمْ زُفَاقٌ، يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَالْبُصَيْرَةِ [وَالسَّيِّئَةِ وَالْخَرَبِيَّةِ، أَرْضُكُمْ أَبْعَدُ الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ الْمَاءِ وَأَسْرَعُهَا خَرَابًا وَغُرَقًا .

- مَرْحُوبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بِمَوْضِعِ الْمَرْبِدِ فَوُجِدَ فِيهَا الْكَذَّانُ الْفَلِيطُ فَقَالَ : هَذِهِ الْبَصْرَةُ فَانْزِلُوا بِسْمِ اللَّهِ . وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ : اخْطَطَّ النَّاسُ الْبَصْرَةَ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةٍ .

- نَفَرْنَا مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ لَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : أَلَا تَكَلِّمُ يَا خَالِدُ؟ قَالَ : أَخْوَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلُهُ . قَالَ : فَاتَمَّ أَعْمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَصَصْبَتُهُ . قَالَ خَالِدٌ : مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ لِقَوْمٍ بَيْنَ تَامِجٍ بُرْدٍ وَدَاخِجٍ جِلْدٍ وَسَائِسٍ قَرْدٍ ، ذَلِكَ عَلَيْهِمْ هَدْمُهُ وَغُرْقُهُمْ فَارَةً وَمَلِكُهُمْ امْرَأَةً .

[سَأَلَ خَالِدٌ عَنِ الْكَوْفَةِ فَقَالَ : نَحْنُ مَنَابِتُنَا قَصَبٌ، وَأَنَارَاتُنَا عَجَبٌ، وَثَمَارَاتُنَا رُطْبٌ، وَأَرْضُنَا ذَهَبٌ . قَالَ الْأَخْنَفُ : نَحْنُ أَبْعَدُ مِنْكُمْ سَرِيَّةً وَأَعْظَمُ مِنْكُمْ بَحْرِيَّةً وَأَعْزَى مِنْكُمْ بَرِّيَّةً . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْهَذَلِيُّ : نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْكُمْ سَاجَا وَعَاجَا وَدِيَابِجَا وَنَحْرَاجَا وَنَهْرًا عَجْجَاجًا] .

وَقَالَ الْخَلِيلُ فِي ظَهْرِ الْبَصْرَةِ يَمَّا يَلِي قَصْرَ أَوْسٍ مِنَ الْبَصْرَةِ

- زُرُّ وَادِي الْقَصْرِ نَمِ الْقَصْرِ وَالْوَادِي * لَا يَدُ مِنْ زُرُّورَةٍ عَرَبٍ غَيْرِ مِعَادٍ
تُرْقَا بِهِ السُّفُنُ وَالطَّلَامُنُ وَاقْفَةٌ * وَالصَّبُّ وَالتَّوْنُ وَالْمَلَّاحُ وَالْحَادِي
وَقَالَ أَبْنُ أَبِي عَيْنَةَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ

يَا جِنَّةً فَاتَتْ الْجَنَانَ فَا * تَبْلُغُنَا قِيَمَةً وَلَا تَمُتُ
أَلْقَيْنَا فَاتَحْنُهَا وَطَنًا * إِنْ قَوَادِي لِحُبِّهَا وَطَنُ

- ٢٠ (١) زِيَادَةُ فِي النُّسخَةِ الْأَسْنَاءِ . (٢) فِي الْبَيَانِ وَالتَّيْبِينَ «وَأَعْظَمُ مِنْكُمْ بَحْرِيَّةً» .
(٣) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي تَجَانِبِ الْبَيَانِ لِمَحَاطِ أَغْنَى بِالْبَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَهُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ بِقَالَ عَذَا
الْبَدِ مَسْدُ : طَالِبُ هَوَاؤِهِ . (٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ ، وَفِي الْأَخْفَى : فَاتَتْ .

زَوْجَ حَيْثَانِهَا الصَّبَابِ بِهَا * فَهَذِهِ كَنْتُهُ وَذَا حَتَنُ

فَانْظُرْ وَفَكَّرْ فَمَا تُطِيفُ بِهِ * ^(١) إِنْ الْأَرِيبَ الْمُفَكَّرَ الْفِطْنُ

مِنْ سَفْنِي كَالْتَعَامِ مَقْبَلَةً * وَمَنْ تَعَامَ كَانَتْهَا سَفْنُ

أَنْشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ كَلَّاسَةَ فِي ظَهْرِ الْكُوفَةِ

وَإِنْ بِهَا لَوْ تَعْلَمِينَ أَصَابِلًا * وَلَيْلًا رَقِيقًا مِثْلَ حَاشِيَةِ الْبُرْدِ

بلغني عن إبراهيم بن مهدي عن إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم التيمي
قال: لما أمرت الأرض أن تنقيض غاضت إلا أرض الكوفة فطُنت، فجمع الأرض
تُكْرَبُ على ثورين وأرض الكوفة تُكْرَبُ على أربعة ثيران . وكان يقال: إذا كان علم
الرجل حجازيا ومخاطؤه كوفيا وطاعته شامية فقد كل .

١٠ [لَمَّا اجْتَوَى الْمُسْلِمُونَ الْمَدَائِنَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا وَأَذَاهُمُ الْغُبَارَ وَالذَّبَابَ ، كَتَبَ عُمَرُ
أَلَى سَعْدٍ فِي بَعْثَةِ رِوَادٍ يَرْتَادُونَ مِثْلَ بَرِّيَّةٍ فَإِنَّ الْعَرَبَ لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا مَا يَصْلَحُ الْإِبِلَ
وَالشَّاءَ . فَسَأَلَ مَنْ قَبْلَهُ عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ فَيَا إِلَيْهِمْ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ مَنْ رَأَى الْعِرَاقَ مِنْ
وَجْهِ الْعَرَبِ بِاللِّسَانِ . وَظَهَرَ الْكُوفَةُ يُقَالُ لَهُ اللِّسَانُ ، وَهُوَ فَيَا يَنْفُ النَّهْرَيْنِ إِلَى
عَيْنِ بَنِي الْحَدَّاءِ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ : أَدْلَعَ الْبَرُّ لِسَانَهُ فِي الرَّيْفِ ، فَمَا كَانَ عَلَى الْفِرَاتِ
١٥ مِنْهُ فَهُوَ الْمُنْطَاطُ وَمَا كَانَ عَلَى الظَّهْرِ مِنْهُ فَهُوَ النَّجَافُ ، فَكَتَبَ إِلَى سَعْدٍ بِأَمْرِهِ بِهِ] .

وقال النابغة الجعدي يمدح الشام

جَاعِلِينَ الشَّامَ حَمًّا لَمْ ^(٢) * وَلَقَدْ هَمُّوا لَنِمِ الْمُتَقَلِّ

مَوْتُهُ أَجْرَ وَجْهِهِ غَنَى * وَإِلَيْهِ عَنِ أَذَاهِ مَعْتَرَلِ

(١) كذا بالأصل وهو محرف عن «ضقت به» كما في الأغاني - (٢) زيادة في النسخة الألمانية .

(٣) في سبعم ياقوت في الكلام على اللسان «وما كان على البطن منه فهو النجاف» .

(٤) يقال حمَّه أي قصد قصده .

وقال أيضا

ولكن قوى أصبحوا مثل خير * بها دأوها ولا تضر الأعداء
قال الأحممى : لم يولد بقدر ختم مولود فاض الى أن يحتمل إلا أن يتحول
عنها . قال : وحرّة ليلي ربما مر بها الطائر فيسقط ريشه . قال عمرو بن بحر : يزعمون
أن من دخل أرض بُت لم يزل ضاحكا مسرورا من غير عجب حتى يخرج منها ،
ومن أقام بالموصل علما ثم تفقد قوته وجد فيها فضلا ، ومن أقام بالأهواز حولا
تفقد عقله وجد نقصان فيه بيتا . والناس يقولون : حمى خير وطحال البحرين
ودمايل الجزيرة وطواحين الشام .

- قالوا : من أطال الصوم بالمصيبة في الصيف خيف عليه الجنون . وأما قصبة
الأهواز فقلب كل من يتردها من الأشراف الى طبائع أهلها ، ووباؤها وحماها يكون
في وقت انكسار الوباء وزرع الحمى عن جميع البلدان ، وكل محوم فان حماء إذا أفلت
عنه فقد أخذ عند نفسه منها البراءة الى أن يسود الى التخليط وإلى أن يجتمع في جوفه
الفساد الا محوم الأهواز فإنها تماود من فارقه لغير علة حدثت ، ولذلك جمعت سوق
الأهواز الأفاعى في جبلها المطل عليها والجزارات في بيوتها ومن ورائها سبخ ومنافع
مياه غليظة وفيها أنهار تشقها مسایل كُنْغهم ومياه أمطارهم فإذا طلعت الشمس ومطال
مقامها واستمرت مقابلتها لذلك الجبل قبل الصخرية التي فيها الجارات ، فإذا امتلات
يسا وحرا وطدت جرة واحدة قذفت ما قبلت من ذلك عليهم وقد بخرت تلك السبخ
وتلك الأشجار ، فإذا التقي عليهم ما بخرت به السبخ وما قذفه ذلك الجبل فسد الهواء

(١) الحرارة بكناية : عقرب قتالة تخرج منها إذا مشت لا ترفع كما تفعل سائر العقارب .

(٢) في الأصل « طالت مساكنها بذلك الجبل » والتصويب عن معجم ياقوت .

(٣) هكذا في الأصل . وفي معجم البلدان « قيل تسبب الصخرية التي فيها تلك الجارات الخ » ولعل
صواب العبارة « قبلت بسبب الصخرية التي فيها تلك الجارات فإذا امتلات الخ » .

وفسد بفساد الهواء كل ما يشتمل عليه الهواء . وقال إبراهيم بن العباس الكاتب : حدثني مشايخ أهل الأهواز عن القوابل أنهم ربما قُيِّلَ الطفل فيجده في تلك الساعة محمواً [يعرفن ذلك ويتحدثن به] . قال : ومن قدم من شقَّ العراق إلى بلد الرِّجج لم يزل حزينا ما أقام بها فإن أكثر من شرب نبيذها وأكل النَّارِجِيل طمس النُّجَارُ على عقله حتى لا يكون بينه وبين المعتوه إلا شيء يسير . قال : وفي عهد يحيى بن علي العرب حين افتتحوها : آلا يقتلوا قنفذا ولا يصيدوه . لأنها بلاد أفاع والقنافذ تأكلها ولولا ذلك ما كان لهم بها قرار .

وقال ابن عباس لأبي بكر المَدَنِي يوم فائزته عند أبي العباس : إنما مثل الكوفة مثل الآلهة من البدن يأتيها الماء يبرده وعذوبته، والبصرة بمنزلة المائدة يأتيها الماء بعد تغيبه وفساده .

وقال محمد بن حمير بن عطار : إن الكوفة قد سَفَلَتْ عن الشام ووبائها وارتفعت عن البصرة وعمقها فهي حَرِيثة مَرِيثة عَدِيَّة تَرِيَّة ، إذا أنثا الشَّمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رَضْرَاض الكافور، وإذا هبت الجنوب جاءت بريح السَّواد وورده وباسمينه وأترجته، وماؤنا عذب وعيشنا خصب . وقال المجاج : الكوفة بكر حسناء والبصرة نجوز بجوار أوتيت من كل حَلَى وزينة .

اجتمع أهل العراق ليلة في سمر يزيد بن عمر بن هبيرة، فقال يزيد : أي البلدين أطيب ثمرة : الكوفة أم البصرة ؟ فقال خالد بن صفوان : بل ثمرتا أيها الأمير منها الأَزَادُ والمَقِيلُ وكذا وكذا . فقال عبد الرحمن بن بشير السَّجَلِي : لست أشك أيها الأمير أنك قد اخترت لأمر المؤمنين ما يبعثون به اليه . قال : أجل ، قال : قد رضينا باختيارك لنا وعلينا . قال : فأى الرُّطب يحملون اليه ؟ قال : المُشَان . قال : ليس بالبصرة منه واحدة . ثم أية ؟ قال : السَّارِي . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال خالد بن (١) كذا بالأصول، وفي سيم البلدان : «وجها» .

صفوان : بلى عندنا بالبصرة منه شيء يسير . قال : فأى الترمحلون إليه ؟ قال :
الترسيان . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال . ثم أية ؟ قال : الهيرون آزاد .
قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال : فأى القسب تحملون إليه ؟ قال : قسب
العبر . قال : ولا بالبصرة منه واحدة . قال ابن هبيرة لخالد : ادعى عليك خمسا
فشاركته في واحدة وسلمت له أربعا ، ما أراه إلا قد غلبك .

دخل فتي من أهل المدينة البصرة ثم انصرف ، فقال له أصحابه : كيف رأيت
البصرة ؟ قال : خير بلاد الله للجائع والعزب والمفلس : أما الجائع فيأكل خبز الأرز
والصمغ^(١) لا ينفق في الشهر درهمين ، وأما العزب فيتزوج بشق درهم ، وأما المحتاج
فلا عيلة عليه ما بقيت عليه أسرته يخرأ ويبيع .

١٠ أبو الحسن المدائني قال قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية :
أما واقع لو كنا بمكة على السواء لعلمت . قال معاوية : إننا كنت أكون ابن
أبي سفيان متزى الأبطح ينشق عنه سيله ، وكنت ابن خالد متزك أجياد أعلاه مدرّة
وأسفله عذرة .

رأى رجل من قريش رجلا له هيئة رثة ، فسأل عنه فقالوا : من بنى تغلب .
فوقف له وهو يطوف بالبيت ، فقال له : أرى ريبين قلما وطئنا البطحاء . قال له
التغلي : البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة وهي لى دونك ، وبطحاء ذى قار
وأنا أحق بها منك ، وهذه البطحاء ، وسواء الماكف فيه والبادى .

وقال بعض الأعراب : اللهم لا تزل ماء سوء فأكون أمرا سوء . قال خالد
ابن صفوان : ما رأينا أرضا مثل الأبلّة أقرب مسافة ولا أعذب نطفة ولا

أوطأ مطية ولا أريج لتاجر ولا أخفى لمابد . وقال ابن أبي عيينة يذكر قصر أنس بالبصرة

فيا حسن ذاك القصر قصرا ونزهة * بأفج سهل غير وعمر ولا ضنك
بغرس كأبكار الجوارى وثوبة * كأن ثراها ماء ورد على مسك
كأن قصور الأرض ينظرون حوله * إلى ملك مؤف على منبر الملك
يُبدل عليها مستطيلا بحسنه * ويضحك منها وهي مطرقة تبكي

قال جعفر بن سليمان : العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين البصرة ، ودارين عين الربد . وقالوا : من خصال الحرم أن المطر إذا أصاب الباب كان الخصب من شق العراق ، وإذا أصاب المطر الناحية من شق الشام كان الخصب بالشام ، وإذا عم جوانب البيت كان المطر عاما . قال : [وذرع الكعبة أربعمئة وتسعون ذراعا] .

المدائني قال قال الجحاج : لما تبوأَت الأمور منازلها قالت الطاعة : أزل الشام ، قال الطاعون : وأنا معك . وقال النفاق : أزل العراق ، قالت النعمة : وأنا معك . وقالت الصحة : أزل البادية ، قالت الشقوة : [وأنا معك] .

١٥ (١) في القنوغرافية «سلم» وفي الألمانية «سليان» ويوافقه ما في لطائف المعارف التالي .

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

نجز كتاب الحرب ويتلوه في الجزء الثالث كتاب السؤدد

كتاب السُّودد

مخايل السُّودد وأسبابه ومخايل السوء

- قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتيبة رحمه الله : حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله ابن قُرَيْب عن عمه الأصمعي قال : أخبرنا جميع بن أبي غاضرة وكان شيخاً مُسنّاً من أهل البادية وكان من ولد الزُّبَيْرِ بْنِ بَدْرٍ من قَبْلِ النساء ، قال : كان الزُّبَيْرَان يَقُول :
- أَبْغَضُ صَبِيانَنَا إِلَى الْأَقْيَسِ الذَّكَرَ الَّذِي كَانَمَا يَطْلُعُ فِي حَجْرِهِ ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْقَوْمُ أَيْنَ أَبُوكَ ، هَمَّرَ فِي وَجْهِهِمْ وَقَالَ : مَا تَرِيدُونَ مِنْ أَبِي . وَأَحَبُّ صَبِيانَنَا إِلَى الطَّوِيلِ الْفُرْلَةِ السَّبْطُ الْغَزْوُ الْمَرِيضُ الْوَرَكُ الْأَبْلَهُ الْمَقُولُ الَّذِي يَطِيعُ عَمَّهُ وَيَعْصِي أُمَّهُ ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْقَوْمُ أَيْنَ أَبُوكَ ، قَالَ : مَعَكُمْ .

- قال وقال الأصمعي قال معاوية : ثلاث من السُّودد : الصَّلَمُ ، واندحاق البطن ،
- وترك الإفراط في النّية .

- قال وقيل لأعرابي : بم تعرفون سودد الغلام فيكم ؟ فقال : إذا كان سائل الغزوة طويل الفُرْلَةِ مُلْتَأَتِ الْإِزْرَةِ وكانت فيه لَوْمَةٌ فَلَسْنَا نَشْكُ فِي سُوددِهِ . وقيل لآخر :
- أَيْ الْعُلَمَانُ أَسُودَ ؟ قال : إذا رَأَيْتَهُ أَعْتَى أَشْدَقَ أَحَقِّ فَاقْرُبْ بِهِ مِنَ السُّودد .
- وكان يقال : إذا رأيت الغلام غائر العينين ضيق الجبهة حديد الأرنبة كأنما جبينه صَلَايَةٌ فَلَا تَرْجُهُ ، إِلَّا أَنْ يَرِيدَ اللَّهُ أَمْرًا فَيُفْلِنَهُ .
- ١٥

حقشاً الراشعي عن الأصمعي قال : قريش تمدح بالصِّلَع . وأنشد
 إن سعيدياً وسعيدياً فرجُ * أصلع تخيمه رجال صلُع

ونظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير فقال : إني أظن هذا الغلام سيسود
 قومه . فقالت هند : تكلمه إن كان لا يسود إلا قومه .

قال شبيب بن شيبه لبعض فرسان بني منقر : ما مِطَلَّتْ مِطَلَّ الْفُرْسَانِ وَلَا قُضِّتْ
 فَتَى السَّادَةِ . وقال آخر ليسان بن سلمة المِثْلُ : ما أنت بأَرْحَ فَتَاكَونَ فَاوِماً
 وَلَا بِمُظِمِّ الرَّأْسِ فَتَاكَونَ سَيِّداً . وقال بعض الشعراء

فَقِيلَتْ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ * وَكَفَّا كَكَفِّ الضَّبِّ أَوْهَى أَحْضَرِ
 وقال آخر

دَعَا ابْنُ مُطِيعٍ لِلْيَّاعِ بِفَتْحِهِ * إِلَى بَيْعَةِ قَلْبِي لَهَا غَيْرُ الْكَفِّ
 فَنَاوَلَنِي خَشَنَاءَ لَمَّا لَمَسْتُهَا * بِكَفِّي لَيْسَتْ مِنْ أَكْفِ الْخِلَافَةِ

وقرأت في كتاب للهند أنه قد قيل في الفِرَاسَةِ والتَّوَسُّمِ : إنه من صُغُرَتْ عَيْنُهُ
 [و] دَامَ اخْتِلَاجُهَا وَنَتَاجَ طَرَفِهَا وَمَالَ أَنَّهُ إِلَى أَيْمَنِ شَقِيهِ وَبُعدَ مَا يَنْ حَاجِيهِ
 وَكَانَتْ مَنَابِتُ شَعْرِهِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا وَطَالَ إِكْبَابُهُ إِذَا مَشَى ، وَتَلَفَّتْ تَارَةً بَعْدَ أُخْرَى ،
 غَلَبَتْ عَلَيْهِ أَخْلَاقُ السُّوءِ .

كان يقال : أَرْبَعُ يُسَوِّدَنَّ الْعَيْدَ : الْأَدَبُ ، وَالصِّدْقُ ، وَالْعِفَّةُ ، وَالْإِمَانَةُ . وقال
 بعض الشعراء في النبي صلى الله عليه وسلم

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبِينَةٌ * كَانَتْ بَلَاهَتُهُ تُشِيرُ بِالنَّجْوَى

وقال معاوية : إني لأكره البكارة في السيد وأحب أن يكون عاقلاً متفلاً .

(١) قليل لحم العجز والضعفين .

(٢) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ولعلها محوطة عن «النبأة أو البلاد» كما يقتضيه السياق .

وقال الشاعر في هذا المعنى

ليس النبيّ بسيد في قومه * لكنّ سيّد قومه المتفاني

ويقال في منبئ : « ليس أمير القوم بالخبّ الخديع » . وقال الفرزدق

لاخير في خبّ من تُرجى فواضله * فاستطروا من قريش كل مُنْخَدِع

كانت فيه إذا حاولته بلهًا * عن ماله وهو وافي العقل والورع

وقال إياس بن معاوية : لست يُحبّ وأنّب لا يندخى . وقال مالك بن أنس

عن ابن شهاب : الكريم لما تُحكّمه التجارب .

قال بعض الشعراء

غير أنّي أراك من أهل بيت * ما على المرء أن يسودوه عاز

- ١٠ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : السيد الجواد حين يُسأل ، الحليم حين يُستجمل ، البار بمن يماشر . قال عديّ بن حاتم : السيد الدليل في نفسه ، الأحمق في ماله ، المطرّح لحقه ، المعنى بأمر عاتقه . سئل خالد بن صفوان عن الأحنف بم ساد ، فقال : بفضل سلطانه على نفسه . وقيل لقيس بن عاصم : بم سدت قومك ؟ فقال : ببذل القرى وترك المراء ونصرة المولى . وقال علي بن عبد الله بن عباس : سادة الناس في الدنيا الأتخياء وفي الآخرة الأتخياء . وقال سلم بن قتيبة لولده : إنكم لن تسودوا حتى تصبروا على سرار الشيوخ البُخّر . وقال : الدنيا هي العافية ، والصحة هي الشباب ، والمروعة الصبر على الرجال . قال عمرو بن هذّاب : كنا نعرف سُودد سلم ابن قتيبة بأنه كان يركب وحده ويرجع في خمسين . وقال رجل للأحنف وأراد عيه : بم سدت قومك ؟ قال : بتركى من أمرك ما لا يعننى كما عتاك من أمرى
- ٢٠ مالا يعننى . وقال عبد الملك بن مروان لابن مطاع العتري^(١) : أخبرنى عن مالك

(١) هكذا بالنسبة الألمانية ، وهو في النسبة القنطرة غيرة غير واضح ، وذكر في العقد الفريد في باب السؤدد هذه القصة وقال إنه روح بن زنياع .

ابن مِسْمَع . فقال له : لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه في أى شيء غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السُّودد ، ولم يل شيئاً قط . وكذلك أسماء ابن خارجة لم يل شيئاً قط . قيل لمرأبة الأوسى : بم سُدَّت قومك ؟ فقال بأربع : أخذع لهم عن مالى ، وأَذَلَّ لهم في عِرْضى ، ولا أَحْقِرَ صغيرهم ، ولا أَحْسَدَ رقيقهم . وقال المُقَنَّن الكِنْدى وهو محمد بن عميرة

ولا أَحْمِلُ الحَقْدَ القديم عليهم * وليس رُئُوسُ القوم من يحمل الحَقْدَا
وليسوا الى نَصْرِى سِرَافاً وإن هُم * دعوى الى نصر أُنْتَهُم شَدَا
إذا أَكَلُوا لَحْيَ وَفَرَّتْ لِحومهم * وإن هدموا مجدى بَنَيْتُ لهم مجدَا
يُعْتَرِى بالذَّيْبِ قَوْمى وإِنَّمَا * دُبُونِى فى أَشْيَاء تَكْسِبهم حَمْدَا

وقال آخر

هَيُونٌ لَيُونٌ أَسَارُ ذُو بَيْر * سُوَاس مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَسَارِ
لا يَنْطَقُونَ على الفَحْشَاءِ إن نَطَقُوا * ولا يَمَارُونَ إن مَارَوْا بِأَكَارِ
مَنْ تَلَقَّى مِنْهُمْ قَتْلَ لَاقِيَتُ مَيِّدِهِمْ * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وقال آخر

وان سِيَادَةَ الأَقْوَامِ فَأَعْلَم * لما صَعَدَاءَ مَطْلَعُهَا طَوِيلُ

وقال رجل من العرب : نحن لا نَسُودُ الا من يُوطِّئنا رَحْلَهُ وَيُفَرِّشُنَا عِرْضَهُ وَيُمْلِكُنَا مَالَهُ . وفى الحديث المرفوع : « مَنْ بَدَلَ مَعْرُوفَهُ وَكَفَّ أَثَاهُ فَذَلِكَ السَّيِّدُ » . ويقال : لَأَسُودد مع انتقام . والعرب يقول « سيد مُعْتَمٍ » يريدون أن كل جَنَاحَةٍ يحنيها أحد من عشيرته معصوبة برأسه . ويقال : بل السيد منهم كان يَتَمَّ بِعِمَامَةٍ صفراء لا يَتَمُّ بها غيره . وانما سُمِّيَ الزُّبَيْرَانُ بصفرة عمامته . يقال : زَبَرَّتْ الشَّيْءُ إذا صَفَّرْتَهُ ، وكان اسمُه حُصَيْنَا . قيل لابن هُبَيْرَةَ : مَنْ سَيِّدُ النَّاسِ اليوم ؟ قال : الْفَرَزْدَقُ ، هَجَانِي مَلِكًا وَمَدَحْنِي سَوْقَةً . وقال عامر بن الطفيل

إني وإن كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثة * أبي الله أن أسمو بأثم ولا أب
وليكنتني أخي حمأها وأتقي * أذاها وأرى من رماها بمنكب

هذا نحو قول الآخر

- نفس عصام سودت عصاما * وعلمته العكز والإقداما
• وصيته ملكا هماما •

وعصام عبد كان للنعمان بن المنذر . وله يقول النابغة
فأني لا أرم على دخول * ولكن ما وراثة يا عصام؟

الكامل والتماهی في السؤدد

- ١٠ حدثني أبو حمزة الأنصاري عن المتني قال ، قال الأحنف : الكامل من
عدت هفواته . وكتب معاوية الى زياد : انظر رجلا يصلح لثغر الهند فوله ،
فكتب اليه : إن قبلي رجلين يصلحان لذلك : الأحنف بن قيس ، وسنان بن سامة
الهلذلي . فكتب اليه معاوية : بأي يومى الأحنف تكافيه : إنخذلناه أم المؤمنين ، أم بسعة
علينا يوم صفين ؟ فوجه سنانا ، فكتب اليه زياد : إن الأحنف قد بلغ من الشرف
والحلم والسؤدد ما لا تنفعه الولاية ولا يضره العزل . وقال أبو نواس يمدح رجلا
أوحده الله فامثله • لطالب ذاك ولا ناشد
وليس لله بمستكبر • أن يجمع العالم في واحد

وقال أيضا في نحو هذا

- يانق لا تسمى أو تبلى رجلا • تحيل راحته والركن سنان
٢٠ متى تخطى اليه الرمل سالمة • تستجيب الخلق في مثال إنسان

محمد خير من يمضى على قَدَم * ممن برا لله من إنس ومن جان
تنازع الأحمدان الشَّبه فاشتبهها * خلقا وخلقاً كما قَدَّ الشَّرَّكان
سَيَّانٍ لافوق في المقول بينهما * معناهما واحد والعِنة اثنان
وقال الطائي

لو أن إجماعاً في فضل سُودده * في الدين، لم يختلف في الملة اثنان

وقال أيضا

فلو صوّرتَ نفسك لم تَردها * على ما فيك من كرم الطَّبَّاع
وقال خالد بن صفوان : كان الأحنف يفتر من الشرف والشرف يتبعه .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : وفد الأحنف والمنذر بن الجارود الى معاوية ، فتحيا المنذر وخرج الأحنف على قسود وعليه بَتٌ ، فكلماه مرة المنذر قال
الناس : هذا الأحنف ، فقال المنذر : أرايتُ تريئتُ لهذا الشيخ . وقالت بنو تميم
للأحنف : ما أعظم مِثقتنا عليك ! فضلتناك وسؤدناك ، فقال : هذا شبل بن معبد ، من
سؤده وليس بالحفزة بجلى غيره ؟ أو قال بالبصرة .

قال عبد الملك بن مروان لعبد الله بن عبد الأعلى الشاعر الشَّيباني : مَنْ أكرمُ
العرب أو مَنْ خيرُ الناس ؟ قال : مَنْ يُحِبُّ الناسُ أن يكونوا منه ، ولا يُحِبُّ أن
يكون من أحد ، يعني بنى هاشم . قال : مَنْ أكرمُ الناس ؟ قال : مَنْ يُحِبُّ أن
يكون من غيره ، ولا يُحِبُّ غيره أن يكونوا منه . قال رجل من أشرف العجم لرجل
من أشرف العرب : إن الشَّرَفَ نسب مفرد ، فالشَّريف من كل قوم نسب . وكان
يقال : أكرمُ الصَّفَايا أشتها ولَمَّا إلى أولادها ، وأكرمُ الإبل أحنها إلى أوطانها ،
وأكرمُ الأثفلاء أشتها ملازمةً لأمتها ، وخيرُ الناس ألفُ الناس للناس .

(١) جمع ظروا بكسر أو كمد وتوسو وهو الجش أو المهر اذا ضل أو ضلنا السة .

السيادة والكمال في الحدّاة

قال الأحنف : السؤدد مع السواد ، يريد أنه يكون سيدا من أنه السيادة في حدّاته وسواد رأسه ولحيته ، وقد يُذهب بعماء إلى سواد الناس وعامتهم يُراد أن السؤدد يكون بتسويد العامة . وقال أبو اليقظان ولّى الحجاج محمد بن القاسم ابن محمد بن الحكم التقيّ قتال الأكراد بفارس فأباد منهم ، ثم ولّاه السند فانتزع السند والمهند وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر

إن السباحة والمروءة والتدبى * لمحمد بن القاسم بن محمد

قاد الجيوش لسبع عشرة حجة * ياقرب ذلك سؤددا من مولد!

ويروى * ياقرب ذلك سورة من مولد * السورة المترلة الرفيعة . قال أبو اليقظان : وهو

جعل شيراز مسكرا ومترا لولاء فارس . وقال حمزة بن بيض لمحمد بن يزيد بن المهلب ^(١) ١٠
بانت لعشر مضت من سيفك ما يبلغ السيد الأشيب
فهكك فيها جنام الأمور * وهم لداتك أن يلعبوا

نظر الخطيئة الى ابن عباس يتكلم في مجلس عمر ، فقال : من هذا الذي نزل عن الناس في سنده وعلاه في قوله ! وقال ابن مسعود : لو بلغ أسناننا ما عشره منا ^(٢)

١٥ رجل . ونظر رجل الى أبي ذؤلف في مجلس المأمون فقال : إن همت ترى به وراءه سنة . وولى عبيد الله بن زياد نرسان وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، ولها معاوية . وقيل لزياد عند موته : استخلف عبيد الله ، فقال : إن يك فيه خير فسيوليه عمه ، فلما مات زياد شخص عبيد الله الى عمه معاوية فقال له : ما منع أباك أن يوليكَ ؟ أما إنه لو فعل فعلت ، فقال عبيد الله : يا أمير المؤمنين ، لا يقولها أحد

٢٠ (١) قال ابن برى هو بكر الباء لا غير ، وضبطه الحافظ بالفتح .

(٢) حكاه بالأصل وبعبارة اللسان عاشره وقال في بيانها : لو كان في السن مثلنا ما بلغ أحد منا عشرة على .

بذلك : ما منع أباه وعمه أن يكونا استعماله ، فرغب فيه فاستعمله على خراسان .
 وولى معاذاليم وهو ابن أقل من ثلاثين سنة . وحمل أبو مسلم أمر الدولة والدعوة
 وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وحمل الناس عن ابراهيم النخعي وهو ابن ثمانين
 عشرة سنة . وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد مكة وهو ابن
 خمس وعشرين سنة . وسؤدت قُرَيْشُ أبا جهل ولم يعطوا شاربهُ فادخلته مع الكهول
 دار الندوة . قال الكبيت .

رُفِعَتْ إِلَيْكَ وَمَا ^(١) نَفَرْتُ * مَتَّ عَوْنُ مُسْتَمِعٍ وَفَاطَرَ
 وَرَأَوْا عَلَيْكَ وَمَنْكَ فِي السَّمْعِ الْبَصَائِرُ

قال قدم وفد على عمر بن عبد العزيز من العراق ، فنظر إلى شاب منهم يتحمز يريد
 الكلام ، فقال عمر : كَبُرُوا كَبُرُوا ، فقال الفتى : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ
 بِالسِّنِّ ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ فِي الْمُسْلِمِينَ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْكَ ، قَالَ صَدَقْتَ فَتَكَلَّمَ .
 قال الشاعر في خلاف هذا المعنى

إِنَّمَا الْهَلَكُ أَنْ يُسَاسُوا بِفَرٍّ * لَمْ تُعْرِهِ الْأَيَّامُ رَأْيَا وَثِقًا
 وقال آخر

أَلَا قَالَتِ الْحَسَنَاءُ يَوْمَ لَقِيَهَا * كَبُرَتْ ، وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ تَجْزَعًا
 رَأَتْ ذَا عَصَا يَمْشِي عَلَيْهَا وَشَيْبَةً * فَتَقَعَّ مِنْهَا رَأْسَهُ مَا تَقَعَّمَا
 فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَهْزَيْ بِي فَقَلَّمَا * يَسُودُ الْفَقَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَصْلَعَا
 وَلَقَارْحُ الْعُيُوبِ خَيْرٌ عِلَالَةً * مِنَ الْجَدْعِ الْمَجْرَى وَأَبْعَدُ مَنَزَعًا
 رَأَى بُكَيْرُ بْنُ الْأَخْنَسِ الْمُهَلَّبَ وَهُوَ غَلَامٌ فَقَالَ

خَذُونِي بِهِ إِنْ لَمْ يُسَدِّسُوا رَأْسَهُمْ * وَيَبْرَعْ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ مِثْلُ

(١) يقال نَفَرْتُ إِذَا سَقَطَتْ أَسْنَانُهُ الرَّوَاحِ .

الهمة والخطار بالنفس

- قال أخيراً خالد بن جويرية عن محمد بن دُؤيب القُقيي^(١) وهو الهامانيّ الراجز عن دُكَيْن الراجز قال : أتيت عمر بن عبد العزيز بعد ما استُخلف أستعجز منه وعدا كان وعنديّه وهو والي المدينة، فقال لي : يا دُكَيْن إن لي نفساً تواقفة، لم تزل تنوق إلى الإمارة، فلما نلتها تأقت إلى الخلافة، فلما نلتها تأقت إلى الجنة . وما رزأتُ من أموال المسلمين شيئاً، وما عندي إلا ألفا درهم، فاختراهُما شئت، وهو يضحك .
- فقلت : يا أمير المؤمنين، قليلُ خيرٍ من كثيرِ غيرك، ويقال قليلُ خيرٍ من كثيرِ غيرك، فادفع إلى ألفا وقال : خذها يارك الله لك فيها، فابتمتُ بها إبلا وسُقمتُ إلى البادية، فرمى الله في أذنانها بالبركة بدعوته حتى رزقني الله ماترون .
- قال معاوية لمرو بن العاص حين نظر معسكر عليّ عليه السلام : من طلب عظيماً خاطر بعظيمته . وكان عمرو يقول : عليكم بكل أمر مَرَلَقَةٍ مَهْلَكَةٍ . أي عليكم بحُسام الأمور . وقال كُعب بن زُهَيْر

وليس لمن لم يركب الهول بُقِيَّةٌ * وليس لرجل حطّه الله حاملٌ

إنّا أنت لم تُقْصِرْ عن الجهل وانلنا * أصبَتْ حلماً أو أصابك جاهل

- وفي كتاب للهند : ثلاثة أشياء لا تُنال إلا بارتفاعِ همةٍ وعظيمِ خَطَرٍ : عمل السلطان، وتجارة البحر، ومتاجرة المدق . وفيه أيضاً : لا ينبغي أن يكون الفاضل من الرجال الا مع الملوك مكرماً أو مع النُشّاك مُتَبَلِّلاً، كالنيل لا يحسن أن يرى إلا في موضعين : في البرية وحشياً أو للولك مَرَكَباً . وفيه أيضاً : ذو الهمة إن حطّ نفسه تابى إلا علواً كالشعلة من النار يُصَوِّبُها صاحبها وتابى إلا ارتفاعاً . وقال التّابيّ
- تلوم على ترك الغنى باهليّة * طوى النهر عنها كلّ طرفٍ وتالد

(١) نسبة إلى المقيم دادم، قال في القاموس : والنسبة إلى قديم كنانة قُصِي كُمرُي وممّ نساء الصبور في الجاهلية، وإلى قديم دادم قُصِي ١ *

يسرك أنى نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصنى * مفصهما بالمشترقات البوارد؟
ذرينى ينجثنى ميتى مطمئنة * ولم أتحكم حول تلك الموارد
فإن كريمات المعالي مشوبة * بمستودعات فى بطون الأسود

وقال الطائي

وأخرى لحننى يوم لم أمنع التوى * قيادى ولم ينقض زمايى ناقض
أرادت بأن يحوى النوى وهو وادع * وهل يقرس ألبت الطلا وهو رابض؟

وقال أيضا

فاطلب هدوءا فى الثقل^(١) وأستر * باليس من تحت الشهاد هجودا
ما إن ترى الأحساب يعضا وعضا * إلا بحيث توى المنايا سودا

وقال آخر

* ما المرز إلا تحت ثوب الكد *

وقال آخر

الذل فى دعة الغوس ولا أرى * عز المعيشة دون أن يسقى لها

وقال بعض المحدثين وأظنه البصري

فاطلبا ثالثا سواى فأتى * رابع العيس والدجى واليد
لست بالواهن المقيم ولا الفا * ثل يوما إن النوى بالجدود
وإذا استصعبت مقادة أمر * سهلتها أيدى المهارى القود

وقال عبد الله بن أبى الشيص

أظن المهر قد آلى قبرا * بأن لا يكسب الأموال حرا
لقد قسد الزمان بكل حر * وقض من قواه المستمرا
كان صفائح الأحرار أردت * أباه غارب الأحرار طرا

(١) فى النسخة الألمانية : القلعة ، وفى الصغرى : القلعة ، وفى الصغرى : القلعة .

فأصبح كل ذي شرف ركوبا * لأعناق الدجى برا وبحرا
فَهتَكَ جَنِبَ دِرْعِ اللَّيْلِ عَنْهُ * إِذَا مَا جَبَّ دِرْعُ اللَّيْلِ زُرَا
يَرَاقُبُ لِلنَّفَى وَجْهَهَا مَحْشُوكَا * وَوَجْهَهَا لِلنِّتَةِ مُكْهَمُهَا
وَمَنْ جَمَلَ الظَّلَامَ لَهُ قَمُودَا * أَصَابَ بِهِ الدَّجَى خَيْرًا وَشَرًا

- وكان يقال : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَبِيشَ مَسْرُورًا فَلْيَقْتَعْ ، وَمَنْ أَرَادَ الذِّكْرَ فَلْيَجْهَدْ . قِيلَ
لِلْعَتَابِيِّ : فَلَانْ يَبْعُدِ الْمَهْمَةُ ، قَالَ : إِذَنْ لَا يَكُونُ لَهُ غَايَةٌ دُونَ الْجَنَّةِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ :
مَنْ أَسْوَأُ النَّاسِ حَالًا ؟ قَالَ : مَنْ أَسْعَتْ مَعْرِفَتُهُ وَضَاقَتْ مَقْدَرَتُهُ وَبُعِدَتْ هِمَّتُهُ .
وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ

وَالْمَرْءُ يُورِثُ جُودَهُ أُنْسَاءَهُ * وَيَمُوتُ آخِرُ وَهُوَ فِي الْأَحْيَاءِ

- أَبُو الْيَقْظَانَ قَالَ : كَانَ أَوَّلُ عَمَلٍ وَلِيَهِ الْحِجَابُ تَبَالَةً ، فَسَارَ إِلَيْهَا فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا
قَالَ لِلدَّلِيلِ : أَيْنَ هِيَ وَصَلَى أَى تَمَتَّ هِيَ ؟ قَالَ : تَسْتَرُهَا عَنْكَ هَذِهِ الْأَكَّةُ . قَالَ
لَا أَرَانِي أَمِيرًا إِلَّا عَلَى مَوْضِعٍ تَسْتَرُ مِنْهُ أَكَّةُ ! أَهْوَيْنَ بِهَا وَلَايَةً ! وَكَرَّرَ رَاجِعًا . فَقِيلَ
فِي الْمَثَلِ : « أَهْوَيْنَ مِنْ تَبَالَةٍ عَلَى الْحِجَابِ » . وَقَالَ الطَّائِيُّ
وَطَوَّلُ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ * لِدَيْبِاجَتِهِ فَأَعْتَرَبَ نَجْمُتِدِ .
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتِ حَبَّةً * إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمِدِ ١٥

وَقَالَ رَجُلٌ لِآخَرٍ : أَبُوكَ الَّذِي جَهَلَ قَدْرَهُ وَتَعَدَّى طَوْرَهُ فَتَشَقَّ الْعَصَا وَفَرَّقَ
الْجَمَاعَةَ ، لَا بَرَمَ لَقَدْ هَزَمَ ثُمَّ أَسْرَمَ قُتِلَ ثُمَّ صُلِبَ . قَالَ الْآخَرُ : دَعْنِي مِنْ ذِكْرِ
هَزِيمَةِ أَبِي وَمِنْ صُلْبِهِ ، أَبُوكَ مَا حَدَّثَ نَفْسَهُ بَشْيءٍ مِنْ هَذَا قَطَّ . قَالَ حَاتِمُ طَلْحٍ

- لَحَى اللَّهُ صُلُوكًا مَنَاهُ وَهَمَّهُ * مِنَ الْعَيْشِ أَنْ يَلْقَى لَبُوسًا وَمَطْمَا
يَرَى الْخَمَصَ تَغْضِيًا وَإِنْ يَلْقَى شَبْعَةً * يَبْتَ قَلْبُهُ مِنْ قَلَّةِ الْمَهْمِ مُبْهَمَا ٢٠
وَقَدْ صُلُوكُكَ يُسَاوِرُ هَمَّهُ * وَيَمْضِي عَلَى الْأَهْوَالِ وَالْأَهْرَاقِ مُقَدِّمَا

يرى قوسه أروعُه ويحبّه * وذا شطّيبٍ لَدُنَّ المَهْزَةِ عَظَمًا
وأحناءَ سرجٍ قاتِرٍ ^(١) وبلّابَه * مُعْذًا لَدَى الهَيْجَا وطَرْفًا مُسَوِّمًا
فذلك إنَّ يَمْلِكُ فِى ثَنَاؤِه * وإنَّ يَحْيَى لَا يَقْعُدُ لَيْلِيَا مُدَمِّمًا

وقال آخر

لَا مَعْنَتَكَ خَفَضَ العِيشَ طَلِبَه * نَزَاعُ شَوْقٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانٍ
تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا * أَهْلًا بِأَهْلٍ وَسِيرَانًا بِجِيرَانٍ
ويقال: ليس بينك وبين البلدان نسبٌ غير البلاد ما حملك. وقال عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ

لَحَى اللَّهُ صُغُلُوكَا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ * مُصَافِي الْمَشَاشِ أَلْفَا كُلِّ مَجْزِرٍ
يَمُدُّ الْغَنَى مِنْ دَهْرِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ * أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُبِيرٍ
يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ قَاعِدًا * يُحِثُّ الْحَصَا مِنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفِّرِ
يُعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ لَا يَسْتَعِينُهُ * وَيُمِيزُ طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحْصَرِ
وَقَدْ صُغُلُوكَ صَفِيحَةً وَجْهَهُ * كَضَوْءِ شَهَابِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ ^(٢)
مُطِطِّلٌ عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ * بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمَنَيجِ الْمُشْهَرِ

وقال آخر

تَهْلُ سَلِيمِي: لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا! * وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لِلْقَامِ أَطْوَفُ

وقال الطائي في نحوه

أَلَيْسَ النَّجِيبُ كَمِ اقْتِرَاقٍ * أَلَمْ فَكُنْ دَاعِيَةَ اجْتِمَاعٍ
وَمَا إِنْ فَرَحَ الْاَوْبَابُ إِلَّا * لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَجِّ الْوَدَاعِ

(١) القاتر والمُفَقِّر من الرجال والسرور الجيد الوقوع على الظاهر أو العليل منها . قاموس .

(٢) المشاش جمع مشاشة وهي رأس العلم المصنوع منه . (٣) كذا في الأصول والأغانى،

وفي الحاشية: «ولكن صغولكا الخ» . (٤) في الأصول اخل ، والتصويب عن الهجران .

نظر رجل إلى روح بن حاتم واقفا في الشمس على باب المنصور فقال له : قد طال
وقوفك في الشمس . فقال روح : يُطَوِّلُ مُقَامِي فِي الظِّل . وقال خِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ
وَلَنْ أَكُونَ كَنَ الْفِي رِحَالَتِهِ * عَلَى الْحِمَارِ وَخَلَّ صَهْوَةُ الْفَرَسِ

وقال آخر

- لَا أَنْتَ قَصَّرْتَ عَنْ مَجْدٍ وَلَا أَنَا، إِذْ * أَشْتُمُّ إِلَيْكَ بِنَفْسِي، قَصَّرْتَ هِمَمِي
- قال عمر بن الخطاب : أَشْتُمُّو بِالْكُفَى فَلَهَا مِنْهُ . دخل عبيد الله بن زياد بن ظبيان
التميمي على أبيه وهو يهود بنفسه فقال له : أَلَا أَوْصِي بِكَ الْأَمِيرَ ؟ فقال عبيد الله :
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِحَيٍّ إِلَّا وَصِيَّةُ الْمَيِّتِ فَالْحَيُّ هُوَ الْمَيِّتُ . وقال الشاعر في نحوه
إِذَا مَا الْحَيُّ عَاشَ بَعَثَ مَيِّتٌ * فَذَلِكَ الْعَظُمُ حَيٌّ وَهُوَ مَيِّتٌ

- ١٠ وقال معاوية لعمر بن سعيد وهو وصي : إِلَى مَنْ أَوْصِي بِكَ أَبُوكَ ؟ قَالَ :
- أَوْصِي إِلَى وَلَمْ يُوصِ بِي . نظر أبو الحارث حمير إلى رِقْدُونِ يُسْتَقَى عَلَيْهِ ، فقال : المرء
حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ ، لَوْ هَمَّ لَجَ هَذَا لَمْ يُبَلِّ بِمَا تَرَوْنَ . قال الطائي
- وَقَلَقَلْنَا بِي مِنْ نَحْرَانِ جَأْشُهَا * قَلَّتْ أَلْطَمَتِي أَنْضَرُ الرُّؤُوسِ عَازِبُهُ
- وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا * عَلَى مِثْلِهَا ، وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَابُهُ
- ١٥ لِأَمِيرٍ عَلَيْهِمْ أَنْتَ تَمَّ صُدُورُهُ ، * وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ عَوَاقِبُهُ

وقال آخر

وَعِشْ مَلِكًا أَوْ مَتَ كَرِيمًا ، وَإِنْ تَمَتَّ * وَسَيُفْكَ مَشْهُورٌ بِكَفْكَ تُعَذِّرُ

والمشهور في هذا قول امرئ القيس

- فَلَوْ أَنَّ مَا أَسَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ * كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
- ٢٠ وَلَكِنَّمَا أَسَى لَتَجْدِيدِ مَوْثَلٍ * وَقَدْ يَدْرِيكَ الْمَجْدُ الْمُؤْتَلَّ أَمْتَالِي

وقوله

بكي صاحبي لما رأى الذربَ دونه * وأيقن أنا لاحقاً بقصر
قلت له: لا تيك عينك، إنما * نحاول مُلكاً أو نموت فنمُتدراً

وقال أبو نؤاس

سأبني الفتي إنا جليس خليفة * قوم سواء، أو يُخيف سبيل
وقيل ليزيد بن المهلب: ألا بُني داراً! فقال: متولى دارُ الإمارة أو الحبس.
والمشهور في سقوط الهمة قول الخطيئة

دج المكارم لا ترحل بُغيته * وأعد فأنك أنت الطائم الكاسي

وقال مالك بن الرِّيب

فإن تُصِفونا آل مروانَ نُقَرِّب * إليكم وإلا فاذنوا بتعادي^(١)
فإن لنا عنكم مرأماً ومرحلاً * يبيع إلى ربح الفلاة صوادي
وفي الأرض عن دار المذلَّة مذهب * وكل بلاد أو طنت بِلادي
فماذا عسى الجحاج يبلغُ جهده * إذا نحن جاوزنا حفير زياد
فماست أبي الجحاج وأست عجزه * عبيد^(٢) بهم يرثي يوهادي
فلولا بنو مروان كان ابنُ يوسف * كما كان عبداً من عبيد إِياد
زمان هو المقرئ المُقرئ بذلة^(٣) * يراوح غلمان القرى ويغادي

بعث يغاب خليفته إلى ابن عائشة المحدث وهو عبيد الله بن محمد بن حفص
التيبي، فأناه في حلقته في المسجد فقال له: أير من؟ قال: هلاً عرفت هنا قبل جيئك!

(١) في الكامل الجرد طبع ليّج: «يصاد» بدل «تصادي» وهو الأنسب للسياق.

(٢) التيد تصغير غنود وهو كاف لسان العرب من أولاد المضر ما رمى وقوى وأق عليه حول، يصفه بالضعف.

(٣) المقرئ طالب الضيافة، وفي الحماسة والكامل: «العبد». (٤) كذا بالأصل؟

قال: أريد أن تُخَلِّينِي . قال : في حاجة لك أم في حاجة لي؟ قال : في حاجة لي .
قال : فَكَلِّفِي في المنزل . قال : فإن الحاجة لك . قال : ما دون إخواني سر .

وقال بعض لصوص همدان وهو مالك بن حريم

كذبت وبيت الله لا تأخذونها * مرأغمة ما دام للسيف قائم
مَنْ يَجْمَعُ القَلْبَ الذِّكْرَ وصارما * وأتقاه حيا تجنبتك المظالم
وَمَنْ يَطْلُبُ المَالَ المُنْعَ بالقنا * يَعْشُ مُثْرِيًا أو يَحْتَرِمُهُ المَخَادِمُ
وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْهُمْ * فهل أنا في ذالِالِ همدان ظالم

وقال أبو النشاش، من اللصوص

إذا المرء لم يَسْرَحْ سَوَامًا ولم يُرِحْ * سَوَامًا ولم تعطف عليه أقاربه
فَلَمَّوْتُ خَيْرَ الفتي مِنْ حياته * فقيرا وَمِنْ مَوَلٍّ تَدِبَ عقاربه
وسائلة بالغيب عني ومائل * وَمَنْ يَسْأَلُ الصَّمُولُكَ أَيْنَ مَنَاهِبُهُ؟
وطامسة الأعلام مائلة الصوى * سَرَتْ بِأَيِّ النِّشَاشِ فيها ركايبه
فلم أر مثل الفقر ضاحجه الفتي * ولا كسواد الليل أخفَقَ صاحبه^(١)

وقال آخر من اللصوص

وإني لأستحي من الله أن أرى * أطولُفَ بأرض ليس فيه بغير
وأن أسألَ المرءَ اللئيمَ بغيره * وَبُعْرَانُ رَبِّي في البلاد كثير
فليل إن واداني الليلُ حكمةً * وللشمس إن غابت على تدور
عوى النَّبِّ فاستأنست للذئب إذ دعوى * وصوت إنسان فكدتُ أطيُرُ
رأى الله إني للأنيس لَشَانِي * وَيُغْنِيهِمْ لي مقلَّةٌ وصغير

وقال الهمز بن قَوْلَب

خاطرِ بِنفسِكَ كَيْ تُصِيبَ غَنِيمةً * إِنَّ الْجُلُوسَ مَعَ الْعِيَالِ قَبِيحٌ
فَالْمَالُ فِيهِ تَجَمُّلٌ وَمَهَابَةٌ * وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَقُبُوحٌ

وقال آخر

تَقُولُ ابْنِي : إِنَّ انْطِلَاقَكَ وَاحِدًا * إِلَى الرَّوْعِ يَوْمًا تَارِكِي لَا أَبَالِيَا
تَدْرِي مِنَ الْإِشْفَاقِ أَوْ قَدِمِي لَنَا * مِنْ الْحَدَثَانِ وَالْمَنِيَّةِ وَاقِيَا
سَتَتَلَفُ نَفْسِي أَوْ سَأَجُعُ هَجْمَةً * تَرَى سَاقِيهَا يَأْتِيَانِ التَّرَاقِيَا

وقال أوس بن حجر

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتَدِرًا * مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيَلْبِي عُذْرًا أَوْ لِيَتَلَبَّحَ حَاجَةً * وَبُلُغَ تَهْنِئَتِهَا عُدُّهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

وقال آخر

رَمَى الْفَقْرُ بِالْأَهْوَامِ حَتَّى كَانَتْهُمْ * بِأَطْرَافِ آفَاقِ الْبِلَادِ نَجُومٌ

قال كسرى : احذروا صولةَ الكريمِ إذا جاع ، واللَّيْمِ إذا شبع . وقال الشاعر

خُلُقَانٍ لَا أَرْضَى اخْتِلَافَهُمَا : * تَيْبُهُ الْفَنَى ، وَمَذَلَّةُ الْفَقْرِ

فَإِذَا غَنِيَتَ فَلَا تَكُنْ يَطْرَا * وَإِذَا انْقَضَتْ قَتَّةٌ عَلَى الْبَهْرِ

وَأَصْبِرْ ، فَلَسْتَ بِوَاحِدٍ خُلُقًا * أَدْنَى إِلَى فَرْجِ مَنْ الصَّبْرِ

كان أعرابي يمنع ابنه من التصرف إشفاقا عليه ، فقال شعرا فيه

إِذَا مَا الْفَتَى لَمْ يَسِخْ إِلَّا لِإِيَّاسِهِ * وَمَطْعَمُهُ ، فَالْحَسِيرُ مِنْهُ بَعِيدُ

يَذْكُرُنِي خَوْفُ الْمَنَابَا ، وَلَمْ أَكُنْ * لِأَهْرَبٍ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ تَحِيدُ

فَلَوْ كُنْتُ ذَا مَالٍ لَقَرَّبْتُ بِجِلْبَى * وَقِيلَ إِذَا أَخْطَأْتُ : أَنْتَ رَشِيدُ

رَأَيْتُ الْفَتَى قَدْ صَارَ فِي النَّاسِ سَوْدَدًا ، * وَكَانَ الْفَتَى بِالْمَعْكَرُمَاتِ يَسُودُ

وإن قلت لم يُسمع مقالاً وإني * مُبْدِي حَقِّ يَنْهَم وَمُيَسِّدُ
فَذَرْنِي أَجُولُ فِي الْبِلَادِ لَمَلَه * يُسِرُّ صَدِيقٌ أَوْ يَسَاءُ حَسُودُ
أَلَا رُبَّمَا كَانِ الشَّفِيقُ مَضَرَّةً * عَلَيْكَ مِنَ الْإِشْفَاقِ وَهُوَ وَدُودُ

وقال أعرابي من باهلة

سَأَعْمَلُ نَصْرَ الْعَيْسِ حَتَّى يَكْتَفَى * غِنَى الْمَالِ يَوْمَا أَوْغَى الْحَدَّانِ
فَلَقَبْتُ خَيْرَ مَنْ حَيَاةٍ رَى لَهَا * عَلَى الْحَزَنِ بِالْإِقْلَالِ وَسَمَّ هَوَايَ
مَنْ يَتَكَلَّمُ يُلْغِ حُسْنَ كَلَامِهِ * وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا : عَدِيمُ بَيَانِ
كَانَ الْغِنَى عَنْ أَهْلِهِ - بِوَرِكِ الْغِنَى - * بَغِيرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانِ

الشرف والسؤدد بالمال وذم الفقر والحض على الكسب

أُتَشَدُّ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ

وَمَنْ يَفْتَقِرْ فِي قَوْمِهِ يَجِدِ الْغِنَى * وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَا جَدَّ التَّمَّ مَحْوِلَا
يَمْنُونُ إِنْ أَعْطُوا وَيَخْلُ بِمَعْضِهِمْ * وَيُحْسَبُ عَجْزًا سَكُنُهُ إِنْ تَجَمَّلَا
وَيُزَى بِسَقْلِ الْمَرْءِ قَلَّةُ مَالِهِ * وَإِنْ كَانَ أَقْوَى مِنْ رِجَالٍ وَأَحْوَلَا

وقرأت في كتاب للهند : ليس من خَلَّةٍ يُدَحِّحَ بِهَا الْغِنَى إِلَّا دُثِمَ بِهَا الْفَقِيرُ، فإِنْ

كَانَ شَجَاعًا قَبْلَ أَهْوَجٍ، وَإِنْ كَانَ وَقُورًا قَبْلَ بَلِيدٍ، وَإِنْ كَانَ لَيْسًا قَبْلَ مِهْنَارٍ،
وَإِنْ كَانَ زَيْمِيًا قَبْلَ عَيٍّ . وقال آخر^(١)

الْفَقْرُ يَزِي بِأَقْوَامِ ذَوِي حَسَبٍ * وَقَدْ يُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ الْمَالُ

وأُتَشَدُّ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ

رَزِقْتُ لُبًّا وَلَمْ أَرْزَقْ مَرْوَةً * وَمَا الْمَرْوَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ

إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةً يَتَعَدَّنِي * عَابُونَهُ بِاسْمِي رَقَّةُ الْحَالِ

(١) الزيت : كثير الوفاة .

وقال آخر

يُغَطِّي عيوبَ المرءِ كثرةُ ماله * يُصَدِّقُ فيما قال وهو كَذُوبُ
وَيُزَيِّرُ بعقلِ المرءِ قِلَّةُ ماله * يُجَمِّقُهُ الأقسامُ وهو لَيِّبُ

وقال آخر

كم من لئيم الجُدودِ سَوَدَ السَّمالِ، أبوه وأُمُّه الْوَرِقُ
وكم كريم الجُدودِ ليس له * عيبٌ سوى أنْ توبه خَلَقُ
أدبه سادةٌ كرامٍ فإ * توباه إلا العفافُ والخُلُقُ

وأُشْدُّ التَّزَلُّشِ

غضبانٍ يَسلِمُ أنْ المالُ ساقٍ له * ما لم يُسْقِهْ له دِينٌ ولا خُلُقُ
لولا ثلاثون ألفاً سَقَّتْها بَطَرًا * إلى ثلاثين ألفاً ضاقت الطُّرُقُ
فمن يكن عن كرامِ النَّاسِ يسألني * فأكرِّمُ النَّاسَ من كانت له وَرِقُ

وقال أُحَيْمَةُ بْنُ الْخَلَّاحِ

استغني أومُتٌ ولا يَفْرُكُ ذُو نَسَبٍ * من أبٍ عمٍ ولا عمٍ ولا خالٍ
يلوون ما عندهم من حقِّ أقرَبِهِمْ * وعن صديقِهِمْ والمالُ بالوَالِي
ولا أزال على الزُّوراءِ أَعْمُرُهَا، * إنَّ الكَرِيمَ على الإِخوانِ ذُو المالِ
كُلَّ النَّداءِ إذا ناديتُ بِخَدُّنِي * إلَّا ناداني إذا ناديتُ بِأَمَالِي

وقال حسان

رُبَّ حليمٍ أضاعه عَدَمُ الما * ل وجهيلٍ غطى عليه النِّعَمُ

وقال المهذَّلُ

رَأَيْتُ مَعاشِرًا يُفَنِّي عليهم * إذا شَبِعُوا وأَوْجَهُهُمْ قِياحُ

(١) في العقد الفريد «حيران» - (٢) في الأمل «قلت له الناس الخ» والتصويب عن العقد الفريد.
(٣) في الأمل يترك بالعين والراء، والتصويب عن الأغني - (٤) في الفاحوس: الزوراء مال لأخينة.

يَظُلُّ الْمُصْرِمُونَ لَمْ يُجُودَا * وَلَوْ لَمْ يُسَقَّ عَنْهُمْ ضِيَاحُ^(١)

وبروى يثف . وقال بعضهم : وددت أنّ لي مثل أحد ذهباً لا أنتفع منه بشيء .
قيل له : فما تصنع به ؟ قال : لكثرة من يخدمني عليه . قال الصّلتان
إذا قلت يوماً لمن قد ترى : * أُرَوِّى السَّيْرَى ، أُرَوِّكَ النَّيَّ
وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ أَمْرِي * وَسِرَّ السَّلَامَةِ غَيْرُ النَّفْيِ

وقال آخر

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ : مَا جَدَى وَمَا شَرَفِي ، * الشَّانُ فِي فِضِّي وَالشَّانُ فِي ذَهَبِي
لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي مَالٌ لَمْ يَهْلُ أَحَدٌ * بَابِي وَلَمْ يَسْرِقُوا جَدَى وَجَدَ أَبِي

وقال آخر

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى النَّيِّ ، * وَكُلُّ غَنَى فِي الْعِيُونَ جَلِيلُ
وَلَوْ كُنْتُ ذَا عَقْلٍ وَلَمْ تُؤْتِ ثَرَوْهُ * ذَلَّتْ لِسَبْهِمُ وَالْفَقِيرُ ذَلِيلُ
إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ رَغَبَتْ * إِلَيْهِ وَمَالُ النَّاسِ حَيْثُ يَمِيلُ
وَلَيْسَ النَّيُّ إِلَّا غَنَى زَيْنَ النَّفَى * عَشْبَةٌ يَقْرَى أَوْ غَدَاةٌ يُنِيلُ

وقال آخر

وَكُلُّ مُقِلٍّ حِينَ يَنْدُو لِحَاجَةً * إِلَى كُلِّ مَنْ يَصْنَعُونَ النَّاسَ مُذْنِبُ^(٢)
وَكَانَ بَنُو عَمِي يَقُولُونَ مَرْحَبًا * فَلَمَّا رَأَوْنِي مُعْلِمًا مَاتَ مَرْحَبُ

وقال آخر

أَبَا مُصْلِحٍ أَصْلَحَ وَلَا تَكُ مَفْسِدًا * فَاقْ صِلَاحَ الْمَالِ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ يَزْدَادُ عِزَّةً * عَلَى قَوْمِهِ إِنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مُتْرَى

وقال حُرُوقُ بْنُ الْوَرْدِ

دَرَيْحِي لِلنَّيِّ أَسَى فَنَانِي * رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ

(١) المصرم : الفقير الكثير البيال . (٢) النباح : اللبن الرقيق المزوج بالماء .

(٣) كذا بالأصول ، وفي القيد التريد « يائي » .

وَابْلُغْهُمْ وَأَهْوِئْهُمْ عَلَيْهِمْ * وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَبِيبٌ وَخَيْرٌ
وَيُقْصِبُهُ النَّدَى وَتَزْدَرِيهِ * حَلِيقَتُهُ وَيَهْرُهُ الصَّغِيرُ
وَوَلَقِي ذَا الْغَنَى وَلَهُ جَلَالٌ * يَكَادُ فُؤَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلُ ذَنْبِهِ وَالذَّنْبُ جَمٌّ * وَلَكِنْ لِلْقَنِيِّ رَبٌّ غَفُورٌ

وقال زيد بن عمرو بن مُهَيْل

وَيَكُنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَسَبٌ يُحْتَسِبُ، وَمَنْ يَهْتَفِرُ عَيْشَ ضَرٍّ
وَيُحْتَبِ سِرَّ النِّجَى وَلَكِنْ أَخَا الْمَالِ مُحَضَّرٌ كُلُّ سَرٍّ

وقال آخر

أَلَمْ تَرِيتَ الْفَقْرَ يُجَرُّ أَهْلَهُ * وَبَيْتَ النَّفَى يَهْدِي لَهُ وَزُرَّارُ.

وقال آخر

إِذَا مَا قَلَّ مَالُكَ كُنْتَ فَرْدًا * وَأَيُّ النَّاسِ زُرَّارُ الْمُقَلِّ ؟

وقال عبد العزيز بن زُرَّارَةَ

وَمَا لُبُّ اللَّيْبِ بِغَيْرِ حَظٍّ * بَأْغَى فِي الْمَيْشَةِ مِنْ قَيْلٍ
رَأَيْتُ الْحَظَّ يَسْتُرُ عَيْبَ قَوْمٍ * وَهِيَاتُ الْحَظْوُطِ مِنَ الْقَوْلِ

وقال الطائي

الصَّبْرُ كَالسِّبْطِ وَيَطْنُ الْكَفَّ عَارِيَةً * وَالْعَقْلُ عَارِ إِذَا لَمْ يُكْسَ بِالنَّشَبِ
مَا أَضْيَعُ الْعَقْلُ إِنْ لَمْ يَرَعْ ضَيْعَتَهُ * وَفَرٌّ، وَأَيُّ رَحًا دَارَتْ بِلَا قُطْبٍ ؟

وقال آخر

عِشْ بِجِدٍّ وَلَا يَضُرْكُ نَوْكُ^(١) * إِنَّمَا عِيشُ مَنْ تَرَى بِالْجُدُودِ
عِشْ بِجِدَّةٍ وَكُنْ هَبْنَقَةً الْقَوِي^(٢) نَوْكًا أَوْ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ

(١) في الأصول «نوك» ، والتصويب عن البيان لمباخط .

(٢) في البيان لمباخط «شبة بن الوليد» ، وهو الخواصق لما في اللسان في مادة هبت .

وقال الطائي

يَسْأَلُ الْفَقِيَّ مِنْ عَيْشِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ * وَيُكْذِبِي الْفَقِيَّ فِي دَعْوِهِ وَهُوَ عَالِمٌ
ولو كانت الأرزاق تجري على الحِجَا * هلكنَ أَنَا مِنْ جَهْلِهِنَّ الْبِهَاتِمُ

وقال المَرَار

• اِنَّمَا لَمْ تُرَافِدْ فِي الرَّفَادِ وَلَمْ تُسُقْ * عَدُوًّا وَلَمْ تَسْتَفِنْ فَاَلَمُوتِ أَرْوَحُ

وقال ابن التَّيْمِيَّةِ التَّنْفِي

أَطَعْتُ الْعَرَسَ فِي الشَّهَوَاتِ حَتَّى * أَعَادَتْنِي عَيْفًا عَبْدَ عَيْدٍ
اِذَا مَا جِئْتُهَا قَدْ بَسْتُ عَذْقًا * تُصَانِي أَوْ تَقْبَلُ أَوْ تُحْدِي

وقال الأَسْعَرُ الْجُفَي

• وَخَصَاصَةُ الْجُفَيِّ مَا دَانِيَتْهُ * لَا يَنْقُضِي أَبَدًا وَإِنْ قِيلَ اقْضَى
إِخْوَانُ صَدِيقٍ مَا رَأَوْكَ بِمَنْطِقَةٍ * فَانْ اقْتَرَفْتَ فَقَدْ هَوَى بِكَ مَا هَوَى

وقال آخر

اِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَكْسِبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ * شَكَاهُ الْفَقْرَ أَوْ لَاقَى الصَّدِيقَ فَكَثُرَا
وَصَارَ عَلَى الْأَدْنَى كَلًّا وَأَوْشَكَتْ * صِلَاتُ ذَوِي الْقُرْبَى لَهُ أَنْ تَنْكَرَا
• قَسِرَ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالْأَمْسَ النَّسَى * تَعَشَّى ذَا يَمَارَ أَوْ تَمُوتَ فَتُضَلَّ رَا
• وَمَا طَالِبُ الْحَاجَاتِ مِنْ حَيْثُ تُبْتَنَى * مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ أَجَدَّ وَشَمَّرَا
فَلَا تَرْضَ مِنْ عَيْشٍ بِدُونِ وَلَا تَتَمَّ * وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلُ مَنْ كَانَ مُعْسِرَا

وقال آخر

• مَنْ يَجْعَلُ الْمَالَ وَلَا يُثَبِّتُهُ * وَيَتْرِكُ الْمَالَ لِمَا مَجَدُّهُ
• يَنْ عَلَى النَّاسِ هَوَانٌ كَلْبُهُ *
• قَالَ أَبُو الْيَقْظَانِ : مَا سَادَ مُمَاقٌ قَطُّ إِلَّا عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ •

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي عن حماد بن سلمة عن عبيد الله بن العيص
عن عبد الله بن عمرو أنه قال: أحرثُ لديناك كأنك تعيش أبداً وأحرثُ لآخرتك كأنك
تموت غداً .

قال حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال حدثني أصحاب أيوب عن أيوب
قال : كان أبو قلابة يَحْتَنِي على الاحتراف ويقول : إنا النّبي من العافية .

قال وقال الأصمعي : سأل امرأته عن رجل فقالوا : أحقُّ مرزوقٌ ، فقال :
ذاك والله الرجل الكامل . وكان يقال : من حفظ ماله فقد حفظ الأكرمين : الذين
والمرضى . ويقال في بعض كتب الله : أطننى فيا أمرك ولا تُعَلِّبْنِي بما يَنْفَعُكَ
وأمد يدك لباب من العمل أُنْفِجْ لك باباً من الرزق . وكان يقال : من غلّى دماغه
في الصيف غلّت قدره في الشتاء . ويقال : حفظ المال أشدُّ من جمعه . وقال
الحسن : إذا أردتم أن تعلموا من [أين] أصاب المال فانظروا فيم ينفقه فإنا انجليث
يُنْفِقُ سرّاً . ونحوه قولهم : من أصاب مالا من نَهاوش أذهب الله في نَهار . ويقال في
مثل « الكد قبل المذ » يراد الطلب قبل المجابة والعجز . وقال لقيط « الفوز أُنْزَ
للقاح وأحد السلاح » . وقال أبو المظفر

وإن التواني أنكح العجزَ بَنَه * وساق إليها حين زوجها مهرها
فِرَاشاً وطِيئاً ثم قال لها آنكى * قصارهما لا بد أن يلبدا الفقرا

(١) زيادة يقتضها السياق . (٢) في الأصل «مهاوش» بالميم ، والتصحيح عن لسان العرب
في مادة نهر . (٣) هكذا بالأسول ولعلها محرفة عن الحاجة . (٤) في النسبة الألمانية هكذا :
« وقال لقيط الفزاري دَرَقَاح وأحد السلاح » وفي التتوغرافية « الفز » بغير واء ، والتصويب عن مجمع
الأمثال لليداني .

وقال زيد بن جبلة : لا تقبر أقر من غنى أمين الفقر . وروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : ما دون أربعة آلاف درهم نفقة ، وما فوقها كثر . ويقال : القبر ولا الفقر . ويقال : ما سبق عيال مالا قط إلا كان صاحبه فقيرا . وقيل لرجل من البصريين : مالك لا يتبي مالك ؟ قال : لأني اتخذت العيال قبل المال واتخذ الناس المال قبل العيال . ويقال : العيال سوس المال .
وقيل لمديني : كيف حالك ؟ قال : كيف يكون حال من ذهب ماله وبقيت ماله . ويقال : النني في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة .

حدثني محمد بن يحيى بإسناد ذكره قال : شكاني من الأنبياء الى الله شدة الفقر فأوحى الله اليه : هكنا جرى أمرك عندى أقر يد من أجلك أن أعيد الدنيا .

قال أبو حاتم قال حدثنا النعماني قال سمعت يونس بن حبيب يقول : ما أجلب أهل البادية قط حتى تسويهم السنة ثم جامع الحصب إلا عاد النني الى أهل النني .

قال الأصمعي رأيت أعرابية ذات جمال رافع تسأل نبي فقلت : يا أمة الله تسألين ولك هذا الجمال ! قالت : قدرا لله فما أصنع ؟ قلت : فمن أين معاشكم ؟ قالت : هذا الحاج تنقمهم ونفسل ثيابهم . فقلت : فإنا ذهب الحاج فمن أين ؟ فنظرت الى وقالت : يا صلب الجبين ! لو كنا إنما نعيش من حيث نعلم لما عشنا . وقال الشاعر
أتراني أرى من الدهر يوما * لي فيه مطية غير رجلى
وإذا كنت في جميع فقالوا * قروا للرحيل قلمت نعل
حيثا كنت لا أخلف رجلا * من رآني فقد رآني ورجلي

قيل لمديني : ما عندك من آلة الحج ؟ قال : التلية . وقيل لآخر : ما عندك من آلة المصيدة ؟ قال : الماء . وقيل لآخر : ما عندك من آلة القريس ؟ قال : الشنأة .

ذم الغنى وممدح الفقر

قال شريح : البِلْدَةُ كُنْيَةُ الْبَهْلِ . وقال أَكْتَمُ بْنُ صَيْغِي : مَا يَسْرِقُ أُنَى مَكْنَى كُلِّ
أَمْرٍ الدُّنْيَا . قيل : وَإِنْ أَسْمِنْتَ وَالْبَتَّ ؟ قال : نَمْ ، أَكْرَهُ عَادَةَ الْعَجْزِ . وكان يقال : عَيْبُ
الْفَنَى أَنَّهُ يُورِثُ الْبَلَاءَ ، وَفَضِيلَةُ الْفَقْرِ أَنَّهُ يُورِثُ الْفِكْرَةَ . وقال محمد بن حازم الباهلي :

مَا الْفَقْرُ عَارٌ وَلَا الْغِنَى شَرَفٌ * وَلَا سَخَاءٌ فِي طَاعَةِ مَرْفٍ

مَا لَكَ إِلَّا شَيْءٌ تُقَدِّمُهُ * وَكُلُّ شَيْءٍ أَنْتَرَهُ تَلَفٌ

تَرْكُكَ مَالًا لَوَارِثٍ يَنْهَاهُ وَتَصَلَّى بِحَرِّهِ أَسْفٌ

وقال ابن منذر

رَضِينَا قِسْمَةَ الرَّحْمَنِ فِينَا * لَنَا عِلْمٌ وَلِلْفَقِيٍّ مَالٌ

وَمَا التَّقِيُّ إِنْ جَادَتْ كُفَاهُ * وَرَاعَكَ شَخْصُهُ إِلَّا خِيَالٌ

وقال أنس بن مالك : لَمَّا خَرَجَ مَرْوَانُ مِنَ الْمَدِينَةِ مَرَّ بِعَالِهِ بَذَى خُشْبٍ فَلَمَّا نَظَرَ

إِلَيْهِ قَالَ : لَيْسَ الْمَالُ إِلَّا مَا أُشْرِجَتْ عَلَيْهِ الْمَنَاطِقُ . وَرَوَى عَنْ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَالَ :

فِي الْمَالِ ثَلَاثُ خَصَالٍ ، قَالُوا : وَمَا هِيَ يَا رُوحَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لَا يَكْسِبُهُ مِنْ حِلِّهِ

قَالُوا : فَإِنْ فَعَلَ قَالَ : يَمْنَعُهُ مِنْ حَقِّهِ ، قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ، قَالَ : يَسْتَعْلَهُ لِإِصْلَاحِهِ

عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ . قَبْلَ لَأَبْنِ عَمْرِو : تَوَفَّى زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَتَرَكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، قَالَ :

لَكِنِّي لَا أَتْرَكُهُ . وَقَالَ الْمَلُوطُ

وَلَا سَوْدَ الْمَالِ الدُّنْيَى وَلَا دُنَا * لِذَاكَ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ يَسْوَدُ

مَنْ مَرَّ النَّكْسُ الْغِنَى وَجَارَهُ * فَقَصِيرًا يَقُولُوا عَاجِزٌ وَجَلِيدٌ

(١) فِي النِّسْخَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ : «سَوْفَى» . وَهِيَ غَطْلٌ .

(٢) فِي الْقَامُوسِ : وَخَشَبٌ كَتَبَ وَادٌ بِإِيْمَاةٍ وَوَادٌ بِالْمَدِيَّةِ ، وَفِي الْمُرْتَضَى فِي شَرْحِ الْقَامُوسِ وَابْنُ الْأَثِيرِ
فِي التَّبَايَةِ أَنَّهُ مَادٌّ عَلَى مَسِيرَةِ لَيْلَةٍ مِنَ الْمَدِيَّةِ وَلَهُ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي الْأَحَادِيثِ وَالْمُخْتَازِ وَيُقَالُ لَهُ ذُو خَشَبٍ .

(٣) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَفِي الْحَاشِيَةِ : «وَجَارَهُ قَصِيرٌ» بِالرَّغِ عَلَى أَنَّ الْوَارِثَ الْمَالَ .

وليس الغنى والفقر من حيلة الغنى • ولكن أَسَاطِ قُصِّمَتْ وَجُدُودُ
فَكَمَ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ غِنَى مُدْتَمِّمٍ • وَصُلُوكِ قَوْمٍ مَاتَ وَهُوَ حَيِّدُ
إِذَا الْمَرْءَ أَحْبَبَتْ الْمُسْرُوعَةُ نَاشِئًا • فَعَطَّلَهَا كَهَلًا عَلَيْهِ شَدِيدُ

وقال آخر

- وَلَا تُهَيِّنَ الْفَقِيرَ عَيْتُكَ أَنْ • تَرْكَبَ يَوْمًا وَالنَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ
الْأَخْفَشُ قَالَ: قَالَ الْمُبَرِّدُ: أَرِيدَ النَّوْءَ الْخَفِيفَةَ فِي وَلَا تُهَيِّنَ ^(١) فَاسْقَطِ النَّوْءَ لِسُكُونِهِ
وَسُكُونِ اللَّامِ • وَقَالَ آخَرُ

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْغِنَى • إِذَا كَانَتْ الْعِلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ
وَأَنَّى لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يُنْوَجُنِي • لِأَنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ أَتَى عَلَى الصَّبْرِ

- ١٠ وَقَالَ أَعْرَابِيٌ يَدْحُ قَوْمًا

إِذَا افْتَقَرُوا عَضُوا عَلَى الصَّبْرِ حَسْبَةً • وَإِنْ أَيْسَرُوا عَادُوا سِرَاعًا إِلَى الْفَقْرِ
يَقُولُ : يُعْطُونَ مَا عِنْدَهُمْ حَتَّى يَفْتَقَرُوا • قَالَ الْحَسَنُ : صَيَّرَ الْيَهُودُ عَيْسَى بْنَ
مَرْيَمَ بِالْفَقْرِ فَقَالَ : مَنْ الْغَنَى أُتِيَتْهُمُ ، وَقَالَ : حَسْبُكَ مِنْ شَرَفِ الْفَقْرِ أَنَّكَ لَا تَرَى
أَحَدًا يَعْبُدُ اللَّهَ لِيَفْتَقِرَ • أَتَشُدُّ ابْنَ الْأَعْرَابِيَّةِ ^(٢)

- ١٥ الْمَسَالُ يَفْشِي رَجَالًا لَا طَبَّاحَ بِهِمْ • كَالسَّيْلِ يَفْشِي أَصُولَ الدَّيْنِ الْبَالِي ^(٣)

وقال الطائي

لَا تَسْكُرْ عَطَّلَ الْكَرِيمُ مِنَ الْغِنَى • فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْكَانِ الْعَالِي

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : مَنْ دَخَلَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ خَرَجَ وَهُوَ سَاخِطٌ عَلَى اللَّهِ • قَالَ

أَعْرَابِيٌ : الْغِنَى مِنْ كَثُرَتْ حَسَنَاتُهُ وَالْفَقِيرُ مِنْ قَلَّ نَصِيهِهِ مِنْهَا • وَقَالَ ذُو الْأَسْبَجِ

- ٢٠ (١) حِجَابَةُ الْمُرْدِ فِي الْكَامِلِ جَدُّ أَنْ أَمْرَدَ الْبَيْتَ : أَرَادَ وَلا تَهَيِّنَ بِالنَّوْءِ الْمُفْهِمَةِ لِحَقِّهَا لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ
فَعَلَّ مَا هَذَا عَرَفَ مِنْ «فَاسْقَطِ النَّوْءَ لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ اللَّامِ» - (٢) حِزَاهُ فِي السَّانِ إِلَى حِصَانِ
ابْنِ تَابِتٍ ، ثُمَّ قَالَ وَبَرَدَ هَذَا الْبَيْتَ فِي شَرْحِهِ بِبَنِ خَلْفِ الطَّائِي - (٣) الطَّبَّاحُ : الْقُوَّةُ ، قَالَ فِي السَّانِ
وَمَعْنَاهُ فِي الْبَيْتِ : لَا عَقْلَ لَهُمْ - (٤) مَا يَلِي وَغَنَ مِنْ أَصُولِ الشَّجَرِ •

لِي أَبْنُ عَمَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقِي * خَالَفَ لِي أَقْلِيهِ وَيَقْلِي
أَزْرَى بِنَا أَنَا شَأَلَتْ نَمَاتُنَا * نَخَالِي دُونَهُ بِلِ خُشَّةِ دُونِي

وقال آخر

إِنَّ الْحَرَامَ غَزِيرَةٌ حَلَبَاتُهُ * وَوَجَدْتُ حَالَةَ الْحَلَالِ مَصُورًا

٥ قيل لأعرابي : إن فلانا أفاد مالا عظيما قال : فهل أفاد معه أيا ما يُنفقه فيها ؟
وفي كتاب الهند : ذو المروءة يكرم مُعَلِّمًا كالأسد يُهَابُ وإن كان رابضًا ، ومن لا مروءة
له يُهَانُ وإن كان موسرا كالكلب وإن طُوقَ وحلَّ . وقال خَدَّاشُ بْنُ زُهَيْرٍ
أَعْلِلْ إِنْ الْمَالُ أَعْلَمُ أَنَّهُ * وَجَامِعُهُ لِلْعَائِلَاتِ النَّوَائِلِ
مَتَى تَجْعَلُنِي فَوْقَ نَعَشِكَ تَعْلَمِي * أَتَيْتِي مَكَايِ أَبْكُرِي وَأَقَايِلِي

وقال آخر

١٠ إِذَا الْمَرْءُ أَمْرَى ثُمَّ قَالَ لِقَوْمِهِ * أَنَا السَّيِّدُ الْمُقْضَى إِلَيْهِ الْمُعْظَمُ
وَلَمْ يُعْطِهِمْ خَيْرًا أَبْوَأَ أَنْ يَسُودَهُمْ * وَهَانَ عَلَيْهِمْ رَغْمُهُ وَهُوَ أَظْلَمُ

وقال زَبَّانُ بْنُ سَيَّارٍ

١٥ وَلَسْنَا كَقَوْمِ مُحَدَّثِينَ سِيَادَةً * يَرَى مَالَهَا وَلَا يُحْسِنُ فَمَالَهَا
مَسَاعِيمَ مَقْصُورَةً فِي بَيْتِهِمْ * وَمَسَاعِلُنَا ذُبْيَانُ طُرًّا عِيَالَهَا

وقال أبو عبيد الله الكاتب : الصبرُ على حقوق المروءة أشدُّ من الصبر على ألم
الحاجة ، وَفَلْهُ الْفَقْرُ مَانِعٌ مِنْ عَزِّ الصَّبْرِ كَمَا أَنَّ عَزَّ النِّفْيِ مَانِعٌ مِنْ كَرَمِ الْإِنْصَافِ .
وقال بعض المتكلمين فذم النفي : أَلَمْ تَرَوْا النَّفْيَ مَا أَتَدَوَّمُ نَصْبِهِ ، وَأَقْلَرُ رَاحَتَهُ ، وَأَخْصَرُ
مِنْ مَالِهِ حَقْلَهُ ، وَأَشَدُّ مِنَ الْإِيَّامِ حَذَرَهُ ، وَأَغْرَى التَّهَرُّ بِتَلْمِهِ وَقَضَاهُ ، ثُمَّ هُوَ بَيْنَ
٢٠ سُلْطَانِ يَرْعَاهُ ، وَحَقُوقِ تَسْتَرْثِيهِ ، وَأَكْفَاءِ يَنْتَافِسُونَهُ ، وَوَلَدٍ يُوَدُّونَ فِرَاقَهُ ، قَدْ بَعَثَ
عَلَيْهِ النَّفْيَ مِنْ سُلْطَانِهِ الْعَنَاءِ ، وَمِنْ أَكْفَائِهِ الْحَسَدِ ، وَمِنْ أَعْدَائِهِ الْبُغْيِ ، وَمِنْ ذَوِي

الحقوق، اللهم، ومن الولد الملامة، لا كُنِي البُلغة قَنِع قدام له السرور، ورفض الدنيا
فسلم له الجسد، ورضى بالكفاف فتكثرت الحقوق، حَجِر أعرابي بكثرة السيل والولد
مع الفقر وبلغه أن الوباء بجحير شديد فخرج إليها بعاله يُعرضهم للوت، وأنشأ يقول
قلتُ لحُمي خبيراً استعدي * هالك عيالي وأجهدي ويجدي

- وباكرى بصالٍ وورِد * أعاك الله على ذا الجنيد

فأخذته الحُمى فمات هو وبق عياله، وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله:
يا بني، أتق الله، فإنه من أتق الله وقاه، ومن تَوَكَّل عليه كفاه، ومن شكره زاده، فلتكن
التقوى عماد عيذك وِعلاء قلبك، وأعلم أنه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن
لا حِسبة له، ولا مال لمن لا رِفق له، ولا جدي لمن لا حَلَق له. وقال محمود الوزاق

- ١٠ يا عائب الفسق ألا تَرُدِّحِر * حَيَّبُ النِّفَى أَكْفَرُ لو تَتَّبِعِر
من شَرَفَ الفقر ومن فضله * على النِّفَى إن صحَّ منك النظر
أنتك تَعْبِي الله تَبْنِي النِّفَى * ولست تَعْبِي الله كي تَفْتَقِر

وقال آخر

- ليس لي مالٌ سوى كرمي * فيه لي أَمْنٌ من العُدم
١٥ لا أقول : الله أَعَدَّنِي * كيف أشكو ضِرَّ مَتَّهم
قِنِيتُ قُضِيَ بِمَا رَزَقْتُ * وتَعَطَّتْ بِالْعُلَى هِمَمِي
وجعلتُ الصبرَ سَابِقَةً * فهي من قَرَرْتُ إلى قَدَمِي
فإذا ما التَّهَرَّ طَابَّتْ بَنِي * لم يَحْدَنِي كَافراً نَعَمِي

التجارة والبيع والشراء

- ٢٠ قال : حدَّثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن ابن إسحق عن حمزة بن عوف
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دُعِيتُ مَرَّعَةً ومرحمة ولم أبعثُ تاجراً
ولا زَرَّاعاً وإتت هذه الأئمة التَّجَارُ والزَّراعون إلّا من فَحَّ عن دينه ». وفي حديث

آخرواه أبو معاوية عن الأعمش عن وائل بن داود عن سعيد بن جبير: سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الكسب أطيب قال : « عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَسَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ » .

- حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا عون بن عمارة عن هشام بن حسان عن الحسن أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : من تَجَرَ في شيء ثلاث مرات فلم يُصِبْ فيه فليتحول منه الى غيره . وقال : ^(١) فزفوا بين المنايا ، وأجعلوا الرأس رأسين ولا تأثبوا بدار ممجزة . وقال : اذا اشتريت بغيراً فاشتره عظيم الخلق فإن أخطأك خيرٌ لم يُخطئك سوقٌ . وقال : بيع الحيوان أحسن ما يكون في عينك . وقال الحسن : الأسواق موايد الله في الأرض فمن أتاها أصاب منها . ابن المبارك عن معمر عن الزهري قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يبيع شيطاً ، فقال : « عليك بالسوم أول السوق فإن الرياح مع السباح » . وكان يقال : اِسْمَحْ لِسَمَحٍ لَكَ . وفي بعض الحديث المرفوع : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج » . وقيل للزبير : بم بلغت ما بلغت من اليسار ؟ قال : لم أزد ربحاً ولم أسترعياً . دخل ناس على معاوية فسألهم عن صنائعهم ، فقالوا : بيع الرقيق . قال : بش التجارة ضمان قميص ومثونه خرس .

باع رجل ضبعة فقال للشترى : أما والله لقد أخذتها هيلة المشونة قليلة المنفعة ، فقال : وأنت والله لقد أخذتها بطيئة الاجتماع سرمة التفوق . واشترى رجل من

(١) رواه ابن الأثير في النهاية وابن منقوري في اللسان « فزفوا عن الميتة واجعلوا الرأس رأسين الخ » وقال في تفسيره : اذا اشتريت الرقيق أو غيره من الحيوان فلا تأثبوا في الثمن واشتروا بين الرأس الواحد رأسين فان مات الواحد بين الآخر مكانكم فرتم ما لكم من الميتة اه ولا تأثبوا بدار معجزة أى لا تهيبوا بدار يصيركم فيها طلب الرزق وتحولوا عنها الى غيرها .

رجل داراً فقال له المشتري: لو صبرتَ لاشتريتُ منك الذراعَ بعشرة، فقال: وأنت لو صبرتَ بسنك الذراعَ بدرهم .

- حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي أن أبا سفيان بن العلاء باع غلاماً له بثلاثين ألفاً فقال عمر بن أبي زائدة: هذا أحق، قالوا: كيف؟ قال: لأنه لم يبلغ ثلاثين ألفاً حتى أعطى قبل ذلك عشرون ألفاً فكيف أنتظر ولم يمتنعها . ورؤي عبد الله ابن جعفر يُمَا كَس في درهم قبيص له: أُمَا كَس في درهم وأنت تجود من المال بما تجود به؟ قال: ذلك مالي جدتُ به وهذا عَقْلِي يَحْتَلُهُ . ابتاع ابن عمر شيئا فغتا له البائع على المكيال فقال له ابن عمر أرسل يدك ولا تُحْسِكْ على رأسه فإنما لي ما يحمله المكيال . كان جرير بن عبد الله إذا اشترى شيئا قال لصاحبه: إن الذي أخذنا منك خير مما أعطيناك إذ أُعْطِنَ أَنَّهُ كَذَلِكَ فَأَنْتَ بِالْخِيَارِ . اشترى عمرو بن عُبيد إزارا للحسن بستة دراهم ونصف فاعطاه سبعة دراهم فقال الرجل: إنما بعته بستة دراهم ونصف، فقال عمرو: إني اشتريته لرجل لا يقاسم أخاه درهما .

- قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الزناد قال: إذا عَزَبَ الْمَالُ قُلْتَ فَوَاضِلُهُ، لَا بَلْعَةَ وَلَا بُسْرَةَ وَلَا رُطْبَةَ وَلَا كِرْثَانَةً . ونحوه قول بعض المجازين سَأَيْبُكَ مَالًا بِالْمَدِينَةِ إِنِّي * أَرَى عَازِبَ الْأَمْوَالِ قُلْتَ فَوَاضِلُهُ ١٥

قال عمر بن عبد الرحمن بن عوف: قَسَمُ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ بَيْنَنَا أَمْوَالُنَا وَقَالَ لِي: يَا بْنَ أَخْتِي إِنِّي أُوتِرْتُكَ بِالْقِرَابَةِ، اعْلَمْ أَنَّهُ لَا مَالَ لِأَخْرَقٍ وَلَا عَيْلَةٍ عَلَى مُصْلَحٍ، وَخَيْرُ الْمَالِ مَا أَطْعَمَكَ لَا مَا أَطْعَمْتَهُ، وَإِنْ الرِّقِيقُ جَمَلٌ وَلَيْسَ بِمَالٍ . قال زياد: ليس لدى ضَعْف

مثل أرض عُثْرٍ وليس لذي جاء مثل نَراَجٍ وليس لتاجرٍ مثل صامِتٍ . قال رجل
 لآخر: بكم تبيع الشاة؟ قال: أخذتها بستة وهي خير من سبعة وقد أعطيتُ بها ثمانية
 فإن كانت من حاجتك بستة فزِن عشرة . كان يقال: خيرُ المالِ حينَ حرارةٍ ،
 في أرض خَوارةٍ ، تُفَجِّرُها الغارةُ ، تسهرُ إذا نِمْتَ ، وتشهدُ إذا غِبتُ ، وتكون عَقِباً
 إذا مِتَ . عجد الرزاق عن مَعْمَرٍ عن الزهري عن سعيد بن المسيَّب قال: إن الله
 إذا أبغض عبداً جعل رزقه في الصباح . وقال الفضيل مثل ذلك وقال: أما سمعت
 إلى أهل دارِ البطيخِ والملاحينَ ودويهم .

قال حدثنا أحمد بن الخليل قال حدثنا أحمد بن الحارث المَجْنِي قال حدثنا
 المبارك بن سعيد عن بُرد بن سنان عن نافع عن ابن عمر أنه كان لا يرى بالكأسة
 والمأكسة في الشراء والبيع بأساً . ١٠

قال حدثني محمد قال حدثني الأصمباني عن يحيى بن أبي زائدة عن مجاهد عن
 أبي بردة . قال: أتى عمرُ غلاماً له يبيع الحُللَ ، فقال له: إذا كان الثوب عاجزاً فأنتِره
 وأنتِ جالسٌ وإذا كان واسماً فأنتِره وأنت قائم . قال، فقلتُ له: الله الله يا عمرُ .
 قال: إنما هي السوق . قال عبد الله بن الحسين: غلةُ الدور مُسَكَّةٌ وغلةُ النخلِ
 كَفَافٌ وغلةُ الحبِّ النقي . قال أعرابي ١٥

زيادةُ شيءٍ تُلحقُ النفسَ بالمتى * وبعضُ الغلاءِ في التجارة أربحُ
 وبلغ عُبَّةُ بنَ غَزَّوَانٍ أنَّ أهلَ البصرة قد اتخذوا الضياعَ وعمروا الأرضين
 كتب إليهم: لا تُتَهَكَّوا وجهَ الأرضِ فإنَّ تَحَمُّلَهَا في وجهها . قال أعرابي
 وفي السوقِ حاجاتٌ وفي التَّقْدِ قِلَّةٌ * وليس يُمَقِّضِي الحاجِ غيرُ الدراهمِ .
 قال ميمون بن ميمون: من أشتري الأشياءَ بِنَعْتِ أهلها غُرَبٌ . ٢٠
 (١) كذا بالأصل . ولم نجد في القاموس أو اللسان أفضى بمعنى قضى . وله: وليس تُقضى الخ .

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي . قال : حدثني سُكْرُ الحَرِثِيِّ ^(١) قال : جاء الحسن بشاة فقال لي يَعْها وأبرا من أنْها تَلِبُ المَلْفَ وتَرْعُ الوَيْدَ مِنْ قَبْلِ البَيْعِ ثَلَا يقولوا ندم . قال الشاعر

إذا ما تاجر لم يُوفِ كَلًّا * فُصِّبَ على أنامله الجُلْدَامُ

ابن الزيات في الطائي

رَأَيْتَكَ سَهْلَ البَيْعِ تَمَحًّا وَإِنَّمَا * يُقَالِي إِذَا مَا طَلَّقَ الشَّيْءُ بِأَمْعَةٍ
هو المَاءُ إِنْ أَحْيَيْتَهُ طَلَبَ شُرْبُهُ * وَيَكْدُرُ يَوْمَا أَنْ تُبَاحَ مِشَارِعُهُ

حدثت عن شَيْبَانَ بْنِ قَرُوخٍ عَنْ أَبِي الْأَشْهَبِ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ يَجْبِرُ فِي الْبَحْرِ وَيَحْمِلُ الْخَمْرَ يَأْتِي بِهَا قَوْمًا ، فَمَدَّ إِلَيْهَا فَرَجَهَا نَصْفَيْنِ وَأَتَاهُم بِهَا فَبَاعَهَا بِحَسَابِ الصَّرْفِ وَأَشْتَرَى قَرْدًا فَحَمَلَهُ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ فِي الْبَحْرِ لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ الْقَرْدُ الْكَيْسَ وَعَلَا عَلَى الصَّارِي وَجَعَلَ يُقِي دِينَارًا فِي الْبَحْرِ وَدِينَارًا فِي السَّفِينَةِ حَتَّى قَسَمَهُ قِسْمَيْنِ . قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْحَاجِّ : أَتَانَا رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ بِالرَّمْلِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ يَفِرُّ فِيهَا كَيْدًا ، فَقُلْنَا لَهُ : بِكُمُ الْفِرَارَةُ ؟ فَقَالَ : بَدْرَهَيْنِ ، فَقُلْنَا : لَكَ ذَلِكَ ، فَأَخَذْنَاهَا وَدَقَعْنَا إِلَيْهِ الثَّمَنَ ، فَلَمَّا نَهَضَ قَالَ لَهُ رَجُلٌ مَتَى : فِي أَسْتِ الْمَغْبُورِ عُدُوٌّ ، فَقَالَ : بَلْ عَوْدَانِ وَضَرَبَ الْأَرْضَ رَجْلَهُ فَذَا نَحْنُ عَلَى الْكَأَةِ قِيَامٌ . قِيلَ لِأَعْرَابِي : أَلَا تَشْتَرِي لِابْنِكَ بِطَيْحَةٍ . فَقَالَ : لَا ، أَوْ يَبْلُغُ مِنْ كِسَادِهِ أَنْ يَكُونَ إِذَا سَأُولٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ الْبَقَالِ وَأَخَذَهُ وَعَدَا رَمَاهُ بِأَخْرَى وَلَمْ يَسُدِّ خَلْفَهُ . اشْتَرَى أَعْرَابِي غُلَامًا فَقَالَ لِلْبَائِعِ : هَلْ فِيهِ مِنْ عَيْبٍ ، فَقَالَ : لَا ، غَيْرَ أَنَّهُ يَبُولُ فِي الْفِرَاشِ . فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا بِعَيْبٍ ، إِنْ وَجَدَ فِرَاشًا فَلْيَبُلْ فِيهِ .

٢٠

(١) فِي الْأَلْمَانِيَةِ «الْحَارِثِيُّ» .

(٢) هَكَذَا بِالْأَصْلِ طَلَّقَ بِالْفَاءِ ، وَلَمْ يَحْزَنْ بِالْفَتْحِ الْمَجْعَةَ بِمَعْنَى يَحْمِلُ .

الدِّين

قال ثابت قُطَنَة : الدِّين عَقْلَة الشَّرِيف . وقال دَلِيم

اللهُ لَقِيَ مِنْ عَرَابَة بَيْعَةً * عَلَى حِينِ كَادَ الْقَدُّ يَمُصُّ عَاجِلُهُ
وَلَوْ يَبْنَى الْكَفَّ يَحْسُبُ رِبْعَهُ * وَلَمْ يَحْسُبِ الْمَطْلُ الَّذِي أَنَا مَاطِلُهُ
مِيرَضَى مِنَ الرَّبِّ الَّذِي كَانَ يَرْجِيهِ * أَسَ الَّذِي أُعْطِيَ وَهَلْ هُوَ قَاطِلُهُ

عبد الرازق عن ابن جريج قال : رَأَى عمرو أَنَا مُتَقَنَّعٌ ، فقال : يَا أَبَا خَالِدٍ ، إِنَّ لِقْمَانَ
كَانَ يَقُولُ : التَّنَاعُ بِاللَّيْلِ رِبِيَّةٌ وَبِالنَّهَارِ مَنَلَةٌ ، فَقُلْتُ : إِنَّ لِقْمَانَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ دِينَ .

كتب يعقوب بن داود إلى بعض السُّبَّاد يسأله القدومَ عليه ، فأقَى محمد بن النضر
الحارثي فاستشاره وقال : لَمَلَّ اللهُ بَعْضِي دِينِي ، فقال محمد بن النضر : لِأَنَّ تَلَقَّى اللهُ

وَعَلَيْكَ دِينَ وَلَكَ دِينَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ وَقَدْ قَضَيْتَ دِينَكَ وَذَهَبَ دِينُكَ ، . قال

عِيَّاضُ بْنُ عَبْدِ اللهِ : الدِّينُ رَأْيُهُ اللهُ فِي أَرْضِهِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْدُلَ عَبْدًا جَعَلَهَا حَقًّا
فِي عَقْهِ . دخل عُبَيْةُ بْنُ عَمْرِو عَلَى خَالِدِ الْقَسْرِيِّ . فقال خالدُ يُعْرَضُ بِهِ : إِنَّ هَهُنَا

رِجَالًا يَدَّانُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ فَإِذَا فَنِيَتْ أَذَانُوا فِي أَعْرَاضِهِمْ . فقال عُبَيْةُ : إِنَّ رِجَالًا

لَا تَكُونُ مِرْوَعاتُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَيَدَّانُونَ عَلَى سَعَةِ مَا عِنْدَ اللهِ ، فَنَجِبِلُ خَالِدَ وَقَالَ :

إِنَّكَ مِنْهُمْ مَا عُلْتُ . وقال أعرابي يذُكُرُ غُرْمَاءَهُ

جَلَمُوا إِلَى غَضَبًا يَلْقَطُونَ مَعَا * يَسْنِي أَذَانَهُمْ أَنْ غَابَ أَنْصَارِي

لَمَّا أَبَوْا جَهْمَةَ إِلَّا مَلَا زَيْتِي * أَجْمَعْتُ مَكْرَاهُ فِي غَيْرِ انْكَارِ

وَقُلْتُ إِنِّي سَيِّئَتْنِي غَدًا جَلِي * وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ دَارُ أَرْبِ هَبَارِ

وَمَا أَوْاعِدُهُمْ إِلَّا لِأَرْبِهِمْ ^(١) * عَنِّي فَيُخْرِجُنِي قَضِي وَإِمْرَارِي

٢٠ (١) فِي الْأَمَانَةِ عَمِيرًا بِالصَّنِيرِ . (٢) فِي الْقَدِّ التَّرِيدِ : لِأَدْوَامِ .

وما جلبتُ إليهم غيرَ راحلةٍ * تحبدي برجلي وسيفَ جَفَنُهُ عاري
 إن القضاء سيأتى دونه زمنٌ * فاطلو الصحيفةَ وأحفظوها من الغار^(١)
 وقال آخر لنفرائه

ولو علقتموني كلَّ يوم * برجلي أو يدي في المعجنق
 لما أعطيتُكم إلا تُراباً * يُطيرُ في النليآثم والحلوق

وقال آخر

إن أخيتَ الأميرَ قتلَ سلامٌ * عليك ورحمةُ اللهِ الرحيم
 وأما بعد ذلك فلي غريمٌ * من الأعرابِ قُبِعَ من غريم
 له ألفٌ على ونصفُ ألفٍ * ونصفُ النصفِ في صكِّ قديم
 دراهم ما أتفتتُ بها ولكن * وصلتُ بها شيوخُ بني عجم

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي . قال : جاء رجل من بني مخزوم إلى الحارث بن عبد الله بن نوفل وهو يقضى عن أخيه ديناراً فقال : إن لي على أخيك حقاً ، قال : ثبتَ حقك مُعْطَه . قال : أفنُ مَلَاةِ أخيك ووفائه ندعى عليه ما ليس لنا ؟ فقال : أَمِنْ صدِّقِكَ وبرِّكَ قبل قولك بغيرِ بينة ؟ . لزم سهل بن هارون دينٌ كثيرٌ ، فقال أعرابي يوصيه بالتواري عن غُرْمائه

انزل أبا عمرو على حدِّ قرية * ترجع إلى سهل كثير السَّلَاقِي
 وحذِّقْ نَفَقَ البرِّوعِ فأسلكْ طريقَه * ودع عنك إني ناطقٌ وأبْنُ ناطقِي
 وكن كأبي قُطْبٍ على كلِّ رايح * له بابُ دارِ ضيقِ التَّرضِ سامق
 وأبو قُطْبَةَ خَنَاقٍ كان بالكوفةِ مولى لِكِنْتَةَ .

حدثني محمد بن عيسى . قال : حدثني سُفْيَانُ بن عُيَيْنَةَ عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير أن رجلاً كان يُباعِ النَّاسَ ويذاينهم ، وكان له كاتبٌ ومتجرٌ ، فأتته

(١) في العقد الفريد : النار .

المُعِيرُ وَالْمُسْتَظَرُّ يَقُولُ لِكَاتِبِهِ : أَكْتَبُ وَأَسْتَظَرُّ وَتَجَاوِزُ لِيَوْمٍ يَتَجَاوَزُ اللَّهُ عَنْهُ ،
فَمَاذَا لَا يَعْمَلُ عَمَلًا غَيْرَهُ فَتَفَرَّاهُ لَهُ . قَالَ شُقْرَانُ الْقُضَاعِيّ

لَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسِ عِيلَانَ لَمْ تَجِدْ * عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ النَّاسِ دَرَاهِمًا
وَلَكِنِّي مَوْلَى قُضَاعَةَ كُلِّهَا * فَلَسْتُ أَبَالِي أَنْ أَدِينَ وَتَقْرَمَا

٥ بلخني عن يحيى بن أيوب عن الأعمش عن إبراهيم . قال : أرسل عمر إلى
عبد الرحمن بن عوف يستسلفه أربع مائة درهم ، فقال عبد الرحمن : أتستسلفني وعندك
بيت المال ، ألا تأخذ منه ثم تردّه ، فقال عمر : إني أخشأ أن يصيبني قدرى ،
فقول أنت وأصحابك : اتركوا هذا لأئمة المؤمنين . حتى يؤخذ من ميزاني يوم القيامة ،
ولكنني أتسلفها منك لما أعلم من تحكك فلان مات جئت فأستوفيتها من ميزاني .

١٠ كتب أبو عباد المهلب^(١) إلى صديق له مكثراً يستسلفه مالا ، فأعجل عليه بالتعذر
وضيق الحال ، فكتب إليه ابن عباد : إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا جَعَلَكَ اللَّهُ صَادِقًا وَإِنْ كُنْتُ
مَلُومًا جَعَلَكَ اللَّهُ مَعْدُومًا . أبو اليقظان قال : كَانَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ
أَبِي هَبْ الشَّاعِرُ يُعِينُ النَّاسَ فَإِذَا حَلَّتْ دِرَاهِمُهُ رَكِبَ حِمَارًا لَهُ يُقَالُ لَهُ شَارِبُ الرِّيحِ
فَيَقِفُ عَلَى غَرَمَائِهِ وَيَقُولُ

١٥ بَنِي عَمْنَاءُ رَقُوا الدَّرَاهِمَ إِنَّمَا * يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الدَّرَاهِمِ

وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الدَّيْلِ عَمِيرُ الْقُضَاءِ فَإِذَا تَمَلَّقَ بِهِ غَرَمَاؤُهُ فَرَمْنَهُمْ وَقَالَ
فَلَوْ كُنْتُ الْحَدِيدَ لَكُحْرُونِي * وَلَكِنِّي أَشَدُّ مِنَ الْحَدِيدِ

فَبَيَّتَهُ الْفَضْلُ فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ الْخَلِّ جَاءَ فَبَنَى مَمْلَقًا عَلَى بَابِ دَارِهِ ، وَكَانَ يَقَالُ
لِلرَّجُلِ عَقْرَبُ فَلَقِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ صَاحِبِهِ سِلَّةً ، فَهَجَاهُ الْفَضْلُ فَقَالَ

٢٠ (١) فِي الْأَمَانَةِ الْمَلِكِ دَلِمَ قَفَّ عَلَى مَنْ اشْتَرَى بَابَ عِيَادٍ وَهُوَ ابْنُ عِيَادٍ سَوَى أَبِي عِيَادٍ يَحْيَى بْنُ عِيَادٍ
الضَّبِّيُّ الْبَصْرِيُّ وَلَكِنْ الْقِسْوَبُ إِلَى الْمَهْلَبِ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيَادٍ بْنُ حَبِيبِ الْمَهْلَبِيِّ .

قد تجرأت في دارنا عقرب * لا مرحباً بالعقرب الناجر
إن عادت العقرب عدنا لها * وكانت النمل لما حضره
كل عدو يتق مقيلاً * وعقرب تخشى من الدائر
إن عدوا صكبه في آسته * لغير ذي كيد ولا نائره

- قال بعضهم : ثلاثة من عازم عذته ذلة : السلطان، والوالد، والغريم .
وفي الحديث المرفوع : « لصاحب الحق اليد واللسان » . المدائني قال : سار بعض خلفاء
بنى أمية رجلاً وهو يحادثه ثم قطع حديثه وأصفى لونه ، فقال له الرجل : ما هذا
الذي رأيت منك ؟ قال : رأيت غريباً لي ، قال الشاعر
إذا ما أخذت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن كان غريباً على غرم

- وقال آخر
أخذت الدين أدفع عن تلادي * وأخذت الدين أهلك للتلاد
كان لرجل من يحصب على رجل من باهلة دين ، فلما حل دينه هرب الباهلي
وأنا يقول

- أنا حل دين الجحشي قتل له : * تزود براد وأستعين بدليل
سيصبح فوق أقم الرأس واقفاً * بقالي قلا أو من وراء دبيل

- قال المحدث بهذا : فحدثني من رآه بقالي قلا أو دبيل وهو مصلوب وقد وقت
عليه عقاب . وقف أبو فرعون الأعرابي على باب قوم يسالم ، خلفوا له : ما عنكم
شيء يعلونه ، فقال : استقرضوا لنا شيئاً ، فقالوا : ما يقرضنا أحد شيئاً ، فقال
أبو فرعون : ذلك لأنكم تأخذون ولا تعطون ، أو قال ولا تقضون . أتى قوم عبادياً
فقالوا : نحب أن نسلف فلانا ألف درهم وتؤثره بها سنة ، قال : هذه حاجتا ،
(١) التي في اللسان : سيصبح فوق أقم الریش واقفاً .

وسأقضي لكم إحداهما، وإذا أنا فعلت فقد أصفيت، أنا أؤخره ماشاء . كتب عمر ابن عبد العزيز إلى رجل له عليه دين : قد آن للفق الذي عندك أن يرجع إلى أهله ، وتستغفر الله تعالى من حبه .

اختلاف المصمم والشهوات والأمانى

- ٥ اجتمع عبد الله بن عمر وعروة بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان فيناء الكعبة ، فقال لهم مصعب : تمتوا فقالوا : ابدا أنت . فقال : ولاية العراق وتزوج سكينه ابنة الحسين وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، فمال ذلك وأصدق كل واحدة خمسمائة ألف درهم وجهزها بمثلها . وتمنى عروة بن الزبير الفقه وأن يحل عنه الحديث فمال ذلك . وتمنى عبد الملك الخلافة فمالها . وتمنى عبد الله بن عمر الجنة .
- ١٠ قال قتيبة بن مسلم لحصين بن المنذر : ما السرور ؟ قال : امرأة حسناء ، ودار قوراء ، وفرس مرتبط بالفناء . وقيل لضرار بن الحسين : ما السرور ؟ قال : لواء مشور ، وجلس على السرير ، والسلام عليك أيها الأمير . وقيل لعبد الملك بن صالح : ما السرور ؟ فقال

كل الكرامة نلتها * إلا النجاة بالسلام

- ١٥ يريد أنه لم يسلم عليه بالخلافة . وأخذه من قول الآخر
من كل ما نال الفتى * قد نلتها إلا الصيحة

يريد الملك . قيل لعبد الملك بن الأهم : ما السرور ؟ فقال : رفع الأولياء ، وحط الأعداء ، وطول البقاء ، مع القدرة والتماء . وقال آخر

- ٢٠ أطيب الطيبات قتل الأعادى * واختيال على متون الجياد
وأباد حيوتهن ككريما * إن عند الكريم تركو الأيادي

(١) في النسبة الألمانية «الأماني» .

قيل للفضل بن سهل : ما السرور ؟ فقال : توقعُ جائزاً وأمرُ نافذ . وقال يزيد بن أسد يوماً : أي شيء أسرُّ إلى القلوب ؟ فقالوا : رجل هوى زماناً ثم قدره ، فقال : إن هذا السرور . وقال آخر : رجل طلب الولدَ زماناً فلم يولد له ثم بشر بسلام ، فقال يزيد : أسرُّ من هذا كله قفلةٌ على غفلة . قيل لبعض الحكماء : تمنّ ، فقال : مُحَادَثَةُ الإخوان ، وكَفَافٍ من عيش يسدُّ خَلْقِي ويستر عورِي ، والانتقال من ظِلِّ إلى ظِلِّ . قيل لآخر : ما بقى من ملائكة ؟ قال : مناقلةُ الإخوان الحديثَ على التلاعُ العُرفى البالي القُمر . قيل لامرئ القيس : ما أطيبُ عيش الدنيا ؟ فقال : بِيضَاءُ رُعبوبةٍ ، بِالطَّيْبِ مَسُوبَةٍ ، بِالشَّحْمِ مَكْرُوبَةٍ . وقيل لطرفة مثل ذلك فقال : مطعمٌ شهيٍّ وملبسٌ دقيٍّ ، ومركبٌ وطيٍّ . وقيل للأعشى مثل ذلك ، فقال : صباهُ صافيةٍ ، تَزُجُّهَا ساقيةٌ ، من صوبٍ غادية . وقال طرفة

١٠

ولولا ثلاث هنّ من عيشة الفتي * وجسدك لم أحفل متى قام عؤدى
فهنّ سبق العاذلاتِ بَسْرة * كُبَيْتٍ متى ما نُفِّلَ بالماءِ تُرِيدُ
وتقصير يوم النجى والنجى مُعْجَبٌ * يَهْكِنُهُ تحت الطُرافِ المُسَمَدِ
وَرَكْرَى إذا نادى المُضَافُ مُعْنَا * كَسِيدِ القضا نَبَهَهُ المتورّدُ

١٥

وقال أبو نواس

قلت بالقفص ليحيى * ونلماهى نيامٌ
يأرضيني ندى أم * ليس لي عنه فطامٌ
إنما العيش سماعٌ * ومدمامٌ ونلدامٌ
فلذا فانتك هذا * فعل العيش السلامُ

٢٠

وقال مخمّم

تقول حذراء: ليس فيك سوى الشخمر معابٍ يميمه أحدُ

(١) كنا بالأمل بلله «مشبوهة» .

فقلت: أخطأت، بل معاقرق السخمر وبلي فيها الذي أجد
هو السناء الذي سمعت به * لا سبد عتدي ولا ببد^(١)
ومحك لولا الخمر لم أحفل السمش ولا أن يضنى لحد
هي الحيا والحياة والأهولا * أنت ولا ثروة ولا ولد

وقال أبو الهندي

تركت الخمر لأربابها * وأصبحت أشرب ماء قرآنا
وقد كنت حينها معجبا * كعب الغلام الفتاة الردا
وما كان تركي لما أتني * يخاف ندي على أفضاحا
ولكن قولي له مرحبا * وأهلا مع السهل وأنتم صبا

وقال آخر

اسقني بالكبير إني كبير * إنما يشرب الصغير الصغير
لا يفرئك يا عييد خشوعي * تحت هذا الخشوع فسق كثير

كان ابن عائشة يمشد

لما رأيت الحفظ حظ الجاهل * ولم أر القبول غير العاقل
رحلت عسا من كروم بابل * فبت من عقل على مراحل

وقال آخر

شربنا من الباذي حتى كأننا * ملوك لهم بر العراقين والبحر
فلما أنجلت شمس النهار رأينا * تولى ألقى عنا وعودنا الفقر

قال بعضهم : العيش كله في كثرة المال وصحة البدن وتحول الذكر . وكان
يقال : ليس السرور للنفس بالحدة ، إنما سرور النفس بالأمل . قال يزيد بن معاوية :

(١) في النسخة الألمانية : السناء . (٢) في النسخة الألمانية : غلدي .

ثلاث تُخْلِقُ الْعَقْلَ وَفِيهَا دَلِيلٌ عَلَى الضَّعْفِ: سُرْعَةُ الْجَوَابِ، وَطُولُ التَّمَتُّي، وَالِاسْتِغْرَابُ فِي الضَّحْكَ. وَكَانَ يُقَالُ: الْمُنَى وَالْحُلْمُ أَخَوَانُ. وَسَلَّ ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ: أَيُّ شَيْءٍ أَدْوَمُ إِمْتِنَاعًا؟ فَقَالَ: الْمُنَى. وَقَالَ الشَّاعِرُ

إِذَا تَمَيَّنْتُ بِثُ اللَّيْلِ مُتَعِيلاً * إِنَّ الْمُنَى رَأْسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ

وقال آخر

مَا فَاتَنِي مِنْكَ فَاةُ الْمُنَى * تَدْنِيهِ مِنِّي فَكَأَنَّا مَعَا ^(١)

وقال آخر

وإِنْ لَوُا لَيْسَ شَيْطَانُ سَوَى * تَسْلِيَةِ الْوُؤَاءِ بِالْبَاطِلِ

وقال بعض الأعراب

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى * وَإِلَّا فَهَدِّ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا ١٠
أَمَانِي مِنْ سُعْدَى عِدَابًا بِكَأَنَّمَا * سَقَّتْكَ بِهَا سُعْدَى عَلَى ظِلْمًا بَرَدًا

وقال بشار

كُرَرْنَا أَحَادِيثَ الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى * فَلَدَّ لَنَا مَحْمُودُهَا وَذَمُّهَا

وقال المبحنون

أَيَّ حَرِيحَاتٍ الْحَيَّ حَيْثُ تَحَلَّوْا * بَذَى سَلَمٌ لَا جَادَ كُنْتُ رُبْعُ ١٥
وَحَيَاتِكَ الْآلَتِي يُنْمِرُجُ الْوَى * بَلَيْنٌ يَلِي لَمْ تَبْلَهَنَّ رُبْعُ
فَقَدْ تَكُنْ مِنْ نَفْسِ شَعَاعٍ فَطَالَمَا ^(٢) نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعُ
فَقَدْ تَبَيَّنَ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفَتْ * إِلَيْكَ شَايَا مَا لَهَنَ طُلُوعُ ^(٣)

(١) في الأصل «يذنيه». (٢) كذا في الأغاني واللسان. وفي الأصول «قلب».

(٣) في الأصول «مائل شايها الخ». والصواب عن الأغاني.

وقال ابن أبي التَّمِينَةِ^(١)

يَا لَيْتَنَا قَرَدًا وَحِشٌ نَلُورُ مَعًا * نَرَى الْمَتَانَ وَنَحْفَى فِي نَوَاحِيهَا
أَوَلَيْتَ كُذِّرَ الْقَطَا حَلَقَيْنِي وَبِهَا * دُونَ السَّمَاءِ فَمِشْنَا فِي خَوَافِهَا
أَكْثَرْتُ مِنْ لَيْتِنَا لَوْ كَانَ يَنْفَعُنِي * وَمِنْ مَنَى النَّفْسِ لَوْ تَعَطَّى أَمَانِيهَا
وقال كثير

فِيَا لَيْتَنَا يَا عَزَّ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ * بَعِيرَانِ نَرَى فِي الْقَلَاةِ وَنَعُزُّبُ
نَكُونُ لَدَى مَالٍ كَثِيرٍ يُضْبِعُنَا * فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ
وقال جرَّانُ المَوَدِّ

أَلَا لَيْتَنَا طَارَتْ عُقَابٌ لَنَا مَعًا * لَهَا سَبَبٌ عِنْدَ الْمَجَرَّةِ أَوْ وَكُرُ
وقال مالك بن أسماء

وَلَا نَزَلْنَا مَتَرًا ظَلَمَهُ النَّسْدَى * أَبَيقًا وَبُسْتَانًا مِنَ النُّورِ حَالِيَا
أَجَدْتُ لَنَا طَيْبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ * مَنَى قَمِينِنَا فَكُنْتُ الْأَمَانِيَا
وَأَنشَدْنَا الرِّيَاشِيَّ

نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا دَجَا * لِي اللَّيْلُ مَلَنِي هُنَاكَ الْمُضَاجِعُ^(٢)
أَقْضَى نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَالْمَنَى * وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
وَأَنشَدَ أَبُو زَيْدٍ

كَأَنِّي إِذْ أَسْمَعِي لِأُظْفَرَ طَائِرُ * مَعَ النِّجْمِ فِي جَوْ السَّمَاءِ يَطِيرُ
فَقَى مُتَلَهًى بِالْمَنَى فِي خِلَالِهِ * وَهَنَ وَإِنْ حَسَّتْهُنَّ غُرُودُ

(١) كذا بالأصول زيادة أبي، والصواب ابن التَّمِينَةِ .

(٢) المتان جمع متن وهو ما حلب من الأرض وارتفع .

(٣) في ديوان ابن التَّمِينَةِ : « مَرَّتَنِي الْبِك » بدل « ملني هناك » .

- أبو حاتم عن الأصمعي قال : زعم شيخ من بني القُحَيْف قال : تمتت دارا فكشئت أربعة أشهر مُقَمَّاً للدرجة أين أضعها . قال الوليد بن عبد الملك لبُدَيْج المُنْعَى : خذ بنا في التمتي فوالله لأغلبك . قال : والله لا تغلبني أبدا . قال : بلى . قال بُدَيْج : فإني أتمتي كغلبين من العذاب ، وأن يلعنني الله لعنا كثيرا نغذ ضِعْفَ ذلك . قال : غلبتني لعنك الله . قيل لمزيد : أيسرك أن هذه الجنة لك ؟ قال : وأضربُ عشرين سوطا . قالوا : ولم نقول هذا ؟ قال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .

- الأصمعي عن مُبَشَّر بن بَشِير أن رجلا كان يطلبه الجحّاج فترس باط فيه كلب بين جبين يقطر عليه ماؤها . فقال : يا ليتني مثل هذا الكلب ، فما لبث ساعة أن مرّ بالكلب في عنقه حبلاً ، فسأل عنه ، فقالوا : جاء كلبُ الجحّاج يأمر فيه بقتل الكلاب . قال مَدِينِي لَكُوفِي : ما بلغ من حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ١٠ وَدِدْتُ أَنِّي وَقَيْتُهُ ولم يكن وصل إليه يوم أُحُد ولا غيره شيء من المكروه ألا كان بي دونه . قال المَدِينِي : وَدِدْتُ أن أبا طالب كان أسلم فسرّ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنى كافراً .

- تمتني ابن أبي عتيق أن يُهدى له مسلوخٌ يتخذ منه طعاما ، فسمعته جارة له فظننت أنه قد أمر أن يُسْتَرَى له ، فانتظرت إلى وقت الطعام ثم جاءت تدق الباب ، ١٥ وقالت : شيمتُ ربحَ قُدوركم بفتحٍ ليطعموني ، فقال ابن أبي عتيق : جيرانى يسمعون ربح الأماشي .

- وفي كتاب للهند أن ناسكا كان له عسل وسمن في جرة ، ففكر يوما فقال : أبيعُ الجرةَ بعشرة دراهم ، وأشتري خمسة أعتار فأولدهن في كلّ سنة مريمين ، ويبلغ النّاسُجُ في سنتين مائتين ، وأبشاع بكل أربع جرة ، وأصيب بثأرا غازرع ، ويُنْجى المسأل ٢٠ في يدي ، فأَتخذ المساكين والعبيد والإماء والأهل وبؤلدي ابن فاسميه كذا وأخذ

بالأدب ، فإن هو عصافى ضربت بمصافى رأسه وكانت في يده عصا فرفعها حاكيا للضرب ، فأصابت الجوزة فانكسرت ، وانصب السؤل والسمن على رأسه .

ابن الكلبي قال : كان رجل من ولد عمر بن الخطاب إذا كان معرورا قال ليت أيامنا ببرقة خاخ • وليالك باطويل تعود

وإذا كان مغنا قال

تَرَى الشَّيْءَ مَا تَتَّقِي فَتَخَافُهُ • وَمَا لَا تَرَى مَا يَتَّقِي اللَّهُ أَكْثَرُ

الأصمعي عن أبيه قال قال زياد : أرى الناس أنتم ؟ قالوا : معاوية . قال : فأين ما يلتقي من الناس ! قالوا : فانت . قال : فأين ما ألقى من الثنور والخراج ! قالوا : فمن ؟ قال : شاب له سيداً من عيش ، وامرأة قد رضيها ورضيته ، لا يعرفنا ولا نعرفه ، فإن عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه دينه وديناه .

التواضع

قال حدثني محمد بن خالد بن خديش قال حدثنا مسلم بن قتيبة عن شيخ من أهل المدينة قال [قال] رجاء بن حيوة : قام عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فأصلح من السراج فقلت : يا أمير المؤمنين لم لا أمرتني بذلك ، أو دعوت له من يصلحه ؟ فقال : قمت وأنا عمر وعديت وأنا عمر .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : كتب محمد بن كعب فانكتب وقال : القُرطبي ، فقيل له : أو الأنصاري . فقال : أكره أن أؤمن على الله بما لم أنص .

قال حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا عبد الله بن مسلمة عن يعقوب بن حماد المدني عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال : كان عمر بن الخطاب إذا سافر لا يقوم في الظل ، وكان يراحمنا راحلنا ويرحل رحله وحمله . وقال ذات يوم

لا يأخذ الليل عليك بالمم * واليس له التقيص واعتم^(١)
وكن شريك نافع وأسلم * ثم أخدم الأتوم حتى تحم

وروى وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : جاء رجل
إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأصابته ريعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «هون
عليك فإنا أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد» .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : جالس الأحنف على باب دار ، فمرت به
ساقية فوضعت قريبتها وقالت : يا شيخ ، احفظ قريبي حتى أعود ومضت ، فأتاه الأذن
وقال : انهنس . فقال : إن معي ودعة ، وأقام حتى جاءت

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن جرير بن حازم عن الزبير بن الحارث عن
أبي ليبيد ، قال : مر بنا زياد وهو أمير البصرة ومعه رجل أو رجلان وهو على بغلة
قد طوق الحبل في عنقها تحت الجلام .

الأصمعي قال ، قال يحيى بن خالد : الشريف إذا قعر تواضع والوضيع إذا قعر
تكبر . الأصمعي قال : لا أراه أخذه إلا من كيس غيره .

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن
أيوب عن عمار بن غزيرة عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال : إلى الله أشكو
حمدي مالا آتي ، وذمي مالا أترك .

قال حدثني أحمد بن الحليل عن أبي نعيم عن منديل عن حميد عن أنس قال :
مر النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في غلمان فسلم علينا .

وحدثني أحمد بن الحليل عن عمر بن عامر عن شعبة عن جابر عن طارق التيمي
عن جرير بن عبد الله البجلي قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ينسوة فسلم عليهم .

(١) كذا بهد هذا الشطر في الأصول وهو غنيل الوزن . (٢) يقال قرأ إذا نوى بأسمه من القرآن .

قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : أخبرني معمر قال : قلت لجار لعطاء
المسلمي : من كان يخدم عطاء؟ قال : مَحْتُون كانوا في الدار يستقون له وضوءه .
فقلت : أيوضه محتون ! فقال : هو كان يظنهم خيرا منه . الأصمعي عن رجل عن
البيهقي قال : أدنى ابن لحمد بن واسع رجلا ، فقال له محمد : أتؤذيه وأنا أبوك وإنما
اشتريت منك بمائة درهم .

قال عاصم بن الظرب التميمي : يا معشر عدوان ، إن الخير ألوف عرووف عرووف ،
وإنه لن يُفارق صاحبه حتى يفارقه ، وإنى لم أكن حكيما حتى سميت الحكما ، ولم
أكن سيدكم حتى تبعتمكم لكم . قال عروة بن الزبير : التواضع أحد مصادب الشرف .
كان يقال : إسمان متضادان بمعنى واحد : التواضع والشرف . وقال بُزْرجهر :
ثمرَةُ القناعة الراحة ، وثمرَةُ التواضع المحبة . وقال الوليد : خدمة الرجل أخاه شرف .
وقال عبد الله بن طاهر

أميل مع الذمام على ابن عمي * وأحمل الصديق على الشقيق
وإن أقبني ملكا مطاعا * فإنك وأجدي عبد الصديق
أفرق بين معروف ومتي * وأجمع بين مالى والحقوق

وقال آخر

وإن لعبد الضيف من غير ذلة * وما في إلا تلك من شيمة العبد^(١)

ويقال : كل نعمة عسود عليها إلا التواضع . قال المسيح عليه السلام لأصحابه :
إذا اتخذكم الناس رعبا فكونوا أذنا . اعتم هشام بن عبد الملك مقام الأبرش
ليسوى عمامته ، فقال هشام : مه إنا لا نتخذ الإخوان خوفا . كان عمر بن الخطاب
يلقظ النوى ويأخذ النكت من الطريق ، فإذا مر بدار رى بها فيها وقال : انتفعوا بهذا .

(١) جاء هذا البيت في الحامسة من أبيات مفتحة الزوى لقنع الكندي هكذا :

وإن لعبد الضيف ما دام الخزلا * ولا شية لي غيرها شبه البهلا

- قال يوسف بن أسباط : يَحْزَى قَلِيلُ الْوَرَعِ مِنْ كَثِيرِ الْعِلْمِ ، وَيَحْزَى قَلِيلُ التَّوَاضُعِ مِنْ كَثِيرِ الْاجْتِهَادِ . وقال بكر بن عبد الله : إِذَا رَأَيْتَ أَكْبَرَ مِنْكَ قَتَلَ : سَبَقْتَهُ بِالْإِسْلَامِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِذَا رَأَيْتَ أَصْغَرَ مِنْكَ قَتَلَ : سَبَقْتَهُ بِالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِذَا رَأَيْتَ إِخْوَانَكَ يُكْرِ مُوتَكَ قَتَلَ : نَعْمَةً أَحْدَثُوهَا ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ تَقْصِيرًا قَتَلَ : بِذَنْبِ أَحَدِهِمْ . قال عبد الملك بن مروان : أَفْضَلُ الرِّجَالِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رَفْعَةٍ ، وَزَهَدَ عَنْ قُدْرَةٍ ، وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ . قال ابن السكّك لعمري بن موسى : تَوَاضَعْتُ فِي شَرَفِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ شَرَفِكَ . وقال عبد الملك بن مروان : ثَلَاثَةٌ مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ : جُودٌ لِفِرْثِ ثَوْبٍ ، وَنَصَبٌ لِفِرْثِ دُنْيَا ، وَتَوَاضَعٌ لِفِرْثِ ذُلٍّ .

- قال إبراهيم التَّخَمِيُّ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَرِكَبُ الْحَارِ رِدْفًا . الْأَعْمَشُ عَنْ أَنَسٍ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْعَى إِلَى خُبْزِ الشَّعِيرِ وَالْإِهَالَةِ السَّنَخَةِ فَيُجِيبُ . ^(١) قال غيره : وَكَانَ لَا يَأْكُلُ مَتَكًا وَيَأْكُلُ بِالْحَفِيفِضِ ، وَهُوَ الْأَرْضُ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ . قال أَوْسُ بْنُ الْحَدَّاثَيْنِ : رَأَيْتُ أَبَا هُبَيْرَةَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ عَرِيٍّ يَهْوِي : الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ ، قَدْ جَاءَ الْأَمِيرُ . قَالَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ : رَأَيْتُ الْأَعْمَشَ خَارِجًا إِلَى الْعِيدِ عَلَى حِمَارٍ مَقْطُوعٍ الذَّنْبَ قَدْ سَدَّلَ رَجُلِيهِ مِنْ جَانِبٍ . الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : بَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمَنَبَرِ إِذْ أَحْسَنَ مِنْ نَفْسِهِ بَرِيحٌ تَرَجَّتْ مِنْهُ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ مَيَّلْتُ بَيْنَ أَنْ أَخَافَكُمْ فِي اللَّهِ وَبَيْنَ أَنْ أَخَافَ اللَّهُ فِيكُمْ ، فَكَانَ أَنْ أَخَافَ اللَّهُ فِيكُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ فَسَوْتُ ، وَهَآنَذَا أَنْزِلُ لِأُعِيدَ الْوُضُوءَ . كَانَ يَقَالُ : مَنْ لَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَلَالِ قَلَّتْ كِبَرِيَاؤُهُ وَخَفَّتْ مَوَازِينُهُ . قَالَ معاوية : مَامَنَا أَحَدٌ إِلَّا أَفْشَسَ عَنْ جَانِبِهِ أَوْ مُقَلَّةٍ خَلَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ . الْمُتَقَةُ الشَّجَةِ الَّتِي يَنْجُ مِنْهَا

(١) الإِهَالَةُ : مَا يُرْكَبُ بِهِ مِنَ الْأَدْحَانِ ، وَالسَّنَخَةُ : الْخُضْرَةُ الرَّجَحُ .
(٢) يريد : لَيْسَ فِينَا أَحَدٌ إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ عَظِيمٌ ، فَاسْتَأْذِنَ الْجَاهِلَةَ وَالْمُتَقَةَ لِقَالِهِ .

النظام، والجامعة التي تبلغ جوف الدماغ . يحيى بن آدم عن محمد بن طلحة عن أبي حمزة قال [قال] إبراهيم : لقد تكلمتُ ولو وجدتُ بدءاً ما تكلمتُ، وإن زماناً تكلمتُ فيه لزمانٌ سوء . كان رجل من خثعم ردى فقال في نفسه

لو كنتُ أصعدُ في التكرم والعلا * كنتُ حدى أصبحتُ سيد خثعم

فباد أهلُ بيته حتى ساد فقال

حَلَّتِ الدِّيارُ فُسدتُ غيرُ مُسود * ومن الشَّقاء تَفَرَّدِي بالسود

أنشدني أبو حاتم عن الأصمعيّ في مثله

إنْ يقومُ مودوك حاجة * إلى سيّد لو يظفرون بسيد

قال يحيى بن خالد : لستَ ترى أحداً تكبرُ في إمارته إلّا وهو يعلم أن الذي نال فوق قدره، ولستَ ترى أحداً يضعُ نفسه في إماره إلّا وهو في نفسه أكثرُ مما نال في سلطانه . ومثله، قيل لمُعيد الله بن بَسّام : فلانَ غيرته الإمارةُ، فقال : إذا وليَ الرجلُ ولايةً قرأها أكثرُ منه تغيّرَ، وإذا وليَ ولايةً يرى أنه أكثرُ منها لم يَتغيّرَ .

ويقال : التواضعُ مع السخافة والبخلُ أحمدُ من السخاء والأدبُ مع الكبر، فاعظُمُ

بنعمة عفت من صاحبها بسيتين، وأقبحُ بسيةٍ حرمتُ صاحبها حسيتين . وفي بعض

كتب الحج : علامةُ الأحرار، أن يُلَقَّوا بما يُحِبُّون ويُحَرِّمُوا أحبُّ إليهم من أن يُلَقَّوا

بما يكرهون ويُعْطَوُا، فأنظر إلى خَلَّةِ أفسدت مثل الجلود فاجتنبها، وأنظر إلى خَلَّةِ

عفت مثل البخل فالزها . كان يقال : الشرفُ في التواضع، والعزُّ في التقوى، والنِّفَى

في القناعة . أبو الحسن قال : حَظَّبَ سلمانُ إلى عمر فأجبع على تزويجه، فشق ذلك

على عبدالله بن عمرو وشكاه إلى عمرو بن العاص فقال : أنا أردته عنك، فقال : إن رددته

بما يكره أغضبتُ أمير المؤمنين، قال : علّ أن أردته عنك راضياً، فأتى سلمانَ فضرب

بين كفيه يده، ثم قال : هنيئاً لك أبا عبدالله، هنا أمير المؤمنين يتواضع بقربيك،

فالتفت إليه مُضْطَبًّا وقال، أبي يتواضع ! والله لا أتزوجها أبداً . وقال المزاريب
مُعْذِرًا ^(١) العَدُوَّ

يا حَبْدًا حين تُمِجِي الرِّيحُ بَارِدَةً * وَاِدَى أُشْيًى، وَفَيَانٌ بِهِ هَضْمٌ
يُحْدَمُونَ، كَرَامٌ فِي مَجَالِسِهِمْ، * وَفِي الرِّجَالِ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ خَدَمٌ
وَمَا أَصَاحِبُ قَوْمًا أَذْكُرُهُمْ * إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَى مُمِّ

- ابن المبارك عن ذَرَّ عن الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت، فدنا عبد الله بن عباس ليأخذ بركابه ، فقال : لا تفعل يا بن عم رسول الله ، فقال : هكنا أمرنا أن نفعل بعلماثنا . فقال زيد : أرى يدك، فأخرج يده فقبلها زيد، ثم قال : هكنا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيتنا عليه السلام . قال عبد الله بن مسعود : رأس التواضع أن تبدأ من لقيت بالسلام، وأن ترضى بالذنوب من المجلس . ابن أبي الزناد ١٠ عن أبيه أن العباس بن عبد المطلب لم يتزقظ بمرو ولا بعتان وهما راكبان إلا ترجلا حتى يجوزهما إجلالا له أن يزوهما راكبان وهو يمشي . كان سلمان يتموِّذ بالله من الشيطان والسيطان والمَلِج إذا استعرب . المدائني قال : سلم رجل على حسان ابن أبي سنان فدعا له ، فقيل : أئدعوا مثل هذا ! فقال : إن مما يفضلني به أن يرى أُنِّي خير منه . قال عبد الله بن شداد : أروع من كُنِّي فيه فقد برئ من الكبر : من ١٥ اعتقل العترة، وركب الجمار، ولبس الصوف، وأجاب دعوة الرجل اللوث .

باب الكبير والعجب

- حدثني إبراهيم بن مسلم قال حدثنا أبو السكين قال حدثني عم أبي زحر بن حصن قال، قال رجل للجباج : أصلى الله الأمير، كيف وجدت متراك العراق ؟
(١) جاءت هذه الآيات في الحاشية ضمن قصيدة موزونة للزباد بن سهل بن سعد بن عميرة بن حريث ، قال التبريزي : ويقال زياد بن مخنف . (٢) كذا في الأصل ، وفي الحاشية «بأدرة» . ٢٠

قال : خيرُ منزلٍ لو كان الله بطني أربعة فتقرَّبْتُ بدمائهم إليه . قال : ومن هم ؟ قال : مُقاتِل بن مُسَمِّع ، وُلِّيَ بِحِصْنَانَ فَأَتَاهُ النَّاسُ فَأَعْطَاهُم الْأَمْوَالَ ، فَلَمَّا عَزِلَ دخل مسجد البصرة فبسط النَّاسُ له أَرْدِيَّتَهُم فمَشَى عليها ، وقال لرجل يَمَاشِيهِ : لمثل هذا فليعمل العاملون . وعُيِدَ الله بن زيَاد بن ظَلِيان التيمي ، حَزَبُ أَهْلِ البصرة أَمْرٌ فليُغلب خطبة أوجز فيها ، فنادى النَّاسُ من أعراض المسجد : أَكثَرَ اللهُ فِينَا أَمْثَالَكَ . فقال : لقد كَفَّمَهُ اللهُ شَطَطًا . ومُعَبَّد بن زُرَّارة ، كان ذات يوم جالسًا في طريق ، فترت به امرأة فقالت : يا عبد الله كيف الطريقُ إلى موضع كذا ، فقال : لِمَدَّ عبد الله ! أنا ههنا ؟ أراد كَفَى بِكَ أَنَا ، يريد الفخر . وأبو سَمَّاءُ الأَسَدِي ، أَضَلَّ راحِلَتَهُ فَأَتَمَسَهَا النَّاسُ فلم يجدوها ، فقال : والله لئن لم يَرُدُّ عَلَيَّ راحِلَتِي لا صِلْتُ له أَبَدًا ، فَأَتَمَسَهَا النَّاسُ حتى وجدوها ، فقالوا : قد ردَّ الله عليك راحِلَتَكَ فصل ، فقال : إنَّ يَمِينِي كانت صريًا .

قال أبو حاتم عن الأعمشى عن كُرْدَيْنِ الْمِسْمَعِيِّ . قيل لرجل متكبِّر : هل مررت بك أجمرة ؟ فقال للسائل : تلك دواب لا يراها عَمَّكَ . قال وقال كُرْدَيْنِ : رَأَيْتُ ابْنَ مَيَّادَةَ الشَّاعِرِ فَأَعْجَبْتُهُ لِمَا رَأَى مِنْ جَلَدِي وَبَيَانِي . فقال : ممن أنت ؟ قلت : من بكر بن وائل ، فقال : وفي أيِّ الأَرْضِ يكون بكر بن وائل ؟

قال أبو اليقظان : جلس رافع بن جُبَيْر بن مُطْعِمٍ في حَلْفَةِ الْعَلَاءِ بن عبد الرحمن الْخَلَوَقِ وهو يَقْرَأُ النَّاسَ . فلما فرغ قال : أتَدْرُونَ لِمَ جَلَسْتُ إِلَيْكُمْ ؟ قالوا : نسمع ، قال : لا ، ولكن أردتُ التَّوَاضُّعَ لله بِالْجُلُوسِ إِلَيْكُمْ . قال : ومَرَّ مُحَمَّدُ

(١) هكذا بالنسخ التي بأيدينا ، وفي العقد القريد الجزء الأول صفحة ٢٤٤ — : قال : لمثل هذا فليعمل العاملون ! ويك ! (٢) كذا بالأصول ، وفي العقد القريد : « وأبو سَمَّاءُ الْحَقْنِي » وفي اللسان مادة صرى : « وأبو سَمَّاءُ الأَسَدِي » . (٣) كذا بالقنوغرافية ، وفي الألمانية « صريًا » والذي في اللسان والصالح « علم ربي أنها مني صرى » . بكسر الصاد وضع الراء المشددة ، أي عزبة قاطعة وبين لازمة .

ابن المنذر بن الزبير العوام في حاجة له ، فاقطع قبال نعله ، فترج الأخرى يقدمه ومضى وتركهما ولم يرج عليهما . قال بعض الشعراء

وأعيرض عن ذي المال حتى يخال لي * قد أحدث هذا نحوهً وتفظاً

وما في كبر عن صديقي ولا أخ * ولكنه فلي اذا كنت مغيباً

- ١٠ قيل لبعضهم : ما الكبر . قال : حُقق لم يدركه ابن يرضه . قال معاوية بن أبي سفيان : قديم علقمة بن وائل الحضرمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني رسول الله أن أطلق به الى منزل رجل من الأنصار أتزله عليه ، وكان منزله في أقصى المدينة ، فأطلقت معه وهو على ناقه له وأنا أمشي في ساعة حارة قولس على حذاء ، فقلت : احملني يا عم من هذا الحر فانه ليس علي حذاء ، فقال : لست من أراذيل الملوك ، قلت : إني ابن أبي سفيان ، قال : قد سمعت رسول الله عليه السلام يذكر ذلك ، قال : قلت : فإني الى ملك ، قال : لا تقبلها قدماك ولكن أمش في ظل ناقتي فكفاك بذلك شرفاً ، وإن الظل لك لكثير . قال معاوية : فما مر بي مثل ذلك اليوم قط ، ثم أدرك سلطانني فلم أؤاخذه بل أجلسته معي على سريري هذا . قال ابن يسار ولو لحفظ الأرض لي والد * تطلعات الأرض من لحظتيه :

وقال آخر

١٥

أتيه على جن البلاد وإنها * ولو لم أجد خلقاً لتهت على نسي

أتيه فإدرى من أتيه من أنا * سوى ما يقول الناس في وفي جنسي

فان زعموا أتي من الإنس مثلهم * فإني عيب غير أتي من الإنس

وكان عند الرستم قوم من التجار فحضر الصلاة فنهض ليصلي فنهضوا فقال :

- ٢٠ ما لكم ولهذا وما أتم منه ! الصلاة ركوع وسجود وخضوع ، وإنما فرض الله هذا

(١) قال النعل : زمام بين الأصم والرسلى والى نعلها .

يريد به المتكبرين والمتجبرين والملوك والأعظم مثل ومثل فرعون ذى الأوتاد
ومُعمروذ وأوثشروان . وكان يقال : مَنْ رضى عن نفسه كثر الساخطون عليه .
قال الحسن : ليس بين البدوين ألا يكون فيه خير إلا أن يرى أن فيه خيراً .
رأى رجلاً رجلاً يمتثل في مشيته ويتلفت في أعطافه ، فقال : جعلني الله مثلك
في نفسك ولا جعلني مثلك في هسي . قيل لعبد الله بن المبارك : رجل قتل رجلاً
فقلت إني خير منه ، قال : ذنك أشد من ذنبه . قال الأحنف : عجبت لمن جرى
في مجرى البول مرتين كيف يتكبر . ابن عُبَيْة عن صالح بن رُسَم عن رجل عن
مُطَرَف ، قال : لَأَنْ أَيْتَ نَائِمًا وَأَصْبَحَ نَائِمًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَيْتَ نَائِمًا وَأَصْبَحَ
مُجَبِّيًا . وقال هشام بن حسان . سيئة تسوطك خير من حسنة تُجيبك . قال أبو حازم :
١٠ إن الرجل لعمل السيئة ما عمل حسنة قط أنفع له منها وإنه لعمل الحسنة ما عمل
سيئة قط أضرم عليه منها . قال الشاعر

أما ابنُ قُرَّةَ يونسُ فكأنه * من كبره أير الحمار القائمُ
ما الناسُ عندك غير نفسك وحدها * والناسُ عندك ما خلاك بهائمُ

قال المسعودي

١٥ مُسَا تَرَابَ الْأَرْضِ مِنْهَا خُلُقْتَا * وفيها المعادُ والمصيرُ إلى الحشر
ولا تَعَجِّبَا أَنْ تَرَجَعَا قَسَامَا * فما خَسِيَ الْأَقْوَامُ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ
ولو شئتُ أدنى فيكما غير واحد * علانية أو قال عندي في سترِ
فإن أنا لم أُمِر ولم أنه عنكما * ضحكك له حتى يلعج ويستقري

الإصمعي قال قال رجل : ما رأيتُ فاكبر قط إلا تحول داؤه في ، يريد أنى أتكبر عليه .
٢٠ وقال آخر : ما تاه أحد قط عن مرتين ، يريد إذا تاه مرة لم أعلده . قال الشاعر
بأظهر الكبر إعجاباً بصورته * أنظر خلاصك إن التت تريب

لو فكر الناس فيا في بطونهم * ما استشعر الكبر شأن ولا شيب
هل في ابن آدم غير الرأس مكرمة * وهو يجس من الاقدار مضروب
أنف يسيل وأذن ريجها سبك * والعين مرمصة والثغر ملعوب
يا بن التراب وما كول التراب غدا * أقصر فاك ما كول ومشروب

- دفع أردشير الملك الى رجل كان يقوم على رأسه كتاباً، وقال له : اذا رأيته قد
أشدت غضبي فادفعه الى ، وفي الكتاب : أمسك فلست بالله انما أنت جسد يوشك
أن يأكل بعضه بعضا ويصير عن قريب للود والتراب . كان السدي والى الجسر
غلام صغير قد أمره بأن يقوم اليه إذا ضرب الناس بالسياط فيقول له : ويلك
يا سدي ، أذكر القصاص . كتب إبراهيم بن العباس الى محمد بن عبد الملك
أبا جعفر عرج على خلطائك * وأقصر قليلاً عن مدى غلوائك
فإن كنت قد أعطيت في اليوم رفسة * فاب رجائي في غد كرجائك
قال لي بعض أصحابنا وأحسبه محمد بن عمر : سمعت رجلاً ينشد
ألا رب ذي أجل قد حضر * طویل التقي قليل الفكر
اذا هنز في المشي أعطاه * تينت في منعيه البطر
قال : فندوت عليه لا كتب تمام القصيدة فوجدته قد مات . المدائني قال :
رأيت فلاناً مولى بأهله يطوف بين الصفا والمروة على بقلته ثم رأيت بعد ذلك رجلاً
في سقره فقلت له : أراجل في هذا الموضع ؟ قال : نعم ، إني ركبت حيث يمشي
الناس فكان حقاً على الله أن يرجلي حيث يركب الناس . وقال أبو نواس في جعفر
ابن يحيى البرمكي .

- وأعظم زهواً من ذباب على خمر * وأجمل من كلب عقر على عرق
ولو جاء غير الجمل من عند جعفر * لما وضعوه الناس إلا على حق^(١)

(١) هذا وارد على لغة من يلحق الفعل ملامة الضام قبل ذكره وهو لغة أردشيرة .

وقال آخر

أَجُّ بَلَسْجَا مِنْ الْخَفْضَاءِ * وَأَزْهَى إِذَا مَا مَشَى مِنْ غِرَابِ

قيل لرجل من بني عبد الدار : ألا تأتي الخليفة ، قال : أخشى ألا يَحِلَّ الحُسْرُ شرفي . وقيل له : البس شيئاً فان البرد شديد ، فقال : حَسْبِي يَدْفَعُنِي . قال أبو اليقظان : كان الحجاج أستمحل بلالاً الضبي على جيش وأغزاه قلاع فارس ، وكان يقال لذلك الجيش : يبي ، سُمي بذلك لأنه فرض فرضاً من أهل البصرة فكان أهلهم وأمهاتهم يأتونهم يقولون : يبي . وفي جيشه قال الشاعر

إلى الله أشكو أني بث حارساً * قدام بلالٍ فيال على رجلي
قلت لأصحابي أقطعوها فإني * كريمٌ وإنِّي لن أبلغها رجلي

- ١٠ مد أعرابي يده في الموقف وقال : اللهم إن كنت ترى بداً أكرم منها فاقطعها . قال نوح : سمعت الحجاج بن أوطاة يقول : قتلي حب الشرف . وقيل له : مالك لا تحضر الجماعة ؟ قال : أكره أن يزحني البقالون . كان جذبة الأبرش — وهو الوضاح سُمي بذلك لبرص كان به — لا يُنادِم أحداً ذهاباً بنفسه ، وقال : أنا أعظم من أن أنادِم إلا الفرقدين ، فكان يشرب كأساً ويصب لكل واحد منهما في الأرض كأساً ، فلما أتاه مالك وعقيل بابن أخته الذي استهوته الشياطين قال لهما : احتكما ، فقالا له : مُتَادِمُكَ ، فنادماه أرسين سنةً يحادثانه فيها ما أعادا عليه حديثاً . وفيهما يقول مُتَمِّمٌ بن نويرة وكما كُندَمَانِي جذيمة حَقِيبة * من الدهر حتى قيل لن تنصدتا

(١) كذا بالأصل وفي لسان العرب في مادة زها . وأورد الميداني المثل هكذا «ألحن الخفضاء» بإلحاء الجملة ولم يشرحه ، وظل في تحلب فرائد اللال بأن الخفضاء إذا وقعت عن موضع عادت إليه .

(٢) أصله يابي ، أبدلت الهمزة فيه ياء ، انظر اللسان في مادة أبي . وفي الأغانى ج ٢ ص ١٥٥ أن الحجاج ضرب البث على المحتلين ومن أتيت من الصبيان فكانت المرأة تجيء إلى ابنتها وقد تبرّد فضمته إليها وتقول له يابي جزا طيه فسي ذلك الجيش جيش يابي .

وقال الهذلي

ألم تَلَمَّيْ أَنْ قد تَهَزَّقَ قَبْلَنَا • خَلِيلًا صَفَاءً مَالِكٌ وَعَقِيلٌ

قبل لإياس بن معاوية : ما فيك عيبٌ إلا أنك مُعَجَّبٌ، قال : أنا مُعْجِبٌ؟ قالوا : نعم
قال : فانا أحقُّ أن أُعْجَبَ بما يكون مني . ويقال : للمادة سلطانٌ على كلِّ شيءٍ ،
وما أَسْتَبْطِ الصَّوَابُ بِمَثَلِ المَشَاوِرَةِ ، ولا حُصِّنَتِ النِّعَمُ بِمَثَلِ المَوَاسِاةِ ، ولا اكْتَسَبَتِ
الْبَغْضَةُ بِمَثَلِ الكِبَرِ .

باب مَدْحِ الرَّجُلِ نَفْسَهُ وَغَيْرِهِ

قال الله عز وجل حكايةً عن يوسف : (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ
عَلِيمٌ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا نَفَرَ" . وقال للأَنْصار :
١٠ "واقه ما علمتكم إلا تَهْلُونَ عند الطمع وتَكْثُرُونَ عند الفزع" . وذكر أعرابي قوماً
فقال : واقه ما نالوا بأطراف أناملهم شيئاً إلا وقد وِطِئَتْهُمُ بِأَخْمَصِ أَقْدَامِنا ، وإن
أَفْصَى مُنَاهِمُ لأدنى فَعَالِنَا . ابن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : كنتُ
أَمْشِي مع الشَّعْبِيِّ وأبِي سَلَمَةَ ، فسأل الشَّعْبِيُّ أَبَا سَلَمَةَ : مَنْ أَعْلَمُ أَهْلَ المَدِينَةِ؟ فقال :
الَّذِي يَمْشِي بِبِنْتِكَا ، يعني نفسه . وقال الشَّعْبِيُّ : ما رأيتُ مثلي ، وما أشاءُ أن أَلْقَى رجلاً
أَعْلَمُ مِنِّي بشيءٍ إلا لَقِيْتُهُ . قال معاوية لرجل : مَنْ سَيِّدُ قَوْمِكَ؟ قال : أنا . قال :
١٥ لو كنتُ كذلك لم تُقَلِّ . الوليد بن مُسْلَمٍ عن خَلِيدِ بن الحِمْصِ قال : دَمَّ الرَّجُلُ نَفْسَهُ
فِي العَلَانِيَةِ مَدْحاً لَهَا فِي السَّرِّ . كان يقال : مَنْ أَظْهَرَ عَيْبَ نَفْسِهِ فَقَدْ زَكَّاهَا . الأَعْمَشُ
عن إبراهيم عن عبد الله قال : إذا أَثْنَيْتَ عَلَى الرَّجُلِ بِمَا فِيهِ فِي وَجْهِهِ لَمْ تُزَكِّهِ .
قال عمر بن الخطاب : المَدْحُ ذَنْبٌ . ويقال : المَدْحُ وَافِدُ الكِبَرِ . وقال علي بن الحسين :
لا يَقُولُ رَجُلٌ فِي رَجُلٍ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يَعْلَمُ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَقُولَ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ مَا لَا يَعْلَمُ ،
٢٠ ولا يَصْطَلِحُ أَثْنَانُ عَلَى غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَفْتَرِقَا عَلَى غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ .
قال وهب بن منبه : إذا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ فِيكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَيْسَ فِيكَ فَلَا تَأْمَنُ

أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك . ويقال في بعض كتب الله عز وجل : عجباً لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح ! ولمن قيل فيه الشر وليس فيه كيف يقضب ! وأعجب من ذلك من أحب نفسه على اليقين وأبغض الناس على الظنون ! . وكان يقال : لا يفلين جهلُ غيرك بك عِلْمُكَ بنفسك . وقال أعرابي : كفى جهلاً أن يمدح المادح بخلاف ما يعرف الممدوح من نفسه ، وإني والله ما رأيتُ أعشَقُ للعروف منه . قال ابن المقفع : إياك إذا كنتَ وإياك أن يكون من شاك حب المديح والتركه وأن يعرف الناس ذلك منك فتكون ثلثة من التلثم يتحمون عليك منها ، وبأب يستحونك منه ، وغيبة يتتابونك بها ويضحكون منك لها . وأعلم أن قائل المديح كادح نفسه ، والمرء جدير أن يكون حبه المديح هو الذي يحمله على رده ، فإن الراد له ممدوحٌ والتقابل له ميسب . وقال البيهقي

ولست بمفراج إذا التهم سرتي * ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أمتي الشر والشر تاركي * ولكن مني أحمل على الشر أركب
ويسته قومٌ كثير تجارة * ويمتنع من ذلك ديني ومنصبي
فإن مسيري في البلاد ومزلي * لبالمزلة الأقصى إذا لم أقرب

قول الممدوح عند المديحة

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : كان أبو بكر يقول عند المديحة : اللهم أنت أعلم بي مني بنفسي وأنا أعلم بنفسي منهم ، اللهم أجعلني خيراً مما يحسبون وأغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون . قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي عن حماد بن سلمة قال : أتني رجلٌ على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في وجهه ، وكان تُهمةً ، فقال علي : أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك .

(١) لا يظهر ارتباط هذه الجملة بما قبلها ، وكأنه سقط من تمام الجملة ما يخلط به السياق ، فمن العهد الفريد صحيفة ١٠٩ ج ٢ ما نصه : وذكر أعرابي رجلاً فقال : ما رأيتُ أعشَقُ للعروف منه . وفي الحقيقة قسمها : ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : إن جهلاً أن يقول المادح بخلاف ما يبره من المديح وإنه والله ما رأيتُ أعشَقُ للكلام في زمان القوم منك .

قيل لأعرابي : ما أحسن الثناء عليك ! فقال : بلاء الله عندي أحسن من وصف
المساحين وإن أحسنوا ، وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الناقين وإن أكثروا ،
فيا أسفا على ما فرطتُ وياسوءا مما قمتُ . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل
الثناء إلا من مكافئ^(١) . ومن أحسن ما قيل في مدح الرجل نفسه قول أعشى بن ربيعة

- ما أنا في أهل ولا في عشيرتي * بمهتّم حتى ولا قارح سني
ولا مُسلم مولاي عند جنائي * ولا خائب مولاي من سوء ما أجي
وابن فؤادا بين جَنِيّ عالم * بما أبصرت عني وما سمعت أذني
وفضّلي في الشعر واللبّ أتى * أقول على علم وأعلم ما أغني
فأصبحت إن فضّلت مروان وأبنته * على الناس قد فضّلت خير أب وأبني

وقال آخر

إذا المرء لم يمدحه حسن فماله * فإدحه يهذي وإن كان مُفصّعا

وقال آخر

لعمري أهلك الخير إني لخادم * لصحبي وإني إن ركبْتُ لقارِس

وقال آخر

- ١٥ ونحن ضياء الأرض ما لم نسر بها * غضا باء وإن تفضّب فنعن ظلامها
وأشد الحسن البصري^(٢) قول الشاعر

لولا جرير هلكت يجله * نعم الفتى وبشت القيسله

(١) في اللسان مادة كفا بعد أن أورد الحديث : قال النبي ص ما إذا أتم على رجل نعمة مكافأه بالثناء . عليه قيل ثناء مرواناً أتى قبل أن ينعم عليه لم قبلها . قال ابن الأثير وقال ابن الأثيري هذا غلط إذا كان أحد لا يفتك من إضام التي صلى الله عليه وسلم لأن الله يثمه رحمة للناس كافة فلا يخرج منها مكافئ . ولا غير مكافئ . والثناء عليه فرض لا يتم إلا به وإنما المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه إلا من رجل يعرف حقيقة إسلامه ولا يدخل عنده في جهة المنافقين الذين يقولون بالستم ما ليس في ظوهم . قال وقال الأزهري وفيه قول ثالث : الأمن مكافئ . أي مقارب غير مجاوزة مثله ولا مقصر عما رضى الله إليه . ومثله بالحرف في ابن الأثير .

(٢) في الأصل « الحسن بن البصري » وظاهر أن لفظة « ابن » من زيادات النسخ .

قال الحسن : ما مَدَحَ رجلٌ هَجِيَّ قَوْمَهُ . وقال أبو الهيثم
يقولون : الحليدُ أشدُّ شيءً * . وقد تُنَى الحليدُ وما تُنِيَتْ
تَحْمِرُ الأرضُ إنْ تَوَدَّيْتُ باسمي * . وتَهْدُ الجبالُ إذا كُنِيَتْ
ومَدَحُ النِّس في الشَّعرِ كثيرٌ وهو فيه أسهل منه في الكلام المشهور .

باب الحياء

حدثني أبو مسعود الباري ، قال : حدثني جَدِّي نِخْرَاش عن أنس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : «الحياءُ شُعبَةٌ من الإيمان» . وروى ابنُ عُمرٍ عن الأحمس
ابن حكيم ، قال : حدثني أبو عَوْن المَدَنِي قال : سَمِعْتُ سَعِيدَ بنَ المسيَّب يقول :
قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «قِلَّةُ الحياءِ كفرٌ» . وروى جريرُ بنُ حازم عن يعلى
ابن حكيم عن رجل عن ابن عمر ، قال : الحياءُ والإيمانُ مَقْرُونانِ جَمِعا فإذا رُفِعَ
أحدهما أَرُفِعَ الآخرُ . وكان يقال : أَحْبَبُوا الحياءَ يَحْالَسَهُ مَنْ يُسْتَعْيَا مِنْهُ . ذكر
أعرابيُّ رجلا فقال : لا تراه النَّهْرَ إلا وكأنه لا غَيَّ به عنك وإن كنتَ إليه أَحْوَجَ ،
فإن أذِنْتَ غَفَرَ وكأنه المَذْنِبُ ، وإن أَسَاتَ إليه أَحْسَنَ وكأنه المَسِيءُ . وقالت
لَيْلى الأَخْلِيَّةُ

ومُقَدِّرٌ عنه القَمِيصُ تَحَالَهُ * وَسَطَ البيوتِ من الحياءِ سَقِيماً
حتى إذا رُفِعَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ * تحتَ اللِّوَاءِ على الخَمِيصِ زَعِيماً
ونحوه قول الآخر إلا أنه في التواضع

يبدو فيبدو ضِعْفًا مِنْ تَوَاضَعِهِ * وَيَكْفَهُزُ فُلَيْلى الأَسْوَدَ العَلِيَّ
وقال أبو دَعْبَل الجُمَحِيَّ^(١)

إن البيوتَ مَلَدِيذٌ فِتْنَارُهُ * قَهَبٌ وَكُلُّ جُلُودِهِ مَخْمَرٌ^(٢)

(١) يلح النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) في الأصول . «فتارة» وهو تحريف والتصويب
عن الحامسة . (٣) في الحامسة «بيوت» يعني القبائل التي اكتنفت من أعواله وأعماله .

مَهْلِكٌ يَنْتَمِ لَلْأَهْلِ مُجَانِبٌ * سَيَانٍ مِنْهُ الْوَقْرُ وَالْمُنْمُ
نَزَرَ الْكَلَامَ مِنَ الْحَيَاءِ عَمَّالَهُ * صَمِيمًا وَلَيْسَ بِجَسَمِهِ سُقْمُ
عَقِيمُ النِّسَاءِ فَلَا يَلِدَنَّ شَبِيهَهُ * إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عَقْمُ

حدثنا أبو الخطاب قال : حدثنا المعتمر ، قال : سمعتُ ليثَ بنَ أبي سليمٍ يحدثُ

- عن واصل بن حيان عن أبي وائل عن ابن مسعود ، قال : كان آخر ما حفظ
من كلام النبوة « إذا لم تسعني فاصنع ما شئت » . قال الشاعر
تَحَاكُمُ لِحْمُ صُمَا عَرَبِ الْخَلَا * وَخُرْمًا عَنِ الْفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَابُرِ
وَمَرَضَى إِذَا لَوْقُوا حَيَاءً وَغَفَةً * وَعِنْدَ الْخِفَافِ كَاللَّيْلِ الْخَوَادِرِ

وقال آخر

- عليه من التقوى رداءً سكينيةً * وَلِحَقِّ نَوْرِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَاعِطُ
وقال الشَّعْبِيُّ : تَمَازَيْتُ النَّاسَ زَمَانًا بِالَّذِينَ وَالتَّقْوَى ، ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ فَتَمَازَيْتُ بِالْحَيَاءِ
وَالْتَذَمْتُ ، ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ فَامْتَازَيْتُ النَّاسَ إِلَّا بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَأَعْلَنَهُ سَيْجِيءٌ مَا هُوَ
أَشَدُّ مِنْ هَذَا .

باب العقل

- حدثني اسحاق بن ابراهيم التميمي ، قال : حدثنا الحارث بن التيمان ، قال : حدثنا
خالد بن دعلج عن معاوية بن قرة برفعه ، قال : « إن الناس يعملون الخير وإنما
يُحْسِنُونَ أَجْرَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدَرِ عَقُولِهِمْ » . مهدي بن غيلان بن جرير قال :
سمعتُ مطرًا يقول : عَقُولُ النَّاسِ عَلَى قَدَرِ زَمَانِهِمْ .

حدثني عبد الرحمن عن عبد الممنع عن أبيه عن وهب بن منبه قال : وجدتُ

- في حكمة داود : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَشْتَغَلَ نَفْسَهُ عَنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ ، سَاعَةٍ يُنَاجِي فِيهَا
رَبَّهُ ، وَسَاعَةٍ يُجَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ ، وَسَاعَةٍ يَخْلُو فِيهَا هُوَ وَإِخْوَانَهُ وَالَّذِينَ يَنْصَحُونَهُ لَهُ

في دينه وَيَصْدُقُونَهُ عَنْ عِيوبِهِ، وَسَاعِيَةً يُحِلُّ بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لِنَاتِهَا فِيمَا يُحِلُّ وَيُحَدِّدُ
فَإِنَّ هَذِهِ السَّاعَةَ عَوْدٌ لِهَذِهِ السَّاعَاتِ وَفَضْلٌ بُلَغَةٌ وَاسْتِجَابَةٌ لِلْقُلُوبِ . وَيَذِنُّ لِلْعَاقِلِ
أَنْ لَا يَرَى إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: تَرْؤِدٌ لِمَعَادٍ، أَوْ مَرَقَةٌ لِمَعِيشٍ، أَوْ لَذَّةٌ،
فِي غَيْرِ عَزَمٍ . وَيَذِنُّ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِزَمَانِهِ، حَافِظًا لِّلْسَانِهِ، مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ .

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا هلال بن حرق قال ، قال عمرو بن
العاص : ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ولكنه الذي يعرف خير الشرين ،
وليس الواصل الذي يصل من يصله ولكنه الذي يصل من قطع له . وقال زياد :
ليس العاقل الذي يحتال للأمر إذا وقع ولكنه الذي يحتال للأمر ألا يقع فيه .

قال معاوية لعمر : ما بلغ من دهائك يا عمرو ؟ قال عمرو : لم أدخل في أمر قط
فكرهته إلا خرجت منه . قال معاوية : لكنني لم أدخل في أمر قط فاردت الخروج
منه . وقرأت في كتاب للهند : الناس حازمان وعاجز ، فأخذ الحازمين الذي إذا نزل به
البلاء لم ينتظر به وتلقاه بجيلة ورأيه حتى يخرج منه ، وأحزن منه العارف بالأمر إذا

أقبل فيدفعه قبل وقوعه ، والعاجز في تردده وتثنيه حائر بائر لا يأتمر رشدا ولا يطيع
مرشدا . وقال أعرابي : لو صور العقل لأظلمت معه الشمس ، ولو صور الحق
لأضاه معه الليل . قال بعض الحكماء : ما عيبد الله بشيء أحب إليه من العقل

وما عصى الله بشيء أحب إليه من الشر . أبو روق عن الضحاك قال قول الله عز
وجل (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) قال : من كان عاقلا . ذكر المغيرة بن شعبه عمر بن الخطاب
فقال : كان أفضل من أن يتحدع وأقل من أن يتحدع .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب
ابن الشهيد قال ، قال إياس : لست بحبب وأحبب لا يتحدعني ولا يتحدع آبن سيرين
ويتحدع أبي ويتحدع الحسن . قال غيره : وكان كثيرا ما يتشد
أبالي بالبلاء ولبي أمرؤ * إذا ما تثبت لم أرتب

وفي كتاب كلية ودمنة : الأذنب يذهب عن العاقل السكر ويزيد الإحمق سكرًا ،
كما أن النهار يزيد كل ذي بصير بصيرًا ويزيد الخفافيش سوء بصير . وفيه : ذو العقل
لا يبطئه المتزلة والعز كالجبل لا يتزعزع وإن أشتدت عليه الرياح ، والسحيف يبطئه
أدنى منزلة كالخشيش يحركه أضعف ريح . وقال تأبط شراً في هذا المعنى^(١)
ولست بمفراج إذا الدهر سرفى * ولا مجازع من صرفه المتقلب
ولا أمتى الشر والشر تاركى * ولكن متى أحمل على الشر أركب

- وفي كتاب كلية : رأس العقل التمييز بين الكائن والمتنع ، وحسن الغناء عما
لا يستطيع . وفيه : العاقل يقل الكلام ويبلغ في العمل ويعترف بزلة عقله ويستقبلها
كالرجل يعثر بالأرض وبها يتمش . ويقال : كل شيء محتاج إلى العقل ، والعقل
محتاج إلى التجارب . قال يحيى بن خالد : ثلاثة أشياء تدل على عقول الرجال : الكتاب ،
والرسول ، والهدية . وكان يقال : دل على عقل الرجل اختياره ، وما تم دين أحد حتى
يتم عقله ، وأفضل الجهاد جهاد الهوى . مثل أنوشروان : ما الذي لا تعلم له ، وما
الذي لا تغير له ، وما الذي لا تدفع له ، وما الذي لا حيلة له . فقال : تعلم العقل ، وتغير
العنصر ، ودفع القدر ، وحيلة الموت . وكان يقال : كتابك عقلك تضع عليه خاتمك .
وقالوا : يكتب الرجل موضع عقله ، ورسوله موضع رأيه . كان الحسن إذا أُخبر^{١٥}
عن رجل بصلاح قال : كيف عقله . وفي الحديث " أن جبريل عليه السلام أتى
آدم عليه السلام فقال له : إني أتيتك بثلاث فاختر واحدة ، قال : وما هي يا جبريل ؟
قال : العقل والحياة والدين . قال : قد اخترت العقل فخرج جبريل إلى الحياة والدين
فقال : أرجو فقد اختار العقل عليك ، فقالا : أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان "

(١) تحتمل هذان البيتان يصل بهما جناح آخران في باب ملح الرجل نفسه ص ٢٧٦ والأدبية
منسوبة هناك للبيه .

كان يقال : العقل يظهرُ بالمعاملة وشيمُ الرجل تظهرُ بالولاية . ويقال : العاقل يقي ما له بسلطانه ، ونفسه بماله ، ودينه بنفسه . قال الحسن : لو كان للناس جميعاً عقولٌ لخربت الدنيا . خير رجلٌ فأبى أن يختار وقال : أنا يحظى أوثق مني بسقلى فأقرعوا بيننا .

باب الحلم والغضب

قال حدثني الزبائدي قال : حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أَيَسْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي صَهْمٍ كَانَ إِذَا نَجَحَ مِنْ مِثْلِهِ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَلَّقْتُ بِمَرْضَى عَلَى عِبَادِكَ" .

حدثنا زياد بن يحيى قال : حدثنا بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إِنَّ الْغَضَبَ جُرْمٌ تَوَقَّدَ فِي جَوْفِ أَبِي آدَمَ ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى حُمْرَةِ عَيْنِهِ وَاسْتَفْخَافَ أَوْدَاجَهُ" . قال حدثني أحمد بن الحليل قال حدثني عبد الله بن رجاء عن إسرائيل عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال ، قال رجل : يا رسول الله أوصني ، فقال : لا تغضب ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب ، ثم أعاد عليه فقال : لا تغضب . قال حدثني أحمد بن الحليل قال ،

حدثني عبد الله بن نافع عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ" . قال : حدثنا حسين بن الحسن المروزي ، قال : حدثنا

عبد الله بن المبارك قال : حدثنا حبيب بن حجر التميمي قال ، كان يقال : ما أحسن الإيمانَ يزيه العلمُ وما أحسن العلمَ يزيه العملُ وما أحسن العملَ يزيه الرفقُ ، وما أضيفَ شيءٌ إلى شيءٍ أزينَ من حلم إلى عِلْمٍ ومن عفو إلى مَقْدَرَةٍ . وكان يقال : مَنْ حَلُمَ سَادَ وَمَنْ تَفَهَّمَ أَزْدَادَ . والعرب تقول : احْلُمُ تُسَدُّ . وقال : سَمِيَ اللَّهُ بِحَبِي

سيداً بالحلم . وقال عبد الملك بن صالح : الحليمُ نجيحةُ السؤدد . أغلظَ رجلٌ
لماويةً غلظَ عنه ، فقيل له : تحمّل من هذا ! فقال : إني لا أحولُ بين الناس وبين ألسنتهم
طالم يحوّلوا بيننا وبين سلطاننا . شتمَ رجلٌ الأحنفَ وألحَّ عليه ، فلما فرغ قال له :
يا بن أحمى ، هل لك في الفداء ؟ فانك منذ اليوم تحذو بحملٍ فقال :

- حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعيّ عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن بكر المزنيّ
قال : جاء رجلٌ فشتمَ الأحنفَ فسكتَ عنه ، وأعاد فسكت ، فقال : والمهملُ ! ما يمنعُ
من أن يردَّ عليّ إلّا هوأني عليه .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : أخبرنا عبد الله بن صالح من آل حارثة بن
لأم ، قال : نزلتُ برجلٍ من بني تغلبَ فأتاني يقرئُ فأنفقتُ متى فقال
والثغليّ إذا تفتحَ للقرى * حكَّ أسنّه ومثّل الأمثالا
فاقبضتُ فقال : كُلُّ أبا الرجلُ فإنما قلتُ كلمةً مقولةً .

- حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعيّ ، قال : أسمع رجلٌ الشعبيّ كلاماً فقال له الشعبيّ : إن
كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً فغفر الله لك . ومَرَّ بقومٍ يتقصّونه فقال
هنيئاً مريئاً خيرَ داءٍ مُحَايرٍ * لِمَزّةٍ من أعراضنا ما أَسْمَحَلَتِ

- واستطال رجلٌ على أبي معاوية الأسود فقال : استغفر الله من الذنب الذي سُلِّطَ
به عليّ . قال معاوية : إني لأرفعُ نفسي أن يكونَ ذنبٌ أوزنَ من حاسي . وقال معاوية
لأبي جهم العَدَوِيّ : أنا أكبرُ أم أنت يا أبا جهم ؟ قال : لقد أَكَلْتُ في عرسِ أمك
هنيئاً ، قال : عند أيّ أزواجها ؟ قال : عند حفص بن المُغيرة ، قال : يا أبا جهم ، إياك
والسلطانَ فانه يفضُّبُ غضبَ الصبيِّ ويصاقِبُ عقوبةَ الأسدِ ، وإن قليله يغلِبُ كثيرَ
الناسِ . وأبو الجهم هذا هو القاتلُ في معاوية

(١) هكذا بالنسخ التي بين أيدينا ، ولعل المواب "قلت" . (٢) في النسخة المتروغرافية يا أبا الجهم .

تَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا • إِذَا مَلَأَ تَمِيلُ عَلَى أَيْتَانِ
قَلْبِهِ لِنَخْبَرِ حَالَيْهِ • فَتَخْبِرُ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينًا

سميع الأحنف رجلان نزاع رجلان في أمرٍ فقال له الأحنف: حسبك إلا ضعيفا^(١)
فيما يُحَاوِلُ، فقال الرجل: ما على ذلك نرجعت من عند أهلي، فقال الأحنف لأمرئٍ ما
قيل: احذروا الجواب. جعل رجلٌ جُعَلًا لرجلٍ على أن يقومَ إلى عمرو بن العاص يسأله
عن أمِّه، فقام إليه وهو يخطبُ على منبر تيس، فقال له: أيها الرجل أخبرتني من أمك،
فقال: كانت امرأة من عترة أصيبَت بأطراف الزماح فوقعَت في سهم الفاكه بن
المغيرة فاشترأها أبي فوقع عليها، انطلق وخذ ما جِعلَ لك على هذا. قال الشاعر
قل مابدالك من زور ومن كذب • حليمي أصم وأذني غير سمَاء

نظر معاوية إلى ابنه يزيد وهو يضرب غلاما له، فقال له: اغضد أدبك بأدبه
فلم يضارباً غلاماً له بعد ذلك. قيل ليحيى بن خالد: إنك لا تؤدب غلمانك
ولا تعزبهم، قال: هم أمثاؤنا على أهنسا فإذا نحن أخفناهم فكيف نأمنهم. وكان
يقال: «الحليم مطية الجهول»^(٢). وذكر أعرابي رجلا قال: كان أحلم من فرخ طائر.

وفي الإنجيل: كونوا حلماء كالحيات وبلهاء كالحمائم. قال بعض الشعراء

إني لأعريض عن أشياء أسممها • حتى يقول رجال إن بي حقا
أخشى جواب سفيه لا حياطة • فسلي، وظن أنيس أنه صدقا^(٣)

قال الأحنف: من لم يصبر على كلمة سميع كلمات ورب غيظ قد تجزعه عتاة^(٤)
ما هو أشد منه. قال أكنم بن صيفي: العز والنلبة للعلم. وقال علي بن أبي طالب

(١) حكاه الأصول. ولعله «لا أحسبك». (٢) في النسخة الألمانية «الجلود»، وفي القنوغرافية «الجلول» وكلاهما تحريف والتصويب عن جمع الأمثال ليداني.

(٣) يماش النسخة القنوغرافية: انفصل من لا خيرة فيه. وفي القاموس: الرذل الذي لا مروءة له.

(٤) في الأصل الألماني «أخاف» وفي القنوغرافية «يتعاف» والتصويب عن العهد الفريد.

عليه السلام : أَوَّلُ عَوَضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنْ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَهْلُولِ . وقال المنصور : عَقوبَةُ الْحُلَمَاءِ التَّمَرُّصُ ، وَعَقوبَةُ السُّفَهَاءِ التَّصَرُّعُ .

- قال حدثني سُهيل قال حدثنا الإصمعيّ قال : بلغني أن رجلاً قال لآخر : والله لئن قلت واحدةً لَسَمَعَنُ عَشْرًا ، فقال له الآخر : لكلك إن قلتَ عَشْرًا لم تَسْمَعْ واحدةً . قال : وبلغني أن رجلاً شتمَ عمر بنَ دَرَقَالَ له : يا هذا لا تُفَرِّقْ في شتمنا ودَعْ للصالح موضعاً ، فأتى أُمْتُ مُشَاطَةَ الرجال صنيراً ولن أحبها كبيراً ، وإني لأَكُلُ مَنْ عَصَى اللَّهَ فِي بَأْسٍ كَثَرٍ مِنْ أَنْ أُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ . وقال بعضُ المحدثين

- وإنَّ اللَّهَ ذو حِلْمٍ ولكن * يَقْدِرُ الْحِلْمُ يُنْقِضُ الْحِلْمُ
لَقَدْ وَكَلْتُ بِذَوْلِكَ اللَّيَالِ * وَأَتَتْ مُعَلَّقٌ فِيهَا دَمْعٌ
وَزَالَتْ لَمْ يَعِشْ فِيهَا كَرِيمٌ * وَلَا أَسْتَفْنِي بِزَوْتِهَا عَدِيمٌ
فَبَعْدًا لَا اقْتِضَاءَ لَهُ وَصَحْفًا * فَتَبْدُلُ مَصَابِيكَ أَلْحَدْتُ الْعَظِيمُ

- المداخني قال : كان شَيْبَةُ بْنُ شَيْبَةَ يَقُولُ : مَنْ سَمِعَ كَلِمَةً يَكْرَهُهَا فَسَكَتَ عَنْهَا أَقْطَعَ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ ، فَإِنْ أَجَابَ عَنْهَا سَمِعَ أَكْثَرَهَا يَكْرَهُ ، وَكَانَ يَمْتَلِكُ هَذَا الْبَيْتَ
وَيُجَنِّعُ نَفْسَ الْمُرِّينَ وَقَعِ شَتْمَةٌ * وَيُسْتَمُّ أَلْفًا بِلَهْجَاهُمْ يَصِيرُ

- فَاتِلُ الْأَحْنَفُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا بَجْرٍ ، أَبِنْ
الْحِلْمُ قَالَ : عِنْدَ الْحَيِّ . وقال مسلم بن الوليد

- حُبِّي لَا يَطِيرُ الْجَهْلُ فِي جَنَابَتِي * إِذَا هِيَ حُلَّتْ لَمْ يَفُتْ حَلْمًا دَحْلُ
أَغْضَبَ زَيْدُ بْنُ جَبَلَةَ الْأَحْنَفُ ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ فَأَخَذَ بِعِمَامَتِهِ وَتَنَاصَبَا ، فَقِيلَ
لِلْأَحْنَفِ : أَبِنْ الْحِلْمُ الْيَوْمَ ! فَقَالَ : لَوْ كَانَ مِثْلِي أَوْ دُونِي لَمْ أَفْعَلْ هَذَا بِهِ . كان
يقال : أَلْفَةُ الْحِلْمِ الضُّعْفُ . وقال الجعديّ

- ولا خيرَ في حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ * بِوَادِرٍ تَحِيَّ صَفْوُهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وقال إياس بن قتادة

تُعَاقِبُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيَانَا * وَتَسْتَمُّ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالْكَلِمِ

وَأَنْشَدَ الرَّيَّانِي

إِنِّي أَمْرٌ يُدَبُّ عَنْ حَرَمِي * حِلْمِي وَتَرَكِي اللَّوَمَ لِلنِّمِ *
* وَالْعِلْمَ أَحْمَى مِنْ يَدِ الظُّلَمِ *

وقال الأحنف : أَصَبْتُ الْحِلْمَ أَنْصَرْتُ مِنَ الرِّجَالِ . قَالَ أَبُو الْيَقْطَانِ : كَانَ التَّمَشُّشُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ثُمَّ الْأَحْنَفُ يُفْضِلُ فِي حِلْمِهِ عَلَى الْأَحْنَفِ قَبْلُ ، فَأَمَرَهُ أَبُو مُوسَى أَنْ يَقِيمَ خَيْلًا فِي بَنِي تَمِيمَ فَقَسَمَهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَنِي فَرَسًا وَتُوثِبَ عَلَيْهِ فَرَسُ وَجْهِهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ قَوْمٌ لِيَأْخُذُوهُ ، فَقَالَ : دَعُونِي وَإِيَّاهُ ، إِنِّي لَا أَطُغُ عَلَى وَاحِدٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى أَبِي مُوسَى ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو مُوسَى سَأَلَهُ عَمَّا بَوَّجَهُ فَقَالَ : دَعُ هَذَا وَلَكِنْ أَبْنُ عَمِّي سَاخَطُ فَأَحْلِهْ عَلَى فَرَسٍ ، فَعَلَّ .

قِيلَ لِلْأَحْنَفِ : مَا أَحْلَمَكَ قَالَ : تَمَلَّطُ الْحِلْمُ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ الْمُتَقَرِّى ، بَيْنَا هُوَ فَاعِدٌ يَفْنَانُهُ مُحْتَبٍ بِكَسَائِهِ ، أَنَّهُ جَمَاعَةٌ فِيهِمْ مَقْتُولٌ وَمَكْتُوفٌ وَقِيلَ لَهُ : هَذَا أَبْنُكَ قَتَلَهُ ابْنُ أَخِيكَ ، فَوَاقَهُ مَاحِلٌ حُبُّوهُ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ كَلَامِهِ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى ابْنِ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ ، فَقَالَ لَهُ : قُمْ فَاطْلُقْ عَنْ ابْنِ عَمِكَ وَوَارِ أَخَاكَ وَاجْعَلْ إِلَى أُمِّهِ مَائَةً مِنَ الْإِبِلِ فَإِنَّهَا خَيْرٌ مِنْهُ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ

إِنِّي أَمْرٌ لَا شَأْنَ حَسْبِي * دَسٌّ يَنْبِرُهُ وَلَا أَفْرُ
مِنْ مِتَّقَرٍ فِي بَيْتِ مَكْرُمَةٍ * وَالنُّصْنُ نَبْتُ حَوْلَةِ النُّصْنِ

(١) كَذَا فِي الْأَمْوَالِ وَلَهُ «وَالْحِلْمُ» . (٢) فِي الْأَمَلِينَ «عَرَبِيَّةٌ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ

الْبَقْدِ الْفَرِيدِ . (٣) رَوَاهُ فِي الْبَقْدِ الْفَرِيدِ :

إِنِّي أَمْرٌ لَا يَطْلِي حَسْبِي * دَسٌّ يَجِيءُهُ وَلَا أَفْرُ

حُطْبَاءُ حِينَ يَقُولُ قَاتِلُهُمْ * بِيضُ الْوَجْهِ، أَعْفَى لُسْنُ
لَا يَقْطَعُونَ لَيْسَ جَارِعُهُ * وَهُمْ لِحْفِظِ جَوَارِهِ قُلْتُ

ثم أقبل على القاتل فقال : قَتَلْتَ قَرَابَتَكَ ، وَقَطَعْتَ رَحِمَكَ ، وَأَقَلَّتْ مَدَدَكَ ،
لَا يُعِيدُ اللَّهُ غَيْرَكَ . وفي قيس بن عاصم يقول عِدَّةُ بْنُ الطَّبَّيبِ ، إسلامي

- عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ * وَرَحْمَةُ مَا شَاءَ ابْنُ يَرْحَمَا
نَجِيَّةً مَنْ أَلْبَسَتْهُ مِنْكَ نِعْمَةً * إِذَا زَارَ عَنْ تَحِيَّاتِ بِلَادِكَ سَلَامًا
وَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلَكُهُ هَلَكُ وَاحِدٍ * وَلَيْسَ كُنْهُ بَيْنَهُ قَوْمٌ تَهْدِمَا

وقال الأحنف : لقد اختلفنا إلى قيس بن عاصم في الحِلْمِ كما تَخْتَلِفُ إلى الفقهاء
في الفقه . شتم رجل الأحنف وجعل يذمُّهُ حتى بلغ حَيْهَ ، فقال الأحنف : يا هذا
إن كان بقي في نفسك شيء فهاهنا وأنصرف لا يَسْمَعُكَ بَعْضُ سُفْهَانَا قَطْلَى مَا تَكُونُ .
• شتم رجل الحسن وأرْبَى عليه ، فقال له : أَنَا أَنْتَ فَمَا أَجَبْتَ شَيْئًا ، وما يعلم الله أكثرُ .
قال بعض الشعراء

لَنْ يُدْرِكَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُّوا * حَتَّى يَذْلُقُوا - وَإِنْ عَزُّوا - لِأَقْوَامٍ
وَيُسْتَمْرَأَ قَرَى الْأَلْوَانِ مُشْرِقَةً * لَا صَنْعَ ذُلٍّ وَلَكِنْ صَنْعَ أَحْلَامٍ

- قال [حدثني] أبو حاتم عن الأصمعي قال : لا يَكَادُ يَجْتَمِعُ عَشْرَةٌ إِلَّا وَفِيهِمْ مُقَاتِلٌ
وَأَكْثَرُ ، وَيَجْتَمِعُ أَلْفٌ لَيْسَ فِيهِمْ حَلِيمٌ . ابن عُبَيْدَةَ قال : كَانَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا
أَسْرَعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يَسْتَمُّ أَوْ قَوْلَ سَيٍّ لَمْ يُجِبْهُ وَقَالَ : أَتَى أَرْثَكَ رَفْعًا لِنَفْسِي عَنْكَ بِغَيْرِي
بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كَلَامٌ ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ حَلِيٌّ : حَفِضْ عَلَيْكَ أَيُّهَا
الرَّجُلُ فَإِنِّي أَرْثَكَ الْيَوْمَ لِمَا كُنْتَ تَعْرِكُ لَهُ النَّاسَ .

- قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال ، قال رجل : لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ كُنْتُ أَدْعُ
الْفَحْشَ عَلَى الرِّجَالِ ، فَقَالَ لَهُ خَصْمُهُ : فَإِنِّي أَدْعُ النَّحْشَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ لِمَا تَرَكْتَهُ

أنت له قبل اليوم . وأغلظَ عِجْدَ لسيده، قال : إني أَصْبِرُ لهذا الغلام على ما رَوْنُ
لأروصَ هَمِي بِذلك ، فإذا صَبَرْتُ للملوك على المكروه كانت لغير الملوك أَصْبَرُ .

كَلَّمَ عمر بن عبد العزيز رجلا من بني أمية وقد ولدته نساء بني مرة فصاب عليه جَفَاءَ
رَأَاهُ منه، فقال : قَبِحَ اللهُ شَبْهاً [غلب^(١) عليك من بني مرة، وبلغ ذلك عَجِيلَ بن عُلْفَةَ

المُرِّي وهو بِحَفَاءَ من المدينة على أميال في بلد بني مرة، فركب حتى قَدِمَ على عمر

وهو بِدَيْرِ سَمْعَانَ، فقال : هيه يا أمير المؤمنين ! بلغني أنك غضبت على قتي من بني

أبيك، قلت : قَبِحَ اللهُ شَبْهاً غلب عليك من بني مرة، وإني أقول : قَبِحَ اللهُ الأَمَ

طرفيه، فقال عمر : دَعُ وِجْكَ هذا وهات حاجتك . فقال : والله مالي حاجة غير

حاجته^(٢)، وولّي راجعا من حيث جاء، فقال عمر : ياسبحان الله ! من رأى مثل هذا

الشيخ؟ جاء من جفء ليس إلّا يَسْتَمْتِنا ثم أنصرف ! فقال له رجل من بني مرة : إنه

والله يا أمير المؤمنين ما شتمك وما شتم إلا نفسه، نحن والله الأَمَ طرفيه .

المداثي قال : لما عزل الحجاج أمية بن عبد الله عن خراسان أمر رجلا من بني

تميم فصابه بخراسان وشنع عليه، فلما قفل لقيه التميمي فقال : أصلح الله الأمير

لأنك لئي فإني كنت مأمورا، فقال : يا أخا بني تميم أَوَحَدَثَكَ نَفْسُكُ أَنِّي وَجَدْتُ

طليق؟ قال : قد ظننتُ ذاك، قال : إن لنفسك عندك قَدْرًا ! . كان يقال : طيروا

دماء الشباب في وجوههم . ويقال : الغضب غُولُ الحلم . ويقال : القدرة تَذْهَبُ

الحَقِيقَةُ . وكتب كَسْرَى أبرويز إلى ابنه شيرويه من الحبس : إن كلمة منك

تَسْفِكُ دما، وإن كلمة أخرى منك تَحْيِي دما، وإن سَخَطَكَ سيوفك مسلولة^(٣) على

من سَخَطَتَ عليه، وإن رضاك بركة مستقبضة على من رَضِيتَ عنه، وإن نَقَادَ

(١) زيادة في المقدّم الفريد .

(٢) رسم في النسخة الفلورنافية هكذا «حاجه» دليل النسخ حرفها عن «هذه» كما يقتضيا السياق .

(٣) لعله «وان سخطك سيوف مسلولة الخ» بالتكرير ليتناسب في السياق مع ما بعده .

- أمرك مع ظهور كلامك، فاحترس في غضبك من قولك أن يُخطئ ومن لوتك أن يتغير ومن جسدك أن يتخف، وإن الملوك ثأقِبَ قدرة وحزما، وتغفو تفضلاً وعلما، ولا ينبغي للقادر أن يُستخف ولا للحليم أن يزهو، وإذا رَضِيتَ فأبلغ بمن رَضِيتَ عنه يجرّض من سواء على رضاك، وإذا سَخِطْتَ فضع من سَخِطْتَ عليه يهرب من سواء من سَخِطْتَ، وإذا عاقبت فأنهك^(١) لئلا يتعوض لمقوبتك، وأعلم أنك تَجِلُّ عن الغضب وأن غضبك يصغر عن ملكك، فقدّر لسخطك من العقاب كما تُقدّر لرضاك من الثواب. قال محمد بن وهيب

- لئن كنت محتاجا إلى الحلم إني * إلى الجهل في بعض الأحيان مُوجِّعٌ
ولي فرس للحلم بالحلم مُلجِمٌ * ولي فرس للجهل بالجهل مُسْرِجٌ
فمن رام تقوي فإني مُقَوِّمٌ * ومن رام تعويجي فإني مُوَجِّعٌ
وما كنت أرضى الجهل خذنا وصاحبنا * ولكنني أرضى به حين أُخرجُ
ألا ربما ضاق الفضاء بأهله * وأمكن من بين الأمتة عرجُ
وإن قال بعض الناس فيه سماجة * فقد صدقوا، والذل بالحر أنسجُ

- وقال ابن المقفع: لا ينبغي للوك أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته، ولا يكذب لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد، ولا يتجمل لأنه لا يخاف الفقر، ولا يتعبد لأن خطره قد جَلَّ عن المجازاة. قال سويد بن الصامت^(٢)
- إني إذا ما لأمرين شكُّه * وبدت بصائرُه لمن يتأملُ
أدعُ التي هي أرفعُ الحالات بي * عند الحفيظة التي هي أجملُ

- أتى عمر بن عبد العزيز رجل كان واجدا عليه، فقال: لو لا أني غضبان لما قبضتُ، وكان إذا أراد أن يعاقب رجلا حسبه ثلاثة أيام، فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه ثاقبه،
- (١) نهك السلطان: بالغ بالقوة. (٢) في الأغانى ج ٢ ص ١٦٩ سويد بن صامت بدون الألف واللام.

كَرَاهَةً أَنْ يَسْجَلَ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ غَضَبِهِ . وَأَسَمَهُ رَجُلٌ كَلَامًا قَالَهُ لَهُ : أَرَدْتَ أَنْ
يَسْتَفِزَّنِي الشَّيْطَانُ بِعِزِّ السُّلْطَانِ فَأَنَالَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَا تَنَالَهُ مَتَى غَدًا، انصرفت رحلك الله .
قال لقمان الحكيم : ثلاث من كنَّ فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رَضِيَ لم يُخْرِجْهُ
رضاه إلى الباطل ، وإذا غَضِبَ لم يُخْرِجْهُ غَضَبِهِ من الحق ، وإذا قَدَّرَ لم يَتَوَلَّ
ما ليس له . وقال لابنه : إن أردت أن تَوَاضَعَ رجلاً فأغضبه ، فإن أنصفك في غَضَبِهِ
وإلا فَدَعَهُ .

خطب معاوية يوماً فقال له رجل : كَذَبْتَ ، قَتَلْتُ مُنْضَبًا فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ
عَلَيْهِمْ تَحْمَلُهُ لِحِيَّتُهُ مَاءً ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي الْغَضَبُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنِّي
الشَّيْطَانُ مِنَ النَّارِ ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُطْفِئْهُ بِالْمَاءِ ، ثُمَّ أَخَذَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي بَلَغَهُ
من خطبته . وفي الحديث المرفوع : «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَإِنْ كَانَ قَائِمًا فَلْيَقْعُدْ
وَإِنْ كَانَ قَاعِدًا فَلْيُضَلِّعْ» . وقال الشاعر

إِحْذَرِ مَقَاطِظَ أَقْوَامٍ ذَوَى أَنْفٍ • إِنَّا لَمُنِظُّ جَهُولِ السِّيفِ مَجْنُونِ

وقال عمر بن عبد العزيز : متى أَشْفَى غِيظِي؟ أَسِينُ أَقْدَرُ فيقال لى : لَوْعُوتٌ ،
أَوْ سِينُ أَعْمَزُ فيقال لى : لَوْ صَبَرْتُ؟ . والعرب تقول : «إِنَّ الرُّيْثَةَ ^(١) مِمَّا يَفْشَى الْغَضَبُ»
والرُّيْثَةُ ^(١) اللبَنُ الحَامِضُ يُصَبُّ عَلَيْهِ الْحَلِيبُ ، وَهُوَ أَطْيَبُ اللَّبَنِ .

كان المنصور ولى سَلَمَ بْنَ قَتَيْبَةَ الْبَصْرَةَ وَوَلَّى مَوْلى لَهُ كُودَ الْبَصْرَةَ وَالْأُبُلَّةَ ، فَوَرَدَ
كَتَلَبُ مَوْلَاهُ أَنَّ سَلَمًا ضَرَبَهُ بِالسَّيَاطِ ، فَأَسْتَشَاطَ الْمَنْصُورُ وَقَالَ : عَلَيَّ نَجْرًا سَلَمُ !
لَأَجْلِسَنَّ نَكَالًا ، فَقَالَ ابْنُ عِيَّاشٍ — وَكَانَ جَرِيثًا عَلَيْهِ — يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ سَلَمًا
لَمْ يَضْرِبْ مَوْلَاكَ بِقُوَّتِهِ وَلَا قُوَّةَ أَبِيهِ ، وَلَكِنَّكَ قَدَدْتَهُ سَيْفَكَ وَأَصْعَدْتَهُ مَنَبْرَكَ ، فَأَرَادَ
مَوْلَاكَ أَنْ يَطْلُغَ مِنْهُ مَارْفَعَتٌ وَفَيْسِدَ مَا صَنَعْتَ ، فَلَمْ يَحْتَمِلْ ذَلِكَ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
(١) في الأصل «الرَيْثَةُ» وهو تحريف . (٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَهُوَ نَل . وَضَعَهُ كَمَا فِي السَّانِ
وَجَمَعَ الْأَمْثَالَ لِقِدَانِ «إِنَّ الرُّيْثَةَ هَتَا الْغَضَبِ» وَقَدْ انْضَبَّ سَكَنُهُ وَكَرَحَتُهُ .

إن غَضِبَ العربي في رأسه فإذا غَضِبَ لم يهدأ حتى يُجرِّه بلسان أو يد، وإن غَضِبَ النَّبَطِيُّ في آسته فإذا غَضِبَ [و] تحرَّى ذهب غضبه، فضحك أبو جعفر وقال :
فعل الله بك يا متوف وفعل، فكفَّ عن سَلَم .

كان يقال : إياك وعِزَّة الغضب فلانها مُصيرُكَ إلى ذلِّ الاعتذار. قال بعض الشعراء
الناسُ بذك قد خَفَّتْ حُلُومُهُمْ * كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصيرُ

أبو بكر بن عياش عن الأعمش قال : كنت مع رجل فوقع في إبراهيم ، فأتيت إبراهيم
فاخبرته وقلت : والله لَهْمَمْتُ به ، فقال : لعل الذي غضبت له لو سمعه لم يقل شيئا .

باب العز والذل والهيبة

- أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا عمر بن السَّكَن قال قال سليمان بن عبد الملك
ليزيد بن المهلب : فيمن العزُّ بالبصرة ؟ فقال : فينا وفي حلفائنا من ربيعة ، فقال
عمر بن عبد العزيز : ينبغي أن يكون العزُّ فيمن تُحوَّلَف عليه يا أمير المؤمنين .
قالت قريبة : إذا كنت في غير قومك فلا تُنَسِّ نصيبك من الذلَّة . قال رجل من
قريش لشيخ منهم : عَلَّيْني الحِلْمَ ، قال : هو يا بن أخي الذلُّ ، أَقْصِرْ عليه ؟ . وقال
الأحف : ما يَسْرُقُ بنصيبِي من الذلِّ حُرُّ النَّعَمِ ، فقال له رجل : أنت أعزُّ
العرب ، فقال : إن الناس يروُن الحِلْمَ ذَلًّا ، فقلت ما قلت على ما يعلمون .

وقرأت في كتاب للهند أن الريح العاصف تَحْطِمُ دَوَحَ الشجر ومُشِيدَ البنيان ويسلم
عليها ضعيفُ النهب لئلا يتهنَّه . ويقال في المثل : « تَطَاطَأُ لها تَحْطِطُك » . وقال
زيد بن علي بن الحسين حين خرج من عند هشام مُغَضِّبًا : ما أَحَبُّ أحدَ قَدْ
الحياة إلا ذلًّا ، ومَثَل

- شَرُّهُ الخوفُ وأزرى به * كذاك مَنْ يكره حرَّ الحِلَاد

منخرفاً الخفين يشكو الوحي * تسكبه أطراف مَرَّوحَداد

قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

وقال المتلمس

إن الهوان، حمار البيت يعرفه * والمرء ينكره والجسرة الأجد^(١)

ولا أقيم بدار الذل يعرفها * إلا الحمار حمار الأهل والوئد

وقال الزبير بن عبد المطلب

ولا أقيم بدار لا أشد بها * صوقي إذا ما أعتزنى سورة الغضب

وقال آخر

إنذا كنت في قوم عدا لست منهم * فكل ما علفت من خبيث وطيب

وقال العباس بن مرداس

أبلغ أبا سلم رسولاً نصيحة * فإن معشر جادوا يرضك فابخل

وإن يؤدوك متراً غير طائل * غليظاً فلا تنزل به وتحول

ولا تطعمن ما يعلفونك إنهم * أتوك على قربانهم بالتمثل

أراك إذن قد صرت للقوم ناصحاً * يقال له بالقرب أذير وأقيل

وقال آخر

فأبلغ لديك بنى مالك * على أيها وسرة الزباب

بأن أمر أأتم حوله * تحفوت قبة بالقباب

يبرئ سرائك عامدا * ويقتلكم مثل قتل الكلاب

فلو كنتم إلا أملحت^(٢) * لقد نزعت للبياء العذاب

ولسكنكم غم تصطفى * ويترك سائرها للذئاب

(١) ثمة أجد : قرية موقفة الخلق مصلة قدار الظهر، خاص بالاناث . فاموس .

(٢) يقال : أملت الأبل أي وردت ماء ملحا وفي الأصل أملت باليم ولم يظهر له معنى مناسب .

وقال آخر

ثاقه لولا أنكسار الرُح قد علموا * ما وجدوني ذليلا كالكلى أجد
قد يُحطَّم الفعل قسرا بعد عزته * وقد يُرد على مكروهه الأمد

وقال بعض العبدین

- الا أُلِفنا خُلِي راشدا * وصنوى قديما إذا ما اتصل
بان الدقيق يبيحُ الجليل * وأن العزيز إذا شاء نذل
وأن الحزامة أن تصيرفوا * لحى سوانا صدور الأسئل
فان كنت سيدنا سُدتنا * وإن كنت لخال فأنهب نفل

وقال البَيت

- ١٠ ولو تُرى بلُوم بنى كليب * نجوم الليل ما وُتحت لِسارى
ولو لیس النهار بنو كليب * لدنس لُومهم وُجَّح النهار
وما يندو عزير بنى كليب * ليطلب حاجة إلا يجار

جاور ابنُ سَيَّابَة مولى بنى أسد قوما فازعجوه، فقال لهم : لم تُزججوني من جواركم؟
فقالوا : أنت مُريب، فقال : فمن أدل من مُريب ولا أحسن جوارا . أبو عبيدة
عن عوانة قال : إذا كنت من مُضر ففانح بكانة وكأثر بجم وألق بَقيس، وإذا كنت
١٥ من قحطان فكأثر بَقْضاعة وفانح بمذرج وألق بكلب، وإذا كنت من ربيعة ففانح
بشيان وألق بشيان وكأثر بشيان . كان يقال : من أراد عزا بلا عشيّة وهيبة بلا
سلطان فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عز طاعة الله . قيل لرجل من العرب : من
السيد عندكم ؟ قال : الذى إذا أقبل هيناه وإذا أدبر أعيناه . ونحوه قول مسلم

- ٢٠ وكَم مِنْ مُعَدِّ فى الضميرِ لِالأذى * رآنى فالتى الرعبُ ما كان أضمرأ

وقال أيضا

يا لها ألتأبى عِرْضى مُسارَقَة * أظن به، أنت إن أعلته الرجلُ

ومن أحسن ما قيل في الهيبة

في كفه خَيْرُ رَأَى رِيحُهَا عَيْ * من كف أرْوَعَ في عِرْزَيْتِهِ شَم
يُنْفِى حَيَاءً وَيُنْفِى مِنْ مَهَابَتِهِ * فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ

وقال ابن هرمة في المنصور

لَهُ لَحَظَاتٌ عَنْ حَقَاقٍ مَرِيرَةٍ * إِذَا صَكَرَهَا فِيهَا عَقَابٌ وَفَائِلٌ
فَأَمَ الَّذِي آمَنَتْ أَمْنُهُ الرَّدى * وَأَمَ الَّذِي أَوْصَدَتْ بِالثُّكُلِ ثَاكِلٌ
كَرِيمٌ لَهُ وَجْهَانُ وَجْهٍ لَدَى الرِّضَا * أَسِيلٌ، وَوَجْهٌ فِي الْكُرْسِيِّ بَاسِلٌ
وَلَيْسَ بِمُعْطَى الْمَغْوِعِ غَيْرُ قَدْرَةٍ * وَيَعْفُو إِذَا مَا أَمَكْتَهُ الْمُقَاتِلُ

وقال آخر في المغو بعد القدرة

أَسَدٌ عَلَى أَعْدَائِهِ * مَا إِنْ يَكُنْ وَلَا يَهُونَ
فَلِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُمْ * فَهَنَّاكَ أَهْلُ مَا يَكُونُ

وقال آخر في مالك بن أنس

يَا بِي الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً * وَالسَّائِلُونَ نَوَاسِ الْأَذْقَانِ
هَدَى النَّبِيَّ وَعَنْ سُلْطَانِ الْتَقَى * فَهُوَ الْمَطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

وقال آخر

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ * خَضَعَ الرِّقَابَ نَوَاسِ الْأَبْصَارِ

وقال أبو نواس

أَخْصِرُ فِي الْقَلْبِ عَنَابًا لَهُ * فَإِنْ بَدَأَ أَنْسَيْتُ مِنْ هَيْبَةٍ

ألمدائني قال : قال ابن شبرمة القاضي لابنه : يا بني لا تُمكن الناس من نفسك ،
فإن أجرا الناس على السباع أكثرهم لها مُعَانَةً . قيل لأعرابي : كيف هَوَل :
استخذأت أو استخذيت ؟ قال : لا أقوله ، قيل : ولم ؟ قال : لأن العرب لا تستخذى .
وكان يقال : اصْفَحْ أو اذْبَحْ .

(١) في القند الفريد ج ١ ص ٢٠٢ : هَدَى الرِّقَابَ .

باب المروءة

- في الحديث المرفوع : قام رجل من مُجَانِيعَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أَلَسْتُ أَفْضَلُ قَوْمِي ؟ فقال : "إِنْ كَانَ لَكَ عَقْلُ فَلكَ فَضْلٌ ، وَإِنْ كَانَ لَكَ خُلُقٌ فَلكَ مَرْوَةٌ ، وَإِنْ كَانَ لَكَ مَالٌ فَلكَ حَسَبٌ ، وَإِنْ كَانَ لَكَ تَقَى فَلكَ دِينٌ" وفيه أيضا « إِنْ الله يُحِبُّ مَعَائِلَ الْأُمُورِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا » . روى كثير بن هشام عن الحكم بن هشام التَّقِيُّ قال : سمعت عبد الملك بن عُمر يقول : إِنْ مِنْ مَرْوَةٍ الرَّجُلُ جُلُوسُهُ بِيَابِهِ . قال الحسن : لَا دِينَ إِلَّا بِمَرْوَةٍ . قيل لابن هبيرة : مَا الْمَرْوَةُ ؟ قال : إِصْلَاحُ الْمَالِ ، وَالزَّانَةُ فِي الْمَجْلِسِ ، وَالْفِدَاءُ وَالْمَشَاءُ بِالْقِنَاءِ . قال إبراهيم : لَيْسَ مِنَ الْمَرْوَةِ كَثْرَةُ الْإِنْفَاقِ فِي الطَّرِيقِ وَلَا سُرْعَةُ الْمَشْيِ . ويقال : سُرْعَةُ الْمَشْيِ تُظْهِبُ بَهَاءَ الْمُؤْمِنِ .

- قال معاوية : الْمَرْوَةُ تَرْكُ اللَّذَّةِ . وقال عمرو : مَا أَلَذُّ الْأَشْيَاءِ ؟ قَالَ عَمْرُو : مُرُّ أَحْدَاثٍ قَرِيشٍ أَنْ يَقُومُوا ، فَلَمَّا قَامُوا قَالَ : إِسْقَاطُ الْمَرْوَةِ . قال جعفر بن محمد عن أبيه ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "وَرَوْا لِنَوَى الْمَرْوَاتِ عَنْ عَمَّاتِهِمْ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ أَحَدُهُمْ لِيَعْتُرُّ رَأْسَهُ لَنَفِي يَدِ اللَّهِ" . كَانَ عَمْرُو بْنُ الزَّيْرِ يَقُولُ لَوْلَاهُ : يَأْتِي آلِمْبُوا ، فَإِنَّ الْمَرْوَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ اللَّسْبِ . قيل للأحنف : مَا الْمَرْوَةُ ؟ فقال : السَّيِّئَةُ وَالْحَرْفَةُ . قال محمد بن عُمَرَ بْنِ التَّيْمِيِّ : مَا شَيْءٌ أَشَدَّ حِمْلًا عَلَى مِنَ الْمَرْوَةِ ، قِيلَ : وَأَيُّ شَيْءٍ الْمَرْوَةُ ؟ قَالَ : لَا تَعْمَلُ شَيْئًا فِي السِّرِّ تَسْتَحْيِي مِنْهُ فِي الْعَالِيَةِ . وقال زهير في نحو هذا

السُّرُّ دُونَ الْفَاحِشَاتِ ، وَلَا * يَفْكَاكِ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِرِّ

(١) كذا في الأصول ، وفي النقد التريد « تجاوزوا » .
(٢) في الأصول « المروءة » والتصويب عن النقد التريد .

وقال آثر

فَترى كإعلانى ، وتلك خليقتى * وظلمة ليلى مثل ضوء نهاريا

قال عمر بن الخطاب : تعلموا العربية فلنهابا تزيد في المروءة ، وتعلموا النسب فرب ربح مجهولة قد وصلت بنسبها . قال الأصمعي : ثلاثة تحكم لهم بالمروءة حتى يعرفوا : رجل رأيت له راجيا ، أو سمعته يُعرب ، أو شممت منه رائحة طيبة . وثلاثة تحكم عليهم بالدانة حتى يعرفوا : رجل شممت منه رائحة نبيذ في حفيل ، أو سمعته يتكلم في مصرع عربى بالفارسية ، أو رأيت على ظهر الطريق يتنازع في القدر . قال ميمون ابن ميمون : أول المروءة طلاقة الوجه ، والثاني التوحد ، والثالث قضاء الحوائج . وقال : من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه . قال مسلمة بن عبد الملك : مروءتان ظاهرتان : الرأسة والفصاحة . وقال عمر بن الخطاب : المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة . قالوا : كان الرجل إذا أراد أن يشين جاره طلب الحاجة إلى غيره . وقال بعض الشعراء

نوم الفداء وشرب العيشيات * موكلان بتهديم المروءات

باب اللباس

حدثني محمد بن عبيد قال ، حدثنا ابن عينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طلوس عن ابن عباس ، قال : كل ما شئت واللبس ما شئت إذا ما أخطأك شيئا : سرف أو خيلة .

قال حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا المنهال بن حماد عن خارجة بن مصعب عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه ، قال : كانت ليحضة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يليس في أهله مؤسدة حتى إنها لتردع على جلده .

(١) مصبغة بالورس وهو نبات أصفر يابن . وفي الأصول : "مؤسدة" بالثين المعجمة وهو تحريف . (٢) تنفض صبتها .

حدثني أبو الخطاب ، قال حدثنا أبو عتاب قال حدثنا المختار بن نافع عن
إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي ، قال : رأيت لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما
إزارا فيه إحدى وعشرون رقعة من آدم ورقعة من ثيابنا .

حدثنا الزبائدي قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن الحريري عن ابن عباس ،
قال : رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وإزاره مرقوع بأديم . نظر معاوية
إلى الثغار العذري المناسب في عباءة فازدراه في عباءة ، فقال : يا أمير المؤمنين إن
العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها . قال مجيم بن وئيل
ألا ليس زين الرجل قطعاً يمزق * ولكن زين الرجل ياتى راكبة

وقال آخر

١٠. إياك أن تردى الرجل فما * يدريك ماذا يكتنه الصدف
نفس الجواد النقي باقية * يوماً وإن مس جسمه الجف
والحر حر وإن ألم به الضر وفيه العفاف والألف

وقال آخر من المحدثين

١٥. تعجبت دُرٌّ من شبي فقلت لها * لا تمنحي قد يلوح الفجر في السف
وزادها عجباً أن رُحمت في سميل * وما درت دُرٌّ أن الدر في الصدف
حدثني أبو حاتم عن الأصمعي أن ابن عون اشترى برأساً من عمر بن أنس بن
سبرين فز على معاذة المدوية ، فقالت : أملاك يلبس هذا ! قال : فذكرت ذلك
لبن سبرين فقال : ألا أخبرتها أن ثيابا الدارى اشترى حلة باليف يصل فيها .

(١) كذا في النسخين .

(٢) في الأصل : ألا أخبركم . والتصويب عن العقد القوي . ج ٢ ص ٣٤٨

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن ولد عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال أخبرني إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران : رداءً وعمامةً .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا علي بن عامر قال أخبرنا أبو اسحاق الشيباني قال : رأيت محمد بن الحسن الحنفية واقفا يعرفات على رذون عليه مطرف خز أصفر .

حدثني الزياتي عن الأصمعي عن حفص بن الغزاة^(١) قال : أدركت وجوه أهل البصرة، شقيق بن ثور فمن دونه وأينهم في بيوتهم الخفاف والعساة فإذا قدموا بأفئدتهم ليسوا الأكسية وإذا أتوا السلطان ركبوا وليسوا المطارف .

قدم حماد بن أبي سليمان البصرة بقاءه فرقد السجني وعليه ثياب صوف فقال حماد : ضع نصرايتك هذه عنك، فقد رأيتنا نتظر إبراهيم فيخرج علينا وعليه معصرة ونحن نرى أن الميتة قد حلت له .

وروى زيد بن الحباب عن الثوري عن ابن جريح عن عثمان بن أبي سليمان أن ابن عباس كان يرتدي رداءً بالياف . قال معمر : رأيت قبص أيوب يكاد يمس الأرض، فكلته في ذلك فقال : إن الشهرة فيما مضى كانت في تذييل القميص وإنما اليوم في تسميره .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال أخبرني بعض أصحابنا قال : جاء سيار أبو الحكم إلى مالك بن دينار في ثياب أشهرها مالك^(٢)، فقال له مالك : ماهذه الشهرة؟ فقال له سيار : أتضعي عندك أم ترفضي؟ قال : بل تضعك، قال : أراك تنهى عن التواضع، قتل مالك فقدم بين يديه .

(١) في لسان العرب : كل ما في الرب فراضة بضم الفاء. الا فراضة أبا الفاء امرأة عثمان رضى الله عنه الله فانه بفتح الفاء لا فيه . (٢) أشهرها : شمع بها .

- قال أبو يعقوب الخرمي: أراد جعفر بن يحيى يوما حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمى فدخل إلى خادم كسبا فيه ألف دينار وقال: إني سأزل في رجعتي إلى الأصمى وسبعثني وبضحتني فإذا ضحكنا فاضحك الكيس بين يديه، فلما رجع ودخل عليه رأى حبا مكسورا الرأس وجرّة مكسورة العتي وقصعة مشعبة وجفنة أعشارا وراه على مصبل بال وعليه برّكان^(٢) أجرد فغمز غلامه ألا يضع الكيس بين يديه ولم يدع الأصمى شيئا مما يضحك التكلان إلا أوردته عليه فأتهم ونرج، فقال لرجل كان يساره: "من أسترعى الذئب ظلم" ومن زرع سبعة حصد الفقر، فإني والله لو علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل لما حقلت نشره له باللسان، وأين يقع مدح اللسان من مدح آثار العتي، لأن اللسان قد يكتب والحال لا يكتب. وفيه ذكر نصيب حيث يقول
- ١٠ فاجبوا فاقبوا بالذي أنت أهله • ولو سكتوا أثنت عليك الحقايب
ثم قال له: أعلمت أن ناووس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان.
- قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن: رأيت مشيخة بالمدينة في زى الفتيان لم القنائر وعليهم المود والمصفر وفي أيديهم الخفاص وربها أثر الحناء، ودين أحدهم أهد من الثريا إذا أريد دينه. ذم ابن التوم رجلا فقال: رأيت مشعم النمل دون الجورب
- ١٥ مضمّن الخلف دقيق الخرامة. أنشد ابن الأعرابي
- فإن كنت قد أعطيت نرا تجزوه • تبتلّجه من فروة وإهاب
فلا تأمن أن تمكّ الناس إننى • أرى أمة قد أدبرت لتهاب
- قال أيوب يقول التوب: أطوني أهلك. هشام بن عروة عن أبيه قال، يقول
- ٢٠ المسال: أرى صاحبي أعرى، ويقول التوب: أعرى مني داخل أكرمك خارجا.
- (١) في اللسان وفيه: الحب الخالية فارسي معرب. (٢) كاه أسود.

ويقال: لكل شيء راحة، فراحة البيت كفسه، وراحة التوب طيه. قبل لأعرابي:
إِنَّكَ تُكْثِرُ لَيْسَ أَلِيَمَاءَ، فقال: إن عظمًا فيه السَّمْعُ والبَصَرُ يَلْجِدُ أَنَّ يَكُنَّ مِنَ الْحَزِّ
وَالْقُرْ. ويقال: حُبِّي العرب حيطانها، وعمامها تيمانها. وذكروا الهامة عند
أبي الأسود الدؤلي فقال: جُنَّةٌ فِي الْحَرْبِ، وَمِكَتَنَةٌ فِي الْحَزِّ وَالْقُرْ، وَزِيَادَةٌ فِي الْقَامَةِ،
وهي بعد عادة من عادات العرب. وقال طلحة بن عبيد الله: اللَّحْنُ يُلْغِبُ الْبُؤْسَ،
وَالْكِسُوةُ تُظْهِرُ الْفَنَى، وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْخَادِمِ مِمَّا يَكْبِتُ اللَّهُ بِهِ الْعَدُوَّ.

أبو حاتم قال حدثنا العتيبي قال: سمعت أعرابيا يقول: لقد رأيت بالبصرة
برودا كأنما نُصِجَتْ بِأَنْوَارِ الرَّبِيعِ وَهِيَ تَرُوعُ، وَاللَّابِسُوهَا أَرْوَعُ. قال يحيى بن خالد
لِلْعَتَّابِيِّ فِي لِبَاسِهِ - وَكَانَ لَا يُبَالِي مَا لَيْسَ - : يَا أَبَا عَلِيٍّ أَخْبِرْنِي اللَّهُ أَمْرًا رَضِيَ أَنْ يَرْفَعَهُ
هَيْئَتَهُ مِنْ جَمَالِهِ وَمَالِهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ حِفْظُ الْأَذْنِيَاءِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَلَا وَاقَهُ حَتَّى يَرْفَعَهُ
أَكْبَرَاءَهُ: هَيْئَتُهُ وَنَفْسُهُ، وَأَصْغَرَاءَهُ: قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ. وفي الحديث المرفوع: "إِنَّ اللَّهَ
إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عِبْدِهِ نَعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَى أَثَرَهَا عَلَيْهِ". قال حبيب بن أبي ثابت: أن
تَعْرِفَ خَصِيْفَةَ خَيْرِكَ مِنْ أَنْ تَنْزِلَ فِي مَطْرِفٍ، وَمَا أَقْتَرَضْتُ مِنْ أَحَدٍ خَيْرَ مَنْ أَنْ
أَقْتَرَضَ مِنْ نَفْسِي. قال عمرو بن معديكرب

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُتَرَدٍّ * فَأَعْلَمُ وَإِنْ رُدِّيتَ بَرْدًا
لَنْ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ * وَمَوَارِثُ أَوْزَنُ نَجْدًا

وقال ابن هرمة

لَوْ كَانَ حَوْلِي بَنُو أُمَيَّةَ لَمْ * يَنْطِقَ رِجَالٌ إِذَا هُمْ نَظَّفُوا
إِنْ جَلَسُوا لَمْ تَضُقْ جِالْسُهُمْ * أَوْ رَكِبُوا ضَاقَ عَنْهُمْ الْأَنْقُ

كَمْ فِيهِمْ مِنْ أَحْ وَذَى ثِقَةٍ * عَنْ مِنْكِيهِ الْقَمِيصُ مُتَخَرِّقُ
تَجْهَمُ عَوْدَ النِّسَاءِ إِذَا * مَا أَحْزَمَتْ الْقَوَانِيسَ الْحَدَقُ
فَرِيحُهُمْ عِنْدَ ذَاكَ أُنْدَى مِنْ أَلْسَمِكَ وَفِيهِمْ نَحَاطٌ وَرَقُ

قال حدثني أحمد بن إسماعيل قال : رأيت على أبي سعد^(١) الخزومي الشاعر

- كروانينا مصبوغا بسواد ، فقلت له : يا أبا سعد، هذا خر؟ فقال : لا ، ولكنه
دَعِيَ على دَعِيٍّ ، وكان أبو سعد دعيا في بني مخزوم، وفيه يقول أبو البرق

لَمَّا تَاهَ عَلَى النَّاسِ * شَرِيفُ يَا أَبَا سَعْدِ
فِيهِ مَا شِئْتُ إِذْ كُنْتُ * بِلَا أَصْلٍ وَلَا جَدِّ
وَإِذْ حَظُّكَ فِي النَّسَبَةِ بَيْنَ الْحَزْ وَالْعَبْدِ
وَإِذْ قَاذَفُكَ الْمُفَحِّشُ فِي أَمْنٍ مِنَ الْحَدِّ

١٠

قال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه : كيف كانت طاعتي لِمَاكَ وَأَنْتَ تَوَدُّنِي ؟ قال :
أَحْسَنَ طَاعَةٍ ، قَالَ : فَأَطِئْنِي الْآنَ كَمَا كُنْتُ أَطِيعُكَ ، خَذْ مِنْ شَارِبِكَ حَتَّى تَبْدُوَ
شَفْتَاكَ ، وَمِنْ ثَوْبِكَ حَتَّى يَبْدُوَ عَقِبَاكَ . وكيع قال : راح الأعمش إلى الجمعة وقد
قَلَبَ فُرُوءَ جِلْدِهَا عَلَى جِلْدِهِ وَصَوَّفَهَا إِلَى خَارِجٍ ، وَعَلَى كَتِفَيْهِ مِندِيلُ الْحِوَانِ مَكَانَ
الرِّدَاءِ . قال حدثني أبو الخطاب عن أبي داود عن قيس عن أبي حصين قال : رأيت
الْأَسْجَمِيَّ يَقْبِضُ عَلَى جِلْدِهِ . قال الأخنف : اسْتَجِيدُوا النَّعَالَ فَانْهَاجُوا خِلَافَ الرِّجَالِ .
أبو الحسن المدائني قال : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مُسْلِمٍ فِي مِدرَةٍ
صَوْفٍ فَقَالَ لَهُ قُتَيْبَةُ : مَا يَدْعُوكَ إِلَى الْبُيُوتِ هَذِهِ ؟ فَسَكَتَ ، فَقَالَ لَهُ قُتَيْبَةُ : أَتُكَلِّمُكَ
فَلَا تَجِيبُنِي ! قَالَ : أَكْرَهَ أَنْ أَقُولَ زَهْدًا فَأَزْكِيَ نَفْسِي ، أَوْ أَقُولَ قُرْآنًا فَاشْكُرَ رَبِّي .

٢٠

(١) في الأصول : " سعيد " والتصويب من الأغاني وهو المرائض لما في البيت الأول .

قال ابن السَّكِّ لا محصاء الصوف : والله إن كان لباسكم هذا موافقا لمراكزكم لقد أحببت أن يطلع الناس عليها ، وإن كان مخالفا لها فقد هلكتم . وقال بعض المحدثين يستند من أطار عليه

فأنا إلا السِّف ياكل جفته * له حلية من نفسه وهو عاطل

المختتم

قال حدثني أبو الخطاب زياد بن يحيى الحسائي قال حدثنا عبد الله بن ميون قال حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله : أن النبي صلى الله عليه وسلم تحمَّ في يمينه .

قال حدثني أبو الخطاب قال حدثنا سهل بن حماد قال حدثنا أبو خَلَّة خالد بن دينار قال : سألت أبا العالية ما كانت تَهشُ خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : "صدق الله" قال : فالحق الخلفاء بعد صدق الله "محمد رسول الله" (١) .

قال أبو الخطاب حدثنا عتاب قال حدثنا سالم بن عبد الأعلى عن نافع عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يذكر الشيء أَوْقَى في خاتمه خيطا .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا عبد الله بن ميون قال : حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه أن خاتم علي كان من ورق قش "نيم القادر الله" . كان على خاتم علي بن الحسين بن علي "عليه السلام فاعمل" . كان قش خاتم صالح بن عبيد الله بن علي "تبارك من" (٢) .

(١) زيادة لم توجد بالأصل ولعلها سقطت من النسخ . وزياده ما في "مرح المواهب اللدنية" للزرقاني في رواية ابن سعد عن أبي العالية : أن قش خاتمه "صدق الله" ثم الحق الخلفاء "محمد رسول الله" . انظر ج ٥ ص ٤٥ طبع بولاق .

(٢) هكذا بالأصل ولعل الصواب أبو عتاب فاما لم نجد في شيوخ أبي الخطاب إلا أبا عتاب وهو سهل ابن حماد المذكور . وقد جاءت الرواية عنه في أول سطر من صحيفة ٢٩٧ بكتبه أبي عتاب .

نَقَرِي بَاقِي لَهُ عَبْدٌ وَهَشُّ خَاتَمِ شَرِيحٍ «الْخَاتَمُ خَيْرٌ مِنَ الْفَنِّ». وَهَشُّ خَاتَمِ طَاهِرٍ
«وَضَعُ الْخَلْدَ لِلْقِيَمَةِ». وَكَانَ لِأَبِي نَوَاسٍ خَاتَمَانِ : أَحَدُهُمَا عَقِيقُ مَرْيَمَ وَعَلَيْهِ
تَعَالَى ذِي فَلَمَّا عَدَّتْهُ • بَعُفُوكَ رَبِّي كَانَ عَفُوكَ أَعْظَمًا
وَالْآخَرُ حَلِيدُ صِنِّيٍّ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : «الْحَسَنُ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غُلَامًا»
فَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ يُقَلَعَ الْقَمَرُ وَيُفْسَلَ وَيُجْعَلَ فِي فَمِهِ .

باب الطيب

- قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عَيْنَةَ عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ عَنْ
أَبِي عِيَّانَ التَّهْدِيّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «خَيْرُ طِيبِ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ
رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَخَيْرُ طِيبِ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ» .
- ١٠ حَدَّثَنَا الْقُطَيْبِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ أَبِي لَيْمَةَ قَالَ حَدَّثَنِي بُكَيْرُ بْنُ نَافِعٍ : أَنَّ أَبَانَ
عمر كان يستجمر بعود غير مطبوخ ويحمل معه الكافور ويقول : هكذا كان رسول
الله يستجمر .
- قَالَ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ الرَّبِيعِ عَنْ يُونُسَ ، قَالَ قَالَ أَبُو قِلَابَةَ :
كَانَ أَبَانُ مَسْعُودٌ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ عَرَفَ جِيرَانَهُ ذَلِكَ بِطِيبِ رِيحِهِ .
- ١٥ حَدَّثَنِي الْقُومِيّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو نَسِيمٍ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ الْأَعْمَشِ قَالَ قَالَ أَبُو الضَّمْعَى :
رَأَيْتُ عَلَى رَأْسِ أَبَانَ الزُّبَيْرِ مِنَ الْمَسْكِ مَا لَوْ كَانَ لِي كَانَ رَأْسُ مَالٍ .
- قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو قَتِيْبَةَ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ الْهَاشِمِيِّ
عَنْ أَبِيهِ قَالَ : رَأَيْتُ أَبَانَ عَبَّاسٍ حِينَ أَحْرَمَ وَالنَّالِيَةُ عَلَى صَلْبِهِ كَأَنَّهَا الرُّبَّ .
- ٢٠ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْحَلِيلِ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْنٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ يَحْيَى عَنْ
عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانٍ قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ يَتَخَلَّقُ بِالْخُلُقُوقِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِي الْمَجْلِسِ .

وحدثني أيضا عن سويد بن سعيد عن صفوان بن إسماعيل عن عُمارة بن غَزِيَّة قال :
لما أُلِمَّ عمرُ بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك أَسْرَجَ في مسارجه تلك الليلة
الغالية .

قال وحدثني عن أبي عبد الرحمن المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب عن عبيد الله
ابن أبي جعفر عن الأعرج ، قال : قال أبو هريرة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« لَا تَزُكُّوا الطَّيِّبَ فَإِنَّهُ طَيِّبُ الرِّيحِ خَفِيفُ الْحَمَلِ » .

قال حدثني زيد بن أنعم قال حدثنا أبو داود قال حدثنا أنس بن مالك قال حدثنا
عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَرِصِ الطَّيِّبِ
فِي مَقَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ . إبراهيم بن الحكم عن أبيه قال
[قال] عكرمة : كان ابن عباس يَطْلِي جِسْمَهُ بِالْمَسْكِ فَإِذَا مَرَّ بِالطَّرِيقِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :
أَمَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ أُمَّ مَرَّ الْمَسْكُ ؟ . قال المَسِيَّبُ بْنُ عَلَسٍ يمدح بنى شيان

تَبَيَّتُ الْمُلُوكُ عَلَى عَثَبِهَا * وَشِيَانُ إِنْ غَضِبَتْ تَغْتَبِ
وَكَاثِلَشَهْدُ بِالرَّاحِ أَحْلَامُهُمْ * وَأَحْلَامُهُمْ مِنْهَا أَعْدَبُ
وَكَاثِلَسِكِ تَرْبُ مَقَامَاتِهِمْ * وَتَرْبُ قُبُورِهِمْ أَطِيبُ

أخذه العباس بن الأحنف فقال

وَأَنْتَ إِذَا مَا وَطِئْتَ التُّرَا * بَبَّ صَارَ تَرَابُكَ لِلنَّاسِ طِيَا

وقال كعب بن زهير يمدح قوما

الْمَطْعَمُونَ إِذَا مَا أَزْمَتْ أَرْزَمَتْ * وَالطَّيِّبُونَ شِيَابًا كَمَا عَرَفُوا

(١) هكذا بالنسخة الألمانية ، وظاهر السياق يقتضى « بنى » أما النسخة الجغرافية فالتدل فيها

محذوف سورا .

(٢) كذلك بالأصل ولعلها قال الناس .

وأشدد ابن الأعرابي

خَوْدٌ يَكُونُ بِهَا الْقَلِيلُ تَمَسُّهُ * مِنْ طَيْبِهَا عِيقًا طَيِّبٌ وَيَكْثُرُ
شَكَرُ الْكَرَامَةِ يَجْلُهَا فَضْفًا لَهَا * إِنْ التَّيْبَةُ جَلُّهَا لَا يَسْكُرُ
حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ذَكَرَ لَأَيُّوبَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَقَشَّفُونَ فَقَالَ :
مَا عَلِمْتُ أَنْ الْقَدَرَ مِنَ الدِّينِ .

باب المجالس والجلساء والمحادثة

قال حدثني أحمد بن الحليل عن حبان بن موسى قال حدثنا ابن المبارك عن معمر
عن سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
«الرَّجُلُ أَحَقُّ بِمَجْلِسِهِ إِذَا قَامَ لِحَاجَةٍ ثُمَّ رَجَعَ» .

وحدثني أيضا عن سعيد بن سليمان عن إسحاق بن يحيى عن المُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدٍ الْخَطَمِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ النَّبِيلِ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
«الْمَرْءُ أَحَقُّ بِصَدْرِ بَيْتِهِ وَصَدْرِ دَابَّتِهِ وَصَدْرِ فِرَاشِهِ ، وَأَحَقُّ أَنْ يُؤْمَرَ فِي بَيْتِهِ» .

قال حدثني محمد بن عُبَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ
مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ : أُلْقِيَ لِعَلِيٍّ وَسَادَةٌ يَجْلِسُ عَلَيْهَا وَقَالَ : إِنَّهُ لَا يَأْبَى الْكَرَامَةَ إِلَّا حَمَارًا .
وفي الحديث المرفوع عن أَبِي مُوسَى قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَثَلُ
الْجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ الدَّارِيِّ إِنْ لَمْ يُحَذِّكْ مِنْ طَيْبِهِ عَلِقَكَ مِنْ رِيحِهِ ، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ
السَّوِّءِ مَثَلُ الْكَبِيرَانِ لَمْ يَحْرِقْكَ بَشَرَارُهُ عَلِقَكَ مِنْ نَفْتِهِ» . قَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ : أَخْبَرَنِي :

(١) في النسخة الألمانية : النليل رقى القنغرانية : الليل ، وكلاما محرف عن «القليل» اذ هو الذي

يقع فيه السياق .

(٢) أحاديث : أصلاء .

المساجد مجالس الكلام . قال الأحنف : أطيّب المجالس ما سافر فيه البصر وأمدح فيه البدن ، فأخذه علي بن الجهم فقال

مُحَوَّنٌ تُسَافِرُ فِيهَا الْعِيُونُ * وَتَحْسِرُ عَنْ بَدَنِ أَقْطَارِهَا

وقال المهلب : خير المجالس ما بعد فيه مدى الطرف وكثرت فيه فائدة المجلس . قيل للأوسية : أى منظر أحسن ؟ فقالت : قصور يعض في حدائق خضير . ونحوه قول عدي بن زيد

كُدِّمِ الْعَاجِ فِي الْحَارِيبِ أَوْ كَالشَّيْخِ فِي الزُّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنْبِرٌ

حدثنا سهل بن محمد قل حدثنا الأصمعي قال : كان الأحنف إذا أتاه إنسان أوسع له ، فإن لم يجد موضعا تحرك ليريه أنه يوسع له . وكان آخر لا يوسع لأحد ويقول « تَهْلَانُ ذَوَا الْمَضْبِاتِ مَا يَتَحَلَّلُ » .

قال ابن عباس : بليلسى على ثلاث : أن أريمه بطرق إذا أقبل ، وأن أوسع له إذا جلس ، وأصغى إليه إذا تحلث . وقال الأحنف : ما جلست مجلسا تخفت أن أقام عنده لئيرى . وكان يقول : لَأَن أَدْعَى مِنْ بَعِيدٍ فَأُجِيبَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْصَى مِنْ قَرِيبٍ .

كان القمقاع بن شور إذا جالسه رجل فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيبا في ماله ، وأعانته على عدوه ، وشفع له في حاجته ، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرًا . وقسم معاوية يوما أتية فضية ودفع إلى القمقاع حظه منها ، فأثر به القمقاع فأقرب القوم إليه فقال

(١) من «ودع» ككرم ووضع : سكن .

(٢) هذا شعر بيت من قصيدة للفرزدق وقد جاء في الأصل وفي مسمي البلدان هكذا « تهلان ذوا المضبات بالرض » وقال ابن بري فيا حكاها صاحب اللسان : صوابه « تهلان ذا المضبات » بالنصب لأن صدره : « فادفع بكفك إن أردت بناتنا »

وَكُنْتُ جُلُوسَ قَعْقَاعَ بْنِ شَوْرَ * وَلَا يَسْقَى قَعْقَاعَ جُلُوسُ
ضُحُوكُ السَّنِّ إِنْ نَطَقُوا بِخَيْرٍ * وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقُ عَبَّاسُ

كان يقال : إياك وصدر المجلس فإنه مجلس قُتْمَة . قيل لمحمد بن واسع : ألا
تجلس متكئا ! فقال : تلك جلسة الآمنين . قال عمرو بن العاص : ثلاثة لا أم لهم :
جليسي ما فهم عني ، وثوبي ما سترني ، وداجي ما حملت رجلي . وزاد آخر : وأمرائي .
ما أحسنت عشرين .

ذكر رجل عبد الملك بن مروان فقال : إنه لا خذُّ بأربع ، تارك لأربع : أخذُّ
بأحسن الحديث إذا حدث ، وبأحسن الاستماع إذا حدث ، وبأحسن الإشراف إذا لقي ،
وبأيسر المشورة إذا خولف . وكان تاركا لمحادثة اللئيم ، ومنازعة الجور ، وممازاة
السفيه ، ومصاحبة المأبون .

كان رجل من الأشراف إذا أتاه رجل عند انقضاء مجلسه قال : إنك جلست
إلينا على حين قيام منا أفأذن ؟ قال الفضيل بن عياض للنوري : دُلِّي على مَنْ
أجلس إليه ، قال : تلك حالة لا توجد . قال مطرف : لا تطعم طعامك مَنْ
لا يشتهي ، يُريد : لا تحيل بحديثك على مَنْ لا يُقبل عليك بوجهه . وقال سعيد بن
سَلَم : إذا لم تكن المحدث أو المحدث فانهض . ونحوه قول ابن مسعود : حدث
القوم ما حثجوك بإبصارهم .

قال زياد مولى عيَّاش بن أبي ربيعة : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فلما
رآني رحل عن مجلسه وقال : إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلا فلا
تأخذ عليه شرف المجلس . وقال ابن عباس : ما أحدٌ أكرم على من جليسي ، إن

(١) في النسخة الألمانية : رحل . (٢) في القيد الفردي : لمجاوبة .

(١) الذباب يقع عليه فيشق على . ذكر الشعبي قوما فقال : ما رأيت مثلهم أشدّ تتأوبا في مجلس ولا أحسن فهما عن حدث .

قال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفار ووطننا الحساء وليسنا اللين وأكلنا الطيب حتى أجمنا ، ما أنا اليوم إلى شيء أحوج مني إلى مجلس أضع عني مشوئة التحفظ فيما بيني وبينه .

روى ابن أبي ليلى عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جعدة قال ، قال عمر بن الخطاب : لولا أن أسير في سبيل الله أو أضع جبیني في التراب لله أو أجالس قوما يلتقطون طيب القول كما يلتقط طيب الثمر لأحببت أن أكون قد لحقت بالله . قال عامر بن عبد قيس : ما آسى على شيء من العراق إلا على ظمأ الهواجر ، وتجابوب المؤذنين ، وإخوان لي منهم الأسود بن كثوم . وقال آخر ما آسى من البصرة إلا على ثلاث : قصب السكر ، وليل الخمر ، وحديث ابن أبي بكرة . وقال المغيرة : كان يجالس إبراهيم صيرفي ورجل منهم برأى الخوارج ، فكان يقول لنا : لا تذكروا إلما إذا حضر هذا ، ولا الأهواء إذا حضر هذا . وكان إمام مسجد الحرام لا يقول (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) إلا عند ختم القرآن في شهر رمضان من أجل اللهيين .

كان يقال : عادية الرجال تُلَقِّحُ ألبابها . كان بعض الملوك في مسيره ليلا فقال لمن حوله : إنه لا يُقَطَّعُ سرى الليل بمثل الحليث فيه فليُغَضَّ كل رجل منكم بنا

(١) في الأصول : تأبذا ، والتصويب عن النقد الفريد .

(٢) أجم الطعام وغيره : كرهه وكرهه .

(٣) في الأصول : رطب والتصويب عن ثمار القلوب لثاني .

(٤) في الأصول : الحزين وهو تحريف والتصويب عن ثمار القلوب ، قال البلاط : في أصل جانة البصرة موضع يقال له الخمر . يقال إن الناس لم يروا قط هواء أعدل ولا نسيا أرق ولا أطيب من ذلك الموضع .

جَوْشًا مِنْهُ . قَالَ معاوية لعمر بن العاص : ما بقي من لذة الدنيا تَلَذُّه ؟ قَالَ :
عَادَتُهُ أَهْلَ الْعِلْمِ ، وَخُبْرُ صَالِحٍ يَأْتِيهِ مِنْ ضَيْعَتِي . قَالَ أَبُو مُسَیْرٍ : مَا حَدَّثَ رَجُلًا
فَقَطَّ إِلَّا حَدَّثَنِي إِصْغَاؤُهُ : أَنَّهُمْ أَمْ ضَيَّعَ .

باب الثَّقَلَاءِ

قَالَ اِبْرَاهِيمُ : إِذَا عَلِمَ الثَّقِيلُ أَنَّهُ ثَقِيلٌ فَلَيْسَ بِثَقِيلٍ . كَانَ يُقَالُ : مَنْ خَافَ أَنْ
يُثْقَلَ لَمْ يَثْقُلْ ، قِيلَ لِأَيُّوبَ : مَا لَكَ لَا تَكْتُبُ عَنْ طَاوُوسٍ ؟ فَقَالَ : أَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ
بَيْنَ ثَقِيلَيْنِ : لَيْثُ بْنُ أَبِي سَلِيمٍ ، وَعَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ .

قَالَ الْحَسَنُ : قَدْ ذَكَرَ اللَّهُ الثَّقَلَ فِي كِتَابِهِ قَالَ : (فَإِنَّا طَعِمْتُمْ فَأَنْتَشِرُوا) . كَانَ
أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا اسْتَقْبَلَ رَجُلًا قَالَ : اللَّهُمَّ أَغْفِرْ لَهُ وَأَرْحَمْهُ مِنْهُ . وَكَتَبَ رَجُلٌ عَلَى
خَاتَمِهِ : أُرْمِتْ قَعْمُ ، فَكَانَ إِذَا جَلَسَ إِلَيْهِ ثَقِيلٌ نَاولَهُ إِيَّاهُ . قَالَ بَحْبَشُوعُ لِلْأُمُونِ :
لَا تُجَالِسِ الثَّقَلَاءَ فَإِنَّا نَجِدُ فِي الطَّبِّ : بِجَالِسَةِ الثَّقِيلِ حُمَى الرُّوحِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
إِنِّي أَجَالِسُ مَعْشَرًا * نَوَكِي أَخْفَهُمْ ثَقِيلُ
قَوْمٌ إِذَا جَالَسْتَهُمْ * صَدَّتْ بِقَرَبِهِمُ الْعُقُولُ
لَا يُهَيِّمُونِي قَوْلُهُمْ * وَيَلْقَى عَنْهُمْ مَا أَقُولُ
فَهُمْ كَثِيرٌ وَأَعْلَمُ أَنِّي بِهِمْ قَلِيلُ

أَخْبَرَنَا أَبُو نُؤَيْبٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ الْقُرَشِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ :
أَتَيْتُ الْكَوْفَةَ فَبَلَستُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ فَقَالَ
فَا الثَّقِيلُ تَعْبِلُهُ مَيْتًا * بِأَهْلٍ مِنْ بَعْضِ جُلَسَائِنَا
فَا حَلَّتْ عَنْهُ شَيْئًا .

(١) فِي الْقَامُوسِ : الْجُرْحُ الْقَطْعَةُ الْخُلْبَةُ مِنَ اللَّيْلِ أَوْ مِنْ آخِرِهِ ١٠١ . وَالْجُرْحُ بَزَادَةِ الْبُرْجَانِ فِيهِ .

مر رجل بصديق له ومعه رجل ثقيل، فقال له : كيف حالك ؟ فقال
وقائل كيف أنت قلت له * هنا جليسي فما ترى حالي
وقال بشار

ربما يتقل الجليس وإن كا * ن خفيفا في كفة الميزان
ولقد قلت حين وتدني الأثر * ض ثقيل أربي على ثهلان
كيف لم تحمِل الأمانة أرض * حملت فوقها أبا سفيان^(١) !

وقال آخر

هل غربة الدار منك منجتي * إذا أغدت بي قلامس ذمل
وما أظرب القلاة تعيني * منك ولا الفلك أيا الرجل^(٢)
ولو ركبت البراق أدركني * منك على نأي دارك الثقل
هل لك فيما ملكت نافلة * تأخذ جملته وترحل

وقال أعرابي

كأني عند حمزة في مفاي * ألا حيت عنا يا مدينا
بليتأ عنده حتى كانا * ألا هي بصبحتك فاصبحنا

وقال آخر

ثقل يطالنا من أتم * إذا سره رغم أخى ألم
لطلعته ونزعة في الحشا * كوزر المشارط في المحتجم^(٣)
أقول له إذ بدا طالما * ولا حثته إلينا قدّم
قدت خيالك لا من عمي * وأذني كلامك لا من صم^(٤)

(١) في القيد التريد، ج ١ ص ٢٢٣ : أبا عمران . (٢) هكذا بالتصخين التصويرافية والألمانية
"تخين" ولها "منجتي" . (٣) في القيد التريد، ج ١ ص ٢٢٣ : «أذ بدا لا بدا» وفي ديوان
تأمله أبي نواس لا آتي . (٤) في القيد التريد والديوان : وصوت كلامك .

قال سهيل بن عبد العزيز: مَنْ تَهَلَّلَ عَلَيْكَ بِنَفْسِهِ وَغَمَّكَ فِي سُؤَالِهِ فَازِمُهُ أَذَنًا صَمَاءً وَعَيْنًا عَمِيَاءً .

- وكتب بعضُ الكُتَّابِ في فصل من كتابه: ما آمَنُ نَزْعَ مُسْتَمِيعِ حَرَمَتِهِ، وطالِبِ حَاجَةٍ رَدَدْتُهُ، وَمُتَابِرِ قَبِيلِ حِجَّتِهِ، أَوْ مَنَسْطِ نَاطِقِ قَبِضَتِهِ، وَمُقْبِلِ بَعْنَانِهِ عَلَى لَوِيَّتِ عَنْهُ، فَقَدْ فَعَلْتَ هَذَا بِمُسْتَحْقِقِينَ وَبِعَذْرٍ خَالٍ، فَتَلَبَّتْ رَحِمَكَ اللَّهُ، وَلَا تُطْعِمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ .

وقال بعضُ المُحَدِّثِينَ لِلْخَلِيلِ

نَحْنُ نَحْمِلُكَ تُرِيدُ غُرَافَةً لَنَا * وَفِينَا زَيْدٌ أَبُو صَمْعَمَةَ
فَسَتُهُ رَهِيْلٌ بِهِ خَمْسَةٌ * وَخَمْسَةُ رَهِيْلٍ بِهِ أَرْبَعَةٌ

١٠

باب البناء والمنازل

الهيثم بن عديّ عن مُجَالِدٍ عن الشَّعْبِيِّ قَالَ قَالَ السَّائِبُ بْنُ الْأَقْرَعِ لِرَجُلٍ مِنَ الْعَجَمِ: أَخْبِرْنِي عَنْ مَكَانٍ مِنَ الْقَرْيَةِ لَا يَتَخَرَّبُ حَتَّى اسْتَقْطَعَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ، فَقَالَ لَهُ: مَا بَيْنَ الْمَاءِ إِلَى دَارِ الْإِمَارَةِ، فَاخْتِطِ لِنَقِيفِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ: فَبِئْتُ عَنْكُمْ فَلَذَا لِيَلْهُمُ بِمَثَلَةِ النَّهَارِ .

١٥

وقال قاتل في الدار: لَيْكِنْ أَوَّلَ مَا يَتَبَاعُ وَأَخْرَمَا تَبِيعُ .

وقال يحيى بن خالد لأبيه جعفر حين أخطأ داره لينبأها: هِيَ قَبِيصُكَ فَإِنْ شِئْتَ فَوَسِّهْ، وَإِنْ شِئْتَ فَضَيِّقْهُ، وَأَتَاهُ وَهُوَ بِنَى دَارَهُ الَّتِي يَبْنِئُادُ بِقَرَبِ الدُّورِ، وَإِذَا هُمْ يُبْذَوْنَ حِيطَانَهَا قَالَ: أَعْلَمْ أَنَّكَ تُنْقَلِي الذَّهَبَ بِالْفِضَّةِ، فَقَالَ جَعْفَرُ: لَيْسَ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَكُونُ الذَّهَبُ أَنْفَعَ مِنَ الْفِضَّةِ، وَلَكِنْ هَلْ تَرَى عِيَاءً؟ قَالَ: نَعَمْ، غَالِطُهَا دَوْرَ السُّوقَةِ .

٢٠

دخل ابن التوم على بعض البصريين وهو يبنى دارا كثيرة النزع ، واسعة الصحن ، رفيعة السَّمَك ، عظيمة الأبواب ، فقال : اعلم أنك قد ألزمت نفسك مشونة لا تُطَاق ، وعيالا لا يُحتمَل مثلهم ، ولا بد لك من الخدم والستور والفرش على حسب ما أُبْتِلَتْ به نفسك ، وإن لم تفعل هَجَمْتَ رأيك .

وقرأت في كتاب "الآيين" أنه كان يُستقبلُ فِرَاش الملك ومجلسه المشرق ، أو يُستقبلُ به مَهَبُ الصَّبَا ، وذلك أن ناحية المشرق وناحية الصبا يوصفان بالمتو^(١) والارتفاع ، وناحية الدبور وناحية المغرب يوصفان بلفضيلة والانخفاض ، وكان يُستقبلُ بصدور إيوانات الملك المشرق أو مَهَبُ الدبور ، ويُستقبلُ بصدور آخلاء وما فيه من المقاعد مَهَبُ الصَّبَا ، لأنه يقال : إن استقبل الصبا في موضع آخلاء آمن من نحر السحرة ومن ريح الجفنة .

وكان عمر يقول : على كل خائن أمينان : الماء والطير . ومر ببناء يبنى بآجر وجص فقال : لمن هذا؟ قالوا : لفلان ، عامله ، فقال : تأبى الدرهم إلا أن تُخرج أعناقها ، وشاطره ماله .

أبو الحسن قال : لما بلغ عمر أن سعدا وأصحابه قد بنوا بالمترو قال : قد كنت أكره لكم البيان بالمدرك ، فلما إذ قد فلتتم فعرضوا الحيطان ، وأطيلوا السَّمَك ، وقاربوا بين الخشب . وقيل ليزيد بن المهلب : لم لا تبنى بالبصرة دارا؟ فقال : لآتي لا أدخلها إلا أميرا أو أسيرا ، فإن كنت أسيرا فالسجن دارى ، وإن كنت أميرا فدار الإمارة دارى . وقال : الصواب أن تُنقذَ الدبور بين الماء والسوق ، وأن تكون الدبور شرقية والبساتين غربية .

قال بعض الشعراء

بنو حمير مجثم دارهم * وكل قسوم لم يُجد

(١) وردت هذه الكلمة هكذا بالأصلين ولم يظهر لها مني .

وقال آخر لأبي محمد البزدي

قَوِّمِي خِيَارَ غَيْرِ مَا أَنَّهُمْ • صَوَّلْتُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى جَارِهِمْ
لَيْسَ لَمْ يَجِدْ سَوَى مَسْجِدٍ • بِهِ تَعَدُّوا فَوْقَ أَطْوَارِهِمْ
لَوْ هَدِمَ الْمَسْجِدُ لَمْ يُعْرِفُوا • يَوْمًا وَلَمْ يُسْمَعْ بِأَخْبَارِهِمْ

وقال رجل من خزاعة

نَفَرَ الْمَسِيبُ بِالنَّارِ • وَمَنَارُهُ بِرَحَا عَمَارِهِ
فَلِذَا خَفَا نَحْرُ الْقَبَا • ثَلُّ مِنْ تَيْمَمٍ أَوْ قَزَارِهِ
حَفَلَتْ عَلَيْكَ شُيُوخُ ضَبَّةَ الْمَسِيبِ وَالْمَنَارِهِ

مرّ رجل من الخوارج بدار ثقي قال : مَنْ هَذَا الَّذِي يُقِيمُ كَيْفَلًا ؟ • وقالوا :

كُلُّ مَالٍ لَا يَخْرُجُ بِخُرُوجِكَ وَلَا يَرْجِعُ بِرِجْعِكَ وَلَا يَنْتَقِلُ فِي الْوُجُوهِ بِانْتِقَالِكَ فَهُوَ
كَفِيلٌ •

وقالت الخكماء من أروم : أَمْضِ مَوَاضِعَ الْبَيَانِ أَنْ يَكُونَ عَلَى ثَلٍّ أَوْ كَيْسٍ وَثِيقٍ
لِيَكُونَ مُطْلًا ، وَأَحْقُ مَا جُعِلَتْ إِلَيْهِ أَبْوَابُ الْمَنَازِلِ وَأَفْنِيَتُهَا وَكَوَاثِمُهَا الْمَشْرِقُ وَاسْتِقْبَالُ
الصَّبَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْضٍ لِلْأَبْدَانِ لِسُرْعَةِ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَضَوْئِهَا طَلِيمٍ •

ومن حسن التشبيه في البناء قولُ علي بن أبيهم

مُحْصَرٌّ مُسَافِرٌ فِيهَا الْعِيُونُ • وَتَحْمِيرُ عَنْ بَعْدِ أَقْطَارِهَا
وَقَبَةُ مُلْكٍ كَأَنَّ النُّجُومَ • مَ تَقْصِيئِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
وَقَوَارِئُ نَارِهَا فِي السَّمَاءِ • فَلَيْسَتْ تُقْصِرُ عَنْ نَارِهَا
إِذَا أُوقِدَتْ نَارُهَا بِالسَّمَاءِ • أَضَاءَ أَجْمَازَ سَنَا نَارِهَا
تَرَدُّ عَلَى أَلْمَازٍ مَا أَنْزَلَتْ • عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبِ أَقْطَارِهَا

(١) محبة بالكوفة تسب ال عارة بن حبة بن أبي سيط • معج البلدان •

لها شُرَفَاتُ كَأَنَّ الْبَرِيعَ * كَسَاهَا الْكِرْيَاضُ بِأَنَارِهَا
فَهِيَ كَصُطْحَابِ نَجِيجٍ * لَفَصَحَ النَّصَارَى وَأَفْطَارِهَا
فَإِنْ يَرَيْنَ عَاقِبَةَ شَعْرَهَا * وَمُصْلِحَةَ عَقْدِ زُنَارِهَا
وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ كَعْبٍ

بَكَتْ دَارُ بَيْتِ شَيْوَهَا أَنْ تَبَلَّتْ * هَلَالُ بْنُ عِيَادٍ بِبُشْرِ بْنِ غَالِبٍ
وَمَا هِيَ إِلَّا مِثْلُ عَيْرٍ تَقَلَّتْ * عَلَى رَجُلٍهَا مِنْ هَاشِمٍ فِي مُحَارِبٍ
وَقَالَ أَنَسُ

أَلَمْ تَرَ حَوْثًا أَسَى يُنَى * قَصُورًا نَفَعَهَا لِنِي بُقِيلَةَ
يُؤْمَلُ أَنْ يُعْمَرَ عُمَرُ نُوْحٍ * وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ

كَانَ مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ يَهْوَى جَارِيَةً مِنْ بَنِي أَسَدَ وَكَانَتْ تَنْزِلُ خُصْبًا وَكَانَتْ دَارُ
مَالِكٍ مَبْنِيَّةً بِأَجْرٍ فَقَالَ

يَا لَيْتَ لِي خُصْبًا يُحَاوِرُهَا * بَدَلًا بِدَارِي فِي بَنِي أَسَدَ
الْخُصْ فِيهِ تَهَرُّ أَعْيُنًا * خَيْرٌ مِنَ الْأَجْرِ وَالْكَدِ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ بْنُ خِدَاشٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَقْرِاتٍ قَاضِي
مِصْرَ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ لَابْنِهِ : يَا بَنِيَّ إِنْ
مِنْ ضَيْقِ الْكَيْشِ شِرَاءَ الْخَلْبِزِ مِنَ السُّوقِ، وَالثِقَلَةِ مِنْ مَتَرٍ إِلَى مَتَرٍ .

بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنَ الزَّهَادِ مَرَّ فِي زُورْقٍ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى بِنَاءِ الْمَأْمُونِ وَأَبْوَابِهِ صَاحَ :
وَأَعْمَرَاهُ ! فَسَمِعَهُ الْمَأْمُونُ فَقَامَ بِهِ فَقَالَ : مَا قُلْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ بِنَاءَ أَلَا كَاسِرَةً قُلْتُ
مَا سَمِعْتُ، قَالَ الْمَأْمُونُ : أَرَأَيْتَ لَوْ تَحَوَّلْتُ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ إِلَى إِيوَانَ كِسْرَى
بِالْمَدَائِنِ هَلْ كَانَ لَكَ أَنْ تَتَّيَّبَ نَزُولِي هُنَاكَ ؟ قَالَ : لَا، قَالَ : فَارَاكَ إِنَّمَا جِئْتَ إِسْرَافَ

- في الضفة، قال : نعم، قال : فلو وهبت قيمة هذا البنا (رجل) أكنت تبيع ذلك؟
قال : لا، قال : فلو بعت هذا الرجل بما كنت أهب له بناء أ كنت تصيح به كما
صححت بي ؟ قال : لا، قال : فأراك إنما قصدتني لخاصتي في غمي لا لملء هي
في غيري، ثم قال له : هذا البنا ضرب من مككايدنا نبنيه ونقتذ الجيوش ونبتد
السلاح والكراع وما بنا إلى أكثره حاجة، فلا تعودت إلى تفتسك عقوبي، فإن
الحفيظة ربما صرقت ذا الرأي إلى هواء، فاستمعه .

باب المزاح والرخص فيه^(١)

- قال حشًا محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن هشام بن عروة عن
أبي سلمة قال : أخبرني عائشة أنها سأبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
فسبقت، وسأبت في سفر آخر فسبقتها وقال : « هذه بتلك » .

حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع قال : كان أبو هريرة على المدينة خليفة
لمروان، فرما ركب نارا قد شذ عليه برذمة وفي رأسه حبة فيلق الرجل فيقول :
الطريق، قد جاء الأمير، وربما دعاني إلى عشاءه بالليل فيقول : دع^(٢) العراق للأمير،
فأنظر فإذا هو ثوب بزي .

- قال حدثني محمد بن محمد بن مرزوق عن زاهر بن الصلت الطاحي عن سعيد^(٣)
ابن عثمان قال، قال الشعبي : لخطاط مر به : عندنا حب مكسور تحيطه ؟ فقال
الخطاط : إن كان عندك خيوط من ربح .

(١) كذا في الأصل، ولم نجد في القاموس ولا في اللسان الرخص بمعنى الترخيس والتسهيل، والوارد في هذا
المعنى إنما هو الرخصة بناءً على أن البيت قل التاء سقطت من قل التامع .

(٢) العراق : العلم أو كل له أو العلم بلمه .

(٣) في الأصل : الطاحي بالهمز وهو مخريف والتصويب عن تاج العروس .

• وحديثي بهذا الإسناد قال : دخل رجل على الشعبي ومعه في البيت امرأة فقال :
أيكم الشعبي ؟ قال الشعبي : هذه . وسئل الشعبي عن لحم الشيطان فقال : نحن
نرضى منه بالكفاف ، قال : فما تقول في الثبآن ؟ قال : إن اشتبهته فكله .

قال خالد بن صفوان للفرزدق وكان يمازحه : ما أنت يا أبا فراس بالذي لما
رأيناه أكبره وقطن أبيضين ، قال : ولا أنت يا أبا صفوان بالذي قالت فيه
الفتاة لأبيها : (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) .

حماد بن زيد عن غالب أنه سأل ابن سيرين عن هشام بن حسان قال :
توفي البارحة ، أما شعرت ؟ فجزع واسترجع ، فلما رأى ابن سيرين جزه قرأ (اللَّهُ يَتَوَفَّى
الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَازِلِهَا) .

١٠ مرَّ بالشعبيَّ حمالٌ على ظهره دَنٌّ خَلٌّ ، فلما رآه وضع الدنَّ وقال : ما كان اسمُ
امرأة ابليس ؟ فقال الشعبي : ذاك نكاحٌ ما شهدناه .

حدثني محمد بن عبد العزيز عن الأصمعيّ عن يحيى بن أبي زائدة عن الأعمش
قال : عادني إبراهيم فنظر إلى متزلي فقال : أما أنت فتُعرفُ في متزلك أنك لست من
أهل القريتين عظيم .

١٥ وروى وكيع عن ربيعة عن الزهريّ عن وهب بن عبد بن زعمة قال ، قالت
أم سلمة : خرج أبو بكر في تجارة ومعه نعيان وسويط بن حرملة ، وكانا شهدا بدرا ،
وكان نعيان على الزاد فقال له سويط وكان مَرَّاحاً : أطمئني ، فقال : حتى يحىء
أبو بكر ، فقال : أما والله لأغيظنك ، فتزوا يقوم فقال لم سويط : أنتشرون مني
عبداً لي ؟ قالوا : نعم ، قال : إنه عبد له كلام وهو قاتل لكم : إني حرٌّ ، فإن كنتم
إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تُحسدوا عليّ عبدي ، فقالوا : بل نشتريه منك .

بعشر قلائص، ثم جاءوا فوضعوا في عنقه جبلا وعمامة واشتروه، فقال نيمان : إن هذا يستهزئ بكم وإني حرّ، قالوا : قد أخبرنا بخبرك، وأنطلقوا به ، وجاء أبو بكر فأخبروه فاتبهم فردّ عليهم القلائص وأخذته ، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه فضحك هو وأصحابه منهما حولا .^(١)

- حدثني محمد بن عبد الميزان قال حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب المجبي عن أبي عوانة عن قتادة أن عدى بن أوطاة تزوج امرأة بالكوفة وشرط لها دارها فأراد أن ينقلها فخاصمته إلى شريح ، فقال : أين أنت أصلحك الله ؟ قال : بينك وبين الحائط ، قال : إني رجل من أهل الشام ، قال : بعيد صحيح ، قال : إني تزوجت امرأة ، قال : بالفاء والينين ، قال : وولدت غلاما ، قال : ليبتك الفارس ، قال : وشرطت لها دارها ، قال : الشرط أملك ، قال : اقض بيننا ، قال : قد قضيت ، قال : ١٠ عمة ؟ قال شريح : « حدثت امرأة حديثين فإن أبت فأرجع » قال لي المحدث : فاربعة ، وإنما هو فارح أي كُف وأمسك .

- وتقدم رجلا إلى شريح في خصومة فأقر أحدهما بما يدعى الآخر عليه وهو لا يعلم ، ف قضى عليه شريح ، فقال الرجل : أتعصى على بنيرينة ؟ فقال : قد شهد عندى قعة ، قال : ومن هو ؟ قال : ابن أخت خالتك . ١٥

كان ابن سيرين يُنشد

نُبئت أن قاة كنت أخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

(١) في القاموس في مادة تم أن نيمان هو المزاح وأنه هو الذي باع سويطا وبسد نحو مفتحين من هذا الكتاب مستجد ذكر نيمان بأنه هو المزاح .

(٢) رواه الميداني « حدثت امرأة حديثين فان لم تخم فاربية وفسره بقوله أي زعم قال : وأراد بالحدثين حديثا واحدا تكرره مرتين فكانت حديثا حديثين ، والمعنى كره لها الحديث لأنها أضغف فيها فان لم تخم فأجلها أربا . ورواه في اللسان كما في الأصل وقال في سننه أي قف وانصر وهو من دمع يرمع إذا كف وأمسك .

وقال أيضا .

لقد أصبحت عرّس ألفرزق ناشرا * ولو رضى ربح آسته لاستقرت
وكان ابن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه .

المدائني قال، قال عمرو بن العاص لمعاوية : إني رأيت أبارحة في المنام كأن
القيامة قد قامت ووُضعت الموازين وأحضر الناس للحساب ، فنظرت إليك وأنت
واقف قد أبلجك العرق ، وبين يديك صحف كأمثال الجبال ، فقال معاوية : فهل
رأيت شيئا من دنائير مصر !

كان ممن بن زائدة طينتا في دينه ، فبعث إلى ابن عياش المتوفى بألف دينار،
وكتب إليه : قد بعثت إليك بألف دينار اشتريت بها دينك ، فاقبض المال
وأكتب إلى بالتسليم ، فكتب إليه : قد قبضت الدنانير وبعثت بها ديني خلا التوحيد
لما عرفت من زهلك فيه .

قال الرشيد ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخلقاء من ربيعة ! فقال يزيد : أجل،
ولكن منابرهم الجُنوع .

قال بلال بن أبي بردة لابن أبي علقمة : إنما دعوتك لأتخبر منك ، فقال له ابن
أبي علقمة : لئن قلت ذلك لقد حكم المسلمون رجلين يحزر أحدهما من الآخر .

كان يقال : السبابُ مزاح التوكي^(١) . وقال الشاعر

أخو أبلد إن جاددت أرضاك جثته * وذو باطل إن شئت الهالك باطله
وقال مسعر بن كدام لابنه

ولقد حبوتك يا كدام نصيحتي * فاسمع لقول أب عليك شفيق

أما المزاحمة والمراء فدهما * خُلقان لا أرضاهما لصديق

ولقد بلوئهما فلم أحدهما * لمساوير جار ولا رفيق

(١) كذا في الأصل . وفي جمع الأفعال يداني « المزاح سباب التوكي » .

وقال الكيت

وفي الناس أقذاعٌ مَلاهِجٌ بالحنّا * متى يَبْلُغُ الحِشْدُ الحَفِيفَةَ يلعبوا

ومما يقارب هذا قولُ بعضِ المحدثين

أراني مَآبِدِي عندَ أوَّلِ مَكْرَةٍ * هواي لفضل في خفاءٍ وفي سترِ

فإن رَضِيتُ كلَّ الرضا سبَّبَ الهوى * وإن غَضِيتُ حَمَلْتُ ذَنْبِي على السرِّ

وقال الراعي - في نحو هذا يصف نساء -

يُنَاجِيتُنَا بِالطَّرْفِ دونَ حديثنا * وَيَقْضِينَ حاجاتٍ وهنَ مَوَازِحُ

عرض بعضُ الأمراء على رجلٍ عَلمين ليختارَ أحدهما فيوليه ، فقال : « كلاهما

ومراء ، فقال : أعتدى تمزح ! لا وَلَيْتَ لى عملا .

وقال عمر بن الخطاب : مَنْ كَثُرَ ضَحْكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ . وقال عليّ : إِذَا ضَحِكَتِ الْعَالَمُ

ضَحَكَتْ نَجْمُ مِنَ الْعِلْمِ حَجَّةٌ . وقال أكرم : « الْمَرْأَةُ تُحِبُّ الْمَهَابَةَ » .

المهيمُ عن عوانة الكلبي قال : دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وهو مغموم

وعنده رجل كان يحسده الأخطل ويُقارضه ، فقال الأخطل : يا أمير المؤمنين عهدي

بأبي هذا الفتي وهو سيدنا معشر بني جُشَم ، وشيخنا الذي نصدُرُ عن رأيه ، فاهتر

لها الفتي وقال : يا أمير المؤمنين ، هو أعلم بنا قديما وحديثا ، قال الأخطل : إن أباه

أمرنا ذات يوم وقد تورث الرِياضُ أنْ تَخْرُجَ إلى روضة في ظهر بيوت الحى

فتحدث فيها ، فخرجنا وابتسطننا^(١) لعبا ، وخرج الرجل منا بِالكَوْءِ الكُوماء وبالحروف

والجدى ، وقام التَّيْنَانُ فامتروا واشتروا ودارت السَّقَاءُ علينا ، فبينما نحن كذلك

رُفِّقَ أبوه فما تركنا في الحى روثة حمار إلا قَسَفْنَاهُ إِيَّاهَا فلم يَرَقْ دُمُهُ ، فقال لنا شيخ :

(١) هكذا بالأمول ولم نجد في كتب أئمة التي بين أيدينا « ابتسط » ، ولله عتوف عن « ابتسطا » .

شُدُّوا خُصْبِي الشَّيْخَ عَصَبًا، فَعَمَلْنَا ذَلِكَ فَرَقًا دَمًا، فَوَاقَهُ مَا دَارَتْ الْكَأْسُ إِلَّا دَوْرَةً حَتَّى أَتَانَا الصَّرِيحُ عَنْ أُمِّهِ أَنَّهَا قَدْ رَعَيْتْ، فَبَادَرْنَا إِلَيْهَا، فَوَاقَهُ مَا دَرَيْنَا مَا نَعَصِبُ مِنْهَا حَتَّى نَخِرَتْ نَفْسَهَا، وَعَبَدَ الْمَلِكُ يَفْحَصُ بِرَجْلَيْهِ ضَحْكًَا، وَالتَّقَى يَقُولُ: كَذَبَ وَاقَهُ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: أَلَمْ تَزْعَمْ أَنَّهُ أَعْلَمُ النَّاسَ بِقَدِيمِكُمْ وَحَدِيثِكُمْ!

• حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَرَأَى وَهُوَ عَورٌ يَرِوْعًا فَرَمَاهُ بَعْضًا كَانَتْ فِي يَدِهِ فَتَقَتْلَهُ، فَقَالَ الْجَمَالُ: أَلَسْتَ مُحْرِمًا؟ قَالَ: بَلَى وَمَا كَانَتْ بِي إِلَى رَبِّهِ حَاجَةٌ إِلَّا أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ إِسْرَافِي لَا يَمْنَعُنِي مِنْ ضَرْبِكَ .
قَالَ وَكَانَ الْأَعْمَشُ يَقُولُ: مِنْ تِمَامِ الْحَجِّ ضَرْبُ الْجَمَالِ .

المدائني قال: كَانَ نُمَيْانُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَشَهِدَ بِدْرًا وَجَلَدَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْخَمْرِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَتَزْنِيَانُ بِمُحْرَمَةٍ بَنَ نَوْفَلٍ وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ فَقَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَقُودُنِي حَتَّى أَبُولَ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ نُمَيْانَ، فَلَمَّا [بَلَغَ] ^(١) مُؤْتَرِ الْمَسْجِدِ قَالَ: هَاهُنَا قَبْلُ، فَبَالَ فَصَبَّحَ بِهِ، فَقَالَ: مَنْ قَادَنِي؟ قِيلَ: نُمَيْانَ، قَالَ: قَهَّ عَلَيَّ أَنْ أَضْرِبَهُ بِبَعْضِ هَذِهِ، فَبَلَغَ نُمَيْانَ فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ فِي نُمَيْانَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: قُمْ، فَهَامَ مَعَهُ فَاتَى بِهِ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَهُوَ يَصِلُ، فَقَالَ: دُونَكَ الرَّجُلَ، بِجَمْعِ يَدَيْهِ فِي الْعَصَا ثُمَّ ضَرَبَهُ، فَقَالَ النَّاسُ: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: مَنْ قَادَنِي؟ قَالُوا: نُمَيْانَ، قَالَ: لَا أَعُودُ إِلَى نُمَيْانَ أَبَدًا .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَعْمَشِيِّ عَنِ ابْنِ أَبِي الزُّنَادِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَلَّتْ نَخْلَاجَةٌ بَنَ زَيْدٍ: هَلْ كَانَ الْغَنَاءُ يَكُونُ فِي الْعُرُسَاتِ؟ قَالَ: قَدْ كَانَ ذَاكَ، وَلَا يُحْضَرُ بِمَا يُحْضَرُ الْيَوْمَ

من السفه، دعانا أخواننا بنو نَيْط في مدعاة لهم فشهد المدعاة حسان بن ثابت وابنه عبد الرحمن وأنا، وجاريتان تَنْيَان

أنظر خليلي بباب جَلْق هل * تُؤَيِّس دون البقاء من أحد

فبكي حسان وقد كَفَ بصره، وجعل عبد الرحمن يُؤَيِّ إليهما أن زيدا، فلا أدري ما ذا يُسجبه من أن تُبكي أباه، ثم جىء بالطعام، فقال حسان : أ طعامُ يد أم طعامُ يدين؟ فقالوا : طعامُ يد، يريدون التريد فأكَل، ثم أتى بطعام آخر فقال : أ طعامُ يد أم طعام يدين؟ قالوا : طعام يدين، يعنون الشواء فكف .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : كان طَوَيْسُ يَتَغَيَّ في عُرس، فدخل النعمان ابن بشير العرس وطويس يقول

أَجَدَ بَعْمَرَةَ غُنَانُهَا * قَهَجَرَامُ شَانُهَا شَانُهَا^(١)

وعمرة أم النعمان، فقيل له : اسكت اسكت، فقال النعمان : إنه لم يقل بأسا وإنما قال

وعمرة من سرَّواتِ النساء * تَفْعُ بالمسك أردانها .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا الججاج بن نصير قال حدثنا شعبة عن قتادة عن

أبي المالية أنه كان مع ابن عباس وهو محرم، فقال ابن عباس^(٢) وهُنَّ يَمَشِينَ بَنَاهِمِيَا * إِنَّ تَصْدُقِ الطيرُ نَبْلَ لَمِيَا

فقالوا : هؤلاء الزفت وأنت محرم وابن عباس ! فقال : إنما الزفت عند النساء .

قال جابر الجعفي : رأيت الشعبي خارجا من الكوفة قلت له : أين ؟ قال :

أنظر إلى القيل .

- ١ . كذا بالأسول ولسان العرب - وفي نهاية الأرب ج ٤ ص ٢١١ : أم شَانُها شَانُها وهو أوجه .
٢ . كذا في الأصل تل باللام - وروى في شرح القاموس الرضوي والبلد القريد بالكاف بدل اللام .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا شريك عن جابر الجعفي عن عكرمة قال : حقن ابن عباس بنيه فارسلي فدعوت اللعابين فلعبوا فأعطاهم أربعمائة درهم .^(١)

حدثني شيخ لنا من أهل المدينة قال : ولي الأوقص المخزومي قضاء مكة فما ربي مثله في العفاف والنبل ، فينا هو نائم ذات ليلة في جناح له مر به سكران يستقي ، فأشرف عليه فقال له : يا هذا ، شربت حراما ، وأيقظت نوما ، وغيت خطأ ، خذ عني فأصلحه له . وقال الأوقص قالت لي أمي : يا بني إنك خلقت خلقة لا تصلح معها مجامعة القتيان في بيوت القيان ، إنك لا تكون مع أحد الا تحطتك إليه العيون ، فليك بالدين فإنه يرفع الحسيسة ويُمّ القيصّة ، فنفعني الله بكلامها فلبثت القضاء . قال عبدالله بن جعفر لرجل : لو غتكت فلانة جاريتي صوت كذا ما أدركت دكانك . ١٠

حدثني شيخ لنا عن سلم بن قتيبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال : مر بي عمر ، وأنا وعاصم بن عمر نتقي غناء النصب^(٢) ، فقال : أعيذا ، فأعدينا ، فقال : مثلكما مثل جاري العبادي ، قيل له : أي حمارك أشتر؟ قال : هذا ثم هذا .

وحدثني أيضا عن ابن عاصم عن ابن جريح قال : سألت عطاء عن القراءة على الحان الغناء والجداء فقال : وما بأس ، لقد حدثني عبيد بن عمير الليثي قال : كانت لداود نبي الله معزة يضرب بها إذا قرأ الزبور ، فكان إذا قرأ اجتمع إليه الإنس والجن والطير فيكي وأبكي من حوله . وقال لي غيره : ولهذا قيل : مزمار داود ، كأنه أغاني داود . ١٥

٢٠ (١) هكذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفوتوغرافية "أربعة درهم" ولا ندرى أسقط من النسخ كلمة مائة أم ألف الجيع في دراهم . (٢) ضرب من أغاني العرب . (٣) كذا بالأصل ، وفي جميع الأمثال «شر» وهو الانصح .

نخرج أبو معاوية الضرير يوما على أصحابه فقال

وإذا المدة جاشت * فأرمها بالمجنجيق

بتلات من نيزد * ليس بالحلو الرقيق

الْوَحْشَانِي قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَابِقٍ قَالَ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِقْوَلٍ عَنْ أَبِي حَصِينٍ

قَالَ : شَرِبَ الْأَسْوَدُ فَقَالَ : لَوْ سَقَيْتُمُونِي آتَرَ لَسَيْتُ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ الْمَجَالِدِ^(١) عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَمِّهِ قَالَ :

صَحِبْتُ أَبْنَ مَسْعُودٍ حَوْلًا مِنْ رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ لَمْ يَصُمْ يَوْمًا وَاحِدًا ، [ف]أَهَمَّنِي^(٢)

ذَلِكَ وَمَضَلْتُ عَنْهُ ، وَلَمْ أَرَهُ صَلَّى الضُّحَى حَتَّى نَخْرُجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا .

قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ عَنْ مَهْدِيٍّ بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ :

كَانَ أَبُو صَادِقٍ لَا يَنْطَوِّعُ مِنَ السَّنَةِ بِصَوْمٍ يَوْمٍ ، وَلَا يَصِلُ رَكْعَةً سِوَى الْفَرِيضَةِ

قَبْلُهَا وَلَا بَعْدَهَا ، وَكَانَ بِهِ مِنَ الْوَرَعِ شَيْءٌ عَجِيبٌ .

حَدَّثَنِي الزَّيَّادِيُّ قَالَ قَالَ حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ

الْفُقَهَاءِ وَهُوَ يَلْعَبُ بِالْشُّطْرَنْجِ .

وَحَدَّثَنِي الزَّيَّادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ قَالَ : سَأَلَ ابْنَ

سِيرِينَ عَنِ اللَّيْلِ بِالْشُّطْرَنْجِ فَقَالَ : لَا بَأْسَ بِهِ هُوَ رِزْقٌ .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَعْمَشِيِّ عَنْ مَعْتَمِرٍ قَالَ ، قَالَ أَبِي : تَرَوْنَ أَنَّ الشُّطْرَنْجَ

وُضِعَ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ ؟^(٣)

(١) كذا في الأصل بالتحريف والمخروف في كتب التراجم « مجالد » بدون آل ، ودبحول آل في مثل المنقول

عن اسم الفاعل للح الصفة موقوف على السماع من العرب . (٢) زيادة يقتضيا سياق الكلام .

(٣) لم تقف في كتب اللغة على أنَّ الشطرنج مما يصح تأنيده ولعل تأنيده هنا على تأويله بآلة لعب .

قال وحديثنا الأصح عن ابن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد قال: كان قيس ابن أبي حازم في مدعة فقال لصاحب المنزل: طير.

حدثني شبابة قال حدثني القاسم بن الحكم العوفي قال: حدثني سليم مولى الشعبي أن الشعبي كان إذا اختضب فغرض لاعب أبته بالترد حتى يعلق الخضاب.

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا النضر بن شميل قال حدثنا شعبة عن عبد ربه قال: سمعت سعيد بن المسيب وسئل عن اللعب بالترد فقال: إذا لم يكن قراراً فلا بأس.

حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا الفضل بن موسى عن رشدين بن كريب قال: رأيت عكرمة أقيم قائماً على اللعب بالترد. قال إسحاق: إن كان لعبه على غير معنى القمار يريد به التعليم والمكيدة فهو مكروه، ولا يبلغ ذلك إسقاط شهادته.

وروى عبد الملك بن عمير عن إبراهيم بن محمد قال أخبرني أبي قال: رأيت أبا هريرة يلعب مع أبي بأربعة عشر على ظهر المسجد.

حدثني محمد بن عبيد قال حدثني علي بن عاصم عن أبي إسحاق الشيباني عن خوات التيمي عن الحارث بن سويد قال: أتى عبد الله بن مسعود رجلاً فقال: يا أبا عبد الرحمن إن لي جاراً يرني وما يتوزع من شيء أصابه، وإنني أعسر فاستسلفه، ويدعوني فأجيبه، فقال: كل فلك مهوؤه وعليه وزره.

كان أبو فضالة أسن وشقت عليه الصلاة، فكان يقول: شقية منيصة، مقيمة مقعدة، لا تزال بصاحبها حتى يضع أكرمه ويرفع أخشه.

(١) غرض: أصابه اللال.

(٢) كما يفتح الزاء وسكون الهمزة والواو وسكون الياء ويدها هاء ساكنة ضبطه في ابن خلكان

ثم قال: وقيل له أيضاً راهويه يضم الهمزة وسكون الواو وفتح الياء.

قال عبد الله بن القعقاع الأسدي

أنا بها صغراء يزعم أنها * زيب، فصنعتاه وهو كذوب
فهل هي إلا ليلة غاب نحسها * أصلى لربي بعدها وأتوب

وقال آخر

- مَنْ ذَا يُحَرِّمُ مَاءَ الْمَزْنِ خَالِطَهُ * فِي جَوْفِ آنِيَةِ مَاءِ الْعَتَاقِدِ
- إِنِّي لَا كَرِهَ تَشْدِيدَ الرُّوَاةِ لَنَا * فِيهَا وَيُجَنَّبِي قَوْلَ ابْنِ مَسْعُودٍ

وعيون الأخبار ومتخير الشعر في الشراب يقع في كتابي المؤلف في الأثرية، ولذلك تركت ذكرها .

وكتب بعض الكتاب إلى صديق له في فصل : ونحن بحمد الله إليك فإن عَصَدَةَ

- ١٠ الإسلام في قلوبنا جميعه، وأواخيه ثابتة، ولقد اجتهد قوم أن يدخلوا قلوبنا من مرض قلوبهم، وأن يلبسوا يقينا بشكهم، ففمنعنا عصمة الله منهم، وحال توقيفه دونهم، ولنا بعد منهب في الدعاة جميل، لا يشوبه أذى ولا قذى، يرجع إلى الأئمة من العُوس، وإلى الاستئصال من القُطوب، ولعلنا بأحرار الناس وأشرافهم الذين ارتفعوا عن لئسة الرياء والتصنع .

- ١٥ التوسط في الأشياء، وما يكره من التقصير فيها والغلو

باب التوسط في الدين

حدثني الزبائدي قال حدثنا عبد العزيز الدراوردي قال حدثني محمد بن طهلاء

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت، قال النبي صلى الله عليه وسلم :

”إِكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تَطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْعَمَلِ

أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ“ .

حدثني محمد بن يحيى القطيعي قال حدثنا محمد بن علي بن مُقَدَّم عن مَعْنٍ الْفِقَارِيِّ
عن الْمُقْبَرِيِّ عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ
يُسْرُو وَلَنْ يُنَادِيَ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَنْشِرُوا".

حدثني الْقَوَمِيُّ عن أَحْمَدَ بْنَ يُونُسَ عن زُهَيْرٍ عن قَابُوسَ عن أَبِيهِ عن ابْنِ عَبَّاسٍ
قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الدِّينُ الْحَسَنُ وَالسَّمْتُ الصَّالِحُ وَالْاِقْتِصَادُ
جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةِ عَشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبَوَّةِ".

حدثني محمد بن عُبيدٍ عن معاوية بن عمرو عن أَبِي إِسْحَاقَ عن خَالِدِ الْحَدَّادِ عن
أَبِي قَلَابَةَ عن مُسْلِمَ بْنِ نَسَارٍ أَنَّ رُقَّةَ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالُوا:
يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ أَحَدٌ بِدَرْسِ رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ فُلَانٍ، يَصُومُ النَّهَارَ، فَلَمَّا نَزَلْنَا قَامَ
يُصَلِّي حَتَّى نَرْجُلَ، قَالَ: "مَنْ كَانَ يَمَهُنُّ لَهُ أَوْ يَكْفِيهِ أَوْ يَعْمَلُ لَهُ؟" قَالُوا: نَحْنُ،
قَالَ: "كُلُّكُمْ أَفْضَلُ مِنْهُ".

وروى أَبُو معاوية عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ عن النُّعْمَانِ بْنِ سَعْدٍ عن عَلِيٍّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ قَالَ: خِيَارُكُمْ كُلُّ مُفْتَنٍّ تَوَّابٍ. وقال عليٌّ أيضًا: خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْقَطُّ
الْأَوْسَطُ، يَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْغَالِي وَيَلْحَقُ بِهِمُ الْغَالِي^(١).

وروى وكيع عن محمد بن قيس عن عمرو بن مرة قال، قال حذيفة: خِيَارُكُمْ
الَّذِينَ يَأْخُذُونَ مِنْ دُنْيَاهُمْ لِآخِرَتِهِمْ، وَمَنْ آخَرَتْهُمْ لَدُنْيَاهُمْ. وكان يقال: دِينَ اللَّهِ

(١) كذا في اللسان والعقد الفريد وفي الأصل «الغالي» وهو مخريف، ورواه في نهج البلاغة «نحن
الفرقة الوسطى» بها يلحق الغالي والغالي يفسره شارحه بأن آل البيت أشبه بها للاعتماد عليهم في أمور
الدين كما يستند إلى الوسادة لراحة الظهر والخطتان الأعضاء، ووصفها بالوسطى لاتصال سائر الناس بها فكان
الكل يمتد إليها إما مباشرة أو بواسطة ما يجانبه وآل البيت على الصراط الوسط العدل يلحق بهم من قصر
ويرجع إليهم من غلا وتجاوزوا^١.

فِي الْمَقْصَرِ وَالنَّالِي . وَقَالَ الْمُطَوِّفُ لِأَبْنِهِ : يَا بُنَيَّ، الْحَسَنَةُ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ، يَمْنَى بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالْتَقْصِيرِ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا، وَشَرُّ السَّيْرِ الْحَقِيقَةُ^(١)

وَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : «لَيْسَ خَيْرُكُمْ مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا لِلْآخِرَةِ وَلَا الْآخِرَةَ لِلدُّنْيَا وَلَكِنْ خَيْرُكُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ» . وَقَالَ : «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ بِالْخَنِيفَةِ السَّهْلَةِ، وَلَمْ يَبْعَثْ بِالرَّهْبَانِيَةِ الْمُبْتَدَعَةِ، سُنِّيَ الصَّلَاةِ وَالنُّوْمِ، وَالْإِنْفَاطَارُ وَالصُّوْمُ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنِّيِ فُلَيْسَ مِنِّي» . وَفِي الْحَدِيثِ : «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقٍ، فَإِنَّ الْمَتِينَ لَا أَرْضًا تَقْطَعُ وَلَا ظَهْرًا أَيُّ» .

وَكَانَ يُقَالُ : طَالِبُ الْعِلْمِ وَعَامِلُ الْبِرِّ كَأَكْلِ الطَّعَامِ إِنْ أَخَذَ مِنْهُ قُوَّةً عَصَمَهُ، وَإِنْ أَسْرَفَ فِي الْأَخْذِ مِنْهُ بَشَمَهُ، وَرَبَّمَا كَانَتْ فِيهِ مَنِيَّةٌ، وَكَأَخَذَ الْأَدْوِيَةَ الَّتِي قَصَدَهَا شِفَاءً، وَجَاوَزَتْ الْقُدْرَةَ فِيهَا السَّمُ الْمَمِيتُ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ قَالَ : حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عَيْنَةَ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ أَنَّ أَبْنَ أَبِي نُعَيْمٍ كَانَ يُبَيِّنُ مِنَ السَّنَةِ إِلَى السَّنَةِ وَيَقُولُ فِي تَلْبِيَّتِهِ : لِيكَ، لَوْ كَانَ رِيَاءً لَأَمْحُجَلُ .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ مَسْعُودٍ عَنْ سَفْيَانَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ [قَالَ] عَمْرٍو مَيْمُونُ : لَوْ أَدْرَكَتُ أَحْمَبَانِيَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي نُعَيْمٍ لَرَجَمْتُهُ، كَانَ يُوَادِّلُ كَذَا وَكَذَا يَوْمًا وَيُزِيلُ بِالْحَجِّ إِذَا رَجَعَ النَّاسُ مِنَ الْحَجِّ .

وَقَالَ سَلْمَانُ : الْقَصْدُ وَالنُّوْمُ وَأَنْتَ السَّابِقُ الْجَوَادُ . وَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لَقِيَ رَجُلًا فَقَالَ : مَا تَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَتَعْبُدُ . قَالَ : مَنْ يَعْبُدُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : أَنَا، قَالَ : أَخُوكَ أَعْبَدُ مِنْكَ .

(١) كَذَا بِالْأَسْلِ وَالْمَرْفُوعِ فِي كِتَابِ التَّرَاجِمِ «مُطَوِّفٌ» بِدُونِ أَلْ . (٢) الْحَقِيقَةُ : أَرْضُ السَّيْرِ وَأَتَمُّهُ لِلْقَهْرِ . (٣) فِي الْأَسْلِ «فَتَى» وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٤) هَكَذَا فِي النُّسخِ الَّتِي بِيَدَيْنَا «بَشَمَهُ» بِشَرِّ الْف . وَفِي الْقَامُوسِ وَاللَّسَانِ، يُقَالُ : شَرَّمْتُ الرَّجُلَ وَأَبَشَمْتُ الطَّعَامَ .

رَوَّجُ بْنُ مُبَادَةَ عَنْ أَجْلَاجِ بْنِ الْأَسَدِ قَالَ : مَنْ يَدُلُّ عَلَى رَجُلٍ بَكَاهُ بِاللَّيْلِ بِسَائِمٍ
بِالنَّهَارِ ؟

وَرَوَى أَبُو أُسَامَةَ عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ ، قَالَ مُطَرِّفٌ :
انْظُرُوا قَوْمًا إِذَا ذُكِرُوا ذُكِّرُوا بِالْقِرَاءَةِ فَلَا يَكُونُوا مِنْهُمْ ، وَانْظُرُوا قَوْمًا إِذَا ذُكِرُوا ذُكِّرُوا
بِالْفَجْرِ فَلَا يَكُونُوا مِنْهُمْ ، كُونُوا بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ .

باب التوسط في المداواة والحلم

قُرأت في كتاب للهند : بعضُ المقاربة حزمٌ ، وكلُّ المقاربة عجزٌ ، كالخشبَةِ
المنصوبة في الشمس تملأُ فيزيدها ظِلُّها ، ويُغرطُ في الإمالة فينقص الظلُّ . ومن
أمثال العرب في هذا : وَلَا تَكُنْ حُلُومًا قَسَّسَرْتُ وَلَا مُرًّا تَقَطَّقَتْ^(١) ، وأبو زيد يقول :
وَلَا مُرًّا تَقْتَعِي ، يقال : أَعْقَى الشَّيْءُ إِذَا اشْتَدَّتْ مُرَارَتُهُ . وقال الشاعر

• وَلَوْ لَصَبْتُ الرُّأْسَ غَيْرُ جُمُوحِ •

وقال آخر في صفة قوس

• فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ •

وقال آخر

• شَرَّيَانَةٍ تَمْنَعُ بَعْدَ اللَّيْلِ •

وقال أبو ريرز لأبْنِهِ : اجْعَلْ لِقَصَادِكَ السُّلْطَانَ عَلَى إِقْرَاطِكَ ، فَإِنَّكَ إِذَا قَدَّرْتَ
الْأُمُورَ عَلَى ذَلِكَ وَزَنَّتْهَا بِمِيزَانِ الْحِكْمَةِ وَقَوَّمتَهَا بِتَقْوِيمِ التَّقَافِ ، وَلَمْ تَجْعَلْ لِلْعِدَامَةِ
سُلْطَانًا عَلَى الْحِلْمِ .

(١) شربه واستمره : ابتغاه .

(٢) هذا يقتضي أن التقاف في قوله معنى مكسورة ، ويقال : أعق الشيء إذا قطعه من فيه لمرارته ، وبهذا
يصح أن يكون الفعل مبنيًا للجھول ، وقد روي المثل بالوجهين كما في اللسان .

وقال الثابتة الجسد

ولا خير في علم اذا لم تكن له • بوادر تهي صفوه أن يكدر

وقال آخر

ولا خير في عرض أمري لا يصونه • ولا خير في حلم أمري ذل جانبه

- وقال أكرم بن صيفي : الاتقياض من الناس مكسبة للمداوة ، وإفراط الأئس
مكسبة لقرناء السوء .

باب المتوسط في العقل والآرى

روى في الحديث أن زياد بن أبي سفيان كان كاتباً لأبي موسى الأشعري فعزله
عمر عن ذلك ، فقال له زياد : أعن عجز عرفتني يا أمير المؤمنين أم عن خيانة ؟

- فقال : لا عن ذلك ولا عن هذا ، ولكني كرهت أن أحمل على العاقبة فضل عقلك .
وقال : إفراط العقل مضر بالجسد . ون الأمتال المبتلة : استأنف العقل على

الجسد فقال : اذهب لا حاجة بي إليك . وقال الشاعر

فيس في جد أنوك حالفته • مقادير يساعدها الصواب

وقال آخر

- إن المقادير إذا ساعدت • ألحقت العاجز بالخائز

وقال آخر

أرى زمناً توكله أسعد أهله • ولكنه يسبق به كل عاقل

وقال الحسن : تشبه زياد بعمر وأفراط ، وتشبه الجمال زياد فاهلك الناس .

وقالت الحكماء : فضل الأدب في غير دين مهلكة ، وفضل الآرى إذا لم يستعمل

- في رضوان الله ومنفعة الناس قائد إلى الذنوب ، والحفظ أراكي الواعى لغير العلم
النافع مضر بالعمل الصالح ، والعقل غير المودع عن الذنوب خازن الشيطان .

تنازع. أشنان : أحدهما سلطاني والآخر سُوقِيّ ، فضربه السلطاني فصاح :
وَأَعْمَرَاهُ ! وَرُفِعَ خبرُهُ إلى المأمون فأمر بإدخاله عليه ، قال : مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ قال : من
أهل قَامِيَةِ ، قال : إنَّ عمرَ بنَ الخطَّاب كان يقول : مَنْ كان جاره نَبِيْطاً وَاحْتِاجَ إلى
ثَمَنَةٍ قَلِيْجَةٍ ، فَإِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ سِيْرَةَ عمرَ فَبِهَذَا حِكْمَةٌ فِيْكَ ، وأمر له بألف درهم .

باب ذم فضل الأدب والقول

قيل لبعض الحكماء : متى يكون الأدب شراً من عدمه ؟ قال : إذا كَبُرَ الأدبُ
وقَصُرَ العقلُ . وكانوا يكرهون أن يزيد منطقُ الرجل على عقله . ويقال : من
لم يكن عقله أغلبَ خصال أخير عليه كان حَتَفُهُ في أغلب خصال أخير عليه .
وقال الشاعر

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ * إِذَا سَامَهُ الْجَهْلُ لَيْتًا مُغِيْرًا

وقال سليمان بن عبد الملك : زيادةُ منطقٍ على عقلٍ خُدْعَةٌ ، وزيادةُ عقلٍ على
مَنَطِقٍ مُجَنَّةٌ ، وأحسنُ مِنْ ذَلِكَ مَا زَيَّنَ بَعْضُهُ بَعْضًا .

قال ضرار بن عمرو لابنته حين زوّجها : أَمْسِكِي عَلَيْكَ الْفَضْلَيْنِ : فَضْلَ الْقَلَمِ
وفَضْلَ الْكَلَامِ .

وقال عمر بن الخطَّاب رحمه الله : رَحِمَ اللهُ أَمْرًا أَمْسَكَ فَضْلَ الْقَوْلِ وَقَدَّمَ فَضْلَ
الْعَمَلِ .

نزل المُنذرُ بنُ المنذر في كَتِيبَةٍ موضِعًا ، فقال له رجل : أَيْتَ الْآلَمَنَ إِنْ دُخِيَ رَجُلٌ
هَاهُنَا ، إِلَى أَى مَوْضِعٍ يَبْلُغُ دَمُهُ مِنْ هَذِهِ الرَّابِيَةِ ؟ فقال المُنذر : أَلْمَذْبُوحُ وَاللهِ أَنْتَ ،
وَلَا تُظَنِّقْ أَبْنَ يَبْلُغُ دَمُكَ ، فقال رجلٌ من حضر : « وَبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ [لصاحبها] دَعْنِي » .

(١) الذي في جميع الأمثال البدائي : أن القاتل هو المنظر نفسه .

(٢) الزيادة عن جميع الأمثال البدائي .

قال زياد على المنبر : إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يقطع بها ذنب عثر مصور ولو بلغت إنامته سفكت دمه . وقال أكنم بن صفي : مَقْتُلُ الرجلِ بين فكيه .
وقال الأحنف : حَفُّ الرجلِ غبوءٌ تحت لسانه .

باب التوسط في الجدة

- كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهم إني أعوذ بك من غنى مُنْطِرٍ .
ومن فقرٍ مُلْبٍ أو مُرْبٍ" ، وكذلك "اللهم لا غنى يُطْلِي ولا فقرٌ يُبْئِي" .
وقال أبو المعتمر السلمي : الناسُ ثلاثةُ أصناف : أغنياء وفقراء وأوساط ، فالفقراءُ موتى إلا من أغناه الله بجزء القناعة ، والأغنياء سُكَّارَى إلا من عصمه الله بتوحيه الغير ، وأكثرُ الخير مع أكثر الأوساط وأكثر الشر مع الفقراء والأغنياء لِسَخَفِ
الفقر وبطَرِ الغنى . ومن أمثال العرب في هذا : «بَيْنَ الْمَمْنَحَةِ وَالْمَحْجَاهِ» .

باب الاقتصاد في الاتِّفاق والإعطاء

- قال الله عز وجل : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) ،
وقال عز وجل : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) .
حدثني أحمد بن الحليل عن مسلم بن إبراهيم عن سكين بن عبد العزيز عن إبراهيم
ابن مسلم عن أبي الأحوص عن عبد الله قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
"مَا عَالَ مُقْتَصِدٌ" .

وحدثني أيضا عن مسلم قال حدثنا أبو قدامة الحارث بن عبيد قال حدثنا برد بن
سنان عن الزهري قال ، قال أبو الدرداء : حَسَنُ التَّقْدِيرِ فِي الْمَعِيشَةِ أَفْضَلُ مِنْ
نَصْفِ الْكَسْبِ ، وَقَطْعُ حَبٍّ مَشْوَرًا وَقَالَ : إِنَّ قَهَّ الرَّجُلِ رُقْعُهُ فِي مَعِيشَتِهِ .

قال أبو الأسود لولده: لَا تَجْأُودُوا أَفَّهَ فَإِنَّهُ أَجُودٌ وَأَجْدُ، وإِنَّهُ لو شَاءَ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ حَتَّى لَا يَكُونَ حَتَّاجٌ لَعَلٍّ، فَلَا تَجْهَدُوا أَنْفُسَكُمْ فِي التَّوَسُّعِ قَبْلَ كَوْنِ هَؤُلَاءِ.

قيل لمحمد بن عمران قاضي المدينة — وهو من ولد طلحة بن عبيد الله —: إِنَّكَ تُنْسَبُ إِلَى الْبِخْلِ، قَالَ: وَافَّهَ إِنِّي لَا أَجِدُ فِي الْحَقِّ وَلَا أَذُوبُ فِي الْبَاطِلِ. وَكَانَ يُقَالُ: لَا تَصُنْ كَثِيرًا عَنْ حَقٍّ وَلَا تَتَّقِ قَلِيلًا فِي بَاطِلٍ. وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ «لَا وَكَسَ وَلَا شَطَطَ» و«إِذَا جَدَّ السُّؤَالُ جَدَّ الْمَنَعُ». وَقَالَ الشَّاعِرُ

إِلَّا أَكُنْ كُلَّ الْجَوَادِ فَإِنِّي * عَلَى أَرْزَادِ فِي الظُّلُمَاءِ غَيْرُ لَيْمٍ

وَأَلَّا أَكُنْ كُلَّ الشَّجَاعِ فَإِنِّي * أَرْدُ سِنَانَ الرِّمَحِ غَيْرَ مَسْلُومٍ

وَقَدْ عَلِمْتُ طَيْبًا هَوَازِنَ أَنِّي * فَتَاهَا وَسُفْلَى عَامِرٍ وَتَسِيمٍ

قَالَ معاوية: مَا رَأَيْتُ شَرَفًا قَطُّ إِلَّا وَإِلَى جَانِبِهِ حَقٌّ مُضَيِّعٌ.

أفعال من أفعال السادة والأشراف

حَدَّثَنِي أَلِزْيَاسِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عِمْرَانَ قَاضِي الْمَدِينَةِ أَنَّ طَلْحَةَ كَانَ يُقَالُ لَهُ: [طَلْحَةُ] ^(١) الْخَلِيرُ، وَطَلْحَةُ الْفَيَاضُ، وَطَلْحَةُ الطَّلَاحَاتُ وَأَنَّهُ فَدَى عَشْرَةَ مِنْ أَسَارَى بَدْرٍ وَجَاءَ يَمْشِي بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُ سُئِلَ بِرَحِمٍ فَقَالَ: مَا سُئِلْتُ بِهَذِهِ الرَّحِمِ قَبْلَ الْيَوْمِ، وَقَدْ بَعْتُ حَائِطًا لِي بِتِسْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَنَا فِيهِ بِالْخِلَارِ، فَإِنْ شِئْتُ أَرْجِعُهُ وَأَعْطَيْتُكَ، وَإِنْ شِئْتُ أَعْطَيْتُكَ شَيْئًا.

حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي شَيْخٌ مِنْ مَشِخَنَاتِنَا، — وَرَبَّمَا قَالَ: هَارُونَ الْأَعْمُورُ — أَنَّ قَتِيبةَ بْنَ مُسْلِمٍ قَالَ: أَرْسَلَنِي أَبِي إِلَى ضَرَارِ بْنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبُدٍ ابْنِ زُرَّارَةَ فَقَالَ: قُلْ لَهُ قَدْ كَانَ فِي قَوْمِكَ دِمَاءٌ وَجِرَاحٌ، وَقَدْ أَحْبَبُوا أَنْ تَحْضُرَ الْمَسْجِدَ فَيَمُنَّ بِحَضْرَتِهِ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَلْبَسْتُهُ فَقَالَ يَا جَارِيَةَ: عَدَدَتِي، بِلَاحَةٍ بِأَرْغِفَةٍ

(١) زيادة في النسبة الألمانية.

- حُشْنِي قَدَرْتَنِي فِي مَرِيَسٍ ثُمَّ بَرَقْتَنِي^(١) فَأَكَل، قَالَ قَتِيبة : بفعل شأته يصغر في عيني ونفسي، ثم مسح يده وقال : الحمد لله، حنطة الأهواز وتمرة الفرات وزيت الشام، ثم أخذ عليه وأرتدى، ثم أنطلق معي وأتى المسجد الجامع فصلى ركعتين ثم أختي، فما رأته حلقته إلا تقوضت إليه، فاجتمع الطالبون والمطلوبون فأكثروا الكلام، فقال: إلى ماذا صار أمرهم؟ قالوا: إلى كذا وكذا من إبل، قال: هي على، ثم قام.
- الميم عن ابن عباس قال: كان معديكرب بن أبرهة جالسا مع عبد العزيز بن مروان على سريره فأبى بفتيان قد شربوا الخمر، فقال: يا أعداء الله، أتشربون الخمر! فقال معديكرب: أنشدك الله أن تقضح هؤلاء^(٢)، فقال: إنا ألقى في هؤلاء وفي غيرهم واحد، فقال معديكرب: يا غلام صب من شرابهم في القدح، فصب له فشربه وقال: والله ما شرابنا في منازلنا إلا هذا، فقال عبد العزيز: خلوا عنهم، فقيل له: حين أنصرفوا: شربت الخمر! فقال: أما والله إن الله ليعلم أني لم أشر بها قط في سري ولا علانية، ولكني كرهت أن يفضح مثل هؤلاء بمحضري.

- وحدثني شيخ لنا قال: مدح شاعر الحسن بن سهل، فقال له: احتكم، وطلق أن هنته قصيرة، فقال: ألف ناقة، فوجم الحسن ولم يمكنه، وكره أن يفتضح وقال: يا هذا إن بلادنا ليست بلاد إبل، ولكن ما قال أعرس القصص
- إذا ما لم يكن إبل فمزي • كأت قرون جلتها المصي^(٣)
- قد أمرت لك بالف شاة، فألقى يحيى بن خاقان، فأعطاه بكل شاة دينارا.

(١) في هامش النسخة القتوغرافية: «المريس تموزت»، وفي القاموس أنه التمر المروس أو اللبن.

(٢) برق اللطام بزيت أو سمن: جعل فيه مه قليلا - قاموس.

(٣) حكى بالنسخ التي بأيدينا، وظاهر الكلام يتوقف على "لا" النافية.

(٤) في الأصل بمصري وهو مخروف. (ه) في الأصل: عصى. والتصحيح عن الديوان والأغاني.

قال : وقدم زائر على أبي دُلفٍ فأمر له بألف دينار وكسوة ثم قال - وروى ابن
الشرعبيد الله بن طاهر -

أَغْلَيْتُنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ رَنَا * قُلَّا وَلَوْ أَهْلَكْنَا لَمْ يَقْلِيلِ

نَفَذَ الْقَلِيلُ وَكَانَ كَأَنَّكَ لَمْ تَحُلْ * شَيْئًا، وَنَحْنُ كَأَنَّا لَمْ نَفْعَلِ

وقال بعض الشعراء

ليس جودُ الفتيان من فضل مالٍ * إنما الجودُ للقلِّ المَوَاسِي

وقال دحبل في نحوه

لئن كنتَ لا تُؤَلِّي يَدًا دونَ إِمْرَةٍ * فليستَ بِمُسَوِّلٍ نَائِلًا آخرَ الدهرِ

فأَيُّ إِنَاءٍ لَمْ يَفِضْ عِنْدَ مَلِكِهِ ! * وَأَيُّ بَخِيلٍ لَمْ يُبَلِّ سَاعَةَ الْوَفْرِ !

وليس التقي المعطى على اليسر وحده * ولكنه المعطى على العسر واليسر

ابن الكلبي قال : أخبرني غير واحد من قريش قالوا : أراد عبد الله وعبيد الله

ابنا العباس أن يقسما ميراثهما من أبيهما بمكة ، فدعى القاسم ليقسم ، فلما مَدَّ الحبل

قال له عبد الله : أقيم المِطْمَرُ ، بنى الحبل الذي يَدُ . فقال له عبيد الله : يا أخى ، الدارُ

دارك لا يُمَدُّ والله فيها اليوم مِطْمَرٌ . وكان يقال : مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ وَالسَّخَاءُ وَالْجَمَالَ

فَلْيَأْتِ دَارَ الْعَبَّاسِ ، كَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَعْلَمَ النَّاسِ ، وَعَبِيدُ اللَّهِ أَصْحَى النَّاسِ ، وَالْفَضْلُ

أَجْمَلُ النَّاسِ .

باع عبد الله بنُ حَبِبةَ أرضاً بثمانين ألفاً ، فقيل له : لو اتخذتَ لولدك من هذا

المال دُخْرًا ! فقال : أنا أَجْعَلُ هذا المالَ دُخْرًا لى عند الله ، وأَجْعَلُ الله دُخْرًا

لولدى ، وقسمَ المالَ .

ويقال : إنَّ أَوَّلَ مَا عُرِفَ بِهِ سُؤْدُدُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرَى أَنَّهُ مَرَّ بِبَعْضِ

طُرُقِ دِمَشْقَ وَهُوَ غُلَامٌ فَأَوْطَأَ فَرَسَهُ حَبِيبًا فَوَقَفَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى لَا يَتَحَرَّكُ أَمَرَ غُلَامَهُ

لحملة، ثم انتهى به إلى أول مجلس مر به فقال : إن حدث بهذا الغلام حدث الموت فانا صاحبه، أو طأته قريبي ولم أعلم .

قال عدى بن حاتم لابن له حديث : ثم بالباب فامنع من لا تعرف وأنت لمن تعرف، فقال : لا والله، لا يكون أول شيء وليته من أمر الدنيا منع قوم من الطعام .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : ضاف نبي زياد العيسيين ضيف، فلم يشعروا إلا وقد آخذوا منهم من خلفها، فرفع ذلك إلى ربيع بن زياد الكامل فقال : لا يضار الليلة عائد أتي، إنه طاذ بحقها .

المدايني قال : أحدث رجل في الصلاة خلف عمر بن الخطاب، فلما سلم عمر قال : أعزمت على صاحب الضربة إلا قام فوضا وصل، فلم يقم أحد، فقال جرير ابن عبد الله : يا أمير المؤمنين أعزمت على نفسك علينا أن نتوضأ ثم نعيد الصلاة، فانما نحن نصبر لنا نافلة، وأما صاحبنا فيقضي صلاته، فقال عمر : رحلك الله، إن كنت لشرها في الجاهلية قهيا في الإسلام .

كان عبد الله بن جندعان التيمي حين كبر أخذ بنو تيم عليه ومنعوه أن يعطى شيئا من ماله، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال : ادن مني، فإذا دانته لطمه ثم قال : اذهب فاطلب بلطمتك أو ترضى، فترضيه بنو تيم من ماله . وفيه يقول ابن قيس الرقيات — حين غربة فريش —

والذي إن أشار نحوك لطلا * تباع اللطم نائل وعطاء

وآبن جندعان هو القائل
إني وإن لم يتل مالي مدى خلقي * وهاب ما ملكت كفى من المال
لا أحبس المال إلا ريت أظفئه * ولا تنعني حال عن الحال

المهيم عن حماد الراوية عن مشايخ طي قالوا : كانت عنبه بنت عفيف أم حاتم
لا تليق شيئا بخفاء وجودها ، فمنها إخوتها من ذلك فأبت ، وكانت مؤسرة فحبسوها
في بيت سنة يطعمونها قوتها رجاء أن تكف ، ثم أخرجوها بعد سنة وظنوا أنها قد
أقصرت ودفعوا إليها صرمة^(١) ، فاتها امرأة من هوازن فسألها فأعطتها الصرمة وقالت :
والله لقد مسنى من الجوع ما أليت معه ألا أمنع سائلا شيئا ، وقالت

لعمري لقد ما عضى الجوع عضة * فآليت ألا أمنع الدهر جاعا
فقولا لهذا ألا تبي الآن أعفني * فإن أنت لم تفعل فعض الأصبا
[فإذا عساكم أن تقولوا لأختكم * سوى عذلكم أو عذلكم من كان مانعا]
ولا ما تروى الدهر إلا طيعة * فكيف بتركى يا بن أم الطبايعا^(٢)

أبن الكلبي عن أبيه عن رجال طي قالوا : كان حاتم جوادا شاعرا ، وكان حينما
زل عيرف مثله ، وكان ظفيرا إذا قاتل قلب ، وإذا غنم أنهب ، وإذا سئل وهب ،
وإذا ضرب بالقداح سبق ، وإذا أمر أطلق ، وكان أقسم بالله : لا يقتل واحدا أمه .

(١) كذا بالنسخين بين مهمله وفون وباء موحدة بعدها . ويرافقه ما في الشعر والشعراء للزلف وعلق
عليه ناشره بأنه يروى «عنبه» و«عنية» أنظر نسخة مطبوعة أوربا ص ١٢٣ و ١٢٤ ، وفي الألفاظ طبع بولاق
ج ١٦ ص ٩٧ «عنبه» . وكذا في شعراء النصرانية وعلق عليه الناشر بأنه في رواية الميداني «عنية» . أنظر
نسخة طبع بروكس ص ٩٨

(٢) لا تليق : لا تمسك .

(٣) التفتحة من الابل واخطف في عددها من العشرة الى الخمسين .

(٤) زيادة عن الألفاظ وشعراء النصرانية .

(٥) كذا بالنسخين . وفي الألفاظ وشعراء النصرانية : «وماذا ترون اليوم» الخ ، وفي هامش نسخة
الشعر والشعراء : «فهل ما ترون اليوم» الخ .

أبو أليقطان قال : أخذ عبيد الله بن زياد عروة بن أذينة ^(١) [أخا] أبي بلال قطع يديه ورجليه وصلبه على باب داره ، فقال لأهله : أنظروا هؤلاء الموكلين بي فأحسبنا إليهم فلأنهم أضيا فكم .

سفيان بن عيينة قال : كان سعيد بن العاص إذا أتاه سائل فلم يك عنده ما سأل قال : اكتب عليّ بمسألتك سحلاً إلى أيام يسرى .

باع أعرابي ناقه له من مالك بن أسماء ، فلما صار الثمن في يده نظر إليها فذرفت عيناه ، ثم قال :

وقد تترع الحاجات يا أتم معمّر * كراتم من ربّ بين صنين

فقال له مالك : أخذناقتك وقد سوغتك الثمن . اشترى عبيد الله بن أبي بكره جارية نفيسة فطليبت دابة تحمل طليها فلم توجد ، فجاء رجل بدابة فحملها ، فقال له عبيد الله : اذهب بالجارية إلى منزلك . باع ثابت بن عبيد الله بن أبي بكره دار الصفاق من مقاتل بن مسمع كسيئة ثم اقتضاه فلزمه في دار أبيه ، قرأه عبيد الله فقال : مالك ؟ قال : حبسني أبنتك . قال : بيم ؟ قال : بئس دار الصفاق ، قال : يا ثابت أما وجدت لفرهائك محبسا إلا داري ، ادفع إليه صكّه وأعوضك . قيل لرجل : مالك تنزل في الأطراف ؟ فقال : منازل الأشراف في الأطراف يتناولون ما يريدون بالقدرة ويتناولهم من يريدهم بالحاجة . لما تكبر عدي بن حاتم آذاه برد الأرض وكان رجلا

(١) كذا بالتصخين الألمانية والعنصرية وهو مخوف عن "أذينة" ، وعروة بن أذينة هذا هو الذي قتله عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان يوم قتل من الخوارج سنة ٥٨ هجرية . أنظر تاريخ ابن جرير الطبري طبع أوروبا المجلد الثاني من القسم الثاني ص ١٨٥ و ١٨٦ والكامل طبع أوروبا ص ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤

(٢) هذه القطة ساقطة بالأصلين سبوا من التنازع لأن المكتن أبي بلال إنما هو أخوه مراد بن أذينة لا هو . أنظر ابن جرير أيضا في ص ١٨٥ والمعارف لابن تقيّة ص ٢٠٩

لِحَيَاةِ قَبَشَتِ الْأَرْضِ نَفْذِيهِ بِجَمْعِ قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا بَنِي مُعَلٍّ ، إِنِّي لَسْتُ بِمُخِيرِكُمْ إِلَّا أَنْ تَرَوْا
 ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ أَبِي بِمَكَانٍ لَمْ يَكُنْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ ، بَنَى لَكُمْ الشَّرَفَ وَهَيَّ عَنْكُمْ الْعَارَ
 فَأَصْبَحَ الطَّائِيُّ إِذَا ضَلَّ خَيْرًا قَالَ الْعَرَبُ : مِنْ حَيٍّ لَا يُحْدُونَ عَلَى الْجُودِ وَلَا يُعْذِرُونَ
 عَلَى الْبُخْلِ ، وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ السَّنِّ مَا تَرَوْنَ وَأَقْدَانِي يَرُدُّ الْأَرْضَ فَأَذْنُوا لِي فِي وِطَاءِ فَوَاهِهِ
 ١٠ أَرِيدُهُ نَفَرًا عَلَيْكُمْ وَلَا احْتِقَارًا لَكُمْ ، وَسَاخَبَكُمْ : مَا عَلَى مَنْ وَضَعَ طِفْئَةً وَقَعِدَ
 حَوْلَهُ إِلَّا أَنْ الْحَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَنْدَلَ فِي عِرْضِهِ وَيَخْذَعُ فِي مَالِهِ وَلَا يَحْسَدُ شَرِيفًا وَلَا يَمُحِرَ
 وَضِعًا ، فَقَالَ الْقَوْمُ : دَعْنَا الْيَوْمَ ، ثُمَّ غَدَوْا عَلَيْهِ فَقَالُوا : يَا أَبَا طَرِيفِ ضَعْ الطَّفِئَةَ
 وَالْأَيْسَ التَّاجَ ، فَبَلَغَ ابْنَ دَارَةَ الشَّاعِرَ فَأَتَاهُ وَقَالَ : قَدْ مَدَحْتُكَ ، فَقَالَ : أَمْسِكْ طِيكَ
 حَتَّى أَتَيْتُكَ بِمَالِي فَمَدَحَنِي عَلَى حَسَبِهِ ، لِي أَلْفُ ضَائِيَةٍ وَأَلْفَا دِرْهَمٌ وَثَلَاثَةُ أَعْيِدٍ^(١) ،
 وَفَرَسِي هَذَا حَبِيسٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، هَاتِ الْآنَ فَقَالَ

تَحْنُ قُلُوصِي فِي مَعَدٍّ وَإِنَّمَا * ثَلَاثِي الرَّبِيعِ فِي دِيَارِ بَنِي مُعَلٍّ
 وَأَبْنَى اللَّيَالِي مِنْ عَدَى بْنِ حَاتِمٍ * حُسَامًا كَلَوْنَ الْمَلْحَ مِلًّا مِنْ الْخَلَلِ^(٢)
 أَبُوكَ جَوَادٌ مَا يُسْقَى غُبَارُهُ * وَأَنْتَ جَوَادٌ لَسْتَ تُعْذَرُ بِالْعِلَلِ
 فَإِنْ تَفْعَلُوا شَرًّا فَتَلْكُمُ أَتَقِي * وَإِنْ تَفْعَلُوا خَيْرًا فَتَلْكُمُ فَفَعَلْ

فَقَالَ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ ، لَا يَبْلُغُ مَالِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَشَاطِرُهُ مَالَهُ .

جاء رجل الى مَعْنٍ فاستحملة غَيْرًا فَقَالَ مَعْنٌ : يَا غُلَامُ أَعْطِهِ عَيْرًا وَبَنًا وَرُذُونًا وَفَرَسًا
 وصيرًا وجاريةً ، ولو عرفتُ مَرْكُوبًا غَيْرَ هَذَا لَأَعْطَيْتُكَ . وَكَانَ يَقَالُ : حَدَّثَ عَنْ
 الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ وَعَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَعَنْ مَعْنٍ وَلَا حَرَجَ . قَالَ رَجُلٌ مِنْ كُتُبِ
 الْحَكَمِ بْنِ عَوْنَةَ وَهُوَ عَلَى السُّنْدِ : إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ ، فَقَالَ الْحَكَمُ : وَاللَّهِ لَأَعْطَيْتُكَ عَطِيَّةً

(١) في القصد القريد ، ج ١ ص ١١٧ زيادة « وثلاث إمّا » .

(٢) رواية القصد القريد ، ج ١ ص ١١٧ « كتصل السيف » .

لا يُعطيا العبدُ فأعطاه مائةً رأس من السبي. وقرأت في بعض كتب السج أن جامات كسرى التي كان يأكل فيها كانت من ذهب، فسرق رجلٌ من أصحابه جاما وكسرى ينظرُ إليه، فلما رُفعت الموائد أخذَ الطباخُ الحامَ فرجعَ يطلبها، فقال له كسرى: لا تتعَنَ فقد أخذها من لا يردُّها ورأه من لا يُقضى عليه، ثم دخل عليه الرجلُ بعد ذلك وقد حلَّ سيفه ومنطقته ذهباً، فقال له كسرى بالفارسية: يا فلان هذا، يعني السيف، من ذاك قال: نعم وهذا، وأشار إلى منطقته. قالوا: لم يكن لخالد بن برمك أخٌ إلا بنى له داراً على قدر كفايته ووقف على أولاد الإخوان ما يُعيشهم أبداً ولم يكن لإخوانه ولدٌ إلا من جارية هو وهبها له.

- بلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داراً له لدين ركه وكان يجلس في ظل داره، فقال: ما قتُ إذا بجرمة ظل داره إن باعها مُمَدِّماً وبتٌ واجداً، فعمل إليه ثمن الدار وقال: لا تبس. قال أبو القبطان: باع نبيك بن مالك بن معاوية إبله وأطلق بمنها إلى منى بفعل ينيبه، والناس يقولون: مجنون، فقال: لست بمجنون ولكني سمعُ أنيبيكم مالى إذا عزَّ الفتح. قال: وأتى عبد الله بن جعفر قهرمانه بحسابه فكان في أوله جبلٌ بخمسين درهماً، فقال عبد الله: لقد غلبَ الحبالُ، فقال القهرمانُ: إنه أبرق، فقال عبد الله: إن كان أبرق فانا أجيزه، فهو الآن مثلٌ مضروب بالمدينة. كان أبو سفيان إذا نزل به جار نال له: يا هذا، إنك قد اخترتني جاراً بخفاية يدك على دولك، وإن جئت عليك يد ناحتكم على حكم الصبي على أهله. وقال بعض الشعراء — يُقنى على قوم بمصر الجوار —

هُمُ خُطَطُونِي بِالنَّفُوسِ وَدَانَعُوا * وَرَأَى بَرَكِي ذِي مَنَاقِبٍ وَمَدَقِ
وَقَالُوا تَعْلَمُ أَنَّ مَالَكَ إِنْ يُصَبَّ * يَمُدُّكَ وَإِنْ تُحْبَسَ يَرُدُّكَ وَيُسْقِعُ

- وروى عبد الله بن بكر السهمي عن حاتم بن أبي صتيعة عن حبيب بن أبي ثابت أن الحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وعياش بن أبي ربيعة خرجوا يوم اليرموك

حتى آتَبُوا، فعدا الحارثُ بنُ هشامٍ بماءٍ ليشربه، فنظر إليه عكرمةُ فقال: ادفعه إلى عكرمةٍ
فنظر إليه عيَّاشٌ فقال عكرمةُ: ادفعه إلى عيَّاشٍ، فلما وصل إلى عيَّاشٍ حتى مات ولا زاد
اليهم حتى ماتوا، فسُمِّيَ هذا حديثَ الكرام. وهذا الحديثُ عندي موضوعٌ لأن أهل
السيرة يذكرون أن عكرمةَ قُتِلَ يومَ أُجَينَ وعيَّاشٌ ماتَ بمكة، والحارثُ ماتَ
بالشَّامِ في طاعونِ عَمَواسٍ^(١).

أعطى رجلٌ امرأةً سألته مالا عظيما، فلاموه وقالوا: إنها لا تعرفك وإنما كان
يُرضيها اليسير، فقال: إن كانت ترضى باليسير فأتى لا أرضى إلا بالكثير وإن كانت
لا تعرفني فانا أعرف نفسي.

قال بعض الشعراء

وما خيرُ مالٍ لا يَبْقَى النِّمَّ رَبُّهُ * ونفيسُ أمرٍ في حَقِّها لا يُبَيِّها

١٠

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

أَرَى نَفْسِي تُتَوَقَّى إِلَى أُمُورٍ * وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهَا حَالِي^(٢)

نَفْسِي لَا تُطَاوَعُنِي بِخَيْلٍ * وَمَالِي لَا يُلَفِّسُنِي فَعَالِي^(٣)

وقال أيضا

وَلَا أَقُولُ نَعَمَ يَوْمًا فَأَتْبِعُهَا * مَنَعًا وَلَوْ ذَهَبَتْ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ

١٥

وَلَا أَقُولُ نَعَمَ عَلَى سِرِّ قُبْحَتْ بِهِ * وَلَا مَدَدْتُ إِلَى غَيْرِ الْجَمِيلِ يَدِي

وقال كعب بن سعد التميمي

وَذِي نَدَبٍ دَامِيَ الْأُظْلَى قَسَمْتُهُ * مَحَافِظَةً بَيْنِي وَبَيْنَ زَيْمِيلِي^(٤)

(١) هكذا يفتح أوله وسكون ثانيه كما في التاج وكما نقل هو عن الرض الأنف السيل، ثم نقل

أن أصحاب الحديث يحركون الميم وأن البكري في معجمه ضبطها كذلك. (٢) هو عبد الله بن جعفر كما

في العقد الفريد، ج ١ ص ١١٢ (٣) أضيف في ديوان الحماة ج ٣ ص ١٠٢ مع شرح التبريزي «مال».

(٤) في الأصول «ليس يلائمه» وهو غير متفق مع المعنى المراد والتصويب عن ديوان الحماة مع شرح

التبريزي ج ٣ ص ١٠٢ (٥) الأظَلُّ بطن الأصغر من الإنسان، ومن الإبل بطن المتسم.

وزاد رفعت الكف عنه تجللاً * لأوثر في زادي على أكيلى
وما أنا للشيء الذى ليس نافعى * وينضب منه صاحبي يقول

وقال زهير

وأبيض فياض يذاه غمامة * على معنفيه ما تُقب توافله
غدوت عليه غدوة فوجدته * قعوداً لديه بالصريم عوانله
فأعرضن منه عن كريم مرزأ * جموج على الأمر الذى هو فاعله
أبى قفة لا تذهب الخمر ماله * ولكنه قد يلعب المال ناعله
تراه اذا ما جتته متللاً * كأنك تمطيه الذى أنت سائله

المداينى قال : أضل فيروز بن حصين سوطه يوماً ، فأعطاه رجل سوطاً فأمر له

بألف درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : من أنت ؟ قال : صاحب السوط فأمر له بألف
درهم ، ثم أتاه بعد حول فقال : من أنت ؟ قال : صاحب السوط ، قال : أعطوه
ألف درهم ومائة سوطاً فأقطع عنه . قال الشاعر

إني حذت نبي شيطان اذ نعدت * نيران قومي فشبت فيهم النار
وبن تكرمهم في التحل أنهم * لا يحسب الجار فيهم أنه جار

١٥

وقال آخر

زلت على آل المهلب شاتياً * بعيداً قصي الدار في زمي محلي
فما زال في إطاعتهم وأفتادهم * وإكرامهم حتى حسبتهم أهلي

وقال آخر

إذا كان لي شيطان يا أم مالك * فإن لحاري منهما ما تحيرا

(١) في الأصل « لا يذهب الحمد » وهو تحريف ، والصواب عن الهيران والشمر والشمر ، لابن قتيبة . ٢٠

وقال عمرو بن الأهتم

تَدِينِي فَاقِ الشَّيْخَ ^(١) يَا أُمَّ هَيْمَ * لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ
تَدِينِي وَحَطَى فِي هَوَايَ فُلَانِي * عَلَى الْحَسَبِ الْعَالِي الرَّفِيعِ شَفِيقُ ^(٢)
وَمُسْتَمْتَحٍ بَعْدَ الْمُدْوَةِ دَعْوُهُ * وَقَدْ كَانَ مِنْ سَارِي الشَّتَاءِ طُرُوقُ
نَقَلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْجَبًا * فَهَذَا مَيِّتٌ صَالِحٌ وَصَدِيقُ
أَضَفْتُ فَلَمْ أُخِشْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَقُلْ * لِأَخْرَمِهِ إِنَّ الْفَنَاءَ مَضِيقُ
لَسَمْرُكَ مَا ضَاقتْ بِلَادُ بَاهِلِهَا * وَلَكِنْ أَخْلَاقُ الرِّجَالِ تَضِيقُ

كان يقال : للعباس بن عبد المطلب ثوبٌ لِمَارِي بنِي هاشم، وَجَفَنَةٌ لِجَاهِرِ
وَمِقَطَرَةٌ لِجَاهِلِهِم. قال بكر بن النطاح ^(٤)

وَلَوْ خَذَلْتُ أُمُورَ اللَّهِ جُودَ كَفَّهُ * لَقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ بَعْضَ حَيَاتِهِ
وَلَوْ لَمْ يَمُحِدْ فِي الْعُمُرِ قِسْمًا لَزَائِرٍ * بِلِجَادٍ لَهُ بِالشَّطْرِ مِنْ حَسَنَاتِهِ

وقال الفرزدق

إِنَّ الْمَهَالِبَةَ الْكَرَامَ تَحْمَلُوا * دَفَعَ الْمَكَارَهَ عَنْ ذَوَى الْمَكْرَهِ
زَانُوا قَدِيمَهُمْ بِحَسَنِ حَدِيثِهِمْ * وَكَرِمَ أَخْلَاقِي بِحَسَنِ وَجْهِهِ

كان يقال : الشَّرَفُ فِي السَّرَفِ . قال طامر بن الطُّفَيْلِ

إِذَا نَزَلَتْ بِالنَّاسِ يَوْمًا مُلْبَسَةٌ * تَسْوِقُ مِنَ الْأَيَّامِ دَاهِيَةً إِذَا

(١) في الأصل «الشيخ» وهو مخبر عن التصويب عن شرح ديوان الحماسة للبربري، ج ٤ ص ٩٤

(٢) في الأصل : حَطَى بِالْفَاءِ الْمُجَسَّمةِ، والتصحيح عن شرح ديوان الحماسة للبربري، ج ٤ ص ٩٤
وتاج الروس في مادة «حط» ويقال كما في أساس البلاغة : «حط في هواه وانحط فيه» أي اندفع فيه

والمراد منه في البيت مساعده على الجود . (٣) الذي في شرح ديوان الحماسة للبربري ج ٤ ص ٩٤

(٤) «الزاكي» - (٤) هي غشقة فيها خروق كل خرق على قدرسة الساق يدخل فيها أرجل المحبوسين .

دَلَقْنَا لَهَا حَتَّى تَقْذَمَ مَيْلَهَا * وَلَمْ تَهْدَ عَنْهَا بِالْأَمْسَةِ أَوْ تَهْدَا
وَكَمْ مُطْهِرٍ بَغْضَانَا وَدَّ أَسَا * إِذَا مَا التَّقِينَا كَانَ أَخْفَى الَّذِي أَبْدَى
مَطَاعِمُ فِي الْأَوَا مَطَاعِينَ فِي الْمَوْغَى * شَمَائِلُنَا تَسْكِي وَأَيْمَانُنَا تَسْدَى

وَقَالَ حَاتِمٌ طَلَبِي

- أَكْفُ يَدِي مِنْ أَنْ تَتَأَلَّأَ كُفَّهُمْ * إِنْ مَا مَدَدْنَاهَا وَحَاجَتُنَا مَعَا
وَإِنِّي لَأَسْتَعِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى * مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَفْرَعَا

وَقَالَ جَابِرُ بْنُ حَبَانَ^(٢)

- فَإِنْ يَنْقَسِمَ مَالِي بَيْنِي وَنِسْوَتِي * فَلَنْ يَنْقَسِمُوا خُلُقِي الْكَرِيمَ وَلَا فَنِي^(٣)
وَمَا وَجَدَ الْأَضْيَافُ فَيَا يَتُوبُهُمْ * لَمْ عِنْدَ عَلَاتِ الْغُفُوسِ أَبَا مِثْلِي^(٤)
أُهِينُ لَمْ مَالِي وَأَعْلَمُ أَتَنِي * سَأُورِثُهُ الْأَحْيَاءَ سِيرَةً مِنْ قَبْلِي

- كَانَ سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو مُوَاخِيَا لِزَيْدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ، فَلَمَّا حَبَسَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ زَيْدًا
وَمُنِعَ مِنَ الدَّخُولِ عَلَيْهِ، أَنَاهُ سَعِيدٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لِي عَلَى زَيْدٍ نَحْسُونَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ وَقَدْ حُلَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَانْ رَأَيْتَ أَنْ تَأْذَنَ لِي فَأَقْضِيهِ؟ فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ
فَقَسَرَهُ بِزَيْدٍ، وَقَالَ: كَيْفَ وَصَلْتَ إِلَيَّ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ زَيْدٌ: وَأَلْفَهُ لَا تَخْرُجُ إِلَّا وَهِيَ
مَعَكَ فَأَمْتَنَعَ سَعِيدٌ خَلْفَ زَيْدٍ لِيَقْبِضَهَا، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الرَّقَّاعِ

- (١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَدُرُوءَةُ الْحَمَاسَةِ مَعَ شَرْحِ التَّبْرِيزِيِّ ج ٤ ص ١١٨
أَكْفُ يَدِي عَنْ أَنْ يَتَأَلَّأَ الْقَامِبَا * أَكْفُ صَيَّابِي حِينَ حَاجَتُنَا مَعَا
(٢) هَكَذَا فِي الْأَصُولِ «حَبَانَ» بِالْأَلِفِ الْمَوْحَدَةِ . وَاقْتَضَى فِي دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ مَعَ شَرْحِ الْعَلِيطِيِّ التَّبْرِيزِيِّ
ج ٤ ص ١١٦ «حَبَانَ» بِالْأَلِفِ الْمُتَّحَاةِ . (٣) فِي شَرْحِ دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ لِلتَّبْرِيزِيِّ، ج ٤ ص ١١٦
(٤) الْقِي فِي شَرْحِ دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ لِلتَّبْرِيزِيِّ ج ٤ ص ١١٧ «عِلَاتِ الزَّمَانِ» ..
«وَأَخْفَى» .


لم أَرِ محبوباً من الناس واحداً * حباً زائراً في السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو إذ أتاه أجزه * بخسين ألفاً عَجَلَتْ لِسَعِيدٍ
وقال بعض الشعراء

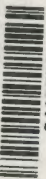
وَأَتَى لِحَسَلٍ فِي الْحَقِّ أَتَقَى * إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَنْ أَتَجَمَّهَا
إِذَا لَمْ تَذُدَّ أَلْبَانُهَا عَنْ لُحُومِهَا * حَلَبْنَا لَهَا بِأَسْيَافِنَا دَمًا

دخل شاعر على المهدي فامتدحه، فأمر له بمال فلما قبضه فرقعه على من حضر وقال
لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْشَغِي الْغِنَى * وَمَا خَلْتُ أَتَابُودِينَ كَفَّهُ يُعِدِّي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ دَوُو الْغِنَى * أَفَدْتُ وَأُعْدَانِي فَبَدَدْتُ مَا عُدِّي

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون الهاشمي قال، أخبرني وكيع قال حدثني
أبو العيَّان قال: كان بالبصرة لنا صديق يهودي وكان ذا مال وقد تأدَّب وقال الشعر ١٠
وعرف شيئاً من العلوم وكان له ولدٌ ذكورٌ، فلما حضرته الوفاة جمع ماله وفرقه على
أهل العلم والأدب ولم يترك لولده ميراثاً فعُوتِبَ على ذلك فقال
رَأَيْتُ مَالِي أَبْرَ مِنْ وَلَدِي * فَالْيَوْمَ لَا نَحْصِلُهُ وَلَا صَدَقَهُ
مَنْ كَانَ مِنْهُمْ لَهَا فَأَيْسِدَهُ اللَّهُ وَمَنْ كَانَ صَالِحاً رَزَقَهُ
وحدثني الأخفش بهذا الخبر عن المبرد عن الرِّمَاشِيِّ والله أعلم ١٥

نجز الجزء الثالث وبه ينتهي المجلد الأول ويتلوه في أول المجلد الثاني
الجزء الرابع وبه كتاب الطبائع

 Библиотека Александрина



0412593